

ISSN:  
: 3005-6713  
: 3005-6721



فصلية تُعنى بنقد  
الرؤى الغربية في  
الإنسان والمجتمع

للدراسات الإنسانية والاجتماعية

العدد (3) ربيع 2024 م 1445 هـ

## الغرب فيه بربريته (2) أميركا وحروبها

أول الكلام < أميركا: إمبراطورية الكذب والعدوان

- المحور <
- التنظير الفلسفي الأمريكي للحرب (صقور واشنطن)
  - التأسيس الديني للقتل في أميركا: الصهيونية المسيحية أنموذجاً
  - الحرب الأهلية الأمريكية الصراع الدموي بين الشمال والجنوب
  - جرائم الحرب الأمريكية في العراق
  - الإعلام الأمريكي والتضليل والتبرير للحرب
  - تاريخ جرائم الولايات المتحدة الأمريكية في العالم: دراسة إحصائية

تأصيل < معالجة الأسرى  
استعمال الأسلحة المحرمة دولياً

قراءة فيه كتاب < قراءة فيه كتاب: عن الإرهاب  
الغربي من هيروشيما  
إلى حرب الطائرات بدون طيار  
«نعوم تشومسكي» و«أندريه فلتشيك»

مركز أبحاث الدراسات والبحوث  
بيروت - بغداد



# الغرب في بربريته (2) أميركا وحروبها

العدد (3): ربيع 2024م - 1445هـ

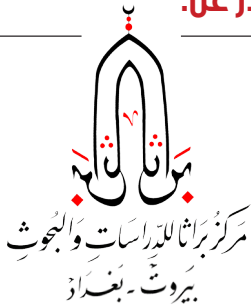
ISSN:

ISSN: 3005-6713  
ISSN: 3005-6721



للدراستات الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن:



مركز براثا للدراسات والبحوث  
بيروت - بغداد

مجلة علمية فصلية تُعنى بنقد الرؤى  
الغربية في الإنسان والمجتمع

[www.barathacenter.com](http://www.barathacenter.com)

[www.oumam.barathacenter.com](http://www.oumam.barathacenter.com)

[Oumam.magazine@gmail.com](mailto:Oumam.magazine@gmail.com)

التابع لجمعية براثا الثقافية المرخصة في لبنان بموجب علم وخبر رقم: 516

وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ  
وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِأَحْسَنَاتِ  
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(الأعراف: ١٦٨)

## رسالة المجلة

مواجهة التحديات الفكرية التي يفرضها الغرب وغيره على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وذلك من خلال:

◀ تنفيذ "الشبهات والأفكار المستوردة" بطريقة أكاديمية علمية ومنهجية، وإظهار معائرها وعيوبها، ونقد جذورها وسياقاتها.

◀ الكشف عن الدوافع السياسية والاقتصادية والاستعمارية التي تقف خلف محاولة الهيمنة الثقافية على مجتمعاتنا.

◀ تقديم إحصاءات علمية من داخل المجتمعات الغربية، ترصد النتائج التدميرية للثقافة المادية العلمانية على المجتمعات.

◀ تقديم رؤى أصيلة وبديلة عن النظريات الغربية من منطلق انساني عالمي، يتناسب ومقتضيات الفطرة البشرية، ويتأسس على الرؤية الكونية الميتافيزيقية للاجتماع البشري.



مجلة «أمم للدراسات الإنسانية والاجتماعية»، مجلة علمية فصلية، تصدر كل ثلاثة أشهر عن «مركز براثا للدراسات والبحوث». وتُعنى المجلة بنقد الرؤى الغربية في الإنسان والمجتمع في مختلف المجالات والتحديات المعاصرة؛ في الفلسفة، والتاريخ، والاجتماع، والانثروبولوجيا، وتأصيلها من منطلق عقلاني ينسجم ومقتضيات الفطرة البشرية ومع الرؤية الكونية الميتافيزيقية الأصيلة للإجتماع البشري.

في العدد المقبل:

**المهدوية**

**دولة العدالة، خاتمة التاريخ**

موقع المركز:

[www.barathacenter.com](http://www.barathacenter.com)

موقع المجلة:

[oumam.barathacenter.com](http://oumam.barathacenter.com)

بريد المجلة:

[Oumam.magazine@gmail.com](mailto:Oumam.magazine@gmail.com)

ترحب المجلة بمساهمات الكتاب والباحثين في المجالات المتعلقة باهتمامات المجلة العلمية، ويمكن للراغبين مراسلة المجلة على العنوان التالي: مركز براثا للدراسات والبحوث - مجلة أمم: بيروت، بغداد.

**رئيس التحرير:** 009613821638

**مدير التحرير:** 0096176949904

## ■ الهيئة العلمية:

- أ.د. حافظ عبد الرحيم. (علم اجتماع سياسي واقتصادي- جامعة قابس- تونس)
- أ.د. حسن بشير. (علم اجتماع التواصل الدولي والثقافي-جامعة الامام الصادق(ع)- ايران).
- أ.د. بن شرقي بن مزيان. (فلسفة-جامعة وهران(٢)- الجزائر).
- أ.د. حيدر حسن اليعقوبي. (علم نفس تربوي-جامعة الكوفة- العراق)
- أ.د. طالب عمران. ( منطويات تفاضلية وفلك- جامعة دمشق- سورية).
- أ.د. عقيل صادق. (فلسفة-جامعة البصرة- العراق).
- أ.د. محسن صالح. (فلسفة-الجامعة اللبنانية-لبنان).
- أ.د. محمد شعلان الطيار. ( علم آثار- جامعة دمشق- سورية).
- أ.د. معمر الهوارنة. (علم نفس- جامعة دمشق- كلية التربية-سورية).
- أ.د. ياسر مصطفى عبد الوهاب. (تاريخ عصور وسطى-جامعة كفر الشيخ- مصر).
- أ.د. يوسف طباجة. (علم اجتماع- الجامعة اللبنانية-لبنان).

## ■ هيئة التحرير:

- أ.د. هني الجزر. (فلسفة-جامعة دمشق-سورية).
- أ.د. سعد علي زاير. (فلسفة تربية ومناهج اللغة العربية-العراق).
- أ.د. عادل الوشاني (علم اجتماع الثقافة والاتصال- جامعة قابس-تونس).
- أ.مشارك. د. نعمة حسن البكر. (تاريخ حديث ومعاصر-جامعة عين شمس-مصر).
- د. علي الحاج حسن. (فلسفة اسلامية-لبنان).
- الشيخ د. محمد نمر. (مناهج تربوية- لبنان).

المشرف العام:

**الشيخ جلال الدين علي الصغير**

(العراق)

رئيس التحرير:

**د. محمد محمود مرتضى**

(جامعة المعارف-لبنان)

مدير التحرير:

**الشيخ د. محمد باقر كجك**

(جامعة المعارف-لبنان)

المدير المسؤول:

**أ. آية بيضون** (لبنان)

المدير الفني:

**أ. خالد معماري** (سورية)

التدقيق اللغوي:

**باديا خضر الجمال**

(الجامعة اللبنانية-لبنان)

ترجمة:

**لينا السقر**

(إجازة في الترجمة الانكليزية-جامعة دمشق-سورية)



# قواعد النشر في مجلة "ع ك م"

## شروط النشر في المجلة

- البحوث والدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- عند قبول البحث يتعهد المؤلف بنقل حقوق ملكية البحث إلى المجلة، وعدم نشره في أية مجلة أخرى إلا بعد أخذ موافقة خطية من إدارة المجلة، ويكون من حق المجلة نشر البحث في كتاب جماعي؛ وفي حال أراد الباحث نشر بحثه في أي وسيلة نشر ورقية أو الكترونية، فيجب عليه أخذ موافقة خطية مسبقة من إدارة المجلة.
- تلتزم المجلة بإعلام المؤلف بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل، أو وفق تعديلات معينة بناءً على ما يرد من ملاحظات المقيّمين، أو الاعتذار عن عدم النشر في غضون مدة لا تتجاوز (30) يوماً، إلا في حال الاستكتاب المبكر، لكن يتم إعلام المؤلف بذلك.
- في مسألة رفض البحث فمن حق المجلة إعلام المؤلف بأسباب الرفض أو عدم إعلامه بذلك.
- ترتيب البحوث (المقالات) في داخل المجلة يخضع لأغراض فنية، ولا علاقة له بمكانة المؤلف (الباحث) وشهرته.
- تدفع المجلة مكافأة مالية لكل بحث يُنشر في المجلة، وتُعلم المؤلف بقيمتها أو طريقة احتسابها مسبقاً.
- المراسلات ترسل بإسم رئيس التحرير: الدكتور محمد مرتضى على العناوين التالية:

رقم الهاتف: 009613821638 أو على البريد الإلكتروني:

oumam.magazine@gmail.com



## أخلاقيات النشر

- تلتزم إدارة المجلة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين.
- تلتزم إدارة المجلة بمراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس، بل الالتزام بقواعد التفكير العلمي ومناهجه، ولغته في عرض وتقديم الأفكار والاتجاهات والموضوعات ومناقشتها أو تحليلها.
- تلتزم إدارة المجلة بعدم الإفصاح عن أسماء المقومين (المحكمين) للمؤلفين، كذلك تلتزم في الوقت نفسه بعدم الإفصاح عن أسماء المؤلفين للمقومين ويبقى هذا الأمر على نحو سري عند رئيس ومدير التحرير فقط.
- احترام حقوق الملكية الفكرية للبحوث المترجمة.
- يُشترط أن يكون البحث متوافقاً مع معايير الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.
- يشترط ألا يكون البحث المرسل للنشر في المجلة منشوراً سابقاً في مجلة أو في كتاب، أو مستلاً من رسالة أو أطروحة، وألا يكون تم تقديمه للنشر إلى مجلة أخرى.

## دليل المقومين

- إن المهمة الرئيسة للمقوم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة، وتقويمه وفق رؤية ومنظور علمي وأكاديمي لا يخضع لأية أهواء شخصية، ويقوم بتثبيت ملاحظاته البناءة والصادقة بشأن البحث المرسل إليه.
- قبل البدء بعملية التقويم يتأكد المقوم إذا ما كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي فعليه تقدير كونه يمتلك الوقت الكافي لإتمام عملية التقويم؛ ذلك أن عملية التقويم يجب أن لا تتجاوز (15) يوماً.
- بعد موافقة المقوم على إجراء عملية التقويم وإتمامها في المدة المحددة يلتزم بإجراء عملية التقويم على وفق المحددات الآتية:
  - أ. تحديد درجة الأمانة العلمية للبحث.
  - ب. تحديد درجة مطابقة عنوان البحث لمحتواه.
  - ت. تحديد درجة وضوح ملخص البحث.

- ث. تحديد درجة إيضاح مقدمة البحث لفكرة البحث.
- ج. تحديد درجة تناسب العناوين الفرعية وارتباطها.
- ح. تحديد درجة المستوى العلمي للبحث.
- خ. تحديد درجة المستوى اللغوي والأدبي.
- د. تحديد درجة قيمة المصادر ودقة الاعتماد عليها.
- ذ. تحديد درجة أهمية البحث وأصالته من حيث الآلية والنتائج.
- ر. تحديد درجة حجم البحث.
- ز. تحديد درجة صلاحية البحث للنشر.
- س. يحدد المقوم بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلف.
- يحدد المقوم أسباب الرفض في حال قرر عدم صلاحية البحث للنشر.
- تجري عملية التقويم على نحو سري.
- يتم تبليغ رئيس التحرير في حال أراد المقوم الأول مناقشة البحث مع المقوم الثاني.
- ترسل ملاحظات المقوم العلمي إلى رئيس التحرير لإرسالها إلى المؤلف في حال وجود ملاحظات على البحث؛ لكي يأخذ المؤلف بها للموافقة على النشر، من دون أن يعرف المقوم من هو المؤلف، ولا أن يعرف المؤلف من هو المقوم.
- تعتمد ملاحظات المقومين وتوصياتهم في قرار اعتماد نشر البحث من عدمه.

## دليل المؤلفين

- يجب أن يكون البحث جديداً في طرحة، ولم يسبق لأحد أن تناول الموضوع بالآلية نفسها ووصل إلى النتائج نفسها، وأن يتسم بالعمق والتحليل والنقد.
- يجب أن تكون لغة البحث خالية من الأخطاء اللغوية والطباعية، وأن تراعى في كتابتها علامات الترقيم.
- المعلومات الواردة في البحث يجب أن تكون موثقة من خلال المصادر والمراجع العلمية الدقيقة.

- على المؤلف مراعاة أن تكون عدد كلمات بحثه تتراوح ما بين (4500) إلى (5500) كلمة.
- سيتم استعمال برنامج فحص نسبة الاستلال (Plagiarism Check X).
- سيعرض البحث على برنامج الاستلال قبل تحويله للتقويم، وسيرفض البحث إذا تجاوزت نسبة الاستلال النسبة المقبولة عالمياً (25%).
- في تسجيل الهوامش المرتبطة بالحواشي المرجعية، فإن الكاتب سيستعمل نظام (شيكاغو المعدل)، ويُدرج الهوامش في أسفل الصفحة (Footnote) عبر الادراج التلقائي.
- مثال على نظام شيكاغو المعدل:
- في حال التوثيق من كتاب: اسم المؤلف: عنوان الكتاب، ذكر الجزء أو المجلد، رقم الصفحة.
- في حال التوثيق من مجلة: اسم كاتب البحث أو المقال: عنوان البحث، اسم المجلة، العدد، رقم الصفحة.
- في حال التوثيق من كتاب جماعي: اسم كاتب مع عبارة وآخرون: عنوان الكتاب أو البحث، رقم الصفحة.
- في حال التوثيق من رسالة أو أطروحة: اسم الباحث: عنوان الرسالة أو الأطروحة، الجامعة والكلية، رقم الصفحة.
- توثق الآيات في المتن عقب النص القرآني مباشرة بذكر السورة متبوعة بنقطتين، ثم رقم الآية داخل حاصرتين، هكذا: (الإنسان: 25).
- الآيات القرآنية تُدرج محرّكة وفق التشكيل القرآني، وتوضع بيم مقوسين خاصين، هكذا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
- ملاحظة: ما تم ذكره في أعلاه من مصادر إن كانت إلكترونية فيتم إدراج الرابط بعد رقم الصفحة في الأسفل.
- يُدرج في نهاية البحث ثبت بالمصادر والمراجع، وفق ما ذكرنا أعلاه مع اضافة باقي التفاصيل المرتبطة به: دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر، رقم الطبعة.

● يستعمل الكاتب في بحثه باللغة العربية خط (simplified Arabic) بحجم (14) في المتن، ونفس الخط بحجم (12) في الهامش.

● أما باللغة الإنجليزية فيستعمل (Times New Roman) بحجم (14) في المتن، وبحجم (12) في الهامش.

● يكتب في الصفحة الأولى الآتي:

■ عنوان البحث باللغة العربية.

■ اسم المؤلف باللغة العربية (إذا كان عربياً)، مع إدراج حاشية سفلية يذكر فيها: جنسيته، توصيفه العلمي، الدرجة العلمية والشهادة، وجهة الانتساب (الجامعة، الكلية)، أو (المؤسسة البحثية).

■ ملخص للبحث باللغة العربية على أن لا يتجاوز الملخص الواحد (100) كلمة.

■ الكلمات المفتاحية على أن لا تتجاوز (7) كلمات.

■ تقوم المجلة بإجراء ترجمة الملخصات إلى اللغات التي تراها مناسبة.

## تعهد حقوق الملكية

أنا الموقع أدناه المؤلف (الباحث): .....

صاحب البحث الموسوم بـ: .....

أتعهد بنقل حقوق الطبع والنشر والتوزيع إلى مجلة (أمم) ومركز براءات للدراسات والبحوث.

التاريخ:

التوقيع:

## تعهد الملكية الفكرية

أنا الموقع أدناه المؤلف (الباحث): .....

صاحب البحث الموسوم بـ: .....

أتعهد بأن البحث الذي أنجزته لم يتم نشره أو تقديمه للنشر إلى مجلة أخرى، سواء أكانت داخل لبنان أو العراق أو أي دولة أخرى، وأرغب بنشره في مجلة (أمم).

التاريخ:

التوقيع:

# المحتويات

أول الكلام: أميركا: امبراطورية الكذب والعدوان 14  
■ د. محمد محمود مرتضى

## المحور

التنظير الفلسفي الأمريكي للحرب (صقور واشنطن) 19  
■ د. ناريمان عامر

التأسيس الديني للقتل في أميركا:  
الصهيونية المسيحية نموذجًا 41  
■ د. محمد مرتضى

الحرب الأهلية الأمريكية الصراع الدموي  
بين الشمال والجنوب 63  
■ علي مهدي رعد

الولايات المتحدة الأمريكية وجرائمها  
الحربان العالميتان والقنبلة الذرية 88  
■ د. علاء محمود مسعود

جرائم أميركا اللانسانية في فيتنام 113  
■ سامر سليم إبراهيم

جرائم الحرب الأمريكية في العراق 133  
■ د. صفوان ناصيف النداف

غزو أميركا لأفغانستان والجرائم ضد الإنسانية 151  
■ أ.د. حسين علي حسن أحمد

الولايات المتحدة والأسلحة المحرّمة دولياً 172  
■ د. دعاء حسن

شهاداتٌ حيّةٌ من المواقع السّوداء معسكرات  
الاعتقال والتّعذيب الأمريكيّة 193  
■ كريم الجمال

الإعلام الأمريكيّ والتّضليل والتّبرير للحرب 215  
■ د. غنوة ناصر

تاريخ جرائم الولايات المتّحدة الأميركيّة في العالم: دراسة إحصائيّة 235  
■ زينب علي فرحات

### نأصيل

مُعاملة الأسرى 241  
■ الشّيخ محمود عليّ سرائب

استعمالُ الأسلحة المحرّمة دولياً 269  
■ د. عليّ عبد الله فضل الله

### قراءة في كتاب

عن الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطّائرات  
بدون طيار (نعوم تشومسكي) و (أندرية فلتشيك) 291  
■ ليلى السّقر

## أميركا: إمبراطورية الكذب والعدوان

■ د. محمد محمود مرتضى<sup>(1)</sup>

يحتوي فعل «الوجود» عند الإنسان، على مفارقة تاريخية وفلسفية قديمة، وهي مفارقة ضرورة وأهمية الاجتماع البشري كحاجة حيوية له لبقائه وديمومة وجوده، ومن جهة أخرى تحتوي هذه المفارقة على عنصر المزامحة والصراع، الذي يولده وجود الآخر في الحيز الزماني والمكاني نفسه. لقد أدت هذه المفارقة المزدوجة إلى نشوء تصورات فلسفية متعددة لحل هذا الاشتباك المعقد، وإيجاد نسق يستطيع أن يقدم مساراً يتعايش فيه البشر مع كل الاختلافات الثقافية والعرقية والحضارية. إن المدارس النظرية الصراعية ومذاهب القوة، تتفق على أن خصائص ثقافية أو عرقية أو حضارية ما، تعطي الحق بالقوة لجماعة ما، على أن تنال نصيباً أفضل وأكبر من غيرها في الوجود، ويشكل هذا الصراع ونسق القوة، الحل «الطبيعي» الذي تقدمه «الطبيعة» والتكوين للإنسان، مع الإذعان المسبق بسقوط الضحايا والخسائر "المناسبة" لهكذا صراع على البقاء. إن التاريخ البشري، يشهد على هذا الصراع الفكري العميق والدقيق، والخطر في الوقت نفسه، والذي لوّن مشهديات التاريخ بلون الدّم الأحمر، ولم يخلص إلى حدّ الآن إلى صنع مستقبل آمن للبشرية. رغم أنّ الأديان الوحيانية والسماوية الإلهية، وخصوصاً الدين الإسلامي بطرحه الخلاصي المهدوي، قدمت طرحها الخاص في نجاة الإنسان من قدر القتل والمسار الدموي للبقاء حياً، إلا أنّ الظروف الموضوعية لهذا الطرح لم تتكامل إلى حدّ اليوم.

على أنّ القرن الواحد والعشرين يشكّل محطة مناسبة، لإعادة النظر بالمرحلة التاريخية الفاتنة على مساحة قرن ونيف من الزمن، حيثُ تزامن عنصر التّقدم والتّطور التكنولوجي، والتّقني، والعلمي، والانفجار الهائل في عصر المعلومات والحوسبة، والصناعات الثقيلة والدّكيّة، والاختراعات الدّقيقة، مع بروز الحضارة الأميركيّة كقوة عالميّة كبيرة ذات قدرات ضخمة في

1 - مدير مركز برانا للدراسات والبحوث (بيروت)، ورئيس تحرير مجلة أمم.



العديد من المستويات. هذه الطفرة التكنولوجية، خاصة في قطاعات المعلومات والإعلام والاتصالات، لم تكشف إلا عن وجه صراعي دموي للحضارة الأميركية، طالعته البشرية منذ احتلال القارة الأميركية انعكست في مرآة الحرب العالمية الأولى والثانية، وما بعدها من الحروب البينية والإقليمية والدولية إلى هذه اللحظة، مخلفة ملايين من القتلى والضحايا والدمار الواسع، مع تنوع كبير في أدوات وأساليب القتل والممارسة الإفنائية للجماعات والشعوب، والطبيعة.

ثم إن التوقف عند «الحضارة» الأميركية، يحيلنا الى ثلاثة محاور صبغت التاريخ الأمريكي:

**المحور الأول:** التنظير الفلسفي للقتل؛ حيث دأب المنظرون الأمريكيون، تبعاً للمنظرين الأوروبيين، على فلسفة عمليات القتل والعدوان، بمبررات استعلائية تارة، وحضارية تارة أخرى، تحت شعارات حقوق الإنسان والديمقراطية، ورفع مستوى الوعي، وتأهيل الدول لحكم نفسها، والدفاع عن الأقليات، والأمن القومي، وما إلى ذلك من شعارات مخادعة، مستعملين في ذلك مختلف أساليب القمع والعدوان العسكري والسياسي والاقتصادي إلخ.

**المحور الثاني:** على أن تحقيق النتائج المرجوة في المحور الأول، لا تتم إلا إذا تلازمت مع حملة دعائية، وتضليل إعلامي كبير يُنفق عليها مليارات الدولارات؛ إذ لم يشهد التاريخ هذا الحجم من الضخ الإعلامي المزيف، ومن التضليل المبرمج، ومن الإنفاق على وسائل الإعلام المختلفة، هذا الإعلام الذي يدعي الموضوعية، ليظهر لاحقاً أنه أبعد ما يكون عنها، ولتكشف الحرب على غزة، وما قبل غزة وما سيأتي بعدها. إن هذه الإمبراطورية الإعلامية الغربية عامة، والأمريكية بشكل خاص، ليست سوى إمبراطورية الكذب، وتزييف الحقائق، والتلاعب بالصورة، وحجب الوقائع، وليست إلا صورة ما تريد الإدارة الأميركية ولوبيات الضغط تظهيره للرأي العام لا سيما الداخل الأمريكي، فتغدو الحرية للأمريكي ليست سوى القدرة على الاختيار بين حق ألبس لباس الباطل لتنفّر منه، وباطل صورٍ بمظهر الحق لتُقبل عليه. فلا غرابة والحال هذه، أن تسقط أنظمة بحجة امتلاك أسلحة محرّمة دولياً، أو السعي لامتلاكها لم ولن يُثبت وجودها أبداً، أو تُفرض إجراءات اقتصادية ظالمة على شعوب بأكملها، فيما تقوم الآلة الإعلامية بتسويق أنها فرضت على النظام فقط، على أن المفارقة الكبيرة هي أن من يهدّد بالحرب، دولا أخرى يدعوى امتلاك أسلحة محرّمة دولياً هو الأكثر استعمالاً لها عبر التاريخ، بل هو أول وآخر - إلى الآن - من استعمل السلاح النووي.

المحور الثالث: هو محور تنفيذ الخطط عملياً عبر الحروب العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

هي حروب إبادة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وهي حروب رافقت الولايات المتحدة الأمريكية من قبل نشوئها، وأعني منذ لحظة اكتشاف القارة وغزوها من الأبيض القادم من أوروبا، لتبدأ بعدها مباشرة حروب الإبادة الجماعية للسكان الأصليين. ولم تكد تنتهي هذه الحروب، حتى خاض المحتلون حرباً أسموها حرب الاستقلال ضد البريطانيين، ولا ندري من يستقل عن من، وهم جميعاً غزاة؟! ثم جاءت بعدها الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، لتتوالى بعدها سلسلة الحروب. ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر الدول خوضاً للحروب مقارنة بعمرها، وهي أكثر الدول فتكاً من ناحية عدد الضحايا، الذين خلفتهم حروبها مقارنة بعمرها أيضاً. وإذا كان «ميكافيللي» أول من أطلق مقولة «الغاية تبرر الوسيلة»، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي الأكثر عملاً بها، وإخلاصاً لها.

وعلى أي حال، فقد أظهرت البحوث الجادة حول تاريخ القتل والإجرام الأمريكي، سمات بنوية للعقل، والشخصية الحضارية الأمريكية القائمة على العنف، والإفناء، والقتل، وتجريم الآخر لكونه آخر، وهي تركز على قواعد فكرية وحضارية متصلة بالجذور الأوروبية للعنف. إنه العنف بصيغته الأوروبية، المتمحور حول الأورو-مركزية الحضارية المتعالية والغارقة في الشوفينية والاستعلاء على الآخرين، ذات الاتجاه التبريري لفعل التسلط والقتل.

إن مشهدية العنف الأمريكي تركز في عمقها إلى روحية إبادة السكان الأصليين، والاستيلاء على أرضهم وخيراتهم، والإمعان في قتل الروح الحضارية والثقافية لهذه الشعوب الأصلية، بما يضمن أبدية الاستعمار المباشر وغير المباشر، وضمان بقاء الأوروبي والأميركي في المقدمة دوماً، وهذه الروح هي صناعة أوروبية في عهود الاستعمار الكولونيالي الأوروبي، التي سادت الكرة الأرضية طوال قرون إلى منتصف القرن العشرين. وهذا الموضوع، قد تم بحثه بشكل دقيق وموسع في العدد الماضي من مجلة «أمم». وفي هذا العدد، نتطرق إلى التنظير الفلسفي للحرب والقتل في العقل السياسي والحضاري الأمريكي، خصوصاً في ما يتعلق بالمرجعيات الفكرية النظرية للعنف، عند صقور الإدارة الأمريكي المؤثرين على مستوى القرار والقيادة والاستراتيجية.

القضية الثانية التي يبرزها هذا العدد في بحثه حول العنف وتاريخ الحروب الأمريكية، هو إبراز

لا أخلاقية التّفوق الأميركي وبُنية الدّولة الحديثة الأميركيّة، من خلال إظهار سمة عامّة رافقت هذا البناء، وهي الكلفة البشريّة العالية جدًّا، التي دفعتها الشعوب من دمائها، من أجل بناء وبقاء الدّولة الأميركيّة؛ ولذلك، أبرز هذا العدد من المجلّة - وضمن إحصاءات دقيقة - الأعداد المخيفة للقتلى وضحايا حروب أميركا في مرحلة التأسيس فقط، لتظهر هذه الإحصائيات كذب ادّعاء القوة والمسار الحضاري المتقدم، الذي تروّج له السّياسة والإدارة الأميركيّة.

إنّ حقيقة المسار الدّمويّ الواسع هذا، أفسح المجال بشكل لا لبس فيه، أمام تعرية الدّعاية السّياسة الأميركيّة المختبئة خلف شعارات حقوق الإنسان والديمقراطيّة والإنسانيّة، وذلك ببداية المسار الإجراميّ، الذي لم يكن من الممكن إخفاؤه عن الشعوب في العالم. لقد أظهرت البحوث التي تمّ إجراؤها، حجم التّمويل الكبير والتّخطيط الذي تقوم به أميركا، فيما يخصّ التّضليل الإعلاميّ، واللّعب بالعقول، وتحويل الحقائق، واستغلال إرادات الشعوب بشكل براغماتيّ، خدمة لمصالحها.. إنّ تاريخ التّضليل الإعلاميّ والكذب والتّزوير وتحريف الحقائق، الذي مارسه أميركا في حرب فيتنام، والخليج الأولى والثانية، وحرب العراق، وسوريا، وبطبيعة الحال فيما يتعلّق بكلّ حركات المقاومة في بلادنا، وابتداع تسميات الإرهاب والتّطرف وإخراجها من صنف البشر في تبرير مسبق للقتل والإفناء، يشهد على حجم التّزوير وإرادة الإجرام والقتل بشكل عمديّ ونهائيّ، كأسلوب أميركيّ أصيل في العمل السّياسي والإنسانيّ.

وتظهر أبحاث هذا العدد كذلك، الآثار التّدميريّة الواسعة للحروب الأميركيّة في الحريين العالميّتين، وحرب فيتنام، وغزو أفغانستان، وخصوصاً الاستخدام الواسع للأسلحة المحرّمة دوليّاً، بالأدلة والمعلومات الإحصائيّة الدّقيقة، التي تظهر عدم اعتناء هذه الحضارة بأدنى حقوق الإنسان، والقوانين الدّوليّة الإنسانيّة التي تمّ الاتّفاق عليها في المواثيق والعهود الدّوليّة. رغم أنّ اضطرار الحكومات الأميركيّة المتعاقبة إلى استخدام القوة المفرطة غير الشرعيّة والمسبّبة للدمار الشّامل، كما فعلت في هيروشيما وناغازاكي، وفيتنام، والتّدمير الوحشيّ للعراق وبُناه التّحتيّة وموارده البشريّة وفرض الحصار الجائر عليه، وعلى الشعوب الأخرى كاليمن وفلسطين ولبنان وسوريا وإيران، وغير ذلك، يؤشّر إلى الضّعف الحضاريّ المتمكّن التدريجيّ الحاصل في القوّة الأميركيّة والكامن فيها، بحيث أنّها تلجأ إلى الإجرام والوحشيّة من أجل حسم النزاعات وتحقيق مصالحها، وهو أمرٌ لا يرتبط بالعمل السّياسي بأيّ صلة. ومن جهة أخرى، سبّب هذا السلوك الإجراميّ في

استعمال الأسلحة المحرمة دولياً، بإيجاد نوع من التبرير والمشروعية في استخدامها، عند حلفائها خصوصاً الدول الأوروبية التي تستخدمها أميركا في حروبها، وكذلك الدعم منقطع النظر الذي ناله البائد "صدام حسين" في حربه على شعبه والشعوب المجاورة، واستخدامه أسلحة محرمة دولياً كالأسلحة الكيميائية، وأساليب القتل الممنوعة وغير ذلك، وكذلك ما قامت به إسرائيل من جرائم وحشية مدانة منذ سبعين عاماً، فيما يشابه المسار الإجرامي التاريخي لأميركا في استتصال الشعوب الأصلية، وفي استخدام كافة أنواع القتل، والجرائم، والأسلحة المحرمة في سياق الحرب الوجودية المدعاة للكيان الإسرائيلي المغتصب، وكل ذلك تحت رعاية، ودعم، وتمويل، وتوفير غطاء قانوني ودولي وإعلامي أميركي. وهذا الذي نشهده حالياً في غزة والضفة، أمام أعين العالم. فضلاً عن انتهاكات حقوق الأسرى والمسجونين، التي شكّلت فضيحة كبرى لمزاعم أميركا والعالم الغربي، في محتجزات ومعتقلات "أبو غريب" و"غوانتانامو" وبقية المعتقلات السرية في العالم. إن هذا المسار من الوحشية، والقتل، والكلفة الإنسانية الباهظة، التي يتكلفتها المجتمع الإنسانيّ العام، تحت وطأة القوة العسكرية والاستعمارية الأميركية الغاشمة، والسيطرة الخبيثة على الاقتصاد، والإعلام وصناعة المعرفة عالمياً، وارتكازه إلى سياقات بنوية معرفية مرتبطة بأصول توراتية-مسيحية وفق قراءات طهرانية خاصة، ونتيجة فلسفات القوة والعبثية والنوليبرالية، التي تبرر لصاحب القوة ممارسة ما لديه من قدرة، من أجل تحقيق مصلحته كقيمة حضارية عليا. وهذا الأمر، يخضع لنقاش حضاري وقيمي في الصميم؛ ولذلك، كان لا بد من فتح آفاق أولية للباحثين، في طرح نقاش فكري وأخلاقي وفلسفي معمق حول النظرة الإسلامية لاستخدام أسلحة الدمار الشامل ومشروعية ذلك، وإظهار المبادئ الصحيحة والسليمة لحدود استخدام العنف في الصراعات، وحل النزاعات مع الآخر، وكيفية بناء حياة اجتماعية "أكثر إنسانية". وكذلك النقاش والبحث حول حقوق الأسرى من وجهة نظر إسلامية، والتي تظهر الإطار الإنساني والحقوقى الشرعي، الذي يؤمنه هذا الدين للأسرى، في مشهد مخالف للسائد تحت نظر، وفعل، وتأييد الإدارات الأميركية في القرن الفائت، المليء بالجث والقتل والمصابين والمتضررين من الإفراط في استخدام العنف والحرب دون حدود.

رئيس التحرير

8 يونيو / حزيران 2024م الموافق 1 ذي الحجة 1445هـ

## التنظير الفلسفي الأمريكي للحرب (صقور واشنطن)

■ د. ناريمان عامر<sup>(1)</sup>

### ملخص

يتناول البحث المشهد الفلسفي السياسي الأمريكي، لمحاولة الكشف عن الجذور النظرية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، التي أثرت على شكل الحروب في تاريخها المعاصر. وكان أن تناول أهم مفكري السياسة وفلاسفتها، وهم (ليو شتراوس) ونظريته السياسية التي تقوم على ضرورة الحفاظ على مجد الأمة الصاعدة أمريكا عبر نسق فلسفي، أُسس لحكم الخاصة، وضرورة إرجاع السياسي لحقل القيم؛ لكن هذه الدعوة إلى القيم لم تكن لسبب أخلاقي، بل لسبب براغماتي. وبذلك تصبح القيم أداة الهيمنة الجديدة، محمولة على ما دعاه بالأكاذيب النبيلة. الأكاذيب النبيلة أخذت شكلاً مجسداً بتنظيرات كل من (صموئيل هنتغتون) وأطروحته "صراع الحضارات"، و(فرانسيس فوكوياما) بأطروحته "نهاية التاريخ"، وما طال كلاً من الطرحين من جدل أُسس لحضورهما في المشهد السياسي التطبيقي، حيث تلقفته مجموعات سياسية تلونت وانبثت في مطابخ السياسة الأمريكية، لتروج لمفهوم الحرب بوصفه الأداة الأنجع لاستمرار "مجد أمريكا"، دون أن يكون لعدد الضحايا ولكم الخراب خارج حدود أمريكا أي اعتبار.

### الكلمات المفتاحية:

الفلسفة السياسية الأمريكية - ليو شتراوس - صموئيل هنتغتون - فرانسيس فوكوياما - صقور واشنطن.

1 - مدرسة الفلسفة الأمريكية المعاصرة في جامعة دمشق.

## مقدمة

عُني هذا البحث بالمشهد الفلسفي السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك أن الحروب التي قادتها أميركا، لم تكن سوى التطبيق العملي لتنظيرات مجموعة من الفلاسفة الذين رؤوا في الحروب الأداة السياسية الأنجع لاستمرار مجد الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك تطرق البحث إلى ثلاثة من الفلاسفة الأهم في هذا المشهد: المعلم (ليو شتراوس) وتلامذته (صمويل هنتغتون) و(فرانسيس فوكوياما). وركز على التنظير الذي تناول أهمية الحروب والأسس الفلسفية، التي اعتمدوا عليها لتبرير قولهم الفلسفي، والمجموعات السياسية التي حملت هذا الفكر، وسعت لتطبيقه في مراكز صنع القرار الأمريكي.

### ■ المبحث الأول: التنظير الفلسفي للقتل

بعد الحرب على غزة 2023، أصدرت مجموعة من أساتذة الفلسفة في عدّة جامعات في أميركا الشماليّة وأميركا اللاتينيّة وأوروبا، بياناً بعنوان «فلسفة لأجل فلسطين»، وقع عليه أكثر من مئتي فيلسوف، عبّروا فيه -وبشكل لا لبس فيه- عن تضامنهم مع الشعب الفلسطينيّ، وإدانة المذبحة المستمرة والمتصاعدة التي ترتكبها إسرائيل في غزة، وبدعم كامل ماليّ، وماديّ، وإيديولوجيّ من حكوماتهم. ولم يدع هؤلاء الفلاسفة امتلاكهم أيّة سلطة فريدة أخلاقية، أو فكرية، أو سوى ذلك، بوصفهم فلاسفة، إنّما أصدروا بيانهم انسجاماً مع ما تقتضيه الفلسفة من مواقف نقدية للشرّ، والانتصار لحقوق الإنسان، ورفض ومواجهة الممارسات والنزعات الإقصائية عبر التاريخ، والوقوف بشكل مباشر مع المظالم. لذلك دعوا زملاءهم في الفلسفة للانضمام إليهم في تضامنهم مع فلسطين، والنضال ضدّ الفصل العنصريّ والاحتلال، بغية التغلب على التواطؤ والصمت الأكاديميّ والسياسيّ، وإدانة جرائم الإبادة التي ترتكبها إسرائيل

بحقّ الفلسطينيين.

لكن هل هذا هو حال الفلسفة حقاً في تعاطيها مع السياسة بما تتضمنه من حروب وقتل؟ ولئن كان هذا السؤال سؤالاً عاماً، فإننا سنتناول الإجابة المتعلقة بالحقبة المعاصرة من الفلسفة الأمريكية، وتحديدًا الإجابة المخالفة للموقف السابق، والذي كان لها التأثير الفاعل في الفكر السياسي الأمريكي.

### أولاً: ليو شتراوس

لعلّ الفلسفة الشتراوسية نسبةً إلى «ليو شتراوس» (1899 - 1973) الفيلسوف الأمريكي ذي الأصول الألمانية، هي الفلسفة الأشدّ تأثيراً في الفلسفة السياسيّة الأمريكيّة المعاصرة. فقد توجّ «شتراوس» عمله الفلسفيّ الباطنيّ، بفلسفته السياسيّة القائمة على نقد نظريّات السياسة الحديثة، وكان مُجمل جهده منصباً على نقد فكرة حقوق الإنسان، فهو يرى أنّ الفلسفة السياسيّة منذ «ميكافيلي» انحرفت عن مسارها التقليديّ، المتمثّل بالفلسفة اليونانيّة (أفلاطون وأرسطو)، والفلسفة الدينيّة اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة في العصر الوسيط، لتتخذ مساراً جديداً مع فلاسفة التّوير والنّهضة؛ المسار الجديد كما يرى شتراوس استبدل السؤال الرّئيس للفلسفة السياسيّة، ما هو النّظام السياسيّ الأفضل الأمثل؟ بسؤال: ما هو النّظام السياسيّ الممكن؟ وما نتج عن ذلك من إضعاف لفكرة الواجب لصالح الحقّ. قد يبدو للوهلة الأولى أنّ هذا التّنظير يصبّ في خانة الإعلاء من شأن الأخلاق، وإعادة السياسة إلى محددات وضوابط الأخلاق والفضيلة من جديد. لكنّ التّعمق أكثر سيُحيل إلى أنّ «شتراوس»، أراد هذا فعلاً لكن ليس بوصفه غايةً ترجي الفضايل، بل بوصفه الطّريق الأفضل لسوس النّوع البشريّ، أي استخدام الأخلاق بوصفها الأداة الأفضل لضبط إيقاع المجتمعات، ولئن وُجد العديد من الفلاسفة ينظرون إلى الأخلاق من هذا المنظار، إلا أنّ (شتراوس) ضبط جهازه المفاهيميّ بمجمله لصالح هذه الفكرة متّخذاً من الولايات المتّحدة الأمريكيّة نموذجاً للدّولة، التي عليها تبني منهجه وهذا ما حصل حتّى أمد قريب، فما الذي فعله؟

### ● الكتابة الباطنيّة

قام «ليو شتراوس» بإصدار كتابه «الاضطهاد وفنّ الكتابة»<sup>(1)</sup>، والسّمة الأساس في هذا

1 - Persecution and the Art of Writing.

الكتاب، أن المعارف التي أنتجتها البشرية تقسم إلى قسمين: أولهما للعامّة، وهي تلك المعارف التي يحتاجها المجتمع، ويتبناها أفرادها، ولا غنى عنها في سياق نموه، وغالبًا ما تكون آراءً حول الأشياء. وأخرى هي للخاصّة، وهي المعرفة بالأشياء. وهي معرفة تمتاز بثقلها وخصوصيتها، التي لا يدركها ولا يستوعبها سوى العارفين المتفانين في سبيلها، وهي قاسية على العموم ومنقّرة لهم. ولذلك وحسبما يرى هو، فقد تشطّى الخطاب الفلسفيّ العامّ لدى أغلب الفلاسفة العظام، إلى مستويات تناسب مع الشرائح الاجتماعيّة المحايثة لتتاجهم. وبذلك تكون مهمّة الفيلسوف الحقّ، إعادة قراءة تاريخ الفلسفة بما يتناسب مع هذا المعطى. وسينتج عن هذا النهج في القراءة والتأصيل له، العديد من النتائج الخطيرة على المستوى الفكريّ والسياسيّ. فقد خلص «شترأوس» إلى أنّ الاستبداد هو أفضل النظم السياسيّة، لكنّه دعا للديمقراطيّة. وقد كثرت السّجالات الفكرية التي تناولت أعماله، وكانت في أغلبها تشير إلى تناقض فيما يطرح، لكننا نميل إلى أنّه كان منسجمًا جدًّا مع طروحاته. فالتنظير الأساس الذي اعتمده يقول بإخفاء الحقيقة القاسية عن العموم، وبتظهير الأكاذيب النبيلة، وفقاً لتعبيره نفسه. وبذلك نظر للاستبداد والهيمنة للخواصّ، ودعا للديمقراطيّة أمام العامّة -والتي بدت بوصفها معارف العموم في وقته- وجعل منها أداة جديدة للهيمنة.

### • النّظام السياسيّ الأفضل: النّظام الأمريكيّ

وجد «شترأوس» في النّظام السياسيّ الأمريكيّ، فكرة أفضل نظام سياسيّ يعول عليه، لكنّ ما هو المختلف من وجهة نظر (شترأوس) في نظام الحكم الأمريكيّ؟! نرى أنّ ما وجده مختلفًا في نظام الحكم الأمريكيّ، كان التقاطه لفكرة الحقّ الطبيعيّ، التي تقوم على أساس أنّ الطّبيعة بعمومها هي مرجعيّة الفكر. ينتج عن هذا أنّ العلاقات في الطّبيعة تحكمها فكرتان ناظمتان: الأولى فكرة النّموّ الطبيعيّ، أي أنّ المجتمعات كالكائنات الحيّة تنمو وتتغيّر وفقًا للظّروف، والفكرة الثّانية أنّ ما يحكم هذا النّموّ هو الامتثال لقانون الطّبيعة الأقدم، وهو "البقاء للأقوى". وهذا يقوِّض مرجعيّة العصور الحديثة، التي قامت على أساس مفهوم الطّبيعة الإنسانيّة، فحين نحتكم للطّبيعة ينتج لدينا مجتمعات وأفراد بطبيعة



هرميّة، يحكمها التّفاوت والاختلاف وتوزّع الأدوار. لكن الاحتكام للطّبيعة البشريّة التي طور مفاهيمها مفكرو النّهضة والتّنوير، تدعو للمساواة بين البشر وبالتالي بين المجتمعات، وإن أتى التّطبيق مخالفاً.

وبذلك وجد (شتراسوس) في إعلان «الاستقلال الأمريكي»، التّعبير الأهم لفكرة الحقّ الطبيعيّ في التاريخ المعاصر، أميركا (الأرض الجديدة) كانت بحاجة إلى اليقين، وكان لها يقينها الخاصّ، المتفوّت من الطّقوس، والمثبت للإيمان. لقد حافظ إعلان الاستقلال على الإيمان، وعلى شرعيّته، لقد أضاف إلى الديمقراطيّة والليبراليّة الأوروبيّة، ضرورة وجود التّشريع الديني المتخارج عن الانتخابات والمعين بمعايير خاصّة، فإلى جانب ممثلي الشعب «الكونغرس»، هناك ممثلو الحكمة «مجلس الشيوخ». وقد أكد أنّ دعم الليبراليّة أو المؤسّسات الديمقراطيّة يتطلّب فهم مبادئ الحقوق الطبيعيّة لمؤسّسي الدّستور الأمريكيّ، والتي أسهمت بشكل أساس في تأسيس النّظام الذي لم يتخلّ عن المحاكم، وعن المشرّعين الذين يقرّون ما هو صحيحٌ وما هو خاطئ. وهذه إشارة إلى ضرورة وجود حكمة التّشريع المنبثقة من فهم قوانين الطّبيعة، كشرط أساس في النّظام الديمقراطيّ؛ ممّا يعني بالضرّورة التّأكيد على أهميّة وجود المؤسّسات القانونيّة، كونها الدّاعم الرّئيس للحفاظ على النّظام من خطر الطّغيان، والتي تدعم الحقوق الطبيعيّة التي نادى بها المؤسّسون.

وهكذا أصبح المشهد السياسيّ العالميّ على الشكل التّالي:

● الأمة العظيمة: الولايات المتّحدة الأميركيّة، وهي الأمة التي يجب أن تقود باقي الأمم، وتقوم بنشر رسالتها السياسيّة لتقود الصّراع في العالم، الرّسالة السياسيّة يجب أن تكون مشتقّة من الفضيلة، أي الديمقراطيّة؛ فكان أن حملت الجيوش الأميركيّة الديمقراطيّة، على متن طائراتها وأساطيلها الجويّة لنقلها إلى العالم.

● باقي الأمم: وهي الأمم التّابعة للأمة العظيمة، والمتلقّي المفترض لسياساتها، وهي الأمم الأوروبيّة ذوات النّظام الديمقراطيّ الضّعيف الذي بدأ يتأثر بالنّظام الأمريكيّ، عبر تلقّي الرّسالة العالميّة للأمة الأميركيّة والانصياع لها، والأمم ذوات النّظام الدينيّ الذي طوّع ليلانم شكل الدولة الحديثة، تلك الأمم التي يجدها (شتراسوس) وأتباعه سهلة الانقياد، وذلك بسبب التّقاطع الكبير في المصالح بين النّخب الحاكمة لتلك الدّول والولايات المتّحدة الأميركيّة.

كما يُشار في أدبيات الشتراوسيين السياسيّة، إلى بعض الدّول التي تشدُّ عن هذا التّصنيف، مثل العراق وسورية وكوريا الشماليّة، والتي كانت قبلة أنظار الشتراوسيين في السياسيّة الخارجيّة الأميركيّة، من أجل تغيير أنظمة الحكم فيها. فيما بعد استسقط العراق، وتشعل الحرب في سورية وتُحاصر كوريا، باسم الديمقراطيّة.

تطبيق هذه الأفكار جاء بشكلين:

أ- شكل نظيريّ: إذ قام (ليو شتراوس) بالإشراف على 77 رسالة ماجستير و99 رسالة دكتوراه في الفلسفة السياسيّة، وهنا نشير إلى أنّ العدد كان مقصوداً وذا دلالة. من بين تلامذته المذكورين لاحقاً "صمويل هنتغتون" الذي نظّر لفكرة صراع الحضارات. و"فرانسيس فوكوياما" تلميذ تلميذه "ألان بلوم" الذي صدر فكرة نهاية التّاريخ.

ب- شكل تطبيقيّ: ما قام به التلامذة، أنّهم انبثوا في مُجمل الأحزاب والتّجمّعات السياسيّة، في محاولة لتطبيق الأفكار السياسيّة الشتراوسية، التي كان أهمّها الخضوع للنّظام الأقوى، وهو هنا الولايات المتّحدة الأميركيّة، ومحاولة فرز بقية الدّول إلى دول ديمقراطيّة مُستنسخة عن النمط الغربيّ؛ وأخرى دينيّة تخضع للهيمنة الغربيّة، وضرورة أن يتمّ الأمر عبر الحرب التي تشدّ عصب المجتمع الأميركيّ، وتسوّغ تلك الحروب بالأكاذيب النّبلية، والأكاذيب النّبلية عنده كانت، الهيمنة بدعوى نشر الديمقراطيّة.

وكان من أخطر التّائج على المستوى النظريّ، تأصيل فكرة التّراتبيّة بين الأفراد، والشّعوب، والأمم، الأمر الذي يبرر السّيطة، والهيمنة، والاستبداد، وأدواتهم في السياسات الداخليّة والخارجيّة، وما نجم عن تبني سياسة القوّة لفرض الرّؤيا السياسيّة. فكانت النتيجة أن أخذت الولايات المتّحدة الأميركيّة دور الشّرطيّ العالميّ، وفرضت سياستها بالقوّة، وبتنظير من التلامذة اللاحقين كما سنرى، الأمر الذي أطاح بملايين القتلى على امتداد رقعة التّأثير والتّدخل الأميركيين.

ثانياً: صامويل هنتغتون.

أكثر ما عُرف به (صمويل فيليبس هنتغتون 1927-2008) (Samuel Phillips Huntington) على الصّعيد العالميّ كانت أطروحته بعنوان "صراع الحضارات"، والتي جادل فيها بأنّ صراعات ما

بعد الحرب الباردة، لن تكون متمحورة حول خلاف أيديولوجيات بين الدول القومية، بل بسبب الاختلاف الثقافي والديني بين الحضارات الكبرى في العالم، وهو جدالٌ تمسك به حتى وفاته. يُعتبر مؤلفه الأول «الجندي والدولة» مقياساً لدراسة كيفية تقاطع الشؤون العسكرية مع المجال السياسي. كما عُرف عنه تحليله للتنمية السياسية والاقتصادية في العالم الثالث. آخر كتبه صدر في العام 2004 وكان تحليلاً للهوية القومية الأمريكية، وحدد ما اعتبرها مخاطر تهدد الثقافة والقيم التي قامت عليها الولايات المتحدة. ويمكن القول أنه، رغم سطوع نجمه المتأخر في نهايات القرن العشرين، ظلّ واحداً من الأكاديميين المؤثرين في السياسة الأمريكية في عهود مختلفة من حكم الديمقراطيين والجمهوريين، إذ احتلّ عدة مناصب استشارية، كما عمل في البيت الأبيض في عهد الرئيس الديمقراطي (جيمي كارتر) في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي. لكن شهرة (هنتغتون) تستند إلى كتابه «صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي»، الذي صيغ لإلهام صنّاع القرار في الولايات المتحدة والغرب، لاستخدام مقولة صدام الحضارات، بوصفها استراتيجية سياسية، يمكن لها أن تحلّ محلّ الحرب الباردة، التي انتهت بزوال الاتحاد السوفياتي، والتي كان قد أشار إليها (جورجي أرباتوف) كبير مستشاري الرئيس السوفياتي (ميخائيل غورباتشوف) عام 1987 قائلاً: «نحن نفعل شيئاً رهيباً لكم، نحن نحرمكم من عدو»<sup>(1)</sup>. أخذ (هنتغتون) هذا التحذير بجدية، وقام بالانسكاء عليه، وبإلهام من فكرة العدو والصديق بنسج عدو حضاري للولايات المتحدة الأمريكية.

يقول (هنتغتون): «إذا كانت الحرب في بعض الظروف -على الأقل- تستطيع إحداث نتائج إيجابية، فهل يقود السلم إلى نتائج سلبية بالمقارنة؟ تشير النظرية الاجتماعية والأدلة التاريخية إلى أنّ غياب عدو خارجي يشجّع التفرقة الداخلية، فليس من المفاجئ أنّ اضمحلال ونهاية الحرب الباردة، زادت من فتنة الهويات القومية الفرعية في أمريكا، كما في العديد من البلدان الأخرى، فغياب تهديد خارجي خطير يقلص الحاجة إلى حكومة وطنية قوية، وإلى أمة مترابطة موحدة»<sup>(2)</sup>. إن «هنتغتون» وهو التلميذ الشتراوسي النجيب يترجم مقولة أستاذه في ضرورة بقاء الحرب مستعرة، وذلك عبر تقسيم العالم إلى عدو وصديق، والمتبّع لتاريخ أمريكا المعاصر

1 - هنتغتون، ص. (2005)، ص 264.

2 - هنتغتون، ص. (2005)، ص 266.

يلحظ أنّ أميركا لا تستطيع الاستمرار بلا عداوات. وقد كان الاتحاد السوفياتي العدو المهيب في حياة شتراوس، كما كانت الدول المتأثر به العدو الأصغر، فقد جعلت الولايات الأمريكية من الدول التي طالها المد الشيوعي، ووصلت لسدة الحكم فيها القوى اليسارية التقدمية عدوًا إضافيًا، وكانت لأمريكا اللاتينية الحصة الأوفر من تدخل أميركا في سياساتها.

يجادل «هنتنغتون» في صدام الحضارات، أنّ البشر في حُقب ما بعد الحرب الباردة، أخذوا يكشفون من جديد هوياتهم الثقافية، التي تعني لهم أكثر بكثير ممّا يعنيه أيّ شيءٍ آخر. وقد أصبحنا نرى، لهذا السبب، أعلامًا ترتفع، وصُلبانًا، وأهلة، وأغذية رأس للدلالة على الهويات الثقافية القديمة. ويتخوّف الكاتب من أن تؤدي الاضطرابات الجديدة -استنادًا إلى الانتماءات الحضارية- إلى اندلاع حروب بين الأعداء الحضاريين القدماء، خصوصًا أنّ البشر الذين يبحثون عن هوياتهم الثقافية، ويعيدون الارتباط بالأعراق التي يتمون إليها، بحاجة إلى أعداء يؤكّدون لهم اختلافهم.

وتتضح الأطروحة الأيديولوجية «لهنتنغتون» في تركيزه الشديد، على وجود ثلاث حضارات كبرى أساسية من بين الحضارات السبع أو الثماني -أي الصينية أو الكونفوشيوسية، واليابانية، والهندية، والإسلامية، والغربية، والروسية الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية، والإفريقية-، هي الحضارات الغربية والإسلامية والأرثوذكسية، ممثلة في روسيا وما يدور في فلكها الديني الحضاري من دول أخرى. وهو يعتقد أنّ الخطّ الرئيس، الذي كان يفصل الشرق عن الغرب طوال أمد الحرب الباردة، قد تحرك بعيدًا عن وسط أوروبا عدّة مئات من الأميال شرقًا، ليفصل الغرب المسيحي من جهة، والشُعوب الإسلامية والأرثوذكسية من جهة أخرى. لكنّ الغرب بالرغم من هذا التغيّر في الكتل الحضارية المتنافسة، سوف يظلّ لسنواتٍ مقبلة الحضارة الأقوى في العالم.

هذا، وقياسًا إلى التحليل الثقافي ذاته، نجد أنّه عوض أن ينطلق الكاتب وكتابه من عالمية القيم الإنسانية، التي تضيف كلّ حضارة صاعدة عليها شيئًا جديدًا ومفيدًا للإنسانية جمعاء، وذلك في الخطّ المتدرّج لوعي الحرية على ما يسميه (هيغل)، ينطلق من فرادة وغريبة تلك القيم، وتنافسها مع غيرها من قيم الآخرين، غير الغربيين. وغالبًا ما نرى أنّ تلك النظرة الاحتكارية، والمغرقة في المركزية الغربية، هي نظرة مُفعّلة، إن لم نقل مؤسّسة لسياسة صراع الحضارات. وعوضًا عن

أن يكون تنوع الثقافات وتوكيدها الذاتي نوعاً من الغنى، الذي يُعزّز التعدد في صلب الواحدية البشرية، يصبح هذا التنوع مبارزة حضارية لإلغاء الجميع في مقابل الواحد، أو نوعاً من الصهر القسري للتعدد في الواحدية. وذلك ما يحرف مسار الكتاب نحو قيم الضغينة والخوف من نجاح الحضارات الأخرى، حيث تصبح قوة أية حضارة أو ثقافة، هي في سلب قوة غيرها، لا في تأكيد قوتها الإيجابية، ونجاحها هو في منع تلك الحضارات من النجاح. بالمجمل نجد تلك القيم قيماً منحطة، بالمعنيين الثقافي والسياسي، ومآلها هو تذكية الصراعات الحضارية بتبسيبها ثقافياً، بعد تأييد التباين الثقافي بين الأمم.

هناك خلط واضح، لكنه يُعمي لدى «هنتنغتون»، بين الثقافة والسياسة، فالقانون والديمقراطية والمؤسسة وحقوق الإنسان والفردية.. الخ، التي يمكن تسميتها اليوم بالثقافة الغربية، هي بالأصل مكتسبات سياسية، وكانت ضمن حيز السياسة قبل أن تصبح ثقافة عامة وعالمية. كما أنّ تلك المميزات الثقافية لم تهبط إلى الغرب من السماء، بل جاءت نتيجة لعمليات تصفية وانتقاء وارتقاء تاريخية عبر تطور الغرب وتقدمه، ودُفعت لأجلها آلاف الحروب والدماء، حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم. ومن نتائج هذا الخلط، أنه يجعل من الثقافات في العالم جزءاً متباعدة لا يمكن تقريب المسافات بينها. حتى ولو افترضنا صحة هذا الطرح، فإن التغيير ليس مطلوباً في الثقافات تجاه أن تصبح ثقافات غربية، بل هو حق وواجب على تلك الثقافات، لتغيير رأسياً ضدّ الخامل فيها، وبتجاه مصلحتها ومصلحة شعوبها، فالتغيير أصلاً هو عملية سياسية تُبنى فوق الثقافة، وتعيد إنتاجها<sup>(1)</sup>.

لقد أكدّ (هنتنغتون) أنّ النمو الاقتصادي للصين، هو التحدي الحضاري للغرب من جهة آسيا، بينما النمو السكاني لعالم المسلمين الذين يُنجبون أفواجا من المتطرفين، ومجندين جدد للأصولية، والإرهاب، والتمرد، والهجرة، هو التحدي الإسلامي للحضارة الغربية والرافض لها<sup>(2)</sup>؛ أي أنّ الاستراتيجية الأمريكية، لا بدّ أن تقوم على ملاقات هذين التطورين: تكبير الصين اقتصادياً، وتكبير الدول الإسلامية بصراعاتها، والتي تخفف من عدد السكان ومن الانشغال بالغرب.

1 - مسعود، م. (2005)، قراءة في صدام الحضارات، صحيفة الجمهورية.

2 - هنتنغتون، ص. (1999)، ص 170.

وكما أشرنا فإنّ هذا الطّرح لصراع الحضارات، جاء بعد الكتاب الأوّل الذي أراد منه (هنتغتون) تمكين الجيش الأمريكيّ، ولربّما تجهيزه استراتيجياً لما يُهيأ في مطابخ السياسة الأمريكيّة. فقد قال: «إضفاء طابع مهنيّ على فيالق الضّباط، هو المكوّن الأساس لحلّ آمن يضمن تحكماً مدنيّاً فعّالاً على القوّات المسلحة، دون الإخلال بكفاءة منظومة الدّفاع القوميّ. وإضفاء طابع مهنيّ يعني أنّ ضباط الجيش، يجب أن يعكسوا نفس الخصائص من الخبرة والمسؤوليّة التي يبدونها موظفو الشّركات». بالنّسبة للخبرات، يلخّصها «هنتغتون» بقدره الجنديّ على إدارة العنف، وليس مجرد تطبيقه. فالمسؤوليّة الخاصّة لضباط الجيش هي استخدام هذه الخبرة لصالح الدّولة،- في الوقت نفسه- شهادة الخبرة هذه تأتي من فيالق الضّباط نفسها، بوصفها الجهة البيروقراطية الأوضح.

يتضمّن حلّ (هنتغتون) لربط السّيّطرة المدنيّة بالدّفاع القوميّ، تمييز نوعين من الرّقابة المدنيّة:

● سيطرة مدنيّة موضوعيّة: تعتمد بشكل رئيس على أخلاقيات عسكرية مستقلة، محايدة سياسياً، وكفؤة مهنيّاً. تُستمد السّيّطرة المدنيّة من تحويل الجيش إلى أداة بيد الدّولة. ووظيفة الجيش في هذه الحالة، هي تطوير السّبل والوسائل لتحقيق الغايات والأهداف، التي تحددها قيادة سياسية من المدنيّين.

● سيطرة مدنيّة ذاتيّة: وهذه تأتي عبر تمدين الجيش بإعطائه دوراً مستقلاً في تحديد الأولويّات القوميّة؛ في هذه الحالة، الجيش هو واحد من بين مجموعات متنافسة على النّفوذ وصياغة الأولويّات القوميّة، وهو ما عارضه «هنتغتون» من حيث المبدأ<sup>(1)</sup>.

وبذلك نرى كيف نظر (هنتغتون) لتنشئة جيش متأهّب لأوامر السّادة الخاصّة، يعمل بمهنيّة واحتراف في تطبيق القرارات السياسيّة! وأيضاً كيف نظّر للصدام الحضاريّ، واستخدامه كأداة في خلق عدوّ للولايات الأمريكيّة المتّحدة.

وهنا نشير إلى نبوءته في الحرب الروسيّة- الأوكرانية، كشكلٍ من أشكال النزاع بين المسيحيّة الشّرقية والمسيحيّة الغربيّة! وأيضاً إلى خروج الاسلام السياسيّ الجهاديّ إلى واجهة الفعل السياسيّ، وتظهيره بصورة داعش، وإطلاق تسمية الارهاب على المجموعات الإسلاميّة الأخرى، حتّى ولو كانت تدافع عن أوطانها كالفصائل المسلّحة الفلسطينيّة الآن.

1 - Huntington, S. (1957), pp.55-57.

### ثالثاً: فرانسيس فوكوياما

لمع نجمه بصفته مفكراً وأستاذاً جامعياً، مع صدور مقاله الذي قام بتطويره، ليصبح كتاب: «نهاية التاريخ والإنسان الأخير». والذي يؤكد فيه أن نهاية التاريخ، ستكون عندما تتطور المجتمعات البشرية إلى أحد أشكال المجتمع، الذي يشبع حاجات البشر الأساسية - وهو عند (هيجل) الدولة الليبرالية-، ويضيف إليها «فوكوياما» الديمقراطية، لتصبح الديمقراطية- الليبرالية، بوصفها النظام الأوحده في العالم بعد انهيار النظام الاشتراكي المنافس، والنقطة النهائية في التطور الأيديولوجي، وستكون الصيغة النهائية لدولة الإنسان، وهذا ما يمثل نهاية التاريخ. ويبيّن أن نهاية التاريخ، لا تعني توقّف دورة الحياة، وأن أحداثاً مهمّة لن تحصل، أو أن الصحف التي تتحدّث عنها لن تصدر، فهو لا يقصد جمود الحياة وفق ما هي عليه. فالتغيّرات البسيطة ستبقى موجودة، لكن المسائل الكبرى والتي تتعلق بمفهوم المؤسسات العامة للدول، سوف تبقى كما هي، كون نموذج الديمقراطية - الليبرالية، قد تلافى كل المسائل الشائكة مسبقاً.

اعتقد «فوكوياما» أن الديمقراطية - الليبرالية، من بين الأنظمة المختلفة التي ظهرت عبر التاريخ، وبالشكل الذي ظلّ راسخاً حتى نهاية القرن العشرين، وأن نمو الديمقراطية الليبرالية، كان أهم ظاهرة سياسية في السنوات الأربعين الماضية<sup>(1)</sup>.

إن فكرة النمو التي طرحها، ثم عاد لنقاشها في كتابه «أصول النظام السياسي»، هي ما نودّ التركيز عليه، حيث يُرجع «فوكوياما» أصول نظريته السياسية، إلى فكرة النمو التي كان قد طرحها «شترأوس» سابقاً، لكن «فوكوياما» يضعها في سياق النظرية التطورية، ليتحدّث عن تطورية سياسية، ويصنّف البشر والتجمّعات الإنسانية، لدرجة أنه يجعل للإنسان ما قبل البشري شكلاً من أشكال النظام السياسي.

والخطير هنا، أن الطفرة الفوكويامية ميّزت بين إنسان النياندرتال الموجود خارج إفريقيا، وبين إنسان إفريقيا المنتصب؛ وأن إنسان النياندرتال الذي عاش في أوروبا، كان متطوراً أكثر من الإنسان الإفريقي! وعبر التزاوج وانتقال الجينات والعمليات التراكمية، حدثت طفرة تبلورت في الثورتين الفرنسية والأمريكية -مؤكدًا نظرية التفوق العرقي- وبذلك حوّر الطفرة الداروينية

1 - فوكوياما، ف. (1993)، ص 81.

بما يلائم أهواءه السياسيّة. وبذلك تكون الأنماط السلوكية والثّقافات عند «فوكوياما»، الجين الذي حدثت به الطّفرة لتصبح متوارثة مع النّوع البشري، وهو القائل: «إنّ السّياسات البشريّة خاضعة لأنماط سلوكية معينة ومتكرّرة عبر الزّمن والثّقافات»<sup>(1)</sup>. ويستمرّ «فوكوياما» باستعراض تطوّر الأنماط السياسيّة، ليصل إلى الفكر الحديث مع «هوبز»، حيث ينتقد فكرته الأساسيّة التي تقوم على أنّ المجتمع حالة غير طبيعيّة، ويخالفه ليني على رأي «أرسطو» القائل، بأنّ الإنسان سياسيّ بالفطرة، ويدعو أطروحة «هوبز» بـ «مغالطة هوبز». ويكمل انتقاد كلٍّ من «جون لوك» و«سبينوزا»، بشكل يذكر بنقد «شتراس» لفلاسفة الحداثة، الذين جعلوا من حقوق الإنسان مرجعيّتهم، وهنا يكشف انحياز «فوكوياما» المضمّر للدّولة، التي يرى أنّها أداة فرض القانون على حساب الحريّات الفرديّة، المنبثقة من العقد الاجتماعيّ.

ويرى «فوكوياما» أنّ الدّولة عبارة عن تنظيم تراتبيّ، ممرّكز، يحتكر القوّة الشرعيّة على منطقة معينة، ولا تبزغ الدّولة دفعة واحدة، بل تمر بمرحلة نموّ ونضج. ولم تشهد الحضارات القديمة بزوغ دولة بالمعنى الفيبري (نسبة لماكس فيبر)، إلّا في الصّين القديمة حيث كانت الحرب -ولا شيء سواها- السّبب في قيام الدولة. فالحرب تقتضي تنظيمًا بيروقراطيًا، ومؤسسات، وابتكارات تقنيّة فُنيّت دولة الصّين. وفي دول أمريكا اللاتينيّة غياب الحرب كان السّبب في عدم ظهور الدّولة القويّة. والاستعمار الغربيّ لأفريقيا حال دون ظهور دولة قويّة؛ بينما أدّى التّأخّر في ظهور الطّفرة في أوروبا، ونشوب الحربين العالميّتين، إلى ظهور ورسوخ الدّول القوميّة، الحاضن الرئيّس لفكرة الديمقراطيّة-الليبراليّة. وعلى الرّغم من عدم احتكاك دول شرق آسيا بالغرب إلّا أنّ إرثها ساعدها على مواجهة الاستعمار. كما أدّت الحرب إلى بناء الدّولة اليابانيّة، بما وفرته من تنظيم بيروقراطيّ قويّ، وعناية بتطوير مجالات البحث العلميّ، ومركزة السّلطة<sup>(2)</sup>. وبذلك نصل إلى أنّ الفكرة الحاسمة في تشكل الدولة القويّة عند «فوكوياما»، هي الحرب أيضًا.

تضمّر فلسفة «فوكوياما» شدّد عصب المجتمع (الدولة) من خلال الحرب دائماً وأبداً -وإن كانت دعوة مضمرة-، وبذلك يمكن قراءة المشهد الفلسفيّ الأمريكيّ بالشكل التالي:

● عمل «ليو شتراس» على تكريس فكرة الحقّ الطبيعيّ، ورفض فكرة حقوق الإنسان.

1 - فوكوياما، ف. (2016)، ص 575.

2 - صالح، ع. (2009)، ص 144.



- دعا للترابعية، والهيمنة، وفرض ما تراه النخب على الأفراد والدول، بالقوة الناعمة في الداخل عبر الأكاذيب النبيلة، وبالنار عبر الحروب التي يجب أن تبقى مستعرة.
- ضرورة تقسيم العالم إلى مجموعتين، تكون فيهما الأمة القوية هي المسيطرة، والفارضة لنظامها على الأمم التابعة.
- ضرورة صناعة رسالة حضارية تكون حاملة للأكاذيب النبيلة، وهي هنا فكرة الديمقراطية
- بث هذا الخطاب بشكل مضمّر غير علني، والعمل على تطبيقه.
- أكمل (هنتغتون) عمله فلسفياً بفرضيته صدام الحضارات، التي تبدأ بتقسيم العالم إلى كتل متصارعة.
- تأكيده على فكرة الحرب بوصفها الأداة الأنجع لبقاء الدولة قوية.
- التأكيد على ضرورة أن يكون الجيش أداة تنفيذ السياسات القومية.
- وتابع "فوكوياما" بتطوير فكرة التّموّ، وتأصيل فكرة البيولوجيا السياسية "الداروينية - السياسية" وإظهار تفوّق العرق الغربي.
- تأصيل التّمايز القارّ لزمان بين الدول بناء على هذا.
- نشر وتمكين النّظام "الديموقراطي-الليبرالي"، بكلّ الوسائل؛ للتخفيف من حدّة التّفاوت الحضاري!

## ■ المبحث الثاني: من هم صقور واشنطن؟

تشكّلت في التاريخ السياسي الأمريكي المعاصر، مجموعة أُطلق عليها لقب صقور واشنطن، اختلط على العديد من غير المتخصّصين تصنيفهم، فتارةً صنّفوا مع المحافظين الجدد، وتارةً أخرى مع التيار المحافظ التقليدي، ومنهم من كان ذا خلفيّة حزبيّة ديمقراطيّة. ومن أبرز شخصيات الصقور من الجمهوريين: وزير الدفاع الأمريكي السابق "دونالد رامسفيلد"، ونائب الرئيس الأمريكي "ديك تشيني"، ووزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "كونداليزا رايز". ومن الديمقراطيين: وزيرة الخارجية "هيلاري كلينتون"، والجنرال "جون أبي زيد"، والجنرال "ويزلي كلارك"، والسناتور (مارك وارنر)، وغيرهم العديد من الشخصيات، التي تميل سياساتهم نحو الجذرية والصدام والتحرر من أي ضوابط أخلاقية؛ من أجل المصلحة القومية العليا، ويميلون للنزعة التّدخّلية العسكرية "كأداة

للفعل في السياسة الخارجية .." (1).

لقد تشرّبت أغلب الشخصيات السياسيّة المؤثّرة، الفكر الشتراوسيّ وتبنّته، بل إنّ المحافظين الجدد أنفسهم، كانوا يتقلّبون في انتسابهم الحزبيّ بالمعنى التنظيمي، وفق ما تقتضيه معايير القوة. فمثلاً: ترك المحافظون الجدد الحزب الديمقراطيّ (2) لصالح الحزب الجمهوريّ (3) بشكل واضح؛ لأنّ الرئيس «جيمي كارتر» كان ليّناً جدّاً في التعامل مع السوفيات، وفي النزاع بين إسرائيل وجيرانها العرب (4).

هذا، وحسب وصفهم "ما لبث الإيمان بنفوذ أشباح المحافظين الجدد، أن تبلور ليتحوّل إلى معرفة عامّة صلبة، فأولئك الموسومون بأنهم محافظون جدد، دائبون على التّجوال في دوائر شديدة الاختلاف والتّباين، دون أن يكونوا بالفعل كثيفي التّواصل فيما بينهم" (5). وبذلك شكّلت الأفكار السياسيّة لـ "شترأوس" وتلامذته مرجعيّة لفلسفة القوة التي طغت على السياسة الأمريكيّة، وانتشرت بين الشخصيات الفاعلة سياسياً وإن بدا ظاهراً التناقض السياسي بين هذه الشخصيات. وهكذا، خرج إلى الوجود ما اصطلح على تسميته بـ "مثلث الرّعب"، وهو اجتماع الجمهوريين مع أتباع الفكر المحافظ، مع أنصار اليمين الدّيني المتطرّف بشكل غير مسبوق تاريخياً (6).

● دخل مصطلح المحافظين الجدد المعجم الأمريكيّ الحديث، في سبعينيّات القرن العشرين، وأوّل من استخدم هذا المصطلح هو "مايكل هارينغتون" (7)، ومحرّر مجلّة «ديسنت» الأمريكيّة اليساريّة (8)، للإشارة إلى بعض الأشخاص الذين تحولوا من اليسار الليبراليّ إلى اليمين، بسبب تردّد اليسار في الوقوف بوجه السوفيات والراديكاليين "المعادين للولايات المتّحدة" (9)، وهم ليسوا حزباً ولا منظمة، وليسوا مؤسّسة، ولا مكتباً سياسياً له مقرّات، أو أعضاء ينتمون إليه

1 - أبو نحل، ح. (2008)، ص 54.

2 - Democratic Party.

3 - Republican Party.

4 - Drury, S. (1999), p. 152.

5 - بليز. ت. وآخرون (2005)، ص 67.

6 - عبد اللطيف، أ. (2003)، ص 9.

7 - Michael Harrington.

8 - Dissent.

9 - هالبر، س. وكلارك، ج. (2005)، ص 63.

بالعضوية أو لوائح داخلية، بل هم مجموعة من الكتّاب، والمفكرين السياسيين الناشطين، الذين في أغليتهم كانوا ينتمون إلى الفكر اليساري في عقد الستينيات من القرن العشرين؛ أعدادهم محدودة نسبياً، كما أنّ هذا النهج المحافظ الجديد لا يملك إعلانياً مشتركاً، ولا ديناً، ولا علماً، ولا نشيداً، ولا مصافحة سرية.

إنّ معظم الأفكار والمواضيع المسيطرة على المحافظين الجدد، هي حجر الأساس في الأفكار السياسية الشتراوسية: الانهماك في الدين، إدانة النزعة العدمية مصدر أزمة النزعة الليبرالية في الغرب، نقد النزعة العقلانية لعصر النهضة، كراهية النزعة الليبرالية، التأكيد على النزعة القومية، العناية بدور المفكرين في السياسة<sup>(1)</sup>.

ويقسم المشتغلون بالفكر السياسي تاريخ المحافظين الجدد إلى جيلين:

- الجيل الأوّل الذي شكّل حركة فلسفية ذات أهمية سياسية للمجتمع الأمريكي، حيث كان مؤسسو المحافظين الجدد أمثال: "إيرفينغ كريستول"، "نورمان بودهورتز"، "دانيال بل"، يهتمون بالتحديات الداخلية التي تواجه المجتمع الأمريكي، والتحديات الدولية التي لديهم مفاهيم خاصة بها، حيث كانوا يدافعون بثبات عن "إسرائيل"، ويرفضون التردد في التصدي لـ "شور" الشيوعية<sup>(2)</sup>.
- أما الجيل الثاني فقد تشكّلت ملامحه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وهم من أبناء وتلامذة الجيل الأوّل. وفي حين كان الجيل الأوّل أقرب للحياد الحزبي، نرى الجيل الثاني حاسماً أمره بالانحياز صوب اليمين، كما أنّ خطاب الجيل الأوّل كان موجهاً إلى النخبة المثقفة، بينما تميّز خطاب الجيل الثاني بالنزعة الشعبوية.

وهنا برز تكامل الأدوار بين الجيلين. فالجيل الأوّل صعد في فترة خيم فيها على الرأي العام الأمريكي، شعوراً بعدم الثقة في القوة والسياسة الأمريكية، نتيجة ما حصل في فيتنام، فسعى هذا الجيل إلى إعادة الثقة المفقودة لدى الأمريكيين؛ بينما صعد الجيل الثاني بعد انتصار الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الباردة، متبنياً هدفاً مختلفاً وهو كيفية استخدام الولايات المتحدة لقوتها وموقعها الدولي غير المسبوق، كقطب العالم الأوحدي في تحقيق أهداف أمريكا وتشكيل العالم وفقاً لرؤيتها.

1 - Drury, S. (1999) p.138.

2 - هالبر، س. وكلارك، ج. (2005)، ص.ص. 59-60.

يتقاطع الجيلان في الرؤى والأهداف، وإن اختلفا في آليات التطبيق، نتيجةً لاختلاف الظروف الموضوعية، كلا الجيلين تبنى أفكار "شتراس" السياسية، والتي قامت على ثلاثة أعمدة: "الدين (religion)، النزعة القومية (nationalism)، والنمو الاقتصادي (economic growth)، وما يقوله تلامذة "شتراس" عن أفكار المحافظين الجدد، يُجمله "فوكوياما" بأربعة مبادئ مشتركة، أو خيوط امتدت عبر الكثير من هذا الفكر من بدايته، واستمراراً عبر الحرب الباردة وإلى نهايتها، وهي اهتمام بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، واهتمام أكثر عمومية بالسياسات الداخلية للولايات، والاعتقاد أنّ قوة الولايات المتحدة يمكن أن تُستخدم في سبيل أغراض أخلاقية، وارتباب بشأن قدرة القانون الدولي والمؤسسات الدولية على حل المشكلات الأمنية الجادة، وأخيراً رؤية ترى أنّ الهندسة الاجتماعية الجامحة، تؤدّي في الغالب إلى عواقب غير متوقعة، وتقوّض في الغالب غايتها الخاصة التي تغنيها<sup>(1)</sup>.

أما فيما يخصّ الفعل السياسي المتعلّق بهذا التيار، فقد بدأ بمجموعات ضغط وتحالفات بين مختلف المؤسسات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وتطوّر ليمسك دفة الحكم في عهد «جورج بوش» الابن، ولا يزال حاضراً بشخصه المؤثرة في مواقع القرار السياسي حتى وقتها. وقد بدؤوا بتأثير واضح، لدرجة أنّه في السابع عشر من كانون الأوّل سنة 1961 ألقى الرئيس «داويت أيزنهاور» خطاباً إلى الأمة الأمريكية، بمناسبة انتهاء ولايته دُعيَ بـ "خطاب الوداع"، ورد فيه: «عليّ أن أقول صراحة إنّ هناك الآن مجموعة صناعية عسكرية، مالية، سياسية، وفكرية، تمارس نفوذاً غير مسبوق في التجربة الأمريكية. وأودّ أن ألفت النظر إلى أنّه إذا وقع القرار الأمريكي رهينة لمثل هذا المجمع الصناعي العسكري وأطرافه، فإنّ الخطر سوف يصيب حريّاتنا وممارستنا الديمقراطية، كما أنّه قد يصل إلى حيث يمكن حجب الحقائق عن المواطنين الأمريكيين، والخلط بين أمن الشعب الأمريكي وحريّاته، وبين أهداف هذا المجمع ومصالحهم»<sup>(2)</sup>.

### ■ المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لفلسفة القتل الأمريكية

انطلق «هينتغتون» في فكرته حول صدام الحضارات - كما هو ظاهر - من تصوّر عام مفاده أنّ

1 - فوكوياما، ف. (2007)، ص 21.

2 - احسان، و. (2017)، ص 185.

الحضارات سوف تضطلع في المستقبل القريب بدور مؤثر وفعال في خريطة السياسة الدولية، وقد ركز بشكل لافت على الصدام بين الإسلام والغرب، والذي سيكون أكثر حدةً ودمويةً. وبذلك، بدأ التأسيس لخلق عدوٍ من صلب الإسلام، وقد وجدت أمريكا ضالتها في القوى الإسلامية التي دعمتها ماليًا وعسكريًا في أفغانستان، أثناء حربها مع الاتحاد السوفياتي، فقامت بتوجيه الحكومات العربية والإسلامية بإطلاق المتطرفين الإسلاميين من سجونها، فأولئك الذين توجهوا إلى أفغانستان للمطالبة بإقامة حكم إسلامي بعيد "أمجاد الدولة الإسلامية"، هم أنفسهم من سيقومون لاحقًا بهجوم 11 سبتمبر، الذي استهدف برجي التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وأثار الرعب عند الجمهور الأمريكي من عدوٍ جديد هو "الإرهاب الإسلامي"، وبذلك أصبح المجتمع الأمريكي جاهزًا للحرب ضد العدو ضمن ما سُمي في أدبيات الاستراتيجية الأمريكية: "حرب المئة عام"! فكان غزو أفغانستان، وغزو العراق.

كثيرة هي الدراسات التي عالجت غزو العراق، وكثيرة هي التحليلات التي أرجعت هذا الغزو إلى أفكار المحافظين الجدد، وبشكل خاص حين انكشف «أكاذيب نبيلة» بامتلاك نظام «صدام حسين»، لأسلحة الدمار الشامل التي إن وصلت لأيدي الإرهابيين، قد تُفني العالم. وهي الفكرة نفسها، التي كانت تُطرح من قبل «شترأوس»، لتبريره نخبوية المعرفة، والتأكد من فشل الأمريكيين من تصدير «الديمقراطية» إلى هذا البلد وفق الادعاءات المرافقة للغزو. إن الدمار الهائل الذي ألم بهذا البلد والقتل المروع، وانكشاف الهمجية الأمريكية، كل هذا أدى إلى احتجاجات واسعة النطاق في المجتمع الأمريكي، وإلى كبح استخدام القوة المفرط، وظهرت الحاجة إلى استخدام نمط جديد من القتال من أجل فرض السيطرة، الأمر الذي حدا بالمحافظين الجدد والصقور الأمريكيين، إلى التراجع خطوة إلى الوراء، وترك الساحة السياسية للديمقراطيين الذين أسبغوا على الحروب الصبغة الديمقراطية، وفعلوا نمط حروب الجيل الرابع من جديد<sup>(1)</sup>، فالحرب يجب أن تبقى دائرة، كما يجب على العدو أن يبقى متربصًا.

1 - حرب الجيل الرابع (4GW): انفق الخبراء العسكريون بأن حرب الجيل الرابع هي حرب أمريكية صرفة طوّرت من قبل الجيش الأمريكي وعرفوها بـ "الحرب اللا متماثلة" بالإنجليزية: (Asymmetric Warfare). تستخدم فيها وسائل الإعلام الجديد والتقليدي، ومنظمات المجتمع المدني، والمعارضة، والعمليات الاستخباراتية، والتنفيذ الأمريكي في أي بلد، لخدمة سياسات "البتاغون" ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيق هذا النمط من الحروب في آسيا الوسطى. فقد شهد التاريخ السياسي المعاصر، في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، قيام ثورات دُعيت بالثورات الملونة، وهي ما اصطلح على تسميته في السياسة "حروب الجيل الرابع"، حيث يتم التدخل السياسي في الدول، عبر تأليب الداخل في الدول المستهدفة على أنظمة الحكم القائمة فيها. الثورات الجديدة التي حملت أسماء منسوبة إلى ألوان مختلفة -نسبة إلى الإعلام أو الشعارات أو الرموز التي رفعت خلالها- بدت في ظاهرها أنها تدشن فكرةً جديدًا، يتناسب ورواج رياح الحرية، والديمقراطية، والمساواة، وحقوق الإنسان بين مختلف دول العالم، وبدا أيضًا أنها تحمل في طياتها، نماذج يمكن لكثير من الشعوب التي تكتوي بنيران "الحكم الديكتاتوري" الاقتداء بها؛ من أجل الخروج من هذا الواقع الذي يقتل الأمل في غدٍ أفضل، ولكن في باطنها، فإن تلك الثورات كان يجمعها هدف واحد؛ وهو تغيير الزعيم غير المنسجم كليًا مع المصالح التجارية والسياسية لرأس المال الأمريكي، ليحل محلّه زعيم أكثر انسجامًا مع هذه المصالح، زعيم يكون غالبًا تحت السيطرة؛ وبالتالي أصبح الحكام الجدد لتلك الدول، لا يجمع بينهم جامع سوى الوصول إلى السلطة، عبر الولاء للإدارة الأمريكية، هذا الأسلوب استخدم في صربيا، وجورجيا، وأوكرانيا، وقيرقيزيا، وبيلاروسيا، وغيرها من الدول.

وبحسب تحقيق أجرته صحيفة "الهيرالد تريبون"، أن فريق عمل أمريكي أقام مدة شهرين في فندق في مدينة بوادبست، ومعه خطة إشعال ثورة شعبية ضد حكومة بلغراد، وقد نفذت عن طريق تدريب عشرات من نشطاء الصرب، وعاد هؤلاء بعدئذ إلى تدريب آخرين على صياغة شعارات، ورسم ملصقات، وتحريض الجماهير، واختيار الشوارع والميادين المناسبة للتظاهر. وبعد سنوات انتقل بعض هؤلاء الناشطين إلى جورجيا، وكانت الظروف المتدهورة فيها قد مهدت للشعب للثورة على نظام الرئيس "إدوارد شيفارنادزة". بالتعاون بين فريق النشطاء الصربيين، ونشطاء جورجيين، وفريق أمريكي؛ وضعت الشعارات المناسبة، وجرى التخطيط لتسيير مظاهرات، وتم تحديد مساراتها، واختير لون آخر من ألوان الطيف، وكان في هذه الحالة اللون الزهري، فسميت بثورة الزهور أسوة بالثورة المخملية، التي أسقطت حكم الشيوعية في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا. وسقط نظام "شيفارنادزة"، وتولى الرئاسة رئيس

جديد بمواصفات معيّنة، واستعدّ فريق الثورات للانتقال إلى الهدف الثالث، وكان قد استقرّ الرأْي في الولايات المتحدة -وربما في دول أوروبية غربيّة- على أن تكون أوكرانيا هي الهدف التالي فنزل الثوّار في العاصمة كييف، ملوّحين برايات، ومرتدين ملابس باللون البرتقاليّ، وكان الإعلام الغربيّ في انتظار تظاهرات عارمة تستمرّ ليلاً ونهاراً، تحمل الشّموع البرتقاليّة، وترفع ملصقات برتقاليّة. وفي النهاية أعلن المتظاهرون النّصر. وقد تنبّهت بعض وسائل الإعلام الغربيّة، إلى بعض الحقائق المحيطة بتلك الثورات ذوات الألوان الزّاهية؛ فكتبت صحيفة "الغارديان" البريطانيّة مقالاً عقب انتشار اللون البرتقاليّ، ليغطي شوارع مدينة "كييف" الأوكرانيّة احتجاجاً على نتائج الانتخابات قائلة: «إنّ فكرة الثورة الشّعبيّة في البلدان الخارجة من الحكم الشيوعيّ، ليست أكثر من أسطورة»<sup>(1)</sup>.

إنّ نجاح هذا النمط من الحروب، استدعى ضرورة تطبيقه مع العدو الجديد لأمريكا «الإسلام»، وبشكل خاصّ بعد فشل النمط التقليديّ للحروب في العراق وأفغانستان، وهذا ما حصل مع انطلاق ما اصطلح على تسميته بـ «الربيع العربي» في تونس، ثمّ مصر، فليبيا، واليمن، وأخيراً سورية. حيث كان الحضور الأمريكيّ واضحاً في دعم «ثورات التّغيير الديمقراطيّ»، هذا الدّعم الذي سيحاول خلخلة كلّ الأنظمة، التي ترغب الولايات الأمريكيّة المتّحدة في تغييرها في المنطقة، لكنّ المقاومة الشّعبيّة حالت دون نجاح هذا المشروع، وبشكل خاصّ في سورية واليمن، ولا زال الحدث قائماً والصّراع على أشدّه تحديداً بعد دخول قوى المقاومة الفلسطينيّة في حرب غزّة الآن ودعمها من قبل محور المقاومة برمتها، ذلك أنّ نجاح المخطّط الأمريكيّ في هذه المنطقة، قد يطال في نهاية المطاف دولاً أخرى، هي على التّضادّ مع أمريكا-كالصين، وروسيا، وإيران- وفقاً لما نظّر له "هنتغتون" و "فوكوياما" من خطورة لتلك الحضارات على الولايات الأمريكيّة المتّحدة. هذا، وبسبب تطبيق السياسة المتأثّرة بفكر الصّقور، كانت النتيجة ملايين الضّحايا، وعشرات الدّول، وخراب، ودمار، وتشريد وقتل، وخلخلة الاستقرار الدوليّ. فلسفة القوّة، والتراتبية الإنسانيّة والدّوليّة، وفضيلة التّفوق، والنّظام الأفضل يبدو كلّها الآن واضحاً بالنظر إلى النتائج المدمرة التي ألمّت بالمنطقة بأسرها. تجربة الرّوح الشّتروسية في المنطقة العربيّة والإسلاميّة، استدعو العديد من معتقيها لإعادة النّظر فيما اعتنقوا، فلا يمكن لعقلٍ أو قلبٍ إنسانيّ تسويغ كلّ

1 - السّعداوي، ع. (2006)، ص 1-3.

هذا الحجم من الدمار، وكلّ هذا العدد من الضحايا. لا بدّ من إيجاد المنهجية المناسبة لدعوة الفلاسفة المتضامنين مع فلسطين، بإعادة قراءة الفلسفة السياسيّة التي تتبناها حكوماتهم، ونقدها وتفنيدها، لصالح حوار الحضارات وفلسفة التسامح، بدلاً من صدام الحضارات ونهاية التاريخ وفلسفة القوّة والقتل.

## الخاتمة

إنّ سياسة الحروب والقتل ليست سوى تطبيق عمليّ لتنظير فلسفيّ أمريكيّ، قام به العديد من الفلاسفة السياسيّين، بعد أن شيّدوا بناءهم الفلسفيّ على أسس تبدو في الظاهر أخلاقية، وتدّعي نشر الفضيلة السياسيّة، إلّا أنّها تدعو في حقيقة الأمر إلى هيمنة النّظام الأمريكيّ على العالم، وقد توضّح هذا من خلال تنظير "ليو شتراوس" لمفهوم "النّظام السياسيّ الأمثل"، وضرورة نشر الفضيلة السياسيّة، عبر "الأكاذيب النبيلة"، ليكمل "هنتغتون" سرديّة أستاذه السياسيّة بالقول بنظرية صدام الحضارات، ثمّ ليكمل "فوكوياما" المشهد بحديثه عن نهاية التاريخ المتجسّدة بالتمط الديموقراطي-الليبرالي، القاسم الأوضح في هذا المشهد، كان التّنظير للحرب كضرورة ملحّة في صعود وتماسك الحضارات.



## المراجع والمصادر:

### اللغة العربية:

1. أبو نحل، ح. (2008) المحافظون الجدد و تأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مشروع نشر الديمقراطية نموذجًا 2001-2008، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة.
2. إحسان، و. (2017) قراءة جديدة للتاريخ، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان.
3. بليير. ت. وآخرون (2005) توني بليير، كونداليزا رايس، مارغريت تاتشر وآخرون، المحافظون الجدد، تحرير: آرون ستلزر، تعريب: فاضل جكتر، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض.
4. السعداوي، ع. (2006) الثورات الملوثة في آسيا الوسطى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، العدد 7 (31 ديسمبر/كانون الأول 2006).
5. صالح، ع. (2009) أصول النظام السياسي وتطوره وانحطاطه:مراجعة كتابي فوكوياما عن أصول النظام السياسي، مجلة سياسات عربية، قطر، العدد43.
6. عبد اللطيف، أ. (2003) المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة.
7. فوكوياما، ف. (1993) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ت: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للنشر، ط1، القاهرة.
8. فوكوياما، ف. (2007)، أمريكا على مفترق الطرق (ما بعد المحافظين الجدد)، ت: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض.
9. فوكوياما، ف. (2016) أصول النظام السياسي من عصور ما قبل التاريخ إلى الثورة الفرنسية، ت: معين الإمام / مجاب إمام، دار الكتب القطرية، قطر.
10. فوكوياما، ف. (ب2016) النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية، ت: معين الإمام/مجاب إمام، دار الكتب القطرية، قطر.
11. هالبر، س. وكلارك، ج. (2005) التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي، ت: عمر الأيوبي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

12. هنتغتون، ص. (2005) من نحن؟ التّحديات التي تواجه الهوية الأمريكيّة، ت: حسام الدّين خضور، دار الرّأي، ط1، دمشق.
13. هنتغتون، ص. (1999) صدام الحضارات، إعادة صنع النّظام العالمي، ت: طلعت الشّايب، تقديم صلاح قانصوه، كتاب نسخة الكترونيّة.

### اللّغة الإنكليزيّة:

1. Drury, S. (1999) Leo Strauss and the American right, United states of America press, New York.
2. Huntington, S. (1957) The soldier and the state, the theory and politics of civil-military relations, Harvard university press.
3. Strauss, L. (1988) Persecution and the Art of Writing, University Of Chicago Press.
4. Strauss, L. (1978) The city and Man, University Of Chicago Press.
5. Strauss, L. (1999) Natural Right and History, University Of Chicago Press.

## التأسيس الديني للقتل في أميركا: الصهيونية المسيحية أنموذجاً

د. محمد مرتضى<sup>(1)</sup>

### ملخص

يهدف هذا البحث لتسليط الضوء على التنظير الديني، الذي قدمته بعض التيارات الدينية، كمسوغ نظري للقتل. وقد قارب البحث خصوصاً ما أطلق عليه اسم الصهيونية المسيحية.

وقد برز هذا الخطاب بقوة الحروب التي شنتها الإدارة الأمريكية في عهد "جورج بوش" الابن، بغطاء ديني، تحت مسوغ نشر الفوضى والحروب التي ينبغي أن تشتعل من أجل تسريع النزول الثاني للمسيح.

صحيح أن هذا التيار قد بدأ في أوروبا، تحت مسمى المسيحية الصهيونية، لكنه انتشر لاحقاً بقوة في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تمّ توظيف هذه الفكرة سابقاً لترويج إعادة اليهود إلى أرضهم المزعومة.

وبكل الأحوال، فقد مثلت الصهيونية المسيحية تياراً لا يبتعد عن التيارات العنيفة الإرهابية وإن تلبّست بلباس الحكومات، وشكّلت أيديولوجية إرهابية بغطاء ديني.

**الكلمات المفتاحية:** الصهيونية المسيحية، أميركا، القتل، عودة المسيح، إسرائيل، الإصلاح الديني، هرتزل، النبوءات التوراتية، المحافظون الجدد.

1 - مدير مركز برانا للدراسات والبحوث في بيروت، ورئيس تحرير مجلة أمم.

## مقدمة

يتناول البحث فكرة استخدام أميركا الدّين كمسوغٍ للقتل والحروب، وكيف تمّ تفعيل هذا الاستخدام في حركة الصّهيونية المسيحيّة، التي بدأت في أوروبا وانتشرت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة بشكلٍ خاصّ. ويضيء على بداية نشوء حركة المسيحيّة الصّهيونية متزامنة مع حركة الإصلاح الدّينيّ اللوثرية والكالفيّنية وتنويعاتها، حيث استغلّت التعاليم الإصلاحيّة في ترجمة الكتاب المقدّس للغات الوطنيّة وعملت على ضمّ التّوراة -العهد القديم- للإنجيل وبنّت النّبوءات التّوراتيّة.

ذلك أنّه في الوقت الذي كانت فيه المسيحيّة تروج لفكرة إعادة اليهود لأرض "إسرائيل" تسريعاً في قدوم المسيح المنتظر من جهة عقائديّة، وحلاً لمسألة اليهود التي كانت تؤرق المجتمعات الأوروبيّة من جهة سياسيّة؛ استطاعت الصّهيونية قلب الأدوار، واستغلال المشاعر الدّينيّة لدى الغالبية المسيحيّة من البروتستانت، وصبّها في قنوات دعم الصّهيونية اليهوديّة، أي تغليب سمة الصّهيونية على المسيحيّة، في سبيل دعم إقامة الكيان الصّهيونيّ على أرض فلسطين المحتلّة، بعد أن تمّ اختيارها بوصفها أرض الميعاد المزعومة، وما رافق ذلك من حروب وقتل، وتبرير لتلك الحروب وذلك القتل بوصفه عوناً للإله، من أجل تحقيق عهده القديم. فتناول البحث نشأة هذه الحركة في أوروبا، وأضاء على حضورها الطّاعي في الولايات الأمريكيّة المتّحدة، وتأثيرها على سياسات البيت الأبيض.

## أولاً: الدّين والقتل

تاريخياً، استخدم الغرب الدّين في العديد من الأحداث الكبرى، كذريعة لتبرير الحروب، أو العنف بشكلٍ عامّ. فقد تمّ تفسير بعض النّصوص الدّينيّة، بطرق تدعم استخدام القوّة أو العدوان

في سياقات سياسية أو عسكرية. وقد تمّ تسييس الدين، واستخدامه لتعزيز أجندات سياسية، أو لتبرير العداة أو القتل، وهناك الكثير من الحروب التي خاضها الغرب بدوافع أو ذرائع دينية؛ لكن هناك ما هو أعمق وأشدّ تأثيراً في تسويغ الدين كأداة سياسية، وهي ظاهرة الصهيونية المسيحية. يخبرنا التاريخ بظهور فئة دينية استغلّت الدين شرّاً استغلالاً لتحقيق مآرب سياسية اجتماعية اقتصادية تتعلق بالهيمنة ولم تتوانَ في فعلها الذي تمّ والمستمرّاً إلى الآن عن استخدام كلّ أشكال التجييش لتحقيق أهدافها. وهي المسيحية الصهيونية التي أصبحت لاحقاً الصهيونية المسيحية. فقد اتخذت من الدين وسيلةً لِيّ عنق التاريخ وتسويغ القيام بأفطع المجازر، ولا زالت تفعل هذا، فما الذي يميّزها عن غيرها ضمن هذا السياق؟

نفترض في هذه الدراسة، وجود لحظتين حكمتا المسيحية بعلاقتها مع الصهيونية:

1 - اللحظة الأولى المسيحية الصهيونية: وهي البداية التي كانت تتّجه بها المسيحية صوب الصهيونية لاعتقاد ديني يقول، بأنّ لمّ شتات اليهود هو تسريع للنزول الثاني للمسيح والمنتظر، حسب النبوءات المسيحية.

2 - اللحظة الثانية الصهيونية المسيحية: وهي الصهيونية التي التقطت اللحظة الأولى، وبدأت تعزّز هذا التوجّه، وتعمل على نشر المسيحية الصهيونية الداعم الأكبر للصهيونية العالمية، بالتأكيد على نبوءات العهد القديم.

### ثانياً: المسيحية الصهيونية

كان لليهود المهاجرين من إسبانيا إلى باقي الدول الأوروبية - وبخاصة فرنسا وهولندا - أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى التصراية وبدقة، كالاقتقاد بأنّ اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضّلة، كذلك أحقيّتهم في ميراث الأرض المقدّسة. وقد راجت هذه الأفكار مع صعود الحركة البروتستانتية المسيحية في أوروبا بقيادة "مارتن لوثر" و"كالفن"، فقد ألف "مارتن لوثر" كتابه المسمّى "عيسى وُلد يهودياً"<sup>(1)</sup>، وكأنّه يبعث لمسيحي العالم الغربي برسالة مفادها أنّكم جميعاً مدينون لهذا اليهودي الذي جاءكم بالمسيحية، وأخذ يُفسر برؤى منقوصة كلّ ما يتّصل بتاريخ الشعب الإسرائيلي، ويعزّز طرح حتمية العودة إلى أرض إسرائيل وإقامة وطنٍ دوليٍّ لليهود هناك.

1 - Luther, M. (1523) That Jesus Christ was Born a Jew.

غير أنه، وبعد نحو عشرين عاماً من التعاطي مع يهود أوروبا، اكتشف «لوثر»، أنهم قد سخّروه لصالح تحقيق أغراضهم المختلفة، وأنهم لم يكونوا داعمين لانشقاقه غير المحمود، وإنما اتخذوا منه جسراً وقنطرةً للعبور إلى حلمهم في "أرض الميعاد". وحين صدر كتاب «لوثر» الثاني وعنوانه "اليهود وأكاذيبهم"<sup>(1)</sup> والذي تراجع فيه عن طروحات الكتاب الأوّل، وبين للعالم الأوروبي أنّ هؤلاء شعب مليء بالمرآغة، ولا يلتزم الحقّ، وإنما يسعى إلى مصالح غير شرعية. لم ينل هذا الكتاب الرّواج الذي طال كتابه الأوّل، لدرجة أنّه يكاد لا يذكر في الأدبيات البروتستانتية الدّرجة في أوروبا؛ وهنا يُلاحظ نشوء فرق متنوعة في المذهب البروتستانتية، وذلك نتيجة الدّعوة إلى الحرّية، والقول أنّ لكلّ شخص الحقّ في التّفكير وإبداء الرّأي، وأنّ هذا الأمر ليس حكرًا على رجال الكنيسة. وكان البيوريتانيون الذين ظهروا في انكلترا (1564)، على يد الدّاعية (روبرت براون)، قد شجّعوا الملك «هنري الثامن»، الذي صرّح بموقفه العدائيّ للكنيسة البابوية. وقد عملوا على إنشاء الكنيسة الإنجيليكانية ليقوموا فيما بعد بعملية إصلاح بيوريتانية، وبشكل خاصّ بعد أن أعلن «أوليفر كرومويل» (1649-1659) قيام جمهورية الكومنولث البيوريتانية مع الثّورة الإنجليزيّة، بمساعدة الجناح المتطرّف من البيوريتانيين. ودعا حكومته إلى حمل شرف إعادة بني إسرائيل إلى أرض أجدادهم، حسب زعمه، لتصبح اليهودية جزءاً من الثّقافة الإنكليزية بعد تاريخ من الاضطهاد لليهود<sup>(2)</sup>. هكذا بدأت عملية التّزوير التّاريخيّ بشكل رسميّ، فإسرائيل التي بقيت لزمّن طويل -منذ القديس أوغسطين- تعني الكنيسة، أخذت تعني شيئاً آخر وهو الوطن القوميّ لليهود، واليهود قتلة المسيح ومنكرو النّبوة، أصبحوا "شعب الله المختار!". كانت هزيمة القوات الكاثوليكية، وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية عام (1609) م، بمثابة انطلاقة للحركة المسيحية الصّهيونية في أوروبا، ممّا ساعد على ظهور جمعيات وكنائس وأحزاب سياسيّة، عملت جميعاً على تثبيت فكرة الوطن اليهودي.

وهكذا يمكن القول أنّ اليهود التقطوا لحظةً عقائديّةً مسيحية، تسعى إلى تسريع قدوم المسيح بإعادة اليهود إلى وطن مفترض من جهة، ولحظةً سياسيّة من جهة أخرى. كانت توجد بالمسألة اليهودية مشكلةً وطنيّة، ذلك أنّ «لوثر» الذي ظنّ أنّه يمكن نصرته اليهود، وجد في كتابه اليهود

1 - Luther, M. (1971) On the Jews and Their Lies.

2 - سباتين، ر. (2009)، ص 69.

وأكاذيبهم أنهم هم من أرادوا تهويده، ووجدهم خطراً على الأمة الألمانية يجب اجتثاثه، لكن وكما أشرنا، لم يتم التركيز على الشق الأخير، وإنما عملت اليهودية على نشر البروتستانتية، وجعلت منها حاملاً لمشروعها القومي الذي بدأت معالمه الأولى بالظهور مع التحول الذي أصاب المسيحية الصهيونية إلى الصهيونية المسيحية، حيث لم يعد المسيحيون هم أصحاب مصلحة وحسب، في لمّ شتات اليهود لاستعجال قدوم المسيح، بل بدأ اليهود في تكريس هذه الفكرة عقائدياً، وتاريخياً، وأثاريّاً، وسياسياً، وبكل وسيلة أُتحت لهم.

سنورد مقتطفاً من بعض الخطابات اليهودية، التي أُلقيت لاحقاً في مؤتمر مَجْمَع «بناي بريث» في باريس نقلاً عن مجلة «كاثوليك جازيت»:

«والآن نحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أنّ معظمهم وهم يخلصون الإيمان لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا، إنّنا جدُّ ممتنون للعون القيم، الذي قدّمه لنا في حربنا ضدّ معازل المدينة المسيحية، استعداداً لبلوغ مواقع السيطرة على العالم. نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتّى تلك التي انقلبت علينا أحياناً، ونحن أيضاً سادة الحرب والسّلام، بدون منازع؛ ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية. ف«كالفين» كان واحداً من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودي، فنقد مخطط الإصلاح الديني. كما أذعن «مارتن لوتر» لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً، نجح برنامجه ضدّ الكنيسة الكاثوليكية، بإرادة المسؤولين اليهود.

دعونا نوضح لكم، كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التّسرب إلى دوائها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيته ليكونوا رواداً في حركتنا، ويعملون من أجلنا. أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: «دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم»<sup>(1)</sup>. وبعد ذلك نرى صعود عقيدة الاستعادة أو العقيدة الاسترجاعية، وهي الفكرة الدينية التي تذهب إلى أنّ اليهود هم شعب الله القديم،

1 - السّمّاك م. (1993)، ص 11-12.

باعتبار أنّ المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد، وحتى يبدأ العصر الألفي الموعد، لا بدّ أن يستعيد اليهود أرضهم تمهيداً لعودة المسيح؛ وهكذا أصبح تبادل الدّور في توظيف الدّين بين المسيحية الصّهيونية، ومن ثمّة الصّهيونية المسيحية واضح المعالم، على طريق كمّ شتات اليهود، واجتثاث شعب فلسطين، بعد أن وقع الخيار عليها بوصفها الأرض الموعدة.

### ثالثاً: الصّهيونية المسيحية

نقصد بالصّهيونية المسيحية، تلك الحركة التي أتت استكمالاً لعمل المسيحية الصّهيونية، من حيث تأكيدها على كمّ شتات اليهود، لكنها في حين اتّفقت مع المسيحية الصّهيونية، من حيث الاعتقاد بضرورة عودة اليهود إلى "الأرض المقدسة"، وأنّ جمع شتات اليهود يتوافق مع تنبّوات الكتاب المقدّس، وحمية تحقق الوعد الإلهي للشعب اليهودي، إلا أنّها تختلف عنها من حيث التوجّه النهائي، وبدقّة ضرورة جمع اليهود في دولة يهودية، أي أنّ الصّهيونية السياسية، هي الحركة التي يطغى فيها الجانب السياسي على الجانب الاعتقادي لدى المسيحيين، لتتمّ ترجمة هذا الأمر بالدعم السياسي المباشر للحركة الصّهيونية، المتمثلة بالكيان المزعوم لدولة "إسرائيل".

تمّ استخدام مصطلح الصّهيونية لأول مرّة عام 1890؛ وهي حسب تعريف قاموس "ميريام ويبستر": "حركة دولية في الأصل لإنشاء مجتمع قوميّ أو ديني يهودي في فلسطين ولاحقاً لدعم إسرائيل الحديثة"<sup>(1)</sup>. أمّا الصّهيونية المسيحية، فهي حركة سياسية تهدف إلى إقامة وحماية دولة إسرائيل، كوطن قوميّ للشعب اليهودي.

استخدم مصطلح "الصّهيوني المسيحي" عام 1896، عندما أشار الزعيم الصّهيوني اليهودي "تيودور هرتزل" إلى "ويليام هيشلر"، القسيس الأنجليكاني في السفارة البريطانية في "فيينا"، باعتباره "صهيونياً مسيحياً". وفي العام التالي استخدم "هرتزل" هذا المصطلح "الصّهيوني المسيحي" لوصف "جان هنري دونان"، مصرفي سويسري ومؤسس الصليب الأحمر<sup>(2)</sup>، ومراقب في المؤتمر الصّهيوني الأوّل.

إنّ مصطلح «الصّهيوني المسيحي» جديد نسبياً. ولم يتمّ استخدامه على نطاق واسع حتى

1 - <https://www.merriam-webster.com/dictionary/Zionism>

2 - Spector, S. (2009), p2.



التسعينيات. يعود تاريخ هذه العبارة إلى عام 1903 على الأقل، عندما بدأت تظهر في صحيفة «نيويورك تايمز»، لأول مرة في الرسائل الموجهة إلى المحرر وفي النعوات، ثم بعد عشرين عاماً، في القصص الإخبارية. في عام 1919 استخدمها «ناحوم سوكلوف» في كتابه «تاريخ الصهيونية 1600-1918»، حيث استشهد بهذا المصطلح في العقود التي تلت ذلك، وكانوا يرفضونه أحياناً، باعتباره استعارة غير مفيدة. وفي عام 1967 استخدمها «كلود دوفرنوي» بتقدير في كتابه «الأمير». وكان قد قدم فيه قائمة مرجعية لمنشورات «المسيحية الصهيونية». في عام 1975، لاحظ «جي دوغلاس يونج»، وهو إنجيلي مؤيد لإسرائيل، في صحيفة «جيرزاليم بوست» أن بعض إخوانه في الدين وصفوه بأنه صهيوني مسيحي، وشكرهم على هذا الإطراء. وفي عام 1980، نشرت صحيفة «التايمز» تقريراً عن تجمع كبير للمسيحيين الصهيوينيين في القدس. وبحلول عام 2003 استخدم المصطلح للإشارة إلى كتلة تصويت هائلة من الجمهوريين المحافظين، الذين يدعمون إسرائيل على أساس تفسيرات الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>. تميل تعريفات هذا المصطلح إلى أن تكون ضيقة جداً أو واسعة جداً. عرف الوزير الاسكتلندي «والتر ريجانز»، في كتابه الصادر عام 1988 «إسرائيل والصهيونية»، المسيحي الصهيوني بشكل شامل للغاية، كأبي مسيحي يدعم الهدف الصهيوني المتمثل في بناء دولة إسرائيل وجيشها وحكومتها ومؤسسات أخرى. وأضاف أن هذا المصطلح يمكن أن ينطبق بشكل أكثر عمومية، على أي مسيحي يدعم إسرائيل لأي سبب من الأسباب. التعريف عام لدرجة أنه ينطبق، على سبيل المثال على البروتستانت الليبراليين الذين يتعاطفون مع الفلسطينيين، ولكنهم يدعمون وجود الدولة اليهودية، بسبب إحساسهم بالذنب بشأن المحرقة<sup>(2)</sup>. وبالرغم من السجال الواضح حول بعض التعريفات التي تطل الصهيونية المسيحية، إلا أن هذا إشارة واضحة إلى تطور الخطوات السياسية التي اتخذتها الصهيونية المسيحية، اتجاه أن تنقل العمل من الحقل العقائدي المسيحي، إلى الحقل العقائدي اليهودي، ومن ثمة إلى الحقل السياسي، لتصبح مناصرة اليهود في حربهم على الفلسطينيين، ليست حرب عقائد وحسب، وإنما انتقلت لاحقاً لتصبح حرباً من أجل ترسيخ دولة علمانية، في محيط «إسلاموي إرهابي يهدد العالم» وفق زعمهم.

1 - Spector, S. (2009), p2.

2 - Lewis, A. (2021), p4.

يقول مؤلف تاريخ مقتضب للصهيونية المسيحية «دونالد لويس»: «إنَّ استخدامي لمصطلح الحركة في الحديث عن الصهيونية المسيحية متعمد، لأنَّه يجسّد إحساساً بزخمها، حيث كانت الصهيونية المسيحية دائماً مثل الأمازون، تبدأ صغيرة من منابعها في الإصلاح الديني، ولكنها تتحرك بسرعة أكبر في أوقات وأماكن مختلفة، حتى المتتالية من خلال الأحداث المحوريّة، مثل إعلان بلفور، واستقلال إسرائيل، وحرب الأيام الستة عام 1967، مع تقدّمها. ولكنها كانت دائماً «في حالة حركة»، تكيّف مع الظروف المتغيرة والأحداث الجديدة، وتحوّل لتكيّف مع مختلف اللاهوتات والمفاهيم النبوية»<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: المسيحية الصهيونية في الولايات الأمريكية المتحدة.

أشار الباحثون إلى ما يمكن تسميته أوّل علاقة، بين المسيحية الصهيونية والولايات الأمريكية المتحدة في العصر الحديث، يمكن توثيقها في هذا الصدد إلى رحلة المستكشف الإيطالي «كريستوفر كولمبس»، الذي يُشار إليه بأنّه أوّل من اكتشف الأرض البعيدة (أمريكا) عام 1492، حيث كانت قصّته في البحث، إعلانه بأنّه كان يبحث عن الممالك، التي سينشر فيها المسيحية، ويستعيد الأرض المقدّسة، وخاصة القدس، تمهيداً لنزول مملكة الله على جبل صهيون، وهذا ما أكّده مؤرخو كتاب «الأمة الأمريكية»، بأنّ هذا أوّل ارتباط تصوّريّ من «كولمبس»، حيث تصوّر نفسه بأنّه رسول الوحيّ المستقبليّ، الذي يبني لاستعادة القدس وهداية اليهود<sup>(2)</sup>.

وهناك من يقول إنّ نشأة أمريكا، كانت نتيجة اندفاع دينية، فقد كان معظم المهاجرين الجدد الذين سكنوا أمريكا الشماليّة الخاضعة للاستعمار البريطانيّ، فئات منوعة من كلّ الطوائف البروتستانتية، وهم الذين هاجروا في القرنين السابع عشر والثامن عشر بحثاً عن حياة أفضل، منهم رجال كنيسة، ومنشقون عنها، ومستقلون، وكالفينيون، ولوثريون.. ومع أنّ هؤلاء البروتستانت، يختلفون عن بعضهم البعض في مسائل مذهبية محدّدة، إلاّ أنّهم يشتركون في قاسم مشترك من المعتقدات، مثل كفاية الكتاب المقدّس للخلاص، والكهانة لجميع المؤمنين بالمسيحية، والخلاص عن طريق رحمة الإله المتحصّل عليها بالإيمان وحده. ويشتركون كذلك في شيء

1 - Lewis, A. (2021), p4.

2 - السّمّاك، م. (2009) ص 49.

آخر وهو الالتزام بكرهية الكنيسة الكاثوليكية. هم يشنعون على الكاثوليك بوصفهم بعبارة من قبيل بابويين ورومانيين، ويزدرون الكنيسة الكاثوليكية، ويطلقون عليها وصف بغبي بابل<sup>(1)</sup>. لقد نظر هؤلاء المهاجرون إلى أنفسهم بوصفهم شعب الله المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة. حملوا معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، الذي بدأ بتشكيل الوعي الديني الأمريكي، فقد اعتبروا أمريكا أورشليم الجديدة أو كنعان الجديدة، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين الفارين من ظلم فرعون، الملك جيمس الأول، الهاربين من مصر (أوروبا) بحثاً عن أرض الميعاد. لقد كان تأصيل هذا الاعتقاد الأساس لتبرير أولى حروب الشعب الجديد على الأرض الجديدة، وقتل السكان الأصليين. بديهي أن الرب يدعو المستوطنين إلى الحرب، فالهنود اعتمدوا على عددهم وأسلحتهم، كما فعلت قبائل النقب القديمة، العمالقة والفلسطينيون، متحالفين مع غيرهم ضدّ شعب إسرائيل<sup>(2)</sup>. وبذلك ابتداءً الأميركيون وجودهم كأمة، بعملية إبادة جماعية لشعب بأكملهم -الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا- قيل إنها إبادة من أجل المسيح، واتكأوا على الأفكار الصهيونية، للتخفيف من العبء الأخلاقي الناتج عن الإبادات الجماعية التي قاموا بها.

لقد كانت أمريكا بلاداً مؤهلة لانتشار الأفكار الصهيونية، فسكانها الأوائل من البروتستانت المناصرين لحق اليهود، ودستور الأمة يبيح الحرية الدينية، التي وجد فيها المسيحيون الصهاينة، التربة الخصبة لزراعة أفكارهم التي انتشرت عالمياً، تزخر الدراسات عن الحركة الصهيونية، بمواقف الرؤساء الأمريكيين الداعمة للصهاينة دون استثناء.

لكن لحظة تكريس عقائدية، جاءت على يدي القسّ «جون داربي»، الذي اتبع منهج التدبيرية في تبشيره. ومذهب التدبيرية يعني أن كل شيء في هذا الكون مبرمج، وعلى الإنسان تحقيق البرنامج الإلهي عبر التفسير الحرفي لنبوءات العهد القديم. ليأتي بعده الأمريكي «سيروس سكوفيلد» 1843-1921، ويؤصل عملية تهويد المسيحية بنشر كتابه «واجب تجزئة كلمة الحق 1888»، أصل فيه المبادئ اللاهوتية للأصولية الإنجيلية التدبيرية، وربط تفسيره للإنجيل بإسرائيل، وبمبادئ أربعة تخصها: عودة اليهود إلى فلسطين، السيطرة الكاملة على القدس غير

1 - لامبرت، ف. (2014)، ص ص 15-16.

2 - الطويل، ي. (2014)، ص 54.

مقسمة، إعادة بناء الهيكل، خوض حرب هرمجدون<sup>(1)</sup>. وهنا نرى جهوزية الصهيونية السياسية الدائمة لالتقاط أي نشاط يرفد أهدافها، ولي عنقه ليصبح أساساً لتوجهات جديدة. ويسير إلى غلبة الصهيونية المسيحية على المسيحية الصهيونية.

إذن انتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا، من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها، نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس، اهتمت الكنيسة البروتستانتية بنشر الإنجيل في أوروبا وأمريكا منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر. ثم تطوّر عملها في شكل منظمات وإرساليات، ووضعت اللوائح والقوانين المنظمة لها وكذلك الميزانيات اللازمة. ومن ثم انتقل العمل التبشيري البروتستانتية، إلى القارتين الأفريقية والآسيوية، وبخاصة التي كانت تستعمرها الدول الغربية ذات العقيدة البروتستانتية. ومن أوائل الذين قادوا حركة التبشير «جوف وسلي»، «ووليام ولبرفورس»، «ووليام كيري» أبو المبشرين في العصر الحديث. لعبت تلك الكنائس دوراً هاماً في تمكين اليهود من احتلال فلسطين، واستمرار دعم الحكومات الأمريكية لهم -إلا ما ندر- من خلال العديد من اللجان والمنظمات والأحزاب، التي أنشئت من أجل ذلك، ومن أبرزها: الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين التي أسسها القس «تشارلز راسل» عام 1930 م، واللجنة الفلسطينية الأمريكية التي أسسها في عام 1932 م، «سنتور «روبرت واصر»، وضمت 68 عضواً من مجلس الشيوخ، و200 عضواً من مجلس النواب، وعددًا من رجال الدين الإنجيليين، ورفعت هذه المنظمات شعارات «الأرض الموعودة»، و«الشعب المختار».

وفي العصر الحديث تعتبر الطائفة التبشيرية التي يبلغ عدد أتباعها 40 مليون نسمة تقريباً والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغالاة في تأييد الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر.

ومن أشهر رجالها اللاهوتيين: «بيل جراهام»، و«جيري فولويل»، «جيمي سويجارت». ومن أبرز رجالها السياسيين الرئيس الأمريكي السابق «رونالد ريجان».

### خامساً: الصهيونية المسيحية الأمريكية والمحافظةون الجدد.

تزامن صعود الصهيونية المسيحية في أمريكا، مع ظهور تيار المحافظين الجدد، الذي نظّر

1 - الطويل، ي. (2014) ص 126.

له الفيلسوف «ليو شتراوس»، وقد أوضح «شتراوس» في نتاجه السياسي، ضرورة حضور الدين كأداة فعالة للوصول إلى النظام السياسي الأفضل، إذ إنه يشكل صلب عقائد البشر، وأداة ناجعة للتأثير والتحرّك، ولئن كان «شتراوس» معنياً بالصهيونية، بحكم أنه يهودي من جهة، وبحكم كونه فيلسوفاً ينظر للفاعلية الدينية في سوس البشر من جهة ثانية، فقد قام بنفسه بمهمة إعادة اليهودية المتمثلة بالصهيونية، كواجهة سياسية إلى عالم السياسة، ذلك أنه رأى إمكانية لليهود في اختراق الصراع الحضاري القائم، نتيجة للضعف الذي ألمّ بالحضارة الإسلامية بسبب تشتتها الداخلي، والضعف الذي ألمّ بالحضارة المسيحية، كنتيجة لمرزقات الحداثة، وتراجع الحضور الديني في المجتمعات الغربية وفق زعمه. وبذلك ركز في أعماله على الصهيونية، كحركة سياسية يمكن أن يكون لها الدور الفاعل في حركة التاريخ؛ و«شتراوس» وبينما هو يفعل ذلك، كان يظن بنفسه القدرة على التقاط اللحظة السياسية الأكثر ملاءمة لثأر الروح اليهودية، من الاضطهاد التاريخي الذي أصابها. إن التركيز على الصهيونية محمولة على أسس القوة، التي أرساها مذهب «شتراوس» أغرت الكثيرين من السياسيين الأمريكيين، وتبنتها حركة المحافظين الجدد، فإن كان أغلب الساسة غير مؤمنين إلا أنهم رأوا كما -شتراوس- في الدين الوسيلة الأنجع لسطر السلطة. وبذلك فقد كانت تجليات الروح الشتراوسية في هذا الميدان، نوع من التمازج الغريب تاريخياً بين الأديان، وشكلت نموذجاً جديداً للعلاقة بين الدين والسياسة.

يرى العديد من المتخصصين في السياسة الأمريكية، أن أهم التطورات السياسية داخل المجتمع الأمريكي، خلال العقود القليلة الماضية، هو ذلك التحالف ما بين المحافظين الجدد واليمين المسيحي المتطرف، على الرغم من أنه كثر الحديث في الآونة الأخيرة في الإعلام والصحف عن هذا التحالف، حيث وصفه البعض، بأنه تحالف غير منطقي وغير حقيقي؛ لأن المحافظين الجدد هم في الغالب علمانيون يهود، وأن اليمين المسيحي المتطرف هم جماعة متديّنة، لها عقيدة معيّنّة، وأهدافهم تخصّصهم، وتختلف من الناحية الأيديولوجية عن أفكار المحافظين الجدد<sup>(1)</sup>، ومع بداية السبعينيات، بدأت الكنائس البروتستانتية تتحرّك للتعبئة الشعبية، من أجل كسب أصوات ومؤيدين للكنيسة، وقد انتهز المحافظون الجدد هذا الواقع، وذلك لبناء حلف من المتديّنين المتعصبين، مع حركات دينية أصولية يهودية مسيحية، في كل من أميركا

1 - Geyer, A. (1997) p.41.

وإسرائيل، لتنفيذ رغباتهم، وأهدافهم، وسياساتهم في الدّاخل وفي الخارج. وقد اعتقد المحافظون الجدد، أنّ ضالّتهم تلك متوقّرة في اليمين الأصوليّ المسيحيّ المتطرف، الذي سيزودهم بالقوّة الروحانيّة أو الأخلاقيّة، من خلال قاعدة شعبية واسعة تخدم أهدافهم السياسيّة، وبذلك يصبح اليمين المسيحيّ المتطرّف هو قلب الجسد السياسيّ للمحافظين الجدد. ومن الممكن اعتبار عام 1876، بداية الدّعم الرّئيس والقويّ من قبل المحافظين الجدد، والأصولية المسيحيّة داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لـ "إسرائيل"، وبداية ظهور ما يسمّى بالحركة الصهيونيّة المسيحيّة، كعلامة فاصلة في تزايد قوّة هذه الحركات وتأثيرها وعددها وإمكاناتها، فقد سجّلت بداية ذلك العام حماساً سياسياً، وتنظيماً شعبياً داعماً للصهيونيّة السياسيّة، وأطلقت صحف كثيرة على هذا العام، تسميته عام الإنجليّين الأصوليّين. وسجّل ذلك العام بداية ولادة العديد من التّنظيمات، والمؤسّسات، والبرامج السياسيّة والشعبية، المرتبطة بشكل أو بآخر بالكنائس الإنجيليّة والأصوليّة داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة<sup>(1)</sup>.

ومن أهمّ الأسماء البارزة في معسكر المحافظين الجدد، والذين دعموا هذا الحلف، «إرفنج كريستول»، و«ثوردهينز» فقد حتّ على مواصلة العلاقات الوثيقة مع الأصوليّين خاصّة في السياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبالذات مع "إسرائيل"، حيث إن الطّرفين يتفقان تماماً على دعم ومساندة الدّولة اليهوديّة، وضمن أمن "إسرائيل".

ويجب التّأكيد مرّة أخرى، أنّ التّحالف الذي نتحدّث عنه ليس تحالفاً أيديولوجياً أو حقيقيّاً، بقدر ما هو تحالف قائم على أساس مصالح متبادلة لخدمة مؤسّسات أو أفراد متنفّذين داخل المجتمع الأمريكي، هدفه الرّئيسيّ نفعيّ ماديّ. لعبت الصهيونيّة العالميّة دوراً رئيساً في إنشائه تحقيّقاً لخدمة مصالحها الدّولية خاصّة على أرض فلسطين، إذ أنّ هناك توافقاً في كلّ شيء بين الطّرفين تجاه قضية الصّراع العربيّ - "الإسرائيليّ". لقد عملت الصهيونيّة المسيحيّة على دعم السياسة الدّاعمة لـ "إسرائيل"، عبر بثّ النّبوءات التّوراتيّة التي تقوم على فكرة عودة المسيح؛ فقد كان حماس الأصوليّين المسيحيّين بلا حدود، لقيام دولة إسرائيل عام 1948؛ باعتبار أنّ هذا الحدث يعتبر دليلاً قاطعاً على أنّ نبوءات التّوراة أصبحت حقيقة واقعة، فمعظم أولئك يؤمنون بأنّ التّوراة تنبأت بنهاية العالم، وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثّانية للمسيح، لهذا فإنّه من

1 - الحسن، ي. (1990)، ص 82.

الضروري لجميع اليهود في الأرض المقدسة قبل عودة المسيح، وبمعنى آخر، فإن نهاية العالم لا تتم إلا بعد تأسيس إسرائيل جديدة، وهكذا صاروا بانتظار تتابع التطورات التالية لهذا التأسيس حسب ما سمّوه «الخطّة الإلهية»<sup>(1)</sup>.

وحول هذا الأمر تقول الكاتبة الأمريكية «جريس هالسل»، في كتابها بعنوان «النبوءة السياسية»: «لقد تحولت النبوءة التوراتية في أمريكا، إلى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم، ومن بينهم أناس يرشّحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية، وكلّهم يعتقدون قرب نهاية العالم، ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجّعون على التسلح النووي ويستعجلون وقوع هذه المعركة على أساس أنّ ذلك سيقرب مجيء المسيح»<sup>(2)</sup>.

في سنة 1984 أجرت مؤسّسة «يانكلوفينش» استفتاءً، أظهرت نتائجه أنّ 39% من الشعب الأمريكي، أي حوالي 85 مليون نسمة، يعتقدون أنّ حديث الإنجيل حول تدمير الأرض بالنار، سيتمّ قبل قيام الساعة بحرب نووية فاصلة. ويؤمن أصحاب هذا الاعتقاد بالنصّ العبري الوارد في سفر الرؤيا/16، بأنّ المعركة المسماة «هرمجدون»، ستقع في الوادي الفسيح المحيط بجبل مجدون في أرض فلسطين، وأنّ المسيح سوف ينزل من السماء، ويقود جيوشهم، ويحقّقون النصر على الكفار. وواقع الأمر، ليس بمقدور أحد التأكيد من ما إذا كان السياسيين الأمريكيين، الذين يصنعون السياسات الإمبريالية، أو الرؤساء الذين ينفذون تلك السياسات، من شريحة الناس الذين يؤمنون بهذه النبوءات، أو ما إذا كان حديثهم في هذه الأمور يمثل جانباً من ضرورات الحشد خلف استراتيجيات سياسية أو متطلّبات التأييد لهذه السياسات. في سنة 1980 أجرى الرئيس الأمريكي «ريغن» مقابلة تلفزيونية قال فيها: "قد نكون نحن الجيل الذي سيشهد الهرمجدون" .. أمّا الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن" فقد نقلت عنه مجلّة "دير شبيغل" الألمانية سنة 2008، أنّه منذ ذلك الوقت أصبح واحداً من الثمانين مليون أمريكي الذين يؤمنون بالولادة الثانية للمسيح<sup>(3)</sup>.

إذن من خلال الحلف الذي نشأ ما بين المحافظين الجدد من ناحية، والصهيونية المسيحية من ناحية أخرى، فقد سيطر كلّ من المحافظين الجدد والصهيونية المسيحية - فيما بعد - على كلّ

1 - الحسن، ي. (1990)، ص 78.

2 - وميض، إ. (2017)، ص 163.

3 - م.ن. ص.ص. 163-164.

مراكز اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، البيت الأبيض، والكونغرس، والرأي العام الأمريكي، ومؤسسات الإعلام المرئية والمقروءة.

وقد عمل المحافظون الجدد، والصهيونيون المسيحيون الأصوليون معاً، في الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ إدارة "ريغن" ووصولاً لإدارة "بوش الابن"، لدعم وتأييد الموقف الصهيوني من قضية الصراع العربي - "الإسرائيلي"، ويكفي أن نعرف، أنّ الرئيس بوش الابن قد وظّف في طاقمه الداخلي، حوالي عشرين من خبراء المعهد الأمريكي<sup>(1)</sup>، وهؤلاء هم من أكبر الموالين للفكر الشتراوسني، الذين احتلوا أهم المناصب بالخارجية الأمريكية ووزارة الدفاع، وركّزوا على أنّ "إسرائيل" هي الحليف الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية، التي يجب دعمها مالياً وعسكرياً، والدفاع عنها بكلّ قوّة؛ أما أعداء أمريكا فهم، معظم الدول العربية وبعض الدول الإسلامية. صرّح العديد من الكتاب المشهورين، والمبشرين التلفزيونيين مثل «هال ليندسي»، و«جيرى فالويل»، و«بات روبرتسون»، و«جيمس دوسون»، و«تيم لاهاي»، و«جيمس هاجي»، جنباً إلى جنب مع السياسيين الذين يشاركونهم معتقداتهم، بتأييد السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة، كخطوة نحو التوسع المتوقع إلى الحدود التوراتية، وكلّ القدس وجبل الهيكل - وهو أمر ضروري - لإعادة بناء الهيكل. يرفض هؤلاء الصهاينة المسيحيون المطالبات السياسية أو الإقليمية الفلسطينية، ويعملون على تشويه سمعة الشعب الفلسطيني، بشكل مشابه للصورة النمطية النازية عن اليهود؛ وفي نظرتهم للعالم التي تغذيها النبوءات يشوّهون الإسلام، إنّ مثل هذه الشخصيات، التي تعززها شبكة من المنظمات ذات التفكير المماثل، تشكل على الأرجح، أقوى لوبي في الولايات المتحدة اليوم، ولا تؤثر على السياسة الخارجية الأمريكية فحسب، بل تؤثر أيضاً على فرص التوصل إلى حلّ سلمي للصراع الفلسطيني "الإسرائيلي"<sup>(2)</sup>.

### سادساً: المؤسسات الداعمة للصهيونية المسيحية في أمريكا.

لأسباب سابقة الذكر، لا بدّ أن يُنظر إلى الصهيونية المسيحية، على أنّها وجدت كشريك للوبي الإسرائيلي وليس كقوّة دافعة له، والتي - وفقاً لأغلبية المفكرين - تنبع من نواة المحافظين الجدد

1 - The American Enterprise Institute

2 - Samuel, G. (2018), p105.



اليهود. وقد تنطبق نفس الاعتبارات على القوة الديموغرافية، التي تتمتع بها الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. ومن المثير للاهتمام أن المؤيدين والمنتقدين على السواء، يبالغون في تضخيم عدد المسيحيين المؤيدين لإسرائيل إلى ما لا يقل عن 50 مليوناً. فيما تشير تقديرات أكثر دقة وموثوقة، إلى أن النسبة الحالية من المسيحيين الصهاينة، تتكون من 20 إلى 25 في المائة، أي من 85 إلى 90 مليون نسمة تقريباً.

هناك مؤسسات تُعنى بالصهيونية المسيحية، من أهم هذه المؤسسات:

1. الجمعية الصهيونية المسيحية (The Christian Zionist Association): تعمل هذه المؤسسة على تعزيز التفهم والدعم للصهيونية المسيحية، وتوفير منصة للمسيحيين للتعبير عن دعمهم لإسرائيل والشعب اليهودي.
2. التحالف الصهيوني المسيحي (The Christian Zionist Alliance): يهدف هذا التحالف إلى تعزيز الوعي بأهمية إسرائيل في الخطة الإلهية، وتعزيز الدعم للصهيونية المسيحية.
3. المجلس الوطني الصهيوني المسيحي (The National Christian Zionist Council): يعمل هذا المجلس على توحيد المسيحيين، الذين يدعمون "إسرائيل"، ويؤمنون بأهمية دورها في الخطة الإلهية.

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن الجمعيات والمؤسسات اليهودية، متفاوتة فيما بينها بما يتعلق بالقوة التأثيرية، لأسباب متنوعة، وقد تم تشجيعها من خلال إعفائها من نظام الضرائب. منها على سبيل المثال لا الحصر: -الاتحاد الصهيوني الأمريكي- المؤتمر اليهودي العالمي -المنظمة الصهيونية الأمريكية، -منظمة الهادساة- رابطة الصهاينة الإصلاحيين في الولايات المتحدة الأمريكية -مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الرفاه -مؤسسة جبل المعبد -عصبة الصداقة "الإسرائيلية" - الأمريكية -مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية -اللجنة اليهودية الأمريكية -جمعيّة بناي بريت أو أبناء العهد -شهود يهوه -المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل -أصدقاء إسرائيل المسيحيون -منظمة السفارة المسيحية الدولية -منظمة المائدة المستديرة الدينية -منظمة جسور السلام -الصندوق المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل -مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين -جمعيّة (الآيباك) لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية -المصرف المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل.

كما يوجد العديد من مراكز الأبحاث ذات الصلة بالمسيحية الصهيونية، ومنها:  
- المؤسسة الأمريكية لبحوث السياسة العامة - معهد هدسون - مركز الأخلاق والسياسات  
العامة - المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي - معهد مناهاتن للبحوث السياسية - مركز السياسة  
الأمنية - مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات - جمعية هنري جاكسون.

### سابعاً: الصهيونية المسيحية في أمريكا كدافع للحروب والقتل.

يقول الحاخام «لي ليفنجر»: «إن مؤسسي أمريكا كانوا أكثر يهودية من اليهود أنفسهم، وهم على حسب ما يزعمون يهود الروح، الذين عهد الله إليهم كما عهد إلى يهود اللحم والدم، قبل أن يفسدوا ويتخلّوا عن أحلام المملكة الموعودة». ويضيف مخاطباً المهاجرين الأوائل قائلاً: «إن يهوديتكم أيها المهاجرون إلى العالم الجديد، هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي في كل محطاته».

عبر «جورج واشنطن» - أول رئيس للولايات الأمريكية المتحدة - أنه موكل بمهمة عهدها الله إليه، ثم جاء «توماس جيفرسون» ليقول بشكل واضح بأن الأمريكيين هم شعب الله المختار؛ بينما يقول «جون آدمز» بأن استيطان أمريكا الشمالية تحقيق لمشية إلهية، بينما يقول «روزفلت» أن أمركة العالم هي مصير وقدر أمتنا. لقد نشأت لدى الأمريكيان ثقافة جديدة أطلق عليها ثقافة أهل الحدود، وهي التي تفتح الحدود في وجه الأمريكان، فقدر أمريكا الأبدية هو الغزو والتوسع، فهي كعصا موسى التي أصبحت أفعى، وابتلعت كل الحبال، وهذا هو قدرها المتجلي. وبذلك قدمت التقاليد اليهودية الكتابية التي تأمر بالأعمال الفظيعة، وجرائم الحرب، المسوخ الديني لكل الحروب والفظائع والمجازر، التي قامت بها الولايات الأمريكية المتحدة منذ نشوئها. وبناء على هذا التسويغ، يجب أن لا ندهش حين يرحب الأمريكيون بالمجازر، التي يرتكبها جيش الاحتلال على أرض فلسطين؛ يقول «وليم فوكسويل»:

«إن فيلسوف التاريخ - وهو القاضي النزيه - يرى أن من الضروري زوال شعب متخلف، ليخلي مكانه لشعب آخر ذي ملكات متفوقة، فقد يؤدي الاختلاط بين العروق البشرية إلى نتائج كارثية»<sup>(1)</sup>. وبذلك بدأ العمل السياسي يتجه صوب الإغلاء من شأن العرق الأمريكي، على كافة

1 - الطويل، ي. (2014)، ص 89.

الأعراق مسلحاً بالتبرير الديني.

كان أغلب الرؤساء الأمريكيين مناصرين للصهيونية المسيحية، ونتيجة لتشبعهم بالأفكار الصهيونية، والارتباط العقائدي، بين نشأة أميركا بشعبها المختار مع اليهودية التاريخية، كان لابد أن تكون السياسة الأمريكية بمجملها، ذات توجه عنفي وعدائي يشبه تاريخ اليهود الصهاينة، فقد غزت القوات الأمريكية نيكاراغوا في 1833، وفي سنة 1835 دخلت قواتهم البيرو غازية؛ ثم غزت أرضاً مكسيكية في السنة اللاحقة، وهي الأرض التي أضحت بعد ذلك أحد أشهر ولاياتها، وعرفت باسم تكساس. ولأنها لم تواجه أي رادع، توسعت الأطماع الأمريكية لتضم أراضي مكسيكية أخرى، تعرف اليوم بكاليفورنيا ونيومكسيكو، وكان هذا بتاريخ 1848. وفي 1854 استهدف الأمريكيان ميناء غراي تاون في نيكاراغوا وحطموه تحطيماً، كرد فعل على رفض الحكومة النيكاراغوية دخول عميل أمريكي لأرضها. وجاءت سنة 1855 م لتسجل غزو الأمريكيان للأورغواي، ثم قناة بنما. ولم تختلف عنها سنة 1873 م حين سجلت غزو كولومبيا؛ التي بقيت تعاني من تعديات الأمريكيان باستمرار، تعديات جرت في ذات الوقت الذي تدخل فيه الأمريكيان في هايتي، وتشيلي، وكولومبيا، ونيكاراغوا، وكوبا، وهذه الأخيرة اقتلعت من ملكيتها خليج غوانتانامو في سنة 1898 بعد حصار بشع. واليوم تزيد التاريخ بشاعة وقبحاً، حين تأسر فيه المئات من المسلمين، في أسوأ ظروف وحشية بربرية عرفها التاريخ. أما في سنة 1992 فقد توجهت أنظار الساسة الأمريكيان باتجاه هندوراس، وتمكنوا بعد العدوان من الاستيلاء على ست مدن من مدنها في 1907. واستمرت هذه الغطرسة وهذا العدوان ليصل مداه في 1914، حين سرقت القوات الأمريكية البنك المركزي لهايتي بحجة استرداد ديون الأمريكيان، وانتهت في 1915 باحتلال كل هايتي حتى عام 1934.

وفي عام 1916 تدخلت أميركا في الدومينكان؛ لصد الثورة التي قامت ضد السلطة الفاسدة، وأجهضت مساعي الثوار، وفرضت عليهم حكومة عسكرية عميلة لها، واستمرت بعد ذلك التدخلات الأمريكية في السلفادور، وإيران، وغواتيمالا، وشيلي، وكامبوديا، فخلعت حكومات، وأقامت أخرى بما يوائم غطرستها. وفي 1950 م خاضت أميركا الحرب الكورية. وهي أحد أكثر الحروب التي تكبدت فيها أميركا خسائر كبيرة مادياً وبشرياً، حيث بلغت تكلفتها نحو 341 مليار

دولار، وتكلفتها البشرية أكثر من 34 ألف جندي أمريكي قتل. وفي 1962 حاصرت أمريكا كوبا بحرياً وجوياً.

ولم تكن لتوانى عن خوض الحرب العالمية الأولى، التي اندلعت عام 1914، والتي بلغت تكلفتها في الخزانة الأمريكية نحو 334 مليار دولار، أو الحرب العالمية الثانية عام 1941 التي كلفت الخزينة الأمريكية ما يزيد عن أربعة تريليونات دولار، وقتل في صفوفها 400 ألف جندي أمريكي. وكلا الحربين كبدت البشر الملايين من القتلى والدمار والفساد في الأرض، وفي اليوم السادس من آب عام 1945 عرفت مدينة هيروشيما اليابانية نهاية مأساوية، حيث ألقى الأمريكيان على رؤوس سكانها قنبلة نووية مخصبة باليورانيوم، أطلق عليها استخفاً اسم «الطفل الصغير»، بلغت قوتها التدميرية 12500 طن من مادة (تي أن تي) شديدة الانفجار. فكانت النتيجة أن قتل أكثر من سبعين ألف إنساناً فوراً، في حين تشير آخر إحصائية رسمية لكارثة هيروشيما أن عدد القتلى تجاوز 242 ألف إنسان. ثم بعد ثلاثة أيام فقط من تدمير هيروشيما، كررت أمريكا نفس العمل في مدينة ناجازاكي اليابانية الأخرى، وهذه المرة بقنبلة نووية أخرى بلغت قوتها التدميرية 22 ألف طن من مادة (تي أن تي) قتلت بدم بارد ما يزيد على 70 ألف إنسان. ناهيك عن الآثار المرضية التي استمرت بسبب الإشعاعات النووية، والإعاقات والتشوهات التي ضربت الأجنة في أرحام أمهاتها. وتلوّث البيئة والهواء وكل ما يتصل بالحياة في تلك الأرض التي داستها الغطسة الأمريكية يوماً، والأكثر فظاعة هو احتفال الأمريكيان بهذا الإنجاز، واعتباره دليل قوة وعلو في الأرض، بل ويررونه بـ "ضرورة لأجل حياة أمريكا". ولصدّ التأثير الشيوعية في الهند الصينية، خاضت أمريكا حرب فيتنام سنة 1955، حيث أقدم الجيش الأمريكي على أبشع الجرائم ضدّ الإنسانية، ورغم حجم الدمار والوحشية والعدوان، خسرت أمريكا الحرب عام 1975 م، وسجّل التاريخ أحد أسود صفحاتها. لقد سفك الأمريكيان دم مليوني فيتنامي، وجرحوا ثلاثة ملايين، وتشرد أكثر من 12 مليون لاجئ. وفي المقابل خسر الأمريكيان 58 ألف قتيل، وأكثر من 15 ألف جريح، ومئات الأسرى الذين تمّ إطلاق سراحهم لاحقاً. وبلغت تكلفتها نحو 738 مليار دولار. لقد كانت حرب فيتنام أحد أهمّ الحروب التي خاضتها أمريكا وأكثرها خسائر، ودليلاً آخر على بربرية الأمريكيان<sup>(1)</sup>.

1 - حمدان، ل. (2023).

وفي الشأن العربي الإسلامي، يقول أحد الساسة الأمريكيين: "قيادة حرب عادلة هي عمل مسيحي يقوم على الإيثار، فالأشرار يجب أن يُعاقبوا، والأخيار يجب أن يُكافؤوا، لقد جاء وقت العنف". كما أنّ التيارات الأصولية المتطرّفة بدأت تنادي-بصورة متزايدة- بوجوب شنّ حرب صليبية ضدّ الإسلام. وأصرّوا على التأكيد أنّ الحرب ضدّ العراق هي جزء من "الحرب ضدّ الشر"<sup>(1)</sup>. ولم تكن الحرب على الإرهاب على حدّ زعمهم حرباً واحدة، فقد كانت الحرب على لبنان بالانزال الأمريكيّ لدعم الحكومة المؤبّدة للكيان، والذي قوبل بمقاومة عنيفة أدت لخروجهم في نهاية المطاف؛ ثمّ الحرب على أفغانستان عام 2001 والتي ذهب ضحيتها مئات آلاف القتلى، فالحرب على العراق في 2003 التي فتكت بملايين الأشخاص بالإضافة إلى التلوث، الذي لازال يفتك بأرواح العراقيين. ثمّ جاءت التّدخلات بالقوّة التّاعمة بعد دعم الثورات العربية في العقد الأخير، فأجّجت الصّراعات بين الشّعوب وحكّامها، لتزهق الأرواح تحقيقاً لمآرب الولايات الأمريكيّة المتّحدة. والآن تكتب أميركا أمام أعيننا فصلاً جديداً من العنف في فلسطين، حيث يُباد شعبه بأكمله، وتغطّي على أشنع المجازر الإنسانية في القرن الواحد والعشرين بحق الشعب الفلسطيني، وهنا تظهر بجلاء العقيدة الصهيونية المسيحية، حيث تزكيّ نبوءة خراب غزّة التوراتية هذه الحرب، وتبرّرها بطريقة تتجاوز أيّ حسّ إنسانيّ. ولا زالت التّدخلات الأمريكيّة لاتفوت فرصة للهيمنة والسّيطة إلى يومنا هذا.

لقد كان الدافع الدينيّ من أهمّ العوامل، التي أسهمت في زهق الأرواح البشرية في أميركا، من لحظة اكتشافها على يد «كريستوفر كولومبس»، وتمثّله لفكرة الأرض الموعودة، حيث مارس هيمنته وإباداته الجماعية للهنود الحمر الأصليين للمنطقة بزعم نبويّ مأخوذ مستند على تأويلات للكتاب المقدّس، وأيضاً بعد هجرة الأوروبيين محمّلين بأفكار الصهيونية المسيحية، وجد الشعب الجديد في أسطورة تلك المقولات مايبرّر جرائمهم الأخلاقية، فكانت تربتهم خصبة لتنتب فيها الأفكار الصهيونية لاحقاً، ولتتمّ تبرير الاحتلال المباشر للأرض الفلسطينية، من قبل اليهود بوصفه عوناً لله على تحقيق وعده، وليكون الدافع الدينيّ المسيحيّ اليهوديّ، المسوّغ الأهمّ لعمليات الإبادة، التي تمّت ولا تزال نشهدها اليوم في غزّة، بوصفها تحقيقاً للنبوءات القديمة. فربّما يعتمل في صدر الملايين الآن، إحساس اقتراب ظهور المسيح عند اليهود، وعودة

1 - السقا، أ. (2002)، ص 43.

المسيح عند المسيحيين، خاصة أنّ هذه العودة مرتبطة بخراب غزّة وحرب «هرمجدون»، حرب آخر الزّمان. هذا الموسوّغ الدّينيّ يعفي الغرب من الشّعور بالعار ومن الإدانة الأخلاقيّة الذاتيّة إزاء الإبادة، التي تُزهق الأرواح بلا حصر ولا عدد.

## خاتمة

رصد هذا البحث عمليّة تسويغ الصّهيونيّة المسيحيّة كمبرر للقتل والإبادة الجماعية، وسلط الضّوء على هذه الظّاهرة الصّهيونيّة المسيحيّة، كمثال فاقع على استغلال الدّين شرّاً استغلال، نشهد اليوم آثاره المباشرة على أرض فلسطين المحتلّة، حيث نتلمّس لحظة تمازج في المجال الديني بين المسيحيّة الصّهيونيّة واليهوديّة الصّهيونيّة، لتبرير أكبر مجزرة وإبادة لشعب في العالم المعاصر. لقد رصد البحث بدايات نشوء الصّهيونيّة المسيحيّة، منذ حركة الإصلاح الدّينيّ في أوروبا ومن ثم انتقالها إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، واقترانها بتيّار المحافظين الجدد، والعديد من المنظّمات، الذين شكّلوا سوية، جبهة شديدة التأثير على سياسات أمريكا، في دعمها لليهود، ومشروع احتلالهم الاستيطانيّ لفلسطين المحتلّة؛ كما تمّ ذكر الأثر الذي نتج عن التّماهي بالروح الصّهيونيّة، حيث رافقت الحروب أمريكا منذ نشأتها إلى الآن، بطريقة وحشيّة أدّت إلى قتل ملايين الأرواح البشريّة.

## المصادر والمراجع:

### العربية:

1. الحسن، ي. (1990) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت.
2. سباتين، إ. (2000) المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، دار زهران للنشر، ط 1، الأردن.
3. السقا، أ. (2002) عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة، دار الكتاب العربي، ط 3، دمشق.
4. السّمك، م. (1993) الصهيونية المسيحية، دار النَّفّاس، ط 2، بيروت.
5. السّمك، م. (1991) الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، دار النَّفّاس، ط 1، بيروت.
6. الطويل، ي. (2014) البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948-2009)، مكتبة حسن العصرية، ط 1، بيروت.
7. كوربت، ج. (2002) ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ج 2، ت: عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق الدولية، ط 2، القاهرة.
8. لامبرت، ف. (2014) الدين في السياسة الأمريكية، ت: عبد اللطيف موسى أبو البصل، نمو للنشر، ط 1، الرياض.
9. لوثر، م. (2007) اليهود وأكاذيبهم، ت: محمود النحجيري، مكتبة النَّافذة، ط 1، مصر.
10. وميض، إ. (2017) قراءة جديدة للتاريخ، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، عمان.

### الإنكليزية:

- 1 - Geyer, A. (1997) Ideology in America: Challenges to Faith, West Miuister John Knox Press.
- 2 - Lewis. D (2021). A Short History of Christian Zionism, Inter Varsity Press.

- 3 - Luther, M. (1523) That Jesus Christ was Born a Jew.
- 4 - Luther, M. (1971) On the Jews and Their Lies, Martin H. Bertram, translator, Luther's Works, Philadelphia: Fortress Press.
- 5 - Samuel, G. (2018) God's Country: Christian Zionism in America, University of Pennsylvania Press Philadelphia.
- 6 - Spector, S. (2009) Evangelicals and Israel, The Story of American Christian Zionism, Oxford University.

#### الانترنت:

- حمدان، ل. (2023) الحروب التي خاضتها أميركا.

<https://tipyan.com/wars-fought-by-america/>



## الحرب الأهلية الأميركية (١٨٦١-١٨٦٥) الصّراع الدّموي بين الشّمال والجنوب

علي مهدي رعد<sup>(١)</sup>

### ملخص

تُعدّ الحرب الأهلية الأميركية (1861-1865) بين الشّمال والجنوب، حدثاً محورياً في تشكيل الوعي التاريخي للولايات المتّحدة، لقد استمرّت الحرب أربع سنوات، وأسفرت في نهاية المطاف عن انتصار الاتحاد الفيدراليّ في الشّمال وخسارة الولايات الكونفدرالية في الجنوب. بيد أنّ الخسائر البشريّة التي تكبّدها الطّرفان كانت فادحة إلى حدّ تجاوزت خسائر حروب الولايات المتّحدة مجتمعة، حيث قُدّر عدد القتلى من الطرفين بسبعمئة وخمسين ألفاً، فضلاً عن الخسائر الاقتصادية التي لحقت بالطّرفين المتحاربين، وبخاصّة في الولايات الجنوبيّة. لا تزال قضية الحرب الأهلية الأميركية حاضرة بقوة في العقل الأميركيّ، والشّيء اللافت أنّ المجتمع الأميركيّ الحالي، أصبح أكثر تقبلاً وتوقعاً للحرب، أكثر من أيّ وقت مضى؛ إذ تشير استطلاعات الرّأي إلى أنّ معظم الأميركيين يعتقدون أنّ الانقسامات الحادّة ازدادت سوءاً منذ بداية عام 2021. ويعتقد اثنان من بين كلّ خمسة أميركيين أنّ الحرب الأهلية محتملة في العقد المقبل.

**الكلمات المفتاحية:** الولايات المتّحدة الأميركية- الحرب الأهلية الأميركية- ابراهام لينكولن- العبوديّة في الولايات الجنوبيّة- الكونفدرالية في الجنوب- الفيدرالية في الشّمال- جيش الاتحاد- الجيش الكونفدراليّ.

1 - طالب دكتوراه في العلاقات الدّولية، لبنان.

## مقدمة

لم تكن الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأميركية بين الشمال والجنوب حدثاً عابراً في تاريخها، بل شكّلت منعطفاً تاريخياً غير مسبوق، أرخى بظلاله على حاضرها ومستقبلها، على المستويات السياسية، والاجتماعية، والقضائية، والاقتصادية.

شهد الشمال والجنوب انقسامات عمودية وأفقية حادة بين عامي 1788-1860، فقد تطوّر الشمال إلى مجتمع رأسمالي حديث، وتزايد عدد السكان بسرعة، وكان عدد المهاجرين في تلك الفترة إلى الشمال أكثر من الجنوب. وكان الاقتصاد متنوعاً، فحوالي أربعين بالمئة منه زراعي، إلى جانب وجود قطاعات صناعية وتجارية قوية. كما أدّى الدين دوراً في حثّ السكان على التنمية الاقتصادية، حيث كانت البروتستانتية «اليانكية»<sup>(1)</sup> هي المهيمنة، وبالتالي كانت القيادة السياسية والاقتصادية تأتي إلى حدّ كبير من هذه الشريحة. في حين كانت هناك أقلية كاثوليكية متموضعة خارج التيار السائد. بالإضافة إلى ذلك، ازدهرت أيضاً الحركات الإصلاحية في الشمال في خلال هذه الفترة، وكانت سمة الاعتدال النسبي في تفسير النص الديني أهم ما ميّز هذه الحركات الإصلاحية، وحظي التعليم العام بدعم واسع النطاق. أمّا حركة إلغاء العبودية، فكانت أهم الحركات الإصلاحية، التي تعود جذورها إلى فكرة «العمل الحرّ». أضف إلى ذلك، كان الكثير من الناس في الشمال يحملون تصورات سلبية عن سكان الجنوب، إذ كانوا يعتقدون أنّ الجنوب يعيق الأمة إلى الوراء<sup>(2)</sup>.

وفي المقابل، واجه الجنوب عدّة تناقضات، فقد كان النمو السكاني يسير بمعدلات منخفضة. ولم يكن الجنوب "حضرياً" مثل الشمال، وكانت البنية التحتية للولايات الجنوبية أضعف وأقل

1 - كلمة يانكي تشير إلى السكان من الولايات الشمالية الشرقية، ولكن بشكل خاص إلى أولئك الذين لديهم روابط ثقافية في نيو إنجلاند.

2 - Gallagher, "The American Civil War", p.4.

عددًا من مثيلاتها الشمالية. وبسبب قلة عدد السكان، كان الجنوب متخلفًا مقارنةً بالشمال، من الناحية التمثيلية في مجلس النواب. كان حوالي ثمانين في المئة من الاقتصاد في الجنوب مرتكزًا على الزراعة، وكان للعبودية تأثير كبير على التنمية الاقتصادية. كما كان زعماء الجنوب من الأثرياء، نظرًا لامتلاكهم الأراضي الشاسعة والعييد. فهناك خمس وعشرون في المئة فقط من السكان يملكون العبيد، واثنا عشر في المئة فقط يملكون اثني عشر عبدًا أو أكثر. ومع ذلك، كان لجميع البيض الجنوبيين مصلحة في العبودية، لأنها كانت تمنحهم مكانة، بغض النظر عن وضعهم الاقتصادي. وكانت الهيمنة الزراعية قائمة على المحاصيل النقدية، التي أهمها القطن أو ما يعرف بـ "ملك القطن"<sup>(1)</sup> هو الأهم.

اختلف التدين في الجنوب عن مثيله في الشمال في نواح مهمة، فقد أخذ طابعًا شخصيًا أكثر، بالإضافة إلى عدم الاكتراث بالإصلاح المجتمعي، إذ كان أكثر اهتمامًا بالخلاص الفردي. كما أن التعليم والحركات الإصلاحية لم تزدهر في الجنوب، وكان الكثير من الناس يحملون تصورات سلبية عن الشمال، فقد كانوا ينظرون إلى الشماليين على أنهم أناس غير ودودين، ولا يهتمون إلا للأشياء المادية.

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على حقبة الحرب الأهلية بين عامي 1861 - 1865. كيف تطورت الأحداث قبل اندلاع الحرب؟ وما هي أبرز الحملات العسكرية التي شكّلت تحولًا استراتيجيًا في مسار المعارك بين الشمال والجنوب؟ وما هي النتائج التي ترتبت عليها؟

## أولاً: مقدمات الحرب.

### أ- العبودية

تعود العبودية في الولايات المتحدة الأميركية إلى عام 1619، عندما أبحرت سفينة الرقيق البرتغالية، "ساو جواو باوتيستا"، عبر المحيط الأطلسي وعلى متنها أفارقة أسرى من أنغولا، حيث كانت تحمل الرجال والنساء والأطفال، الذين كانوا من مملكتي "ندونغو" و"كونغو"،

1 - ملك القطن، (Cotton King) عبارة كانت تستخدم بشكل متكرر من قبل السياسيين والمؤلفين الجنوبيين قبل الحرب الأهلية الأميركية، وذلك للإشارة إلى الأهمية الاقتصادية والسياسية لإنتاج القطن.

متجهين إلى حياة الاستعباد في المكسيك. وكان نصف الأسرى تقريبًا، قد ماتوا بحلول الوقت الذي استولت فيه سفينتان إنجليزيّتان على السفينة، وبعدها نُقل الأفرقة الباقون إلى "بونت كمفورت"، وهو ميناء يقع بالقرب من جيمس تاون-عاصمة مستعمرة فيرجينيا الإنجليزية التي أسستها شركة فيرجينيا في لندن قبل اثني عشر عامًا<sup>(1)</sup>.

كان الهدف من استقدام العبيد ذوي البشرة السوداء، هو بناء اقتصاد المستعمرات، التي كانت تعتمد على زراعة التبغ خلال القرنين السابع والثامن عشر. في أواخر القرن الثامن عشر، ومع استنزاف الأراضي المستخدمة لزراعة التبغ، واجهت الولايات الجنوبية أزمة اقتصادية، أدت إلى طرح تساؤلات حول مستقبل العبودية واستمراريتها.

وفي نفس الوقت تقريبًا، أدى تطوّر صناعة النسيج في إنجلترا إلى طلب كبير على القطن الأمريكي، والذي كان يُزرع في الولايات الجنوبية، إلا أنّ محاصيل القطن لم تكن كافية، بسبب صعوبة إزالة البذور من ألياف القطن الخام يدويًا. لكن مع اختراع محالج القطن في عام 1793، سلّط الضوء من جديد على أهمية الرق في بناء اقتصاد الولايات الجنوبية. خلال فترة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، من عام 1526 إلى عام 1867 تقريبًا، تمّ وضع حوالي اثني عشر مليونًا ونصف المليون من الرجال والنساء والأطفال الأسرى، على متن السفن في أفريقيا، ووصل عشرة ملايين وسبعمئة ألف منهم إلى الأمريكيتين<sup>(2)</sup>.

أثارت قضية التوسع الإقليمي الخلافات بين الشمال والجنوب، فقد ساعد التوسع في تحديد التمثيل السياسي لكل من الولايات الشمالية والجنوبية. ونتيجة لذلك، رأى الجنوب أنّ الشمال يكسب مقاعد في مجلس النواب بسبب زيادة عدد سكانه؛ لذا أراد حماية نظامه الاجتماعي، من خلال الحفاظ على التكافؤ في مجلس الشيوخ، والسماح بتوسيع نطاق العبودية في الأقاليم، إلاّ أنه اصطدم بحزب «التربة الحرة»<sup>(3)</sup> الشمالية التي عارضت هذا التوسع.

في عام 1831، حدث تمرد غير مسبوق في تاريخ الولايات المتحدة في ولاية فيرجينيا،

1 - Elliott, M and Hughes, J. (2019), p.4.

2 - Mintz, S. (2023), p.2.

3 - حزب «التربة الحرة»: هو حزب سياسي ائتلافي قصير العمر في الولايات المتحدة، نشط من عام 1848 إلى عام 1854، عندما اندمج في الحزب الجمهوري. ركز الحزب إلى حد كبير على القضية الوحيدة المتمثلة في معارضة توسع العبودية في الأراضي الغربية للولايات المتحدة.

إذ أقدم الواعظ الأسود «نات تيرنر» وأتباعه، الذي بلغ عددهم خمسة وسبعين رجلاً أسود، على قتل حوالي خمسة وخمسين شخصاً من البيض في يومين. وعلى إثر هذه الحادثة، رأى مؤيّدو العبودية أنّ تمرد «تيرنر»، هو دليل على أنّ لدى السّود طبيعة همجيّة وبربريّة، لذا يحتاجون إلى مؤسّسة مثل العبوديّة لتأديبهم. وأدّت المخاوف من حدوث تمردات مماثلة، إلى قيام عدد من الولايات الجنوبية بتعزيز قوانين الرّق لديها، من أجل الحدّ من تعليم العبيد<sup>(1)</sup>.

### ب- ظهور حركة إلغاء العبوديّة

في الولايات الشماليّة، سبّب القمع المتزايد للسّود في الجنوب تنامي حركة إلغاء العبوديّة. فقد كانت حركة إلغاء الرّق جهداً منظّماً لإنهاء ممارسة الرّق في كلّ الولايات، وبخاصّة الجنوبيّة. وقد استلهم القادة الأوائل للحركة، التي استمرت من حوالي 1830 إلى 1870، بعضاً من نفس التكتيكات التي استخدمها دعاة إلغاء الرّق البريطانيّون، لإنهاء الرّق في بريطانيا العظمى في ثلاثينيّات القرن التاسع عشر. وعلى الرّغم من أنّها بدأت بوصفها حركة ذات أسس دينيّة، إلاّ أنّ حركة إلغاء الرّق أصبحت قضيةً سياسيّة مثيرة للجدل، قسمت معظم الولايات. وقد أدّى هذا الانقسام والعداء الذي أجّجه الحركة، إلى جانب عوامل أخرى، إلى الحرب الأهليّة ونهاية العبوديّة في الولايات المتّحدة. وتجدر الإشارة إلى أنّ حركة إلغاء الرّق في الولايات المتّحدة، اكتسبت زخماً قوياً ما بين عامي 1830 و 1860 مع أشخاص سود أحرار، مثل «فريدريك دوغلاس» وأنصار بيض مثل «ويليام لويد غاريسون»، مؤسّس صحيفة «المحرّر» التي تدعو إلى إلغاء العبوديّة في كلّ الولايات<sup>(2)</sup>.

أدّى انضمام تكساس إلى الاتحاد في عام 1845، ثم الحرب المكسيكية في عام 1846 إلى عام 1847، إلى دخول أراضٍ غربية جديدة شاسعة إلى الاتحاد، ما أجّج الانقسامات والتوترات بين الجنابين؛ إذ أصبحت الأراضي المكتسبة من المكسيك - مثل كاليفورنيا ويوتا ونيو مكسيكو

1 - HISTORY.COM EDITORS, "Slavery in America".

2 - Ibid, "Slavery in America".

وأريزونا وأجزاء من كولورادو ونيفادا - محور جدل ساخن، غير أنّ تسوية عام 1850<sup>(1)</sup> ساعدت على تفادي حدوث أزمة، لكنّها لم ترضِ لا الشمال ولا الجنوب. فقد سمحت لكاليفورنيا بدخول الاتحاد كولاية حرة، ممّا أدّى إلى كسر التّكافؤ في مجلس الشيوخ، ومع ذلك، فقد احتوت على قوانين صارمة بشأن العبيد الهاريين.

### ج- رواية «كوخ العم نوم» (Uncle Tom's Cabin)

في عام 1852، نشرت «هارييت بيتشر ستو» رواية «كوخ العم نوم» (Uncle Tom's Cabin) التي تتحدّث عن معاناة العبيد، وسرعان ما اشترى مئات الآلاف من النّاس، في الولايات المتّحدة وخارجها، الكتاب المثير للجدل، الذي عمّق الانقسامات الوطنية. وأصبح عدد من الشماليين متعاطفين ومهتمين بالوضع المروّع للّسود الذين يرزحون تحت نير العبودية. وبعد عامين من نشر الرواية، أدّى قانون «كانساس نبراسكا»<sup>(2)</sup> لعام 1854 إلى تعميق الانقسامات الوطنيّة أكثر. وقد استهوت عقيدة «السيادة الشعبيّة» بعضهم كحلّ لمشكلة توسّع العبوديّة. بعبارة أخرى، سُمح لسكان الأقاليم بتقرير مسألة العبوديّة. ونتيجة لذلك، انتفضت الولايات الشماليّة، معربة عن مخاوفها بشأن هذا القانون كونه ينتهك تسوية «ميسوري»<sup>(3)</sup>، لأنّه من المحتمل أن يفتح بعض المناطق التي نصّت عليها تسوية «ميسوري»، كمناطق مغلقة أمام العبوديّة إلى الأبد. وبسبب هذا القانون، انفجر الوضع وبدأت المعارك بين المؤيدين للعبودية والمناهضين لها في كانساس، وعلى طول الحدود بين كانساس وميسوري، وكانت بمثابة حرب أهلية صغيرة، هدفها سيطرة أحد الطرفين على المنطقة.

1 - National Archives, "Compromise of 1850".

2 - ألغى قانون كانساس-نبراسكا تسوية ميسوري (1820)، إذ سُمح بالسيادة الشعبيّة. كما سبّب أيضًا انتفاضة عنيفة عُرفت باسم "نزيف كانساس"، حيث تدفّق النّشطاء المؤيّدون للعبودية، والمناهضون للعبودية إلى الأقاليم للتأثير على التّصويت. تبع ذلك اضطرابات سياسيّة دمّرت ما تبقى من تحالف "الويغ" القديم، وأدّى ذلك إلى إنشاء الحزب الجمهوري الجديد. كان ستيفن دوغلاس قد روج لمشروع قانونه، على أنّه تسوية سلميّة للقضايا الوطنيّة، ولكن ما نتج عنه كان مقدمة لحرب أهليّة.

3 - اعترف هذا التّشريع بولاية (ميسوري - Missouri) كولاية للعبيد، وفي المقابل، تمّ الاعتراف بولاية (مين - Maine) كولاية حرة، وذلك حتّى لا يختلّ التّوازن بين ولايات العبيد والولايات الحرة. وبموجب هذه التّسوية، تمّ اعتبار حدود ولاية ميسوري الجنوبيّة، كخط فاصل بين ولايات العبيد في الجنوب والولايات الحرة في الشمال.

#### د- المحكمة العليا و«دريد سكوت».

في عام 1857، أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قراراً يتعلّق بـ (دريد سكوت) -رجل أسود مُستعبد، خاض معركة طويلة لنيل حرّيته- مفاده بأنّ العيش في ولاية إقليم حرّ، لا يخوّله الحصول على حرّيته، لأنّه لم يكن مواطناً بل كان مستعبداً وملكاً لشخص آخر. بالإضافة إلى ذلك اعتبرت المحكمة أنّ تسوية ميسوري، التي رسمت توازناً بين الأراضي الجنوبيّة، التي تجيز الرّق والولايات الحرّة في الشّمال غير دستورية. أثار هذا القرار غضب دعاة إلغاء الرّق، وأعطى زخماً للحركة المناهضة للعبوديّة، وكان بمثابة نقطة انطلاق للحرب الأهليّة<sup>(4)</sup>.

تطلّع الكثير من النّاس إلى المحكمة العليا، بوصفها الأمل الأخير لمؤسسة تكون حقاً فوق الخلافات بين الولايات والأحزاب والطوائف. لكنّ قضية (دريد سكوت) أظهرت أنّ الأمر لم يكن كذلك. فقد بدا أنّ المحكمة العليا تميل لصالح الجنوب المملوك للعبيد. وحتى كبار السّاسة الشّماليين، مثل «فرانكلين بيرس» و«جيمس بوكانان»، بدوا محابين للجنوب في سياساتهم وأفعالهم. لذلك كان أغلبيّة الشّمال يشعرون بالقلق، من أنّهم كانوا بلا أمل تقريباً، في مواجهة نفوذ مالكي العبيد الأقوياء.

في عام 1859، كانت التّرسانة العسكريّة الأميركيّة في «هاربرز فيري»، هدفاً لهجوم شتته عصابة مسلّحة، من دعاة إلغاء العبوديّة بقيادة (جون براون). كانت «هاربرز فيري» في الأصل جزءاً من ولاية فيرجينيا، وتقع في المنطقة الشّرقية من ولاية فرجينيا الغربيّة، بالقرب من التقاء نهري (شيناندواه) و(بوتوماك). كان القصد من الهجوم، هو تأسيس معقل مستقلّ للعبيد المحرّرين في جبال ميريلاند وفيرجينيا. لقد أجبر «براون» مواطني الولايات المتّحدة على إعادة النّظر، في عدم أخلاقيّة مؤسسة الرّق والظلم التي فرضته الحكومة. كان هذا الهجوم على «هاربرز فيري»، وما نتج عنه من إعدام «براون»، نقطة تحوّل رئيسيّة في الحركة الأميركيّة لإلغاء الرّق، إذ دفع عدد من دعاة إلغاء الرّق المسالمين، إلى قبول المزيد من الإجراءات النّضاليّة، للدّفع باتجاه إنهاء العبوديّة<sup>(5)</sup>. كشفت الحادثة عن التصدّع الوطني العميق المتزايد حول العبوديّة، فقد تمّ الترحيب بـ «براون»، كبطل وشهيد من قبل دعاة إلغاء الرّق في الشّمال، في حين تمّ تشويه صورته كقاتل جماعيّ في الجنوب.

4 - HISTORY.COM EDITORS, "Dred Scott Case"

5 - De Togni, E. (2008).

وبحلول عام 1859، كان الكثير من الشماليين والجنوبيين، قد طوّروا وجهات نظر متناقضة قويّة كلٌّ تجاه الآخر، لدرجة أنّ أيّ نوع من التسوية، كان سيكون شبه مستحيل، في حالة نشوب أزمة كبيرة أخرى، وهو ما حدث بالفعل، عندما أسفرت انتخابات عام 1860، عن وصول الحزب الجمهوري إلى السّلطة، وهو الذي دعا إلى إغلاق المناطق أمام العبوديّة. لقد تمّ بناء مؤسّسة العبوديّة، على العنصريّة العميقة والمتأصّلة تجاه الأميركيين من أصل أفريقيّ وعلى الافتراض المصاحب لتفوّق العرق الأبيض. وبالفعل، تأسّست الكونفدراليّة ودستورها على هذه الرّكائز الأساسيّة، كما قال (ألكسندر ستيفنز) - نائب رئيس الكونفدراليّة في عام 1861-: "لقد تأسّست حكومتنا الجديدة... على الحقيقة العظيمة المتمثّلة في أنّ الزنجي لا يساوي الرّجل الأبيض؛ وأنّ العبوديّة هي حالته الطّبيعيّة والعاديّة"<sup>(1)</sup>.

## ثانياً: أسباب الحرب الأهليّة.

### أ- انفصال الجنوب

تصاعدت التوترات في حقبة الرّئيس الأميركيّ «جيمس بيوكانان» (1857-1861)<sup>(2)</sup>، حول قضية توسيع نطاق العبوديّة في المناطق الغربيّة بشكل مثير للقلق، حيث بدت الأمة الأميركيّة تسير شيئاً فشيئاً نحو الانفصال. وإلى جانب العبوديّة، أدّت المشاكل الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة، والدستورية المتغيّرة في البلاد التي كانت تنمو بسرعة إلى تعميق الانقسامات الوطنيّة. ومع انتخاب «أبراهام لينكولن»، المعروف بمعارضته للعبودية، رئيساً للبلاد، أدرك المجلس التشريعيّ لولاية كارولينا الجنوبيّة وجود تهديد، إذ دعا المندوبون إلى عقد مؤتمر للولاية، وصوّتوا لإزالة ولاية كارولينا الجنوبيّة من الاتّحاد المعروف باسم الولايات المتّحدة الأميركيّة. وأعقب انفصال ساوث كارولينا الجنوبيّة انفصال ستّ ولايات أخرى (ميسيبي وفلوريدا وألاباما وجورجيا ولويزيانا وتكساس)، والتهديد بالانفصال من قبل أربع ولايات أخرى (فيرجينيا وأركنساس وتينيسي وكارولينا الشماليّة)، وشكّلت هذه الولايات الإحدى عشرة في

1 - National Park Service, "America`s Civil War".

2 - جيمس بيوكانان، الرّئيس الخامس عشر للولايات المتّحدة الأميركيّة (1861-1857)، وهو الرّئيس الوحيد الذي انتُخب من ولاية بنسلفانيا.



التهاية الولايات الكونفدرالية الأميركية.

وفي المؤتمر، الذي عُقد في مونتغمري بولاية ألاباما، أنشأت الولايات السبع المنفصلة الدستور الكونفدرالي، وسمي بعد ذلك "جيفرسون ديفيس"، رئيساً مؤقتاً للكونفدرالية إلى حين إجراء انتخابات<sup>(1)</sup>.

وكان لافتاً أنّ الدستور الكونفدرالي، يتماهى إلى حدّ ما مع الدستور الفيدرالي لناحية اللغة والأفكار، إلاّ أنّه كان هناك اختلافات رئيسية فيما يتعلق بالعبودية والسلطة، فقد ركّز الدستور الكونفدرالي على الحكم الذاتي لكل ولاية. ومن المفارقات، أنّه تمّ حظر الانفصال في الدستور الكونفدرالي<sup>(2)</sup>.

اتّخذ الجنوبيون مواقف مختلفة، حول ما إذا كانت مخرجات مؤتمر مونتغمري تمثل ردّاً ثورياً أو قانونياً على انتخاب «لينكولن». في البداية، تمت مقارنة الانفصال بالثورة الأميركية في عام 1776، كتمارس لتخلص من نير السلطة الفيدرالية. على الرّغم من أنّ الأمل كان معقوداً على الانفصال السلمي، إلاّ أنّ الولايات الكونفدرالية الأميركية، قامت بالعديد من الأعمال العسكرية خلال هذه الفترة. فقد استولوا على الحصون والترسانات الفيدرالية، وقاموا بتفعيل الميليشيا، وأجازوا تشكيل جيش قوامه مئة ألف رجل.

والجدير بالذكر، أنّه لا يمكن عزل قضية الانفصال عن مؤسّسة العبودية التي كانت موجودة آنذاك، فقد تبنّى الجنوب الانفصال كوسيلة لدرء جهود الشمال، التي كانت تحاول ضرب مؤسّسة العبودية. كان الجنوبيون البيض يخشون من تدمير نسيجهم الاجتماعي والاقتصادي من قبل الشمال المهيمن، وقد عزّز انتصار الحزب الجمهوري في عام 1860 هذه الهواجس<sup>(3)</sup>.

### ب- الهجوم على حصن سمتر (Fort Sumter)

عندما بدأت الحرب في عام 1861، لم يكن إلغاء الرّق، على الرّغم من أنّه كان حلم «ويليام لويد غاريسون»، أحد أبرز دعاة إلغاء الرّق في البلاد، وأقلية صغيرة من الشماليين، هدفاً لحكومة

1 - Library of Congress, "Time Line of the Civil War".

2 - Gallagher, G. (2000), p.14.

3 - Ibid, p.15.

الولايات المتحدة. ففي حفل تنصيب «لينكولن» في 4 مارس 1861، قال الرئيس الجديد، إنه لا يعترم إنهاء العبودية في تلك الولايات، التي كانت موجودة فيها بالفعل، لكنه لن يقبل بالانفصال، ويجب أن تُحل المسألة بطريقة سلمية من دون حرب<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من نفوره الأخلاقي من العبودية، إلا أن «لينكولن» كان يخشى - مع ذلك - من العواقب العرقية للتحرير الجماعي، ولم يكن متأكدًا من دستورية إلغاء الرق. كما كان الشيء اللافت في سنوات الحرب، كيف أصبح إلغاء الرق من أهداف الحرب بشكل مطرد وسريع نسبيًا بحلول يناير 1863.

حتى قبل إعلان قيام الولايات الكونفدرالية الأمريكية الجديدة، كانت كل ولاية من الولايات التي انفصلت، قد بدأت في الاستيلاء على الحصون، والترسانات، ومكاتب البريد، وغيرها من الممتلكات الحكومية الأمريكية. كانوا يعتقدون أن الممتلكات ملكٌ لهم، لأن الولايات المتحدة لم يعد لها أي حقوق داخل الولايات الكونفدرالية. وبحلول الوقت الذي تولى فيه «لينكولن» منصب الرئيس، بقي حصنان فقط في الولايات الكونفدرالية السبعة، تحت سيطرة الولايات المتحدة. كان أحد الحصنين الجنوبيين اللذين كانت الحكومة الأمريكية لا تزال تسيطر عليهما، يقع على جزيرة في ميناء «تشارلستون» بولاية «كارولينا الجنوبية»، وكان هذا الحصن هو حصن سمتر. وفي وقت سابق، طالبت «كارولينا الجنوبية» بتسليم الحصن مع جميع الحصون الأخرى، إلا أن الرائد (روبرت أندرسون) - المسؤول عن الحصن - رفض الاستسلام، رغم أنه كان يعاني من نقص في الامدادات. وعلى إثر ذلك، أبلغ الرائد الرئيس الأميركي، أنه ما لم يصل الطعام قريبًا، فسيُضطر إلى الاستسلام<sup>(2)</sup>.

كانت الطريقة الوحيدة لإيصال الإمدادات إلى حصن «سمتر»، هي عن طريق السفن، وسيتمين عليها المرور أمام مدافع الولايات الكونفدرالية، الموجودة على جزر أخرى في الميناء. أراد الرئيس «لينكولن» إرسال الإمدادات اللازمة، لكنه لم يكن يرغب في بدء الحرب، لذا أبلغ كارولينا الجنوبية، أن السفن التي كان يرسلها إلى حصن «سمتر» تحمل فقط الطعام والمؤن - لا جنود، ولا بنادق، ولا ذخيرة. وبالتأكيد، كان يعتقد أنه لن يكون هناك سبب لإطلاق النار على السفن، إلا أن الرئيس

1 - Library of Congress, "Time Line of the Civil War".

2 - Core Knowledge Foundation (2017), p.72.

الكونفدراليّ «جيفرسون ديفيس»، تصرف بخلاف ما كان يتوقّعه «لينكولن». فقبل أن تصل سفن الإمدادات، أصدر «ديفيس» تعليماته للقائد المحليّ طالباً منه الاستسلام وتسليم الحصن. وعندما رفض الرائد «أندرسون»، قصفت المدافع الكونفدراليّة الحصن، وبعد ثلاثين ساعة من القصف، استسلم الرائد. وبعد فترة وجيزة، دعا «لينكولن» الأميركيين للانضمام إلى الجيش لإخماد التمرد. وبالطبع، كان ذلك هو نفس الإجراء، الذي حذرت منه الولايات الجنوبيّة الأربع الأخرى، أي استخدام القوة ضدّ الولايات المنفصلة. ونتيجةً لذلك، انسحبت تلك الولايات أيضاً (أركنساس، وفيرجينيا، وكارولينا الشماليّة، وتينيسي) من الاتحاد، وانضمت إلى الكونفدراليّة. وعلى إثر ذلك، اندلعت الشرارة الحقيقية للحرب الأهليّة بين الولايات المتّحدة والولايات الكونفدراليّة<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: مجريات العمليّات العسكريّة بين جيش الاتحاد والقوات الكونفدراليّة.

في 21 يوليو 1861، اشتبكت جيوش الاتحاد والكونفدراليّة بالقرب من تقاطع "مانا ساس-فيرجينيا". بدأ الاشتباك عندما سار حوالي خمسة وثلاثين ألف جنديّ من قوّة الاتحاد، من العاصمة الفيدراليّة في واشنطن العاصمة، لضرب قوّة كونفدراليّة قوامها عشرون ألف جنديّ، على طول نهر صغير يُعرف باسم (بول ران Bull Run). وبعد قتال طويل، احتشد المتمردون وتمكّنوا من كسر الجناح الأيمن للاتحاد، ممّا أدى إلى تراجع القوات الفيدراليّة نحو واشنطن بشكل فوضويّ. أعطى انتصار القوّة الكونفدراليّة للجنوب جرعة من الثقة، في حين صدم الكثيرين في الشمال، وسرعان ما أدركوا أنّ النصر في الحرب، لن يكون سهلاً كما كانوا يأملون<sup>(2)</sup>. على الرّغم من انتصار الجيش الكونفدراليّ في أوّل معركة، إلّا أنّه لم يكن يتمتّع بمقوّمات الصمود، التي كانت موجودة لدى جيش الاتحاد. فقد كان عدد سكان الشمال، ضعف عدد سكان الجنوب تقريباً، ولكن نظراً لأنّ الجنوب لم يكن ينوي منح العبيد أسلحة، فقد كان عدد المقاتلين الذين يمكنهم القتال، أربعة أضعاف أعداد المقاتلين في الجنوب. وقد كان بإمكان الشمال بمطاحنه ومصانعه، إنتاج عشرين ضعفاً من الحديد، وخمسة وعشرين ضعفاً من معدات السكك الحديدية، وثلاثين ضعفاً من البنادق مقارنة بالجنوب. وبوجود مصانع أخرى تنتج

1 - Ibid., p.p.72-73.

2 - HISTORY.COM EDITORS, First Battle of Bull Run.

جميع الملابس، والبطانيات، والخيام، والإمدادات الطبية، التي تحتاجها جيوش الاتحاد، لم يكن الشمال مضطراً، للاعتماد على الدول الأوروبية في الحصول على هذه السلع، كما فعل الجنوب. ومع وجود عدد أكبر من الأميال من خطوط السكك الحديدية، استطاع الشمال نقل قواته وإمداداته بسهولة أكبر من الجنوب<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك، كان لدى الجنوب مزايا أيضاً، فالتفوق العددي الذي كان في الشمال، والبنية التحتية الصلبة لا يعدان عاملين حاسمين للانتصار على الجنوب. ففي خلال الثورة الأميركية، كان عدد سكان بريطانيا العظمى يفوق بكثير عدد السكان الأميركيين، وكان لديها جيش كبير ومنظم يتمتع بكفاءة عالية، إلا أنها في نهاية المطاف خسرت الحرب.

في بداية الحرب الأهلية، كان لدى كلا الجانبين الكثير من المقاتلين والإمدادات، لكن النقطة الأساسية كانت تكمن، في قدرة أحد الطرفين على استغلال نقاط القوة التي كانت لديه، والتي يمكن أن تشكل منعطفاً على نتيجة الحرب. فالمصانع التي يتميز بها الشمال، فضلاً عن عدد السكان، كانتا ميزتين كبيرتين إذا استمرت الحرب لسنوات، ولكن إذا تمكن الجيش الكونفدرالي، من الفوز في عدد كافٍ من المعارك المبكرة، فقد يفقد الشماليون حماسهم، وينسحبون من الحرب قبل أن تصبح مزاياهم ذات أهمية حقيقية.

كان للكونفدرالية مزاياها الخاصة أيضاً، وكانت أكبرها أنها كانت تخوض حرباً دفاعية، فلم يكن على الجنوب أن يحتل شبراً واحداً من الأراضي الشمالية لينتصر؛ فكل ما كان عليه فعله، هو الدفاع بنجاح عن أرضه ضدّ الجيوش الشمالية، فمعرفتهم بأنهم كانوا يقاقلون للدفاع عن أرضهم ومنازلهم، أعطت الجنود الجنوبيين سبباً إضافياً للقتال بقوة<sup>(2)</sup>.

شهدت الحرب الأهلية الأميركية، التي دارت رحاها بين عامي 1861 و 1865، عدداً من الاشتباكات الكبرى والصغرى والأعمال العسكرية. فعلى مدى أربع سنوات، اشتبكت قوات الاتحاد والقوات الكونفدرالية، في أكثر من عشرة آلاف مواجهة مسلحة في جميع أنحاء البلاد، حيث تراوحت الاشتباكات في مناطق عدة، من فيرمونت إلى أريزونا.

كان الشمال والجنوب يتوقعان بأن الحرب ستنتهي بسرعة، وسيحسم أحد الطرفين النتيجة

1 - Core Knowledge Foundation (2017), pp.78-79.

2 - Ibid. p.79.

لصالحه، بيد أنهما كانا مخطئين في توقعاتهما. فبعد معركة "بول ران" الأولى، تابعت المعارك واحدة تلو الأخرى، وأصبحت الأمور معقدة أكثر فأكثر، إذ بدأت تُنذر بحرب طويلة الأمد، وشكّلت بعض المعارك المحورية منعطفات أساسية في مسار الحرب، ومن أهم هذه المعارك: "معركة فورت دونلسون"، و"شيلوه" و"أنتيتام" و"شانسيلورزفيل"، وحملة "يكسبيرغ" ومعركة "جيتيسبيرغ" و"تلانتا" و"ريتشموند".

#### أ- معركة فورت دونلسون (Fort Donelson)

في وقت مبكر من الحرب، أدرك قادة الاتحاد أنّ السيطرة على الأنهار الرئيسية، ستكون مفتاح النجاح في المسرح الغربي. فبعد الاستيلاء على حصن "هنري" الواقع على نهر "تينيسي" في 6 فبراير 1862، تقدّم الجنرال (يوليسيس غرانت)<sup>(1)</sup> مسافة 12 ميلاً للسيطرة على حصن "دونلسون" على نهر "كمبرلاند". كانت العمليات ضدّ الحصن جزءاً، من حملة برمائية شُنّت في أوائل عام 1862 لطرده الكونفدراليين من وسط وغرب "تينيسي"، ممّا فتح الطريق إلى قلب الجنوب.

وعلى وقع انتصار الاتحاد أجبر الجيش الكونفدرالي على الانحساب من جنوب "كتتاي"، وجزء كبير من "تينيسي" الوسطى والغربية، وعليه أصبح نهراً "تينيسي" و"كمبرلاند"، بالإضافة إلى خطوط السكك الحديدية في المنطقة، خطوط إمداد فيدرالية، وغدت "ناشفيل" مستودع إمداد ضخماً، لجيش الاتحاد في الغرب.

كان الاستيلاء على حصني "هنري" و"دونلسون" في "تينيسي" انتصارين كبيرين (ليوليسيس غرانت). وقد حصل (غرانت) على ترقية إلى رتبة لواء بسبب أدائه النوعي، وحاز أيضاً على مكانة مرموقة في المسرح الغربي، كما اكتسب لقب «وسام الاستسلام غير المشروط»، نظراً لأنه أجبر الجيش الكونفدرالي على الاستسلام دون قيد أو شرط<sup>(2)</sup>.

1 - في عام 1865، قاد (يوليسيس غرانت) جيوش الاتحاد إلى النصر على الكونفدرالية في الحرب الأهلية الأميركية بصفته قائداً عاماً. وباعتباره بطلاً قومياً أميركياً، تم انتخابه لاحقاً لرئاسة الولايات المتحدة (-1869 1877)، وقد عمل على إعادة بناء الكونغرس وإزالة آثار العبودية.

2 - The American Battlefield Trust, "Fort Donelson".

### ب- معركة شيلوه (Shiloh)

بعد انتصارات الاتحاد في "فورت هنري" و"فورت دونيلسون" في فبراير 1862، انسحب الجنرال الكونفدرالي "جونستون" من "كتاكي"، وترك معظم غرب ووسط "تينيسي" للفيدراليين. وقد سمح ذلك للجنرال (يوليسيس غرانت)، بالتقدّم بقوّاته نحو "كورينث" في "المتسيبي"، وهي نقطة التقاطع الاستراتيجية بين سكة حديد "موبيل" و"أوهايو"، وسكة حديد "مفيس" و"تشارلستون"، ممّا ساعد في نقل القوّات والإمدادات إلى الجنوب. وانتهت المعركة في بانتصار الولايات المتّحدة -الاتحاد- على قوّات الكونفدرالية في "بيتسبورغ لاندنغ"، في ولاية "تينيسي"<sup>(1)</sup>.

وكان الصّراع الذي استمرّ ليومين في تلك المرحلة، من أكثر المعارك دمويّة في التّاريخ الأميركيّ، حيث سقط أكثر من ثلاثة وعشرين ألف قتيل وجريح.

### ج- معركة أنتيتام (Antietam)

في 17 أيلول عام 1862، قام الجنرال (روبرت لي)<sup>(2)</sup> وجيشه في شمال فيرجينيا، بغزو ولاية "ميريلاند"، وذلك في محاولة لردع جيش الاتحاد. وكرّد على الهجوم، أرسل الرّئيس الأميركيّ (أبراهام لينكولن) اللّواء (جورج ماكيللان) وجيشه إلى "بوتوماك"، لمنع تقدّم الجيش الكونفدراليّ، الذي يقوده (روبرت لي). استطاع الاتحاد أن يحبط هجوم (لي)، إلّا أنّه لم يكن هناك فائز واضح في هذه المعركة. وفيما بعد انسحب (لي) إلى فيرجينيا، واعتبر الانسحاب نصراً لجيش الاتحاد. أفضت هذه المعركة البريطانيّين والفرنسيّين -الذين كانوا يفكّرون في الاعتراف الرّسميّ بالكونفدرالية- بالتراجع عن هكذا إجراء. كما أتيحت أيضاً الفرصة لـ"لينكولن"، لإصدار قرار التّحرير التّمهيديّ للعبيد (22 أيلول) في المناطق المتمرّدة على الولايات المتّحدة، اعتباراً من 1 يناير عام 1863<sup>(3)</sup>.

1 - The American Battlefield Trust, "Shiloh"

2 - تولّى (روبرت إدوارد لي) قيادة جيش "فرجينيا الشماليّة"، وكان من أنجح الجيوش الجنوبيّة خلال الحرب الأهلية الأميركيّة، وقاد في النهاية جميع الجيوش الجنوبيّة بصفته القائد العسكريّ للكونفدرالية. ويعدّ رمزاً للجنوب الأميركيّ.

3 - Library of Congress, "Time Line of the Civil War 1862".

#### د- معركة تشانسيلورزفيل (Chancellorsville)

في السابع والعشرين من نيسان عام 1863، هاجمت قوات الاتحاد بقيادة الجنرال (هوكر) قوات الجنرال (لي)، وذلك بعد أن اجتازت نهر "راباهانوك"، إلا أن قوات (لي) فاجأت قوات الاتحاد وهاجمتها في ثلاث أماكن، وسرعان ما تفهقرت قوات (هوكر) وانسحبت عبر نهر "راباهانوك". على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش الكونفدرالي في معركة "تشانسيلورزفيل"، إلا أنها تعدّ أعظم انتصار عسكري للجنرال (روبرت لي)<sup>(1)</sup>. في الحقيقة، لم يكن جيش (بوتوماك) قد هُزم هزيمة تامة، حيث لم يُقاتل حوالي 40 ألف جندي فيدرالي. وعلى الرغم من أن (هوكر) تكبّد أكثر من 17 ألف قتيل، إلا أن تلك الخسائر لم تمثل سوى 13% من إجمالي عديد قواته. في المقابل، بلغت خسائر (لي) البالغة 13 ألف قتيل، أي ما يعادل 22% من جيشه، وكانوا من المقاتلين الذين يصعب تعويضهم<sup>(2)</sup>.

#### ه- حصار فيكسبيرغ (Vicksburg)

في ستينيات القرن التاسع عشر، كانت مدينة "فيكسبيرغ" في ولاية "ميسيسيبي"، تتمتع بموقع استراتيجي على طول نهر المسيسيبي -تغير مسار النهر في عام 1876-. أدرك الرئيس الفيدرالي (لينكولن) أهمية السيطرة على المدينة، بهدف حسم المعركة لصالح قوات الاتحاد<sup>(3)</sup>.

بدأت حملة (فيكسبيرغ) عام 1862، وانتهت باستسلام الكونفدرالية في الرابع من تموز 1863، بعد حصار دام 47 يوماً، حيث استسلمت قوات الجنرال (جون سي بيمبرتون) التابعة للجيش الكونفدرالي، وعليه سيطر الاتحاد على نهر "الميسيبي" بأكمله وانقسمت الكونفدرالية إلى نصفين. وشكّل هذا الانتصار إلى جانب انتصار الاتحاد في "غيتيسبيرغ" -قبل يوم واحد فقط- نقطة تحوّل في مسار الحرب. وفي نهاية المطاف، أدّى انتصار (غرانت) إلى استمرار قيادته في شرق "تينيسي" وتعيينه قائداً عاماً لجيوش الاتحاد<sup>(4)</sup>.

1 - The National Park Service, "Battle of Chancellorsville".

2 - Ibid.

3 - The US Army Heritage and Education Center, "Siege of "Vicksburg".

4 - The American Battlefield Trust, "Vicksburg".

### و- معركة غيتيسبيرغ الكبرى (Gettysburg)

بعد عام من الانتصارات الدفاعية في فيرجينيا، كان هدف الجنرال (لي) هو الفوز بمعركة شمال خطّ "ماسون-ديكسون"، على أمل إجبار جيش الاتحاد على إنهاء القتال عن طريق التفاوض. لكن خسارته في "غيتيسبيرغ" منعت من تحقيق هذا الهدف. وبدلاً من ذلك، اضطرّ الجنرال (لي) أن ينسحب باتجاه نهر "بوتوماك"، وفشل الجنرال الاتحادي (ميد) في ملاحقته، وفوّت فرصة حاسمة لمحاصرتها، وإجبار الكونفدراليين على الاستسلام، ممّا أدى إلى استمرار الحرب لمدة عامين آخرين. شكّلت معركة "غيتيسبيرغ"، نقطة تحوّل في الحرب الأهلية، وقد قُدر عدد ضحاياها بأكثر من خمسين ألف قتيل، خلال ثلاثة أيام فقط، ووُصفت بالمعارك الأكثر دموية في تاريخ الولايات المتحدة<sup>(1)</sup>.

اكتسبت معركة "غيتيسبيرغ" أهمية أكبر في نوفمبر عام 1863، عندما زار الرئيس (لينكولن) الموقع وألقى خطابه الشهير. "KIGER, 7 Major Civil War Battles" في الحقيقة، أعطى تآبين (لينكولن) لقتلى الاتحاد مكانة خاصة في "غيتيسبيرغ"، حيث أصبحت أكثر مواقع الحرب الأهلية زيارة في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(2)</sup>.

### ز- أتلانتا (Atlanta)

أدى الاستيلاء على "أتلانتا" في الأوّل من سبتمبر عام 1864، إلى شلّ المجهود الحربيّ الكونفدراليّ، وإلى تعزيز الروح المعنوية الشمالية، كما ساعد في ضمان إعادة انتخاب الرئيس (أبراهام لنكولن) في نوفمبر عام 1864، وعجّل في نهاية المطاف في سقوط الكونفدرالية<sup>(3)</sup>.

### ح- سقوط ريتشموند (Richmond)

تسببت مشاكل النّقل والحصار التّاجح، في نقص حادّ في الغذاء والإمدادات في الجنوب، حيث بدأ الجنود الجائعون في التّخلي عن قوّات (لي)، وعلى الرّغم من موافقة الرئيس (جيفرسون

1 - Gallagher, G. (2000), p.90

2 - Ibid.

3 - Library of Congress, "Time Line of the Civil War 1865".



ديفيس) على تسليح العبيد بوصفهم وسيلة لزيادة الجيش، إلا أنّ هذا الإجراء لم يدخل حيّز التنفيذ أبداً. في الثّاني من نيسان عام 1865، أخلى الجنرال (لي ريتشموند) عاصمة الكونفدراليين، واتّجه غرباً للانضمام إلى قوّات أخرى، لكن سرعان ما تمّت محاصرته في مدينة "أوماتوكس" من قبل (غرانت) قائد جيش الاتحاد. وفي السابع من أبريل، دعا (غرانت) الجنرال (لي) إلى الاستسلام. وبعد يومين، التقى القائدان في محكمة "أوماتوكس"، واتّفقا على شروط الاستسلام. وانتهت الحرب الأهلية بانتصار الولايات المتّحدة وبخسارة الولايات الكونفدرالية، وقد تزامن ذلك مع اغتيال (ابراهيم لينكولن) في الرّابع عشر من نيسان عام 1865، بينما كان يشاهد عرضاً لمسرحية "ابن عمّنا الأميركي" في مسرح "فورد" في "واشنطن العاصمة"، حيث أُطلق عليه الرّصاص، من قبل الممثّل (جون ويلكس بوث)، وذلك انتقاماً لهزيمة الكونفدرالية<sup>(1)</sup>.

## رابعاً: الخسائر البشريّة والاقتصاديّة

### أ- الخسائر البشريّة

كانت التّكلفة البشريّة والماديّة للحرب هائلة، حيث تجاوز عدد القتلى من الجنود، إجمالي عدد القتلى في جميع الحروب الأميركيّة الأخرى مجتمعة، منذ القرن السّابع عشر وحتى منتصف حرب فيتنام - بما في ذلك الحربين العالميتين الأولى والثّانية-. إذ تكبّد الشّمال حوالي ستّمئة وخمسين ألف ضحيّة، من أصل مليون ومئة ألف جنديّ إلى مليونين ومئتي ألف جنديّ، (ثلاثمئة وستين ألف قتيل - ثلثيهم بسبب المرض - ومئتين وخمسة وسبعين ألف جريح أثناء القتال). أمّا الكونفدرالية فقد تكبّدت حوالي أربعمئة وخمسين ألف قتيل، من أصل سبعمئة وخمسين ألفاً إلى ثمانمئة وخمسين ألفاً (مئتين وستون ألف قتيل - ثلثيهم من المرض - ومئتي ألف جريح). وقد خدم ما بين خمسة وسبعين إلى خمسة وثمانين بالمئة من الذّكور، في سنّ الخدمة العسكريّة الكونفدرالية في القوّات المسلّحة التّابعة للجيش الكونفدراليّ. وقُتل في الشّمال خمسة وستون ضابطاً برتبة جنرال في المعارك مقارنةً باثنين وتسعين ضابطاً في الكونفدرالية<sup>(2)</sup>.

وفي عام 2011، أجرى المؤرّخ (ديفيد هاكر) المزيد من التّحقيقات وادّعى أنّ الرّمم كان

1 - Gallagher, G. (2000), p.183>.

2 - Ibid

أقرب إلى سبعمئة وخمسين ألفاً - وربما يصل إلى ثمانمئة وخمسين ألفاً - في حين أنّ العديد من مؤرخي الحرب الأهلية، يتفقون على أنّ هذا العدد ممكن، بل ومحتمل، إلاّ أنّه ثبت أنّ الحصول على أرقام دقيقة باستمرار، كان مستحيلاً حتّى الآن؛ فقد كان كلا الجانبين ضعيفاً في الاحتفاظ بسجلات مفصّلة طوال الحرب<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة إلى عدد الوفيات في اليوم الواحد، لا تزال الحرب الأهلية الأميركية تحتلّ المرتبة الأولى، بمتوسط أربعمئة وخمسة وعشرين قتيلًا في اليوم، بينما يبلغ متوسط عدد القتلى في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حوالي مئة ومئتي قتيل في اليوم الواحد على التوالي<sup>(2)</sup>.

### ب- الخسائر الاقتصادية

بلغت التكلفة الاقتصادية مستوى لا مثيل له في تاريخ الولايات المتحدة السابق. فقد وصلت التكلفة التي تكبدها الشمال في إحدى التقديرات إلى ستة مليارات ومليون من الدولار في عام 1879، كما أنفقت الكونغرس المليارات. واستمرت التكاليف، لعقود من الزمن بعد انتهاء الحرب، في شكل معاشات تقاعدية - فدرالية للمحاربين القدامى في الشمال، ومعاشات للمحاربين القدامى الكونغرسيين -، مما أدّى إلى فقدان الإنتاجية، وزيادة النفقات<sup>(3)</sup>.

عانى الجنوب من أضرار أكبر بكثير من الشمال، إذ خسر ثلثي ثرواته المقدّرة، معظمها في شكل عبيد. كما مات أربعون في المئة من مجموع الماشية. وتمّ تدمير خمسين في المئة من مجموع الآلات الزراعية. ودُمّرت السكك الحديدية، والسدود، والجسور، وأجزاء أخرى من البنية التحتية للنقل والاقتصاد. لقد قلبت الحرب الميزان الاقتصادي بشكل حاسم لصالح الشمال. وزادت ثروة الشمال بنسبة خمسين في المئة بين عامي 1860 و1870. في حين انخفضت ثروة الجنوب بنسبة ستين في المئة نفسها.

كانت القوة البشرية والثروة المادية الشمالية من أهمّ المزايا، لقد طور الشمال قادة سياسيين

1 - O'Neill, A. (2024) Number of United States Military Fatalities In Major Wars 1775.

2 - Ibid.

3 - Gallagher, G. (2000) p.183.

وعسكريين، كانوا قادرين على استخدام هذه المزايا على أكمل وجه. وعلى الرغم من بعض الانتكاسات الخطيرة، ظلت أغلبية الشعب الشمالي ملتزمة بكسب الحرب. ومع ذلك، قاتلت أغلبية الكونفدراليين بقوة ودعمت الحرب، ولكن ثبت في النهاية أنها لم تكن قادرة على مجاراة قوة الشمال وإرادته.

### خاتمة

في النهاية، تمخضت المعارك عن انتصار جيش الاتحاد على الجيش الكونفدرالي. وتُرجم الانتصار فيما بعد بتمرير ثلاث تعديلات دستورية: التعديل الثالث عشر (1865)، الذي ألغى مؤسسة العبودية، والرابع عشر (1868)، الذي منح الجنسية لأربعة ملايين عبد تم تحريرهم، والخامس عشر (1870)، الذي منحهم حق التصويت. وفي غضون عشر سنوات، غيرت الحرب المشهد الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي للبلاد بالكامل. ومنذ ذلك الحين، اتخذت الأحداث مساراً آخر، وأفضت الحرب إلى نتائج وتغييرات جوهرية، ما زالت ماثلة حتى الآن في الوعي الأميركي.

لقد عمقت الحرب الأهلية الأميركية إلى اليوم، الانقسامات داخل المجتمع الأميركي، وبخاصة بين الشمال والجنوب، إذ انسحبت وجهات النظر المتباينة على قضايا عدّة، منها مسألة تمجيد قادة الحرب الأهلية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وبحسب موقع "بيو للأبحاث" (Pew Research Center)، يشير إلى أنّ هناك ما يقرب من نصف الجمهور -تسعة وأربعين في المئة منه- يقول إنه من غير المناسب للموظفين العموميين اليوم، الثناء على قادة الولايات الكونفدرالية أثناء الحرب، بينما هناك ستة وثلاثون في المئة يقولون، إنّ مثل هذه التصريحات مناسبة. وإلى الآن، لا يوجد إجماع بين الجمهور حول السبب الرئيسي للحرب الأهلية، ولكن نسبة من يقولون -ثمانية وأربعون في المئة- إنّ الحرب كانت تتعلق بحقوق الولايات بشكل أساسي، أكثر من نسبة من يقولون إنّها كانت تتعلق بالعبودية بشكل أساسي -ثمانية وثلاثون في المئة-، وهناك تسعة في المئة يعتقدون أنها كانت تتعلق بكلا الأمرين بالتساوي<sup>(1)</sup>.

1 - Pew Research Center, "Civil War at 150: Still Relevant, Still Divisive"

يبدو أنّ الأحداث التي مرّت بها الولايات المتّحدة، جعلت منها أرضاً خصبة لحرب أهليّة قادمة، وبخاصّة عندما اقتحم أنصار (دونالد ترامب) مبنى الكابيتول في السادس من يناير/ كانون الثّاني عام 2021، بهدف تعطيل الانتقال السّلميّ للسلطة. لاحقاً تم احتواء الأزمة واستبعاد محفزات الحرب الأهلية وإن بدا أنه تمرد غير مسبوق وخطير.

وفي الآونة الأخيرة، أثارَت قضية المهاجرين القادمين من المكسيك خلافاً حاداً بين حاكم ولاية "تكساس" وإدارة الرئيس الأميركي (جو بايدن)، فوصل الخلاف إلى حد توقع اندلاع حرب أهليّة. وكان اللّافت أنّ حكّام خمس وعشرين ولاية من الجمهوريين دعموا قرارات ولاية «تكساس» المتعلقة بالمهاجرين غير النظاميين. والجدير بالذكر، أنّ الرئيس الأميركي السّابق (دونالد ترامب) أيّد قرارات "تكساس".

في استطلاع جديد للرأي أجرته مجلّة "الإيكونوميست" ومؤسّسة "YouGov"، سألنا فيه الأميركيين عن التّغيرات في المناخ السّياسي الأميركي، بما في ذلك ما إذا كانت الانقسامات قد تفاقمت، وما يتوقّعون في المستقبل. وجد الاستطلاع أنّ معظم الأميركيين يعتقدون أنّ الانقسامات قد ازدادت سوءاً منذ بداية عام 2021، ويتوقّعون معظمهم أن تزداد سوءاً في السّنوات القادمة. ويعتقد اثنان من بين كلّ خمسة أميركيين، أنّ الحرب الأهليّة باتت محتملة إلى حدّ ما على الأقلّ في العقد المقبل، فيما كان الجمهوريون أكثر احتمالاً من الديمقراطيين لتوقّع حرب أهليّة<sup>(1)</sup>.

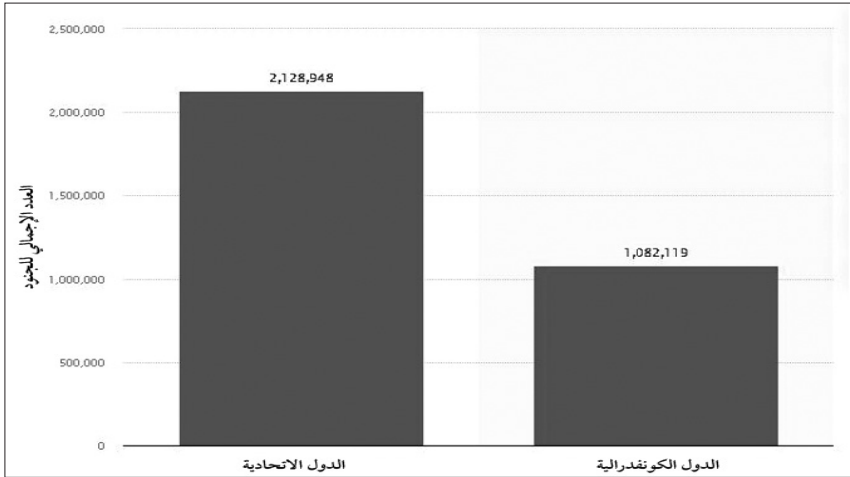
وفي هذا السّياق، يقول (فريدريك لوجيفال)، أستاذ التّاريخ في جامعة "هارفارد": "إنّ القتال الذي دار بين عامي 1861 و1865 يحتلّ مكانة مركزيّة في المخيلة الأميركيّة". "لقد قام كلّ جيل منذ عام 1865 بتقييم معنى الحرب الأهليّة"<sup>(2)</sup>.

وبالنّظر إلى الماضي والحاضر، ثمّة من يقول، إنّ هناك أوجه تشابه بين الفترة، التي سبقت الحرب الأهليّة الأميركيّة، وبين الفترة التي تعيشها الولايات المتّحدة في الوقت الحالي، فهل سنكون أمام حرب أهليّة أميركيّة في العقد القادم؟

1 - Orth, "Two in five Americans say a civil war is at least somewhat likely in the next decade"

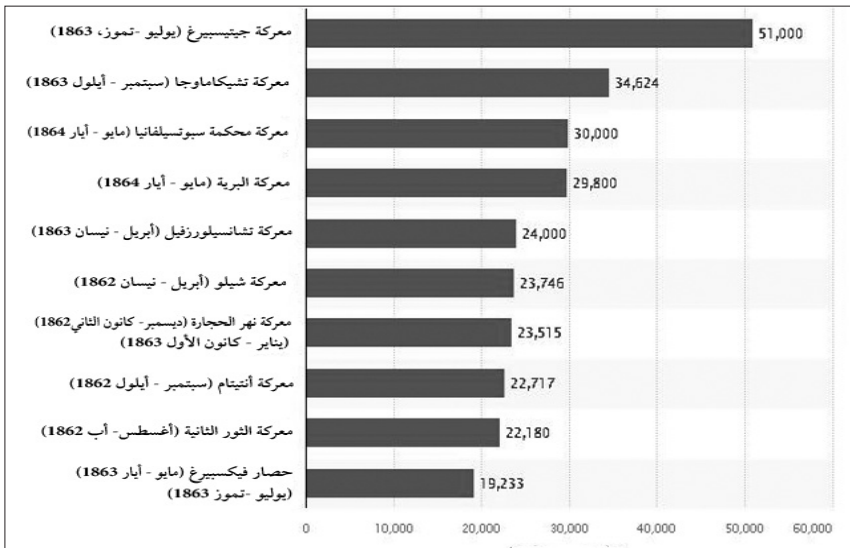
2 - The Economist Newspaper, "Americans are turning to stories of civil war, real and imagined"

رسم بياني رقم (1)



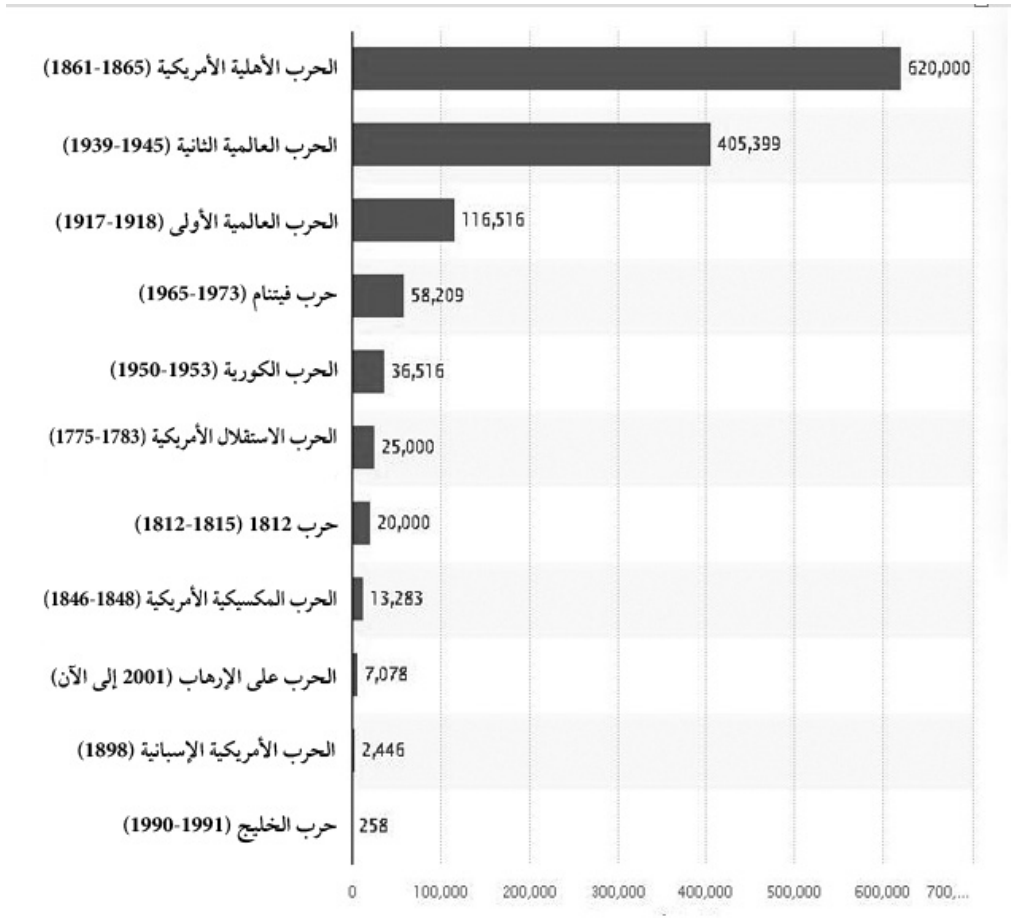
عدد الجنود الذين تمّ تجنيدهم أثناء الحرب الأهلية الأمريكية من عام 1861 إلى عام 1865  
 Statista: (O'Neill, Number of soldiers during the American Civil War 1861-1865)

رسم بياني رقم (2)



أعداد الضحايا في المعارك الكبرى في الحرب الأهلية الأمريكية من عام 1861 إلى عام 1865  
 Statista: (O'Neill, Number of casualties in major battles in the American Civil War 1861-1865)

رسم بياني رقم (3)



عدد القتلى العسكريين في جميع الحروب الكبرى التي شاركت فيها الولايات المتحدة 1775-2024  
 Statista: (O'Neill, Number of United States military fatalities in major wars 1775-2024)

## المصادر والمراجع

1. Core Knowledge Foundation, (2017) "The Civil War", Core Knowledge History and Geography.

2. Gallagher, G. (2000) "The American Civil War", THE GREAT COURSES, Corporate Headquarters.

### مواقع الكترونية

1. Buchanan, J., The White House, The 15th President of The United States. <https://www.whitehouse.gov/about-the-white-house/presidents/james-buchanan/>

2. De Togni, E. (2008) "The Abolitionist's John Brown, Martyrdom through Militancy and the Onset of Civil War". <https://www.battlefields.org/learn/articles/abolitionists-john-brown>

3. Elliott, M and Hughes, J. (2019) "Four hundred years after enslaved Africans were first brought to Virginia, most Americans still don't know the full story of slavery", Aug. 19, 2019. <https://www.nytimes.com/interactive/2019/08/magazine/history-slavery-smithsonian.html>

4. HISTORY.COM EDITORS (2009) "Slavery in America" <https://www.history.com/topics/black-history/slavery>

5. HISTORY.COM EDITORS (2011) "First Battle of Bull Run". <https://www.history.com/topics/american-civil-war/first-battle-of-bull-run>

6. HISTORY.COM EDITORS, (2009) "Dred Scott Case". <https://www.history.com/topics/black-history/dred-scott-case>

7. J.E. Luebering, "Slavery and racial attitudes". <https://www.britannica.com/topic/Hall-of-Fame-for-Great-Americans>

8. KIGER, P. (2021) "7 Major Civil War Battles". <https://www.history.com/>

news/key-civil-war-battles

9. Library of Congress, "Time Line of the Civil War 1862" . <https://www.loc.gov/collections/civil-war-glass-negatives/articles-and-essays/time-line-of-the-civil-war/1862/>

10. Library of Congress, "Time Line of the Civil War 1865" . <https://www.loc.gov/collections/civil-war-glass-negatives/articles-and-essays/time-line-of-the-civil-war/1865/>

11. Library of Congress, "Time Line of the Civil War" . <https://www.loc.gov/collections/civil-war-glass-negatives/articles-and-essays/time-line-of-the-civil-war/1861/>

12. Mintz, S. (2023) Historical Context: Facts about the Slave Trade and Slavery. <https://www.gilderlehrman.org/history-resources/teacher-resources/historical-context-facts-about-slave-trade-and-slavery>

13. National Archives in Washington, DC. "Compromise of 1850 (1850)" . <https://www.archives.gov/milestone-documents/compromise-of-1850#:~:text=The%20acts%20called%20for%20the,amended%20the%20Fugitive%20Slave%20Act>

14. National Park Service (2002) "America's Civil War" . CRM No. 4. <https://www.nps.gov/crps/CRMJournal/CRM/v25n4.pdf>

15. O'Neill, A. (2024) Number of casualties in major battles in the American Civil War 1861- 1865. <https://www.statista.com/statistics/1010893/bloodiest-battles-american-civil-war-18611865-/>

16. O'Neill, A. (2024) Number of soldiers during the American Civil War 1861- 1865. <https://www.statista.com/statistics/1009782/total-army-size-american-civil-war-18611865-/>

17. O'Neill, A. (2024) Number of United States military fatalities in major



wars 17752024-. <https://www.statista.com/statistics/1009819/total-us-military-fatalities-in-american-wars-1775-present/>

18. O'Neill, A. (2024) Number of United States military fatalities in major wars 177520240-<https://www.statista.com/statistics/1009819/total-us-military-fatalities-in-american-wars-1775-present/>

19. Orth, T. (2022) "Two in five Americans say a civil war is at least somewhat likely in the next decade". <https://today.yougov.com/politics/articles/43553-two-in-five-americans-civil-war-somewhat-likely>

20. Pew Research Center (2011) "Civil War at 150": Still Relevant, Still Divisive, REPORT. <https://www.pewresearch.org/politics/201108/04//civil-war-at-150-still-relevant-still-divisive/>

21 The American Battlefield Trust, Shiloh, PITTSBURG LANDING. <https://www.battlefields.org/learn/civil-war/battles/shiloh>.

22. The American Battlefield Trust, Vicksburg. <https://www.battlefields.org/learn/civil-war/battles/vicksburg>

23. The Economist Newspaper, "Americans are turning to stories of civil war, real and imagined", Apr 1th 2024. <https://www.economist.com/culture/202411/04//americans-are-turning-to-stories-of-civil-war-real-and-imagined>

24. The National Park Service, "Battle of Chancellorsville", January 22, 2023.

25. The US Army Heritage and Education Center, "Siege of Vicksburg". [https://ahec.armywarcollege.edu/exhibits/CivilWarImagery/cheney\\_vicksburg.cfm](https://ahec.armywarcollege.edu/exhibits/CivilWarImagery/cheney_vicksburg.cfm).

26. The White House, Ulysses S. Grant, The 18th President of The United States. <https://www.whitehouse.gov/about-the-white-house/presidents/ulysses-s-grant/>

## الولايات المتحدة الأمريكية وجرائمها الحربان العالميتان والقنبلة الذرية

■ د. علاء محمود مسعود<sup>(1)</sup>

### ملخص

يهدف هذا البحث، إلى إجراء توضيح موضوعي لدخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحربين العالميتين، والتدرج الذي دفع بها إلى إلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي "هيروشيما" و"ناغازاكي"، والدور السلبي المخيف لهذه الكارثة. ولقد اتبع البحث المنهج التاريخي التحليلي. يحاول البحث تحليل سياق أول استخدام للأسلحة النووية في الحرب، مع ما تسببت به، من تأثير عميق على العالم، والدروس الهامة التي يمكن تعلمها من إلقاء القنبلتين الذريتين، وأكد على ضرورة تعزيز التعاون الدولي لمنع نشوب الحروب والصراعات، ونشر السلام والتسامح وتطوير وسائل السلام، وتعزيز التعليم وحقوق الإنسان، وأهمية العمل على تحقيق توازن الردع بهدف لجم الإجرام الأميركي، والسعي المتبادل لتفكيك ترسانات الدمار الشامل لدى جميع الأطراف الدوليين، ودعم برامج التفتيش النووي ضد الدول المارقة مثل "الكيان الصهيوني".

### الكلمات المفتاحية:

الحرب العالمية الأولى - الحرب العالمية الثانية - الولايات المتحدة الأمريكية - القنبلة الذرية.

1 - قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق.

## مقدمة:

تُعدُّ الحربين العالميتين الأولى والثانية، من أخطر وأسوأ الأحداث التاريخية، التي شهدتها النصف الأول من القرن العشرين، وذلك بفعل القوى الإمبريالية الغربية التي افتعلتها، فأدَّت إلى آثار وتدايعات كبيرة وواسعة على مستوى العالم. واستمراراً لهذه الأحداث البارزة منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ويظهر دور الولايات المتحدة الأمريكية الأساسي، خلال تلك الفترة الزمنية الحرجة وما أدته إلى خراب عالمي. فقد يُشكّل هذا البحث محاولة، لفهم عمق تأثير الولايات المتحدة الأمريكية السَّلبي على هاتين الحربين العالميتين. بالإضافة إلى الدور الخطير الذي أدته في انتهاك حقوق الإنسان، لا سيّما بختامها المرعب باستخدام القنبلة الذرية، ومن الجدير ذكره أنّ الولايات المتحدة الأمريكية، اعتمدت على مبدأ غير أخلاقيّ، وهو مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» في تحقيق مصالحها خلال الحربين العالميتين، لا سيّما أنّها دخلت في المرحلة الأخيرة في كلا الحربين، وقطفت ثمرة هاتين الحربين لصالحها، ولو كان ذلك على حساب دماء الكثير من الأبرياء، وهي باختراعها القنبلة الذرية التي اخترعت لغاية تدمير البشرية، لا فيما يُفيدها، وإنّ الولايات المتحدة الأمريكية في كلا الحربين العالميتين الأولى والثانية، تنتظر إنهاك الدول المشتركة في الحروب، وتدخل في نهاية هذه الحرب، أي في الخمس دقائق الأخيرة لتقطف الثمرة باتّباع أساليب غير أخلاقية.

ويتبيّن للقارئ عند تتبّع أحداث ومجريات الحربين العالميتين وبالذلائل القاطعة، حجم الإجرام والقتل والعنف الذي كان لدى القيادات السياسية الغربية سواءً الأوروبية أم الأمريكية، فيتجلّى الفكرُ الإرهابيُّ والإجراميُّ، من خلال تتبّع أسباب وأحداث ونتائج هاتين الحربين، اللتين كان لهما هدف وسبب أولي، وهو الطّمع، ونتيجة أولية هي تقاسم النفوذ بين الدول الغربية على تقسيم العالم فيما بينهم والسيطرة عليه واستغلال ثرواته وسرقتها. وسيبدأ هذا البحث بتتبّع مجريات الحربين

العالميين الأولى والثانية، ومن ثمَّ الانتقال إلى ما نتج عنهما، من أحداث كارثية على العالم.

## ● المطلب الأول: مجريات الحرب العالمية الأولى

كانت الحرب العالمية الأولى صراعاً مُسلَّحاً كبيراً، اندلع في أوروبا بين عامي 1914 و1918. شاركت في الحرب جميع القوى العظمى في العالم، ونتج عنها خسائر بشرية واقتصادية هائلة<sup>(1)</sup>.

### أولاً: الأطراف المتحاربة

قسمت الحرب العالمية الأولى العالم إلى تحالفين متعارضين: قوات الحلفاء -الوفاق الثلاثي- وهم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى، وإيرلندا، والجمهورية الفرنسية الثالثة، والإمبراطورية الروسية، ضدَّ دول المركز الإمبراطورية الألمانية، والإمبراطورية النمساوية المجرية، والدولة العثمانية، ومملكة بلغاريا<sup>(2)</sup>.

ولقد كانت هناك العديد من الأسباب المباشرة، وغير المباشرة للحرب العالمية الأولى:

1- الأسباب المعلنة (حجج - ذرائع): كان أحد الأسباب المعلنة هو اغتيال الأرشيدوق (فرانز فرديناند)، ولي عهد النمسا والمجر، في سرايفو في 28 يونيو 1914. إذ أدت هذه الحادثة إلى إعلان النمسا الحرب على صربيا، والتي ردَّت عليها روسيا بتعبئة قواتها، ممَّا أدَّى إلى إعلان ألمانيا الحرب على روسيا.

2- الأسباب الحقيقية (الخفية): كانت هناك أيضاً العديد من الأسباب الحقيقية (الخفية في بعض الأحيان) للحرب العالمية الأولى، بما في ذلك:

أ- التوسُّع الاحتلالي: حيث يُفضل استخدام هذه الكلمة، كبديل عن كلمة استعمار، التي تعني البناء والإعمار في اللغة العربية، وهذا بعيدٌ كلَّ البُعد عمَّا قام به الغرب في مناطق العالم، وقد أدَّت المنافسة بين القوى الأوروبية على الأراضي والأسواق إلى زيادة التوترات.

ب- القومية: أدَّت القومية المتزايدة في أوروبا إلى ظهور صراعات بين الدول.

1 - عبده، إ. (1975)، ص 102.

2 - هيكل، م. ح. (1977)، ص 241.

ج - التسلُّح: أدت زيادة التسلح بين القوى الأوروبية إلى زيادة الشعور بالتهديد<sup>(1)</sup>.

ثانياً: أبرز الجبهات التي فُتحت خلال الحرب العالمية الأولى:

#### 1 - الجبهة الغربية:

كانت الجبهة الغربية هي المسرح الرئيس للحرب العالمية الأولى. إذ بدأت الحرب في هذه الجبهة عندما غزت ألمانيا بلجيكا في 2 أغسطس 1914. وقامت القوات الفرنسية والبريطانية، بصدِّ التقدم الألماني في معركة "مارن" في سبتمبر 1914، ودخلت الحرب في حالة من الجمود. وقد استمرت هذه الحالة من الجمود على الجبهة الغربية لمدة أربع سنوات، حيث تبادلت القوات المتحاربة إطلاق النار من الخنادق.

#### 2 - الجبهة الشرقية:

كانت الجبهة الشرقية هي المسرح الآخر الرئيس للحرب العالمية الأولى. وبدأت الحرب في هذه الجبهة عندما، أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في 1 أغسطس 1914. حقَّق الجيش الألماني تقدماً كبيراً في روسيا في عامي 1914 و1915، لكنّه توقف في عام 1916 بعد معركة "غوميل".

#### 3 - الجبهة الإيطالية:

دخلت إيطاليا الحرب في عام 1915 إلى جانب قوات الحلفاء. وكانت الجبهة الإيطالية مسرحاً للقتال العنيف، حيث تبادلت القوات المتحاربة السيطرة على جبال الألب.

#### 4 - الجبهة العثمانية:

دخلت الدولة العثمانية الحرب في عام 1914 إلى جانب دول المركز. وكانت الجبهة العثمانية مسرحاً للقتال في الشرق الأوسط والشرق الأدنى<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: أبرز نتائج الحرب العالمية الأولى

انتهت الحرب العالمية الأولى في 11 نوفمبر 1918، بتوقيع هدنة بين قوات الحلفاء ودول المركز. إذ نتج عن الحرب العالمية الأولى خسائر بشرية هائلة، حيث قُتل حوالي 16 مليون

1 - فريث، ل. (2014) ص 32.

2 - هوبسباوم، إ. (1994)، ص 88.

شخص. كما أدت الحرب إلى تغييرات سياسية كبيرة في أوروبا<sup>(1)</sup>.

### 1 - النتائج السياسية:

كانت الحرب العالمية الأولى نقطة تحوّل في التاريخ الأوروبي. إذ أدت الحرب إلى انهيار الإمبراطوريات الألمانية، والنمساوية المجرية، والروسية، وظهور دول جديدة في أوروبا الشرقية. كما أدت الحرب إلى إنشاء عصبة الأمم، وهي منظمة دولية تهدف إلى منع نشوب الحروب في المستقبل<sup>(2)</sup>.

### 2 - النتائج الاقتصادية:

كانت الحرب العالمية الأولى أيضاً نقطة تحوّل في التاريخ الاقتصادي. إذ أدت الحرب إلى تدمير البنية التحتية الصناعية في العديد من البلدان، وتسببت بنقص في المواد الغذائية والمواد الخام. كما أدت الحرب إلى زيادة الديون الوطنية في العديد من البلدان.

### 3 - النتائج الاجتماعية:

كان للحرب العالمية الأولى أيضاً تأثير عميق على المجتمع الأوروبي. وأدت الحرب إلى زيادة الشعور القومي في أوروبا، كما أدت إلى ظهور حركات اجتماعية جديدة، مثل الحركة النسائية والحركة العمالية<sup>(3)</sup>.

### 4 - النتائج الثقافية:

تركت الحرب العالمية الأولى أيضاً بصماتها على الثقافة الأوروبية. فقد ظهرت في هذه الفترة أعمال فنية وأدبية تعكس صدمة الحرب، وتأثيرها على المجتمع. وختام القول: لقد كانت الحرب العالمية الأولى، صراعاً مدمراً ترك بصماته على العالم لسنوات عديدة. أدت الحرب إلى خسائر بشرية واقتصادية هائلة، كما أدت إلى تغييرات سياسية واجتماعية وثقافية كبيرة في العالم<sup>(4)</sup>.

## ● المطلب الثاني: مُجريات الحرب العالمية الثانية

كانت الحرب العالمية الثانية صراعاً مسلحاً كبيراً، اندلع في جميع أنحاء العالم بين عامي

1 - روجرز، ر. (1990)، ص 112.

2 - هوبسباوم، إ. (1994)، ص 88.

3 - فرومكين، د. (2001أ)، ص 201.

4 - كيغان، ج. (2000)، ص 117.

1939 و1945. شاركت في الحرب جميع القوى العظمى في العالم، ونتج عنها خسائر بشرية واقتصادية هائلة<sup>(1)</sup>.

### أولاً- الأطراف المتحاربة

قسّمت الحرب العالميّة الثانية العالم إلى تحالفين متعارضين: قوات الحلفاء: الاتّحاد السّوفياتي، والمملكة المتّحدة، والولايات المتّحدة، وفرنسا، والصّين، ضدّ دول المحور: ألمانيا النّازية، وإيطاليا الفاشية، واليابان الإمبراطوريّة<sup>(2)</sup>.

### ثانياً- الأسباب

إن أحد الأسباب المعلنة هو غزو ألمانيا النّازية لبولندا في 1 سبتمبر 1939. إذ أدّت هذه الحادثة إلى إعلان الحرب على ألمانيا، من قبل المملكة المتّحدة وفرنسا في 3 سبتمبر 1939.

وكانت هناك أيضاً العديد من الأسباب الحقيقيّة للحرب العالميّة الثانية، بما في ذلك:

1 - صعود النّازية والفاشيّة في أوروبا: وأدّى صعود هذه الأيديولوجيات المتطرفة إلى زيادة التّوترات الدّوليّة<sup>(3)</sup>.

2 - سياسة الاحتلال الأوروبي: أدّت المنافسة بين القوى الأوروبيّة على الأراضي والأسواق، إلى زيادة التّوترات.

3 - أزمة الرّأسماليّة: أدّت الأزمة الاقتصاديّة العالميّة في عام 1929، إلى زيادة التّوترات الاجتماعيّة والسياسيّة<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً- أبرز الأحداث:

بدأت الحرب العالميّة الثانية في أوروبا، وانتشرت بسرعة إلى مناطق أخرى من العالم. تضمّنت بعض المعارك الرّئيسة في الحرب العالميّة الثانية كما يأتي:

1 - عبده، إ. و السعيد، ع. (1978) ص203.

2 - هوبسباوم، إ. (2002)، ص76.

3 - شيرر، و. (1990)، ص118.

4 - هيكل، م. ح. (1977)، ص117.

- 1- غزو بولندا (1939): كان هذا الغزو هو الشرارة التي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية.
- 2- معركة فرنسا (1940): تمكّنت القوّات الألمانية من اجتياح فرنسا في غضون ستة أسابيع.
- 3- الحرب السوفياتية الألمانية (1941-1945): إذ كانت هذه الحرب هي الأكثر دموية في التاريخ.
- 4- حملة المحيط الهادئ (1941-1945): شنّت اليابان هجوماً مفاجئاً على الولايات المتحدة في 7 ديسمبر 1941، ممّا أدخل الولايات المتحدة في الحرب.
- 5- حملة شمال أفريقيا (1940-1943): انتهت هذه الحملة بانسحاب القوّات الألمانية من شمال أفريقيا في عام 1943.
- 6- حملة إيطاليا (1943-1945): انتهت هذه الحملة باستسلام إيطاليا للحلفاء في عام 1943.
- 7- حملة أوروبا الغربية (1944-1945): تمكّنت القوات الحلفاء من تحرير فرنسا وألمانيا من الاحتلال الألماني<sup>(1)</sup>.
- 8- الهجوم النوويّ على اليابان (1945): أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين نوويتين، على مدينتي "هيروشيما" و"ناغازاكي" في أغسطس 1945، ممّا أدّى إلى استسلام اليابان في 2 سبتمبر 1945.

### التّائج:

-انتهت الحرب العالمية الثانية في 2 سبتمبر 1945، بتوقيع اليابان على استسلامها. و نتج عنها الحرب العالمية الثانية خسائر بشريّة هائلة، حيث قُتل حوالي 60 مليون شخص. كما أدت إلى تغييرات سياسيّة كبيرة في العالم، بما في ذلك إنشاء الأمم المتحدة وسقوط الإمبراطوريّات الأوروبيّة<sup>(2)</sup>.

كانت الحرب العالمية الثانية صراعاً مُدمراً، ترك بصماته على العالم لسنوات عديدة.

### رابعاً-الجبهات الرّئيسة للحرب العالمية الثانية:

قسّمت الحرب العالمية الثانية إلى جبهات رئيسة ثلاث:

- 1- الجبهة الأوروبيّة: وكانت هذه الجبهة هي الأكثر نشاطاً في الحرب، حيث شهدت العديد

1 - فرومكين، د. (2001)، ص 281.

2 - روجرز، ر. (1990)، ص 301.



- من المعارك الكبرى، مثل معركة فرنسا (1940) والحرب السوفياتية الألمانية (1941-1945).
- 2 - الجبهة الآسيوية: وكانت هذه الجبهة نشطة أيضاً، حيث شهدت صراعاً بين قوات الحلفاء واليابان، بما في ذلك حملة المحيط الهادئ (1941-1945).
- 3 - الجبهة الأفريقية: كانت هذه الجبهة أقل نشاطاً من الجبهتين الأخريين، لكنّها شهدت بعض المعارك المهمّة، مثل حملة شمال أفريقيا (1940-1943)<sup>(1)</sup>.

### خامساً-التّأثيرات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعية للحرب العالميّة الثّانية:

كانت الحرب العالميّة الثّانية نقطة تحوّل في التاريخ العالميّ، حيث أدت إلى تغييرات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة كبيرة:

#### 1 - التّأثيرات السياسيّة:

- أ-إنشاء الأمم المتّحدة: أدت الحرب إلى إنشاء الأمم المتّحدة، وهي منظمّة دوليّة تهدف إلى منع نشوب الحروب في المستقبل، ولكن هذا في الظّاهر، بينما في الحقيقة هي أداة الولايات المتّحدة الأمريكيّة في فرض السّيطرة والتحكّم في العالم.
- ب-سقوط الإمبراطوريّات الأوروبيّة: أدت الحرب إلى سقوط الإمبراطوريّات الأوروبيّة، وظهور دول جديدة في أوروبا والعالم.
- ج-الحرب الباردة: أدت الحرب إلى ظهور الحرب الباردة، وهي صراع بين الولايات المتّحدة والاتّحاد السّوفياتيّ استمرّ لمدة 45 عاماً<sup>(2)</sup>.

#### 2 - التّأثيرات الاقتصاديّة:

- أ-تدمير البنية التّحتيّة الصّناعية: أدت الحرب إلى تدمير البنية التّحتيّة الصّناعية في العديد من البلدان، ممّا تسبّب في نقص في الموادّ الغذائيّة والموادّ الخامّ.
- ج-زيادة الديون الوطنيّة: أدت الحرب إلى زيادة الديون الوطنيّة في العديد من البلدان.

1 - هوبساوم، إ. (2002)، ص 117.

2 - كيغان، ج. (2005)، ص 18.

د-الازدهار الاقتصادي: شهد العالم فترةً من الازدهار الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تمَّ إعادة بناء البلدان التي دمرتها الحرب<sup>(1)</sup>.

### 3-التأثير الاجتماعي:

- أ-زيادة الشعور القومي: أدت الحرب إلى زيادة الشعور القومي في العديد من البلدان.
- ب-ظهور حركات اجتماعية جديدة: أدت الحرب إلى ظهور حركات اجتماعية جديدة، مثل حركة حقوق الإنسان وحركة السلام.
- ج-تغيرات في الثقافة الشعبية: تركت الحرب العالمية الثانية بصماتها على الثقافة الشعبية، حيث ظهرت أعمالٌ فنيةٌ وأدبيةٌ تعكس صدمة الحرب وتأثيرها على المجتمع<sup>(2)</sup>.

### سادساً-التأثيرات المستمرة للحرب العالمية الثانية:

- ما زال للحرب العالمية الثانية تأثيرٌ مستمرٌ على العالم حتى يومنا هذا. وأدت الحرب إلى تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة. فيما يأتي بعض الأمثلة على تأثيرات الحرب العالمية الثانية المستمرة:
- أ-النظام الدولي: لا تزال الأمم المتحدة موجودة اليوم، وهي تعمل على منع نشوب الحروب في المستقبل.
- ب-الحدود الدولية: تمَّ رسم العديد من الحدود الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، ولا تزال قائمة حتى اليوم.
- ج-الديمقراطية وحقوق الإنسان: أدت الحرب العالمية الثانية إلى زيادة الوعي بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

- د-الحرب الباردة: استمرت الحرب الباردة لمدة 45 عامًا، وأثرت في العالم بأسره. لقد كانت الحرب العالمية الثانية صراعاً مدمراً، ترك بصماته على العالم لسنوات عديدة. وأدت الحرب إلى تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة، ولا تزال هذه التغييرات موجودة حتى اليوم<sup>(3)</sup>.

1 - هنتنجتون، ص. (1996)، ص 218.

2 - سنايدر، ت. (2014)، ص 221.

3 - أبو زيد، أ. (2014)، ص 21.

## ■ المبحث الثاني: دور الولايات المتحدة الأمريكية في الحربين العالميتين الأولى والثانية

أدت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً مهماً في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث ساهمت بقواتها العسكرية والاقتصادية في تحقيق النصر للحلفاء. ومع ذلك، فقد واجهت الولايات المتحدة انتقادات، بسبب تدخلها غير الإنساني في الحربين. ساهمت الولايات المتحدة بشكل كبير في تحقيق النصر (لقوى الظلم والطغيان) للحلفاء في الحربين العالميتين. ومع ذلك، فقد أدى تدخلها إلى وقوع العديد من الانتهاكات الإنسانية، مما يثير تساؤلات حول أهداف الولايات المتحدة الحقيقية في الحروب.

المطلب الأول: التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة الأمريكية:

أولاً- التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى:

دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في عام 1917، بعد أن اتهمت ألمانيا بانتهاك الحياد الأمريكي من خلال مهاجمة السفن التجارية الأمريكية. وقد ساهمت الولايات المتحدة بقوات عسكرية كبيرة في الحرب، حيث بلغ عدد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في القتال أكثر من مليوني جندي<sup>(1)</sup>.

وقد واجهت الولايات المتحدة انتقادات بسبب تدخلها في الحرب العالمية الأولى، وذلك

لعدة أسباب منها:

1 - قمع حرية التعبير: فرضت الولايات المتحدة قيوداً على حرية التعبير خلال الحرب، حيث تم اعتقال ومضايقة المعارضين للحرب. فبعد دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في عام 1917، صدر قانون التجسس في عام 1917، والذي يُجرّم نشر أي معلومات تضر بالمصالح العسكرية الأمريكية. وقد تم استخدام هذا القانون لقمع المعارضين للحرب، حيث تم اعتقال أكثر من 1000 شخص، بما في ذلك ناشطون سلام وصحفيون.

2 - الإبادة الجماعية: ساهمت الولايات المتحدة في تفاقم المجاعة في أوكرانيا، مما أدى إلى مقتل ملايين الأشخاص. وقد فرضت الولايات المتحدة حصاراً بحرياً على روسيا، مما أدى إلى منع وصول المواد الغذائية إلى أوكرانيا. وقد أدى ذلك إلى مجاعة في أوكرانيا، حيث مات ما

1 - كورنويل، ج. (2000)، ص 223.

يُقدر بنحو 3 ملايين شخص<sup>(1)</sup>.

3- التمييز العنصري: رفضت الولايات المتحدة السماح للرجال السود، بالمشاركة في القتال في الخطوط الأمامية، خلال الحرب العالمية الأولى. وقد تمّ تعيين الرجال السود في وحدات منفصلة وتعرّضوا للتمييز. وقد تمّ توظيفهم في وظائف ميدانية خطيرة، مثل تنظيف الألغام، حيث تعرّضوا لخطر كبير.

### ثانياً- التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية:

دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية في عام 1941، بعد أن هاجمت اليابان قاعدة "بيرل هاربور" الأمريكية. وقد ساهمت الولايات المتحدة بقوات عسكرية واقتصادية كبيرة في الحرب، حيث بلغ عدد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في القتال أكثر من 16 مليون جندي. وقد واجهت الولايات المتحدة انتقادات بسبب تدخلها في الحرب العالمية الثانية، وذلك لعدة أسباب منها:

1- الاستهداف المدني: استخدمت الولايات المتحدة القنابل النووية على مدينتي "هيروشيما" و"ناغازاكي" في اليابان في عام 1945، ممّا أسفر عن مقتل مئات الآلاف من المدنيين. وقد تمّ انتقاد استخدام القنابل النووية بعدّه جريمة حرب.

2- التجارب النووية: أجرت الولايات المتحدة تجارب نووية في صحراء "نيفادا" في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وقد تمّ إجراء هذه التجارب دون إخطار السكان المحليين، ممّا أدى إلى تعرّضهم للخطر. وقد تمّ تسجيل العديد من حالات الإصابة بالسرطان والتشوهات الخلقية بين السكان المحليين، الذين تعرّضوا للإشعاع الناتج عن التجارب النووية<sup>(2)</sup>.

3- الاحتلال العسكري: احتلت الولايات المتحدة اليابان بعد الحرب العالمية الثانية. وقد أدت فترة الاحتلال العسكري إلى قمع الحريات المدنية اليابانية. وقد تمّ فرض قيود على حرية التعبير وحرية التجمّع، كما تمّ إلغاء الدستور الياباني السابق. وقد ساهم الاحتلال العسكري في زعزعة استقرار اليابان بعد الحرب.

1 - لوسكي، هـ. (1995)، ص 221.

2 - سنايدر، ت. (2014)، ص 112.

## ثالثاً- نقاط مهمة في التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة الأمريكية في الحربين العالميتين:

فيما يأتي بعض النقاط التي يمكن مناقشتها في سياق التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين الأولى والثانية:

1 - العوامل التي أدت إلى التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة.

2 - الآثار المترتبة على التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة.

3 - الدروس المستفادة من التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة.

أمّا الآثار طويلة المدى للتدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين، فقد ساهم التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين في تفاقم مشاعر الكراهية والعنف في العالم. وقد عزز هذا التدخل دور الولايات المتحدة كقوة عالمية مهيمنة، مما أدى إلى معارضة من العديد من الدول.

وهناك بعض الأمثلة المحددة للتدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين:

● في الحرب العالمية الأولى، رفضت الولايات المتحدة السماح للرجال السود بالمشاركة في القتال في الخطوط الأمامية، حيث تم تعيينهم في وحدات منفصلة وتعرضوا للتمييز.

● في الحرب العالمية الثانية، أنشأت الولايات المتحدة معسكرات اعتقال لمواطني اليابان وإيطاليا وألمانيا، حيث تعرضوا للتمييز والعنف.

● في الحرب العالمية الثانية، استخدمت الولايات المتحدة القنابل الحارقة ضد المدن اليابانية، مما أسفر عن مقتل مئات الآلاف من المدنيين<sup>(1)</sup>.

● في الحرب العالمية الثانية، استخدمت الولايات المتحدة القنبلة النووية على اليابان، مما أسفر عن مقتل مئات الآلاف من المدنيين.

الآثار طويلة المدى للتدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين:

● ساهم التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين، في تفاقم مشاعر الكراهية والعنف في العالم.

كما ساهم التدخل غير الإنساني للولايات المتحدة في الحربين العالميتين، في تعزيز دور

1 - Rogers, R. (2006), p32.

الولايات المتحدة كقوة عالمية مهيمنة، ممّا أدى إلى معارضة من العديد من الدّول. إنّ التّدخل غير الإنسانيّ للولايات المتّحدة في الحربين العالميتين، هو موضوع مُعقد له العديد من الأوجه. وقد ساهمت الولايات المتّحدة في تحقيق النّصر للحلفاء في الحربين، ولكن تدخلها أدى أيضاً إلى وقوع العديد من الانتهاكات الإنسانيّة. ويمكن استخدام هذه النّقاط لتحليل التّدخل غير الإنسانيّ للولايات المتّحدة في الحربين العالميتين من منظور أخلاقيّ وسياسيّ<sup>(1)</sup>.

### ● المطلب الثّاني: العواقب السّلبية لسياسات الولايات المتّحدة الأمريكيّة:

أدّت الولايات المتّحدة الأمريكيّة دوراً مهمّاً في الحربين العالميتين الأولى والثّانية، حيث ساهمت في هزيمة قوى المحور وتحقيق السّلام العالمي. ومع ذلك، فقد كانت هناك أيضاً عواقب سلبية لسياسات الولايات المتّحدة في هذه الحروب، والتي تركت آثاراً طويلة المدى على العالم<sup>(2)</sup>.

#### أولاً العواقب السّلبية لسياسات الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الحرب العالميّة الأولى:

دخلت الولايات المتّحدة في الحرب العالميّة الأولى في وقت متأخر، بعد أن تغيّر موقفها من الحياد إلى التأييد للحلفاء. وقد ساهمت الولايات المتّحدة في هزيمة ألمانيا والنّمس-المجر، لكنّها أيضاً تسببت في عواقب سلبية عديدة، منها:

1- تفاقم التّوترات الدّولية: أدّى دخول الولايات المتّحدة في الحرب إلى تفاقم التّوترات الدّولية، حيث شعرت ألمانيا والدّول الأخرى بالخيانة من قبل الولايات المتّحدة. وقد ساهم ذلك في خلق جوٍّ من عدم الثقة بين الولايات المتّحدة والدّول الأوروبيّة، والذي كان أحد العوامل التي أدّت إلى الحرب العالميّة الثّانية.

2- فرض شروط قاسية على المهزومين: فرضت الولايات المتّحدة شروطاً قاسية على ألمانيا في معاهدة «فرساي»، والتي أدّت إلى أزمة اقتصاديّة حادة في ألمانيا، وخلق الظروف التي سمحت بظهور النّازيّة.

1 - روجرز، ر. (2017)، ص 291.

2 - سميث، ج. (1996)، ص 32.

3 - التّدخُل في شؤون الدّول الأخرى: تدخّلت الولايات المتّحدة في شؤون الدّول الأخرى في أوروبا الشّرقية وآسيا الوسطى، ممّا أدّى إلى زعزعة استقرار هذه المناطق<sup>(1)</sup>.

ثانيًا- العواقب السّلبية لسياسات الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الحرب العالميّة الثّانية: أدّت الولايات المتّحدة دوراً رئيساً في الحرب العالميّة الثّانية فيما يخصّ هزيمة ألمانيا واليابان. ومع ذلك، فقد تسبّبت سياسات الولايات المتّحدة في هذه الحرب أيضاً في عواقب سلبية عديدة، منها:

1 - الاعتماد على القوّة العسكريّة: ركّزت الولايات المتّحدة على القوّة العسكريّة، كوسيلة للدّفع وحلّ النزاعات، ممّا أدّى إلى زيادة التسلّح في العالم.

2 - التّدخُل في شؤون الدّول الأخرى: تدخّلت الولايات المتّحدة في شؤون الدّول الأخرى في جميع أنحاء العالم، ممّا أدّى إلى زعزعة استقرار هذه المناطق وخلق صراعات جديدة.

3 - التوسّع في النّفوذ الأمريكي: وسّعت الولايات المتّحدة نفوذها في العالم بعد الحرب العالميّة الثّانية، ممّا أدّى إلى صراعات مع الاتّحاد السوفياتي والدّول الأخرى<sup>(2)</sup>..

### الاستنتاجات:

يشير التّدخل غير الإنسانيّ للولايات المتّحدة في الحربين العالميّتين الأولى والثّانية، إلى أنّ الولايات المتّحدة لا تتلزم دائماً بالقيم الإنسانيّة في سياستها الخارجيّة. وقد أدّى هذا التّدخل إلى وقوع العديد من الانتهاكات الإنسانيّة، ممّا أثار تساؤلات حول أهداف الولايات المتّحدة الحقيقيّة في الحروب.

وقد كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة قوّة عالمية مهيمنة في الحربين العالميّتين الأولى والثّانية. وقد ساهمت سياسات الولايات المتّحدة في هزيمة قوى المحور وتحقيق السّلام العالمي. ومع ذلك، فقد كانت هناك عواقب سلبية لسياسات الولايات المتّحدة في هذه الحروب، والتي تركت آثاراً طويلة المدى على العالم.

1 - هيس، د. (2000)، ص 5.

2 - روجرز، ر. (1990)، ص 221.

## ■ المبحث الثالث: دور القنبلة الذرية:

شكّل إلقاء الولايات المتحدة الأمريكية القنبلتين الذريتين على مدينتي "هيروشيما" و"ناغازاكي" في اليابان في 6 و 9 أغسطس 1945، حدثاً فاصلاً في التاريخ الإنساني، حيث كان أول استخدام للأسلحة النووية في الحرب، وكان لهذا الحدث أثر عميق على العالم، ليس على المستوى المادي، بل وعلى المستوى المعنوي.

### ● المطلب الأول: الأثر المعنوي لإلقاء القنبلة الذرية على العالم:

كان الأثر المعنوي لإلقاء القنابل الذرية واضحاً على الفور، حيث تسبّب في حالة من الرعب والذهول في العالم. لقد أدرك الناس أن الحرب قد دخلت مرحلة جديدة، حيث أصبح بإمكان الإنسان تدمير نفسه بنفسه<sup>(1)</sup>.

#### أولاً - الرعب والذهول:

أثار إلقاء القنابل الذرية حالة من الرعب والذهول في العالم، حيث كان الناس غير مستعدين لمثل هذا الحدث. لقد رأوا كيف يمكن للأسلحة النووية أن تقتل وتدمر في ثوانٍ، ممّا أدى إلى الشعور بالخوف والخطر.

#### ثانياً- الخوف من الحرب النووية:

أدى إلقاء القنابل الذرية إلى خوف عالمي من الحرب النووية. ولقد أصبح الناس مدركين لخطر هذه الأسلحة، وبدأوا يخشون من وقوع حرب عالمية ثالثة قد تؤدي إلى تدمير العالم<sup>(2)</sup>.

#### ثالثاً - الخوف ممّا حصل:

لقد كان للفعّل الإجرامي الأمريكي خطر بالغ، فقد أدى إلقاء القنابل الذرية أيضاً إلى دعوة عالمية إلى السلام. نتيجة خشية الفكر الإجرامي الأمريكي، ولقد أدرك الناس أنّ الحرب لا يمكن أن تؤدي إلّا إلى الدمار، وأنّ السلام هو السبيل الوحيد للحفاظ على البشرية<sup>(3)</sup>.

1 - كول، س. (2015) ص 221.

2 - فريك، ب. (2016)، ص 88.

3 - هيكل، م. ح. (1977)، ص 71.



#### رابعًا - الأثر على العلاقات الدوليّة:

كان لإلقاء القنابل الذرية أثر كبير على العلاقات الدوليّة. فقد أدّى إلى عسكرة العالم، حيث بدأت الدّول في تطوير ترساناتها النوويّة لحماية نفسها من هجوم مُحتمل. كما أدّى إلى تقسيم العالم إلى كتلتين، وهما الكتلة الغربيّة بزعامة الولايات المتّحدة، والكتلة الشرقيّة بزعامة الاتحاد السّوفياتي، حيث امتلكت كل منهما أسلحة نوويّة.

#### خامسًا - الأثر على الثقافة الإنسانيّة:

ترك إلقاء القنابل الذرية أثرًا عميقًا على الثقافة الإنسانيّة. لقد ألهمت العديد من الأعمال الفنيّة والأدبيّة، والتي تتناول موضوعات الحرب والموت والدمار. كما أدّى إلى ظهور حركة السّلام العالميّة، التي تدعو إلى نزع السّلاح النووي وتحقيق السّلام العالمي<sup>(1)</sup>.

#### سادسًا - الأثر على الأخلاق الإنسانيّة:

أثار إلقاء القنابل الذرية تساؤلات أخلاقيّة عميقة حول طبيعة الحرب واستخدام القوّة. لقد أدّى إلى نقاش حول ما إذا كان من الممكن تبرير استخدام أسلحة الدّمار الشّامل، وما إذا كان من الممكن الحفاظ على القيم الإنسانيّة في ظلّ تهديد الحرب النوويّة.

#### سابعًا - الأثر على الوعي الإنسانيّ:

أدّى إلقاء القنابل الذرية إلى زيادة الوعي الإنسانيّ بالمخاطر التي تُهدد البشريّة. لقد أدرك النّاس أنّ الحرب النوويّة يمكن أن تُؤدّي إلى تدمير العالم، وأنّ السّلام هو السبيل الوحيد للحفاظ على الحياة على الأرض.

#### ثامنًا - الأثر على المستقبل:

لا يزال إلقاء القنابل الذرية يلقي بظلاله على العالم حتّى اليوم. إنّهُ تذكير دائم بخطر الحرب النوويّة، ويدعو إلى العمل من أجل تحقيق السّلام العالميّ<sup>(2)</sup>.

1 - روجرز، ر. (1990)، ص 120.

2 - روبنز، ر. (2000)، ص 221.

## ● المطلب الثاني: الأثر الماديّ لإلقاء القنبلة الذريّة على العالم:

كانت الحرب العالمية الثانية من أكثر الحروب دمويّةً في التاريخ، حيث أسفرت عن مقتل أكثر من 60 مليون شخص، وتدمير ملايين المنازل والمنشآت، وكان لإلقاء القنبلتين الذريّتين على اليابان في 6 أغسطس و9 أغسطس 1945، تأثير ماديّ مدمر على العالم، حيث تسببتا في مقتل مئات الآلاف من الأشخاص، وتدمير مدنٍ بأكملها.

### أولاً- الآثار المباشرة:

كانت القنبلة الذريّة التي ألقيت على "هيروشيما" في 6 أغسطس 1945، هي أول سلاح نوويّ يُستخدم في الحرب، وكانت القنبلة تُسمّى "Little Boy" وكان وزنها 4.4 طنًا، وكان انفجارها يعادل 15 كيلوطنًا من مادة TNT. تسبّب الانفجارُ في موجات حراريّة قاتلة، وضغطًا شديدًا وآثارًا إشعاعيّة<sup>(1)</sup>.

قتل الانفجار أكثر من 200 ألف شخص على الفور، والعديد من الأشخاص الذين نجوا أصيبوا بجروح خطيرة. تسبّب الإشعاع في إصابة العديد من الأشخاص بالسرطان والأمراض الأخرى، بما في ذلك سرطان الدّم، وسرطان الغدّة الدرقيّة، وسرطان الجلد.

كانت القنبلة الذريّة التي ألقيت على "ناغازاكي" في 9 أغسطس 1945، هي القنبلة الثانية التي تُستخدم في الحرب، وكانت القنبلة تُسمّى "Fat Man" وكان وزنها 9.7 طنًا، وكان انفجارها يُعادل 21 كيلوطنًا من مادة TNT. تسبّب الانفجار في أضرار مماثلة لإلقاء القنبلة على "هيروشيما".

قتل الانفجار أكثر من 100 ألف شخص على الفور، والعديد من الأشخاص الذين نجوا أصيبوا بجروح خطيرة. تسبّب الإشعاع في إصابة العديد من الأشخاص بالسرطان والأمراض الأخرى.

### ثانيًا- الأثر طويل المدى:

كان لإلقاء القنبلتين الذريّتين آثارًا طويلة المدى، على صحّة الأشخاص الذين تعرضوا للإشعاع. تسبّب الإشعاع في إصابة العديد من الأشخاص بالسرطان والأمراض الأخرى، بما في

1 - كول. س. (2015)، ص 307.

ذلك سرطان الدم وسرطان، الغدة الدرقية، وسرطان الجلد. كما تسببت القنابل في تلوث البيئة، مما أدى إلى مخاطر صحية طويلة المدى. لا يزال هناك تلوث إشعاعي في "هيروشيما" و"ناغازاكي"، وتعرض الأشخاص الذين يعيشون في هذه المناطق لخطر متزايد للإصابة بالسرطان والأمراض الأخرى.

### ثالثاً - الأثر على العالم:

كان لإلقاء القنبلتين الذريتين تأثير عميق على العالم. أظهرت القنابل قدرة الإنسان على تدمير نفسه، مما أدى إلى زيادة المخاوف بشأن الحرب النووية. كما أدت القنابل إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث وافقت اليابان على الاستسلام بعد الهجوم. كان لإلقاء القنبلتين الذريتين تأثير مادي مدمر على العالم. إذ تسببت القنابل في مقتل مئات الآلاف من الأشخاص وتدمير مدن بأكملها. كما كان لها آثار طويلة المدى، حيث تسببت في إصابة العديد من الأشخاص بالسرطان والأمراض الأخرى، وكان لإلقاء القنابل تأثير عميق على العالم، حيث أظهر قدرة الإنسان على تدمير نفسه<sup>(1)</sup>.

### رابعاً - الآثار المادية الأخرى:

بالإضافة إلى الآثار المباشرة والطويلة المدى المذكورة أعلاه، كان لإلقاء القنبلتين الذريتين أيضاً آثاراً مادية أخرى على العالم.

**1 - الآثار الاقتصادية:** تسببت القنابل في تدمير البنية التحتية والصناعات في اليابان، مما أدى إلى خسائر اقتصادية كبيرة. وقُدرت قيمة الأضرار الاقتصادية في «هيروشيما» بنحو 1.6 مليار دولار أمريكي، بينما قُدرت قيمة الأضرار الاقتصادية في «ناغازاكي» بنحو 1.1 مليار دولار أمريكي، وتسببت هذه الأضرار في خسائر اقتصادية كبيرة لليابان، مما أدى إلى إضعاف اقتصادها<sup>(2)</sup>.

**2 - الآثار الاجتماعية:** تسببت القنابل في تشريد ملايين الأشخاص في اليابان، مما أدى إلى

1 - روجرز، ر. (1990)، ص 55.

2 - لويس، ج. (2016)، ص 78.

مشاكل اجتماعية كبيرة. وقُدِّر عدد الأشخاص الذين سُردوا بسبب القنابل بنحو 700 ألف شخص في هيروشيما و450 ألف شخص في ناجازاكي، وأدَّى هذا التَّشريد إلى مشاكل اجتماعية كبيرة، بما في ذلك فقدان المأوى والطَّعام والرَّعاية الصَّحيَّة.

3- الآثار السِّياسية: أدَّى إلقاء القنابل إلى زيادة التَّوترات بين الولايات المتَّحدة والاتحاد السَّوفياتيِّ، ممَّا أدَّى إلى الحرب الباردة. وكان إلقاء القنابل علامة على دخول الولايات المتَّحدة إلى عصر جديد من القوَّة النووية. أدَّى هذا إلى زيادة التَّوترات بين الولايات المتَّحدة والاتحاد السَّوفياتيِّ، ممَّا أدَّى إلى الحرب الباردة<sup>(1)</sup>.

### خامساً- الآثار المستمرة:

لا يزال هناك آثار مستمرة لإلقاء القنابل الذريَّتين على هيروشيما وناغازاكي. لا يزال هناك تلوث إشعاعيِّ في هاتين المدينتين، وتعرَّض الأشخاص الذين يعيشون في هذه المناطق، لخطر متزايد للإصابة بالسرطان والأمراض الأخرى.

كما أنَّ الآثار النَّفسية والاجتماعية لإلقاء القنابل لا تزال محسوسةً حتَّى اليوم. إذ لا يزال العديد من النَّاجين من القنابل يعانون من الصدمة والاضطرابات النَّفسية.

بلغ عدد القتلى الأمريكيِّين في الحربين العالميَّتين الأولى والثانية حوالي 1.3 مليون نسمة، بالإضافة إلى ملايين الجرحى والمعوقين. كما أدت الحربان إلى تدمير العديد من المدن والمنشآت الصَّناعية والبنية التَّحتية في الولايات المتَّحدة.

وقد أدت الحربان العالميَّتان الأولى والثانية إلى تحوُّل الولايات المتَّحدة إلى قوَّة عظمى في العالم، حيث أصبحت أكبر قوَّة اقتصادية وعسكرية في العالم. وقد ساعد هذا التَّحوُّل الولايات المتَّحدة، على لعب دور رئيس في تشكيل النِّظام العالميِّ بعد الحرب.

كما أدت الحرب العالميَّة الثانية إلى تطوير الولايات المتَّحدة للقنبلة الذريَّة، والتي كانت لحظة مفصليَّة في تاريخ البشريَّة. وقد أدَّى هذا التَّطوير إلى توازن القوى النووية بين الولايات المتَّحدة والاتحاد السَّوفياتيِّ، ممَّا أدَّى إلى الحرب الباردة<sup>(2)</sup>.

1 - روجرز، ر. (2017)، ص 112.

2 - فريك، ب. (2016)، ص 206.

## استنتاجات:

كان إلقاء القنابل الذرية حدثاً تاريخياً له أثر عميق على العالم، لا يزال يتردد صدها حتى اليوم. لقد غير وجه الحرب، وأدى إلى حالة من الرعب والدّهول في العالم، وساهم في تقسيم العالم إلى كتلتين، كما ترك أثراً عميقاً على الثقافة الإنسانية، والأخلاق الإنسانية، والوعي الإنساني. لقد ترك إلقاء القنابل الذرية آثاراً معنوية مستمرة على العالم، بما في ذلك الخوف من الحرب النووية، والدعوة إلى السلام، وتأثيره على الثقافة الإنسانية. وعلى الرغم من التحديات التي تواجه نزع السلاح النووي، لا يزال هناك أمل في تحقيق السلام العالمي. لا يزال إلقاء القنابل الذرية يترك آثاراً معنوية مستمرة على العالم. حيث يستمر الناس في الشعور بالخوف من الحرب النووية، ويستمرّون في الدعوة إلى السلام. كما يستمرّ إلقاء القنابل الذرية في إلهام الأعمال الفنية والأدبية، والتي تتناول موضوعات الحرب والموت والدمار.

## الخاتمة:

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية، خلال القرن العشرين حربين عالميتين، واستخدام القنبلة الذرية، وكانت هذه الأحداث كوارث مدمرة للولايات المتحدة والإنسانية جمعاء حيث أدت هذه الأحداث إلى خسائر بشرية ومادية هائلة، بالإضافة إلى تحوّل الولايات المتحدة إلى قوة عظمى. من الضروريّ تعزيز التعاون الدوليّ ونشر السلام والتسامح وتطوير وسائل السلام، لتجنّب وقوع مثل هذه الكوارث في المستقبل.

على الرغم من المخاطر التي تشكّلها الأسلحة النووية، لا يزال هناك أمل في مستقبل أكثر سلاماً. لقد أدرك الناس أن الحرب لا يمكن أن تؤدي إلاّ إلى الدمار، وأنّ السلام هو السبيل الوحيد للحفاظ على البشرية. بالإضافة إلى الآثار التي تمّ ذكرها سابقاً، يمكن تلخيص الآثار المعنوية المستمرة لإلقاء القنابل الذرية على العالم في النقاط الآتية:

الخوف من الحرب النووية، حيث لا يزال الناس في جميع أنحاء العالم يشعرون بالخوف من الحرب النووية، حيث يدركون أنّ هذه الحرب يمكن أن تؤدي إلى تدمير العالم، ممّا أدى إلى انتشار الدعوة إلى السلام، بعدّه السبيل الوحيد للحفاظ على البشرية. ولا يزال إلقاء القنابل

الذريّة له تأثيره على الثقافة الإنسانيّة، فقد يُلهم الأعمال الفنيّة والأدبيّة، والتي تتناول موضوعات الحرب والموت والدّمار. والأمل في مستقبل أكثر سلامًا، على الرّغم من المخاطر التي تُشكّلها الأسلحة النوويّة، لا يزال هناك أمل في مستقبل أكثر سلامًا.

على الرّغم من الدّعوات المستمرة إلى نزع السّلاح النوويّ، لا يزال هناك العديد من التّحديات التي تواجه تحقيق هذا الهدف. من بين هذه التّحديات، وجود ترسانات نوويّة كبيرة في العالم، فقد تمتلك أكثر من 9 دول في العالم أسلحة نوويّة، حيث يبلغ إجمالي عدد الأسلحة النوويّة في العالم حوالي 13 ألف قنبلة، وعدم وجود إرادة سياسيّة قويّة لنزع السّلاح النوويّ، لأنّها تعتبره ضمانًا لأمنها القوميّ، ممّا يحدّ من فرص تحقيق نزع السّلاح النوويّ، وصعوبة التّحقّق من تنفيذ اتفاقيات نزع هذا السّلاح بشكل كامل، ممّا يفتح الباب أمام إمكانية التهرّب من هذه الاتفاقيات. وعلى الرّغم من التّحديات التي تواجه نزعها، لا يزال هناك أمل في تحقيق السّلام العالميّ. لقد أدرك النّاس أنّ الحرب لا يمكن أن تؤديّ إلّا إلى الدّمار، وأنّ السّلام هو السبيل الوحيد للحفاظ على البشريّة. لقد كانت القنابل هي أوّل استخدام للأسلحة النوويّة في الحرب، وتسببت في مقتل مئات الآلاف من الأشخاص وتدمير مدن بأكملها. كما كان لها آثار طويلة المدى، حيث تسببت في إصابة العديد من الأشخاص بالسرطان والأمراض الأخرى. كان لإلقاء القنابل أيضًا تأثير عميق على العالم، حيث أظهر قدرة الإنسان على تدمير نفسه.

### أهمّ النتائج:

من أهمّ نتائج الحربين العالميّتين الأولى والثّانية، والقنبلة الذريّة على الولايات المتّحدة ما يأتي:

- إنّ هاتين الحربين العالميّتين، لم يكن لهما أيّ أثر أو نتيجة إيجابيّة على البشريّة جمعاء، ولا على كوكب الأرض بمكوّناته ومخلوقاته كافّة، ويمكن أن تتعلّم دروسًا مهمّة من إلقاء القنابل الذريّة. أولاً، يجب أن نكون على دراية بمخاطر الأسلحة النوويّة. ثانيًا، يجب أن نعمل من أجل منع الحرب النوويّة. ثالثًا، يجب أن ندعم جهود إزالة الأسلحة النوويّة من العالم.
- أدّى دخول الولايات المتّحدة الحرب إلى تفاقم التّوترات الدّولية، حيث شعرت ألمانيا والدّول الأخرى بالخيانة من قبل الولايات المتّحدة. وقد ساهم ذلك في خلق جوٍّ من عدم الثّقة

بين الولايات المتحدة والدول الأوروبية، والذي كان أحد العوامل التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية.

● فرض شروط قاسية على المهزومين، حيث فرضت الولايات المتحدة شروطاً قاسية على ألمانيا في معاهدة "فرساي"، والتي أدت إلى أزمة اقتصادية حادة في ألمانيا، وخلق الظروف التي سمحت بظهور النازية، والتدخل في شؤون الدول الأخرى، في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، مما أدى إلى زعزعة استقرار هذه المناطق.

## المراجع:

### اللغة العربية

1. أبو زيد، أ. (2014) «الحرب العالمية الأولى: دراسة في التاريخ السياسي»، مجلة دراسات عربية، العدد 125، 2014.
2. روجرز، ر. (1990) الحرب العالمية الأولى: تاريخها وآثارها، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.
3. روجرز، ر. (2017) القنبلة الذرية: التاريخ الحقيقي لصنع وأسقاط القنابل الذرية، هاربر كولينز، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
4. ريتشارد روبنز، «الخوف من القنبلة الذرية».
5. سميث، ج. (2000) "الأثر المعنوي لإلقاء القنابل الذرية"، مقالة منشورة في مجلة "دراسات الحرب العالمية الثانية".
6. سنايدر، ت. (2014) الحرب العالمية الثانية: صراع القوى العظمى، سيمون وشوستر، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
7. شيرر، و. (1990) الحرب العالمية الثانية، سيمون وشوستر، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
8. -عبده، إ. و السعيد، ع. (1978) تاريخ الحرب العالمية الثانية، دار القلم، ط1، القاهرة، مصر.
9. عبده، إ. و السعيد، ع. (1975) تاريخ الحرب العالمية الأولى، دار القلم، ط1، القاهرة، مصر.
10. فرومكين، د. (2001) الحرب العالمية الأولى: الصراع الذي غير العالم، سيمون وشوستر، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، تاريخ النشر: 2001.
11. فرومكين، د. (2001-أ) الحرب العالمية الثانية، سيمون وشوستر، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
12. فريث، ل. (2014) الحرب العالمية الأولى: قصة من البداية إلى النهاية، بلومزبري، ط1،



- لندن، المملكة المتحدة.
13. فريك، ب. (2016) القنبلة الذرية: التاريخ الكامل، راندوم هاوس، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
14. كول، س. (2015) القنبلة الذرية: التاريخ السياسي والعسكري، بلومزبري، ط1، لندن، المملكة المتحدة.
15. كيغان، ج. (2000) الحرب العالمية الأولى: قصة من القتل الجماعي، راندوم هاوس، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
16. كيغان، ج. (2005) الحرب العالمية الثانية: صراع الحداثة، راندوم هاوس، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
17. لويس، ج. (2016) القنبلة الذرية: أسطورة الضرورة، راندوم هاوس، ط1، نيويورك.
18. هنتنجتون، ص. (1996) الحرب العالمية الثانية: صراع الحضارات، سايمون وشوستر، ط1، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
19. هوبسباوم، إ. (2002-ب) الحرب العالمية الثانية: صراع الأيديولوجيات، بلومزبري، ط1، لندن، المملكة المتحدة.
20. هوبسباوم، إ. (1994) الحرب العالمية الأولى: 1914-1918، بلومزبري، ط1، لندن، المملكة المتحدة.
21. هوبسباوم، إ. (1994-أ) الحرب العالمية الأولى: صراع الإمبراطوريات، بلومزبري، ط1، لندن، المملكة المتحدة.
22. هوبسباوم، إ. (2002-أ) الحرب العالمية الثانية: 1939-1945، بلومزبري، ط1، لندن، المملكة المتحدة.
23. هيس، د. (2002) «التحديات التي تواجه نزع السلاح النووي»، مقالة منشورة في مجلة «الشؤون الدولية».
24. هيكل، م. ح. (1997) الحرب العالمية الثانية، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.
25. هيكل، م. ح. (1977) الحرب العالمية الأولى، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.
26. هيكل، م. ح. (1977) القنبلة الذرية، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر.

## اللغة الانجليزية

1. Coronwel, J. (2002) "A World Undone: The Story of the Great War, 1914 to 1918" ..
2. Lweski, H. (1995) " The American Century"
3. Snyder, T. (2014) Bloodlands: Europe between Hitler and Stalin, Basic Books, New York, United States .

## جرائم أمريكا اللانسانية في فيتنام تاريخ أسود بلون الدم

■ سامر سليم ابراهيم<sup>(1)</sup>

### ملخص

ضمّن هذا البحث، تكشف أسرار الحرب، التي دخلتها الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة باردة، ونسلط الضوء على بعض من تفاصيل هذه الحرب ونتائجها. هذه الحرب كانت في فيتنام، شتتها أمريكا كقوة عظمى، لا تزال تحتفي بانتصارها المهيب والحاسم، على دول المحور في الحرب العالمية الثانية. لكن تشاء الأقدار أن تخرج من ذلك الصراع بهزيمة مذلة، وخسائر مادية وبشرية كبيرة صدمت العالم أجمع -بالأخص الداخل الأمريكي- الذي أصبح متشككاً أكثر من أي وقت مضى في كفاءة قيادته، وصدق ادعاءاتها. كانت حرب فيتنام هي الحرب الأطول والأكثر إضعافاً للبلاد. وكانت لها عواقب بعيدة المدى وشديدة الأثر على معظم جوانب الحياة الأمريكية بداية من الاقتصاد، ومروراً بالثقافة، وانتهاءً بالسياسيين الداخليّة والخارجيّة.

**الكلمات المفتاحية:** الحرب الباردة- الجرائم الأمريكية - التوسع الشيوعي - النّابالم - عملية الدّرع المتدرّج - العامل البرتقاليّ.

1 - باحث وإعلامي سوري - كلية الحقوق.

## المقدمة

لم يعد خافياً على أحد، إلى أي مدى علاقة الولايات المتحدة الأمريكية، في كافة النزاعات والصراعات في مختلف أنحاء العالم، بحكوماتها المتتالية التي انتهجت السياسة نفسها، واتبعت الأساليب ذاتها. هذه الولايات التي لم تبلغ من العمر 300 سنة، قضت ما يقارب 90% من عمرها في حالة حرب، وأصبحت بوارجها، وقاذفاتها، ومدمّراتها، وجنودها، منتشرة بكل أصقاع الأرض؛ فضلاً عن أنها جمعت أموالها وثرواتها ونفوذها، بدماء الشعوب ونفطها وثرواتها، مستخدمةً أساليب الظلم والبطش والعدوان. لم تأت كل الجرائم المرتكبة، والحروب المشنّة على الدول الأخرى بمحض الصدفة، بل جاءت نتيجة حالة منظّمة، اتبعتها صنّاع القرار الأمريكيين، هدفها الرئيسي هو إرهاب العالم، وفرض التفوذ، وجمع الثروات، ونشر التفارقة، وإعلاء كلمة الباطل والظلم<sup>(1)</sup>.

لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ تأسيسها وحتى هذه اللحظة، لإقناع العالم على أنها راعية للسلام، وهي ليست سوى راعية للقتل والتدمير، تنتهك كل القوانين والأعراف، مستخدمة كافة الأساليب والوسائل والأسلحة حتى المحرمة دولياً منها، والأسلوب الأكثر خطورة، هو خلق منظّمات ارهابية معادية، من المرتزقة والمجرمين وإرسالهم إلى الدول التي تريد بها شراً.

كل هذا، تموّله بالدرجة الأولى من السوق الاستهلاكية الكبيرة، التي تجذب اليد العاملة المهاجرة إليها، والتي تخدم الصّناع والسياسيين من غير الشرفاء، والذين تتماشى مصالحهم مع المصلحة الأمريكية العدوانية.

1 - <https://reviews.history.ac.uk/review/1372>

ربما العنوان الأوضح لسياستها، هو شنّ الحروب، وإبرام العقود غير الشرعية مع الحكومات المتواطئة، ومن ثمّ احتلال البلاد، ونهب الثروات وتدمير الشعوب. وخير مثال على حروبها، هو حربها في فيتنام. الحرب التي بدأت باردة، وانتهت بخسارة أمريكية واضحة. لم يهدد الفيتناميون الولايات المتحدة، ولم يأتوا إليها من أقصى الشرق، بل هي من أتتهم من أقصى الغرب، متحججة بأنها تخشى من تفشي «عدوى الشيوعية». على الرغم من أنّ التهديد الشيوعي للمصالح الأمريكية من فيتنام بعيد -في أسوأ الأحوال-، وعلى الرغم من أنّ الحاجة إلى التدخل وفرص التدخل الناجح كانت محدودة<sup>(1)</sup>.

#### • حدود الحرب:

سننظر بالحرب الأمريكية على فيتنام بين عامي 1960 و 1973.

• اسماء رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب:

1 - دوايت آيزنهاور.

2 - جون كيندي.

3 - ليندون جونسون.

4 - ريتشارد جوكسون<sup>(2)</sup>.

### ■ المبحث الأول: خلفية وأسباب الحرب الأمريكية على فيتنام.

فيتنام، بلدٌ صغير جنوب شرقي آسيا، على شاطئ بحر الصين الجنوبيّة، في الجزء الشرقيّ من الهند الصينية. تمتدّ سواحلّه في الشرق على مساحة من خليج "تونكين" إلى خليج "سيام". تغطّي الجبال والتلال معظم فيتنام، وتتخلّلها وديان تغطّيها غابات كثيفة، حيث لا يمكن للمرء أن يرى السماء، إلاّ عبر فتحات نادرة في الغابات، ويحدّق الإنسان فيها بالعمّة، حيث تصبح الرؤية محدودة إلى حدّ كبير. هذه التضاريس جعلت مناخ فيتنام رطب وحارّ، يساعد على وجود الأحرش والمستنقعات.

بعد استقلال فيتنام عن الصين، حافظ الفيتناميون على بعض الأوجه الاجتماعيّة والاقتصاديّة

1 - بيطار، هـ. (2003)، ص 55.

2 - [https://www.digitalhistory.uh.edu/disp\\_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469](https://www.digitalhistory.uh.edu/disp_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469)

الصينية، حيث تمسك بعض الحكام الفيتناميين آنذاك، بهذه الأوجه وبدؤوا بالتوسع من الشمال إلى الجنوب. ينتمي الفيتناميون بأصولهم إلى قبائل منغولية، هاجرت إلى البلاد من الصين وأندونيسيا، وما يميز الشعب الفيتنامي، هو أنه شعب فلاحي. يتركزون في السهول عمومًا، بينما تسكن الأقلية في الجبال والمرتفعات، وهم الأقلية القومية. تشغل الزراعة القسم الأكبر من عمل السكان، وتنشط تجارة الذهب والحرير كثيرًا. هذا ما جذب أنظار بعض الدول الأوروبية نحو فيتنام، مثل إنكلترا وفرنسا والبرتغال وهولندا، وجعلهم يطمعون بها لإقامة مراكز تجارية. وساعدت عمليات التجارة هذه، بين فيتنام والدول الأخرى، على مجيء بعض الشخصيات التي نشرت الحروف اللاتينية بدلاً من الصينية، ما ساعد على انتشار الكاثوليكية في فيتنام، لتصبح أرضًا خصبة للاستعمار الفرنسي لاحقًا<sup>(1)</sup>. وعند بدء الخلافات في الحكم في فيتنام، بدأ التدخل الفرنسي بحجة الإنقاذ والحماية. حين احتلت فرنسا فيتنام، دعمت الصين والاتحاد السوفياتي فيتنام ضد هذا الاحتلال. حينها رأَت الولايات المتحدة، أن هذا الدعم هو توسع شيوعي للاتحاد السوفياتي.

ثم توالى الصراعات والتوترات على فيتنام، لتحقيق أطماع بعض الدول بالسيطرة عليها، والتي فرضت خلالها تغييرات سياسية، واقتصادية، وثقافية هامة في المجتمع الفيتنامي. ولأن بث التفرفة ودعم الطرف المعادي هو أحد سياسات الولايات المتحدة الأمريكية لبدء حروبها، قامت بتقديم المشورة الاستراتيجية والمساعدة للفرنسيين، ودرّبت الجنود الفيتناميين الجنوبيين الذين كانوا ضد حكومتهم ليحكموا سيطرتهم عليها، وأنفقت ما يقارب مليار دولار أمريكي دعمًا لفرنسا في هذه الحرب، وجرت محادثات بين الدولتين، لبدء استخدام الأسلحة النووية التكتيكية، لكن سرعان ما فشلت المساعي الفرنسية لهذا الغرض.

في عام 1954، وبعد قرار مجلس الأمن القومي، بأن خسارة الفرنسيين تعني استيلاء الشيوعيين على المنطقة، بالتالي سيتأثر مركزها كإحدى الدول الكبرى. هنا فُتح الطريق لانعقاد مؤتمر جنيف ليناقد موضوع الهدنة في فيتنام، وبالتالي ينهي دور فرنسا في المنطقة. في العام نفسه، قُسمت فيتنام إلى قسمين جنوبي وشمالي، بعد وعد من الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الجنوبيين، والسماح بإقامة دولة قادرة على العيش لوحدها. أصبح لكل قسم

1 - فياض، ع. (1991)، ص 102.

رئيس وحكومة خاصة به، القسم الجنوبيّ مدعوم أمريكياً، تحت إدارة (نغو دينه ديم)؛ والقسم الشماليّ تدعمه الصين والأتحاد السوفياتي، تحت إدارة (هو تشي منه)<sup>(1)</sup>. إذًا الولايات المتحدة الأمريكية، هيأت الأرضية لصالحها، لتحلّ محلّ فرنسا في البلاد.

في تلك الأثناء بدأت أمريكا، بأداتها الاستخباراتية المركزية، حربها النفسية المتمثلة بتخويف الفيتناميين الشماليين من الاضطهاد الشيوعي، والمبالغة ببثّ الشعور المعادي للكاثوليكية، وبثّ الإشاعات بالقصف النوويّ. وهنا بدأت عملية فرار المواطنين الفيتناميين الكاثوليكين نحو الجنوب، حيث مولت الولايات المتحدة برنامجاً لنقلهم بما يقارب 93 مليون دولار. وقدّمت الدعم الكامل لـ (نغو دينه ديم) ذي الخلفية الكاثوليكية<sup>(2)</sup>.

لماذا فيتنام؟ الإجابة بسيطة وواضحة، تتمثل برغبة الولايات المتحدة بحماية سمعتها، ككفيلة ضدّ التخريب، والخروج من الأزمة دون أن تتلطّخ سمعة أمريكا، نتيجة لاستخدام أساليب إغراء مقبولة دولياً، ومنع الشيوعيين من السيطرة على فيتنام الجنوبية، وأخيراً وليس آخراً، تجنّب حدوث "ظاهرة الدومينو" في جنوب شرقي آسيا، أي إذا سقطت إحدى دول شرق آسيا في أيدي الشيوعيين، ستتهاوى كافة دول المنطقة كقطع الدومينو. لهذه الأسباب الرئيسة حدث التدخّل الأمريكيّ في فيتنام -الدولة الصغيرة-، لمنع الشيوعيين من السيطرة عليها، لحماية باقي الدول المحيطة. كان الساسة الأمريكيون يراقبون تحركات الشيوعية كلّها، وكانت السبب الرئيس والحافز الخفي وراء قرارات الولايات المتحدة الأمريكية.

## ■ المبحث الثاني: بداية حرب الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام

بدأت الحرب بعمليات عسكرية كبيرة، وبغارات جوية محدودة هدفها الرئيس، هو تعطيل تدفق القوى العاملة، والإمدادات من فيتنام الشمالية إلى حلفائها، في جبهة تحرير جنوب فيتنام، والتي أطلق عليها اسم «الفيتكونغ»، أو جبهة التحرير الوطنية، لأنها شنّت حرب عصابات، كما سمّتها، ضدّ الحكومة الموالية للأمريكيين، فقررّ الأمريكيون مواجهتها. وفي مواجهة هذه

1 - خليفة، أ. (2004)، ص 196.

2 - معتوق، ف. (1996)، ص 36.

الجبهة، زادت السلطات الأمريكية من دعمها لحكومة الجنوب الفيتنامي مادياً وفتياً وعسكرياً<sup>(1)</sup>. استخدمت الحكومة الأمريكية، لتسحق المقاومة الفيتنامية الطائرات، والآليات الحديثة، والمتفجرات، والغازات السامة، والكيماويات. وبمساعدة قوات الحرس الفيتنامي، هاجمت قرى موالية للمقاومة الفيتنامية، هدمت بيوتها وهجرت القرويين فيها إلى قرى تسمى القرى الاستراتيجية، تشبه معسكرات الحرب، وكل من يخرج منها يتعرض لإطلاق النار فوراً<sup>(2)</sup>.

في هذه الأثناء أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية المحاربين إلى فيتنام، وذوي الخبرة بعملیات وهجمات غير معتادة تتناسب مع المعركة. في المقابل تصدّت قوات جيش التحرير الجنوبي (الجبهة الوطنية - الفيتكونغ)، لهذه الهجمات الشرسة بكل ما تملك من قوة، ولجأت لتكتيكات مختلفة، كالكرّ والفرّ والإكثار من الكمائن المتعددة الأحجام، في كافة المناطق الجغرافية، والاعتماد على المصائد والألغام. في هذه المرحلة، كانت بداية المعركة الحقيقية.

في عام 1964، وبعد أن هاجمت قوارب الطوربيد مدمرتين أمريكيتين في خليج «تونكين»، أمر (جونسون) بقصف انتقامي لأهداف عسكرية في فيتنام الشمالية. وسرعان ما أصدر الكونغرس حينها، قراراً بشأن خليج «تونكين»، ما أعطى (جونسون) سلطات واسعة في الحرب. وبدأت الطائرات الأمريكية غارات قصف منتظمة. لم يكن القصف مقتصرًا على فيتنام فقط، فقد ألقت الولايات المتحدة سرًا - من عام 1964 حتى عام 1973 - أكثر من مليوني طن من القنابل على «لاوس» المجاورة والمحايدة، خلال «الحرب السرية» التي قادتها وكالة الاستخبارات المركزية في «لاوس»<sup>(3)</sup>.

وكان الهدف من حملة القصف هذه، تعطيل تدفق الإمدادات، عبر ممر «هو تشي» منه إلى فيتنام، ومنع صعود قوات «لاو» الشيوعية. في عام 1965، عندما عاد مستشار الأمن القومي الأمريكي (ماك جورج بوندي) من فيتنام الجنوبية، قال: «إن الولايات المتحدة الأمريكية ستخسر في فيتنام، ما لم تعلن الحرب المتواصلة ضد الشمال». وهنا بدأت الحرب المعلنة. فرض (جونسون) في ذلك الوقت التجنيد الإجباري، ليزيد من القوة البشرية المطلوبة للحرب،

1 - <https://www.nytimes.com/2018/03/28/opinion/vietnam-broke-democratic-party.html>

2 - خليفة، أ. (2004)، ص 52.

3 - ن. م. (2004)، ص 53.



ومن أجل تجنّب خطورة نهج استدعاء قوّات الاحتياط أو الحرس الوطني، والأثر الذي يتركه لدى الشعب الأمريكيّ المناهض لتلك الحرب. ثمّ بدأ عملياته العسكريّة في فيتنام، والتي كان أولها عمليّة "الرّعد المتدحرج"، التي استمرّت -مع فترات توقّف قصيرة- لمدّة ثلاث سنوات.

## ■ المبحث الثالث: أبرز الجرائم الأمريكيّة في فيتنام.

### 1. عمليّة "بيرس أرو":

هذه العمليّة عبارة عن حملة قصف أمريكيّة، في بداية حرب فيتنام، والمعروفة أيضًا باسم الحرب الهندو صينيّة. جرت فيها 64 طلعة جويّة من حاملات الطّائرات "USS Ticonderoga" و "USS Constellation" ضدّ قواعد قوارب الطّوربيد في عدّة مناطق فيتناميّة، ومستودع تخزين النّفط في "فينه". كانت هذه بداية العمليّات الجويّة الأمريكيّة، على شمال فيتنام وجنوب شرق آسيا، كمحاولة لتدمير البنية التّحتيّة، والموادّ الحربيّة، والوحدات العسكريّة، التي تحتاجها فيتنام الشّمالية لمقاومة حرب العصابات في الجنوب. ازدادت العمليّات الجويّة بعد عمليّة "بيرس أرو". حملة القصف الأمريكيّة هذه، كانت الأطول والأثقل في التّاريخ، حيث استخدمت الولايات المتّحدة الأمريكيّة 7,662,000 طنًا من القنابل المدمّرة، ألقتها على جنوب شرق آسيا خلال حرب فيتنام، أي ما يعادل أربعة أضعاف القنابل، التي استخدمتها في الحرب العالميّة الثّانية، والتي قُدّرت بـ 2,150,000 طن<sup>(1)</sup>.

### 2. عمليّة "الرّعد المتدحرج":

"الرّعد المتدحرج" هو الاسم الرّمزيّ، لحملة القصف الأمريكيّة خلال الحرب على فيتنام. هاجمت حينها الطّائرات العسكريّة الأمريكيّة أهدافًا، في جميع أنحاء فيتنام الشّمالية، في الفترة من آذار 1965 حتى تشرين الأوّل 1968، أي ما يزيد عن ثلاث سنوات. وكان الهدف من هذا القصف الشّديد، ممارسة الضّغط العسكريّ على القادة الشيوعيين في فيتنام الشّمالية، وتقليل قدرتهم على شنّ حرب ضدّ حكومة فيتنام الجنوبيّة، المدعومة من الولايات المتّحدة. كانت عمليّة "الرّعد المتدحرج"، أوّل هجوم أمريكيّ متواصل على الأراضي الفيتناميّة الشّماليّة، ومثّلت

1 - معتوق، ف. (1996)، ص 55.

توسّعاً كبيراً لتورط الولايات المتحدة في هذه الحرب. توسّعت حملة عمليّة "الرعد المتدرج" تدريجياً من حيث النطاق والكثافة، لزيادة الضّغط على الحكومة الشيوعيّة. وبحلول منتصف عام 1966، هاجمت الطّائرات الأمريكيّة أهدافاً عسكريّة وصناعيّة، في جميع أنحاء فيتنام الشماليّة<sup>(1)</sup>. استخدمت الطّائرات الأسلحة الجرثوميّة، حيث بلغ عدد طلعات تلك الطّائرات 4800 طلعة فوق فيتنام. كانت المناطق الوحيدة التي اعتبرت محظورة لغارات القصف، هما مدينتا "هانوي" و"هايفونج"، ومنطقة عازلة بطول 10 أميال على طول الحدود مع الصين. أرسل جونسون قوّةات بريّة أمريكيّة إلى فيتنام. على الرّغم من أنّ مهمّتهم الأساسيّة، كانت الدّفاع عن القواعد الجويّة في جنوب فيتنام، التي كانت تستخدم في حملة القصف، إلّا أنّ دور القوّةات، سرعان ما توسّع ليشمل إشراك "الفيكونغ" في القتال الفعليّ. ومع تزايد تورط الجيش الفيتنامي الشمالي في الصّراع، زاد (جونسون) بشكل مطّرد عدد القوّةات الأمريكيّة في فيتنام<sup>(2)</sup>.

رغم أنّ فيتنام الشماليّة، لم يكن لديها الكثير من القوّةات الجويّة، إلّا أنّ قادتها تمكّنوا من إقامة دفاع فعّال، ضدّ غارات القصف بمساعدة الصين والاتّحاد السّوفياتي، وقاموا ببناء نظام دفاع جويّ متطور. وباستخدام صواريخ أرض جو، والمدفعية المضادّة للطّائرات، التي يتمّ التّحكّم فيها بالرادار؛ أسقط الفيتناميون الشماليون مئات الطّائرات الأمريكيّة خلال حملة القصف. اتّخذ قادة فيتنام الشماليّة أيضاً، عدداً من الخطوات الأخرى لتقليل تأثير غارات القصف الأمريكيّة، وقاموا ببناء شبكات من الأنفاق والملاجئ المضادّة للقنابل، وأرسلوا أطقماً ليلاً لإعادة بناء الطّرق والجسور، وأنظمة الاتّصالات، وغيرها من المرافق التي ضربتها القنابل.

### 3. رشّ المبيدات السّامة، العامل البرتقاليّ

العامل البرتقاليّ هو الاسم الحركي لمبيد أعشاب ونازع ورق الشّجر، استخدمه الجيش الأميركيّ أثناء حرب فيتنام، كجزء من برنامج الحرب السّامة. خلال الحرب، رشّ الجيش الأميركيّ حوالي 20 مليون غالون من مبيدات الأعشاب، على 5.5 مليون فدّان من الأدغال الفيتناميّة والمناطق الرّيفيّة، وذلك لطرد جنود "الفيكونغ"، الذين استخدموا أوراق الشّجر

1 - <https://www.history.com/topics/vietnam-war/operation-rolling-thunder>

2 - المصدر نفسه.

للاحتماء. بلغ عدد القتلى أو المشوّهين 400 ألف بحسب تقديرات الفيتناميين، إضافةً إلى 500 ألف من الأطفال، الذين وُلدوا بعيوب خلقية<sup>(1)</sup>. صنّع هذا المييد بواسطة شركة "مونساتو" وشركة "داو كيميكال"، لصالح وزارة الدفاع الأمريكيّة، وهذا من مسببات ظهور مرض "باركنسون"، وأحد عوامل الخطر لمتلازمة خلل تليّف النخاع الشوكي. يتكوّن من مادّتين أحدهما تسمّى "الديوكسين"، وهي مادة كيميائية ناتجة عن احتراق جزيئات الكلور، أو تعرّضها لدرجات حرارة عالية، وتعتبر من أخطر الموادّ السّامة الموجودة، ونصف غرام من مادة "الديوكسين" التي تكفي لقتل 350 شخصًا. وبحسب منظمة الصّحة العالميّة، هذه المادّة شديدة السّميّة، وتسبّب السرطان وتؤثّر على الجهاز التناسليّ لدي الجنسين، وتتلف جهاز المناعة، وتسبّب عيوب وتشوّهات خلقية ومرض "باركنسون"، الذي يصنّف كخلل ضمن مجموعة اضطرابات النّظام الحركي، التي تنتج بسبب خسارة خلايا الدّماغ. يُذكر أنّ الموادّ الكيميائيّة التي خلّفها الحرب السّامة في فيتنام، لا زالت أثارها موجودة في الأرياف الفيتناميّة، وتصل إلى المياه الجوفيّة والزّراعة، وقدّر الصّليب الأحمر، أنّ العامل البرتقاليّ تسبّب في عيوب خلقية، لما لا يقلّ عن 150 ألف فيتنامي منذ نهاية حرب فيتنام<sup>(2)</sup>.

### مجزرة "ماي لاي"

عام 1968، ومنذ ساعات الصّباح الأولى، طوّق ضابط أمريكيّ وجنوده قرية "ماي لاي"، والقرويّون العزل لا يفهمون شيئًا ممّا يحدث، لكنّ دُهلوا كيف يخرجون من بيوتهم عنوة، حيث يقوم الجنود الأمريكيّون بإشعال النّار في بيوتهم، فتتعالى صرخات القرويّين والأطفال والنساء. أمر الضابط الأمريكيّ بجمع هؤلاء القرويّين، ثمّ أمر الجنود بإطلاق النّار عليهم جميعًا، لتساقط الجثث واحدة تلو الأخرى، ولا يجد أيّ منهم الفرصة حتّى لتوديع أسرته، آباء وأمّهات وأطفال، كلّهم أصبحوا جثثًا هامدة. قُتل في هذه المذبحة والمجزرة المرّوعة ما بين 300 إلى 500 قرويّ، وتعرّضت بعض النساء للاغتصاب الجماعيّ وتشويه أجسادهن، وتمّ تشويه واغتصاب بعض الأطفال، الذين لا تتجاوز أعمارهم 12 سنة. استمرّت عمليات القتل والاغتصاب والتشويه بهذه

1 - <https://www.nytimes.com/1971/06/13/archives/vietnam-archive-pentagon-study-traces-3-decades-of-growing-u-s.html>

2 - خليفة، أ. (2004)، ص 65.

الطريقة، حتى رأى طياران صدفةً ما يحدث في القرية، فتدخلوا لوقف العملية مباشرة. بعد مرور عامٍ على تلك الأحداث، وفي سنة 1969 قام الجنديّ (رينولد ريدنهاور)، بإرسال رسائل إلى عدّة شخصيات ومؤسسات رسمية، مبلّغاً بذلك عن الضابط الذي أمر بالمجزرة، وكاشفاً فظاعة هذه المذبحة. بعد ذلك نشرت صور الضحايا، الذين قام الملازم (ويليام كايلى) بقتلهم من دون ذنب، والذي حوكم عسكرياً، وكان الحكم عليه بالسجن لمدى الحياة، إلا أنه تمّ إطلاق سراحه بعد يوم، عندما منحه الرئيس (نيكسون) عفواً رئاسياً<sup>(1)</sup>.

## استخدام "النابالم"

### "النابالم"

عن طريق خلط أحماض «التفثينيك» و«البالمتيك» مع البنزين. طوره فريق من الكيميائيين لصالح خدمة الحرب الكيميائية الأمريكية، في مختبر سريّ بجامعة «هارفارد». من أهمّ الأولويات بصناعته، كانت مدى صلاحيته، ليصار لاستخدامه وحمله لمسافات بعيدة. يحترق «النابالم» في درجات حرارة، تتراوح بين 800 إلى 1200 درجة مئوية (1470 إلى 2190 درجة فهرنهايت)<sup>(2)</sup>. يدوم احتراقه لفترة أطول من البنزين، وينتشر بسهولة أكبر، ويعلق على أجساد الضحايا، ويلتصق بالهدف الموجه إليه. هذه السمات جعلته فعالاً ومثيراً للجدل، لأنّه مادّة غير قاتلة، إنّما تسبّب التعذيب لفترات طويلة، وتترك آثاراً دائمة، وتشويهاً لملامح الجسد، فهو إذاً سلاح نفسيّ معذب، يسبّب الرعب في الوسط الذي يلقى فيه. كان استخدام "النابالم" بدايةً ضمن قنابل حارقة، ثمّ استُخدم كوقود لقاذفات اللهب<sup>(3)</sup>. كان أوّل استخدام لـ "النابالم"، المحرّم دولياً، من قبل الولايات المتّحدة الأمريكية، في نهاية الحرب العالميّة الثانية على "برلين"، ثمّ على اليابان، ثمّ كوريا الشماليّة والصين، من ثمّ استخدمته في حربها على فيتنام. أصبح "النابالم" عنصراً جوهرياً في العمل العسكريّ الأمريكيّ، خلال حرب فيتنام، حيث

1 - فياض، ع. (1991)، ص 123.

2 - <https://www.nytimes.com/1971/06/13/archives/vietnam-archive-pentagon-study-traces-3-decades-of-growing-u-s.html>

3 - المصدر نفسه.

زاد استخدامه من قبل القوّات لآثاره التكتيكية والنفسية. يُقال إنّ حوالي 352,000 طنّ من قنابل "النابالم" الأمريكيّة، أُسقطت في المنطقة بين عامي 1963 و 1973، مقارنة بـ 29,354 طنّاً استخدمت على مدى ثلاث سنوات في الحرب الكوريّة. وقد أسقطت 15000 طنّ على اليابان في عام (1)1945.

واستخدمت القوّات الجويّة الأمريكيّة والبحريّة الأمريكيّة "النابالم"، بتأثير كبير ضدّ جميع أنواع الأهداف، مثل القوّات، والدبابات، والمباني السكنية، والغابات، وحتى أنفاق السكك الحديدية، والقرى والقرويين. سبّب "النابالم" بالتسمم بأول أكسيد الكربون عند استخدامه في بيئة مغلقة. أصبحت آثار أول أكسيد الكربون معروفة جيّداً، فهو أحد الغازات الرئيسيّة المستخدمة في تسميم ضحايا معسكرات الاعتقال. وفي العراق، تسبّب "النابالم" في إحداث حروق خطيرة، في جميع أنحاء الجسم، وهي حروق أسوأ بكثير من تلك الناجمة عن الحرائق بشكل عامّ، حيث يصبح جلد الإنسان مغطّى بمادّة منصهرة لزجة تشبه القطران، تسبّب جروحاً عميقة جداً لا يمكن معالجتها وشفائها. عند ملامستها للبشر، تلتصق بالجلد على الفور، وتذوّب اللّحم، ولا سبيل لإطفاء النّار حتى تخدم، ممّا يسبب ألماً لا يُطاق. في حالة الذّعر، يحاول العديد من الضّحايا مسحه، لكن هذا لا يؤدّي إلّا إلى انتشار الحريق، وتوسيع منطقة الحرق، فضلاً عن أنّ آثاره الجانبية لا يمكن حصرها، لأنّ احتواء الحريق الحاصل أمر مستحيل بعد وقوعه. كلّ ذلك جعل «النابالم» الكابوس الأسوأ للفيتناميين، وحتى للجنود الأمريكيين. كان «النابالم» سلاحاً أساسياً للقضاء على ثوار الخنادق، حتى وإن لم تصل النيران لداخل الخندق، إلّا أنّ الغاز الناتج عنه، كفيل بخنق كلّ من كان داخل الخنادق. الكثير من التقارير أظهرت استخدام «النابالم» على قرى مدنيّة، مسببةً حروق ممتدة لا يمكن السيطرة عليها، بالتالي حريق البشر قبل الحجر. إحدى ضحايا الرّعب الفيتنامية، فتاة التقطت لها صورة وهي تركض عارية، مع أطفال فيتناميين والحروق على جسدها، ذكرت أنّ الألم الذي يسببه "النابالم"، أفضع أكمّ يمكن أن يتخيّله الإنسان، فالماء يغلي عند 100 درجة مئويّة (212 درجة فهرنهايت)، بينما يولّد «النابالم» درجات حرارة تتراوح بين 800 إلى 1200 درجة مئويّة (1500-2200 درجة فهرنهايت)<sup>(2)</sup>.

1 - خليفة، أ. (2004)، ص 65.

2 - المصدر نفسه، ص 64.

الجدير بالذكر أيضاً أنّ القوّات الأمريكيّة، كانت ترمي قنابل «النبالم» من طائرات عالية السّرعة، لذلك لم يكن الاستهداف دقيق، ممّا سبب إصابات جسيمة بين المدنيين الأبرياء. بسبب وحشية «النبالم»، المحرّم دولياً، كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، تمارس الحظر الإعلاميّ على جرائمها في حروبها كافّة، إلّا في حرب فيتنام، استطاع بعض الصحفيّين / وبعض وسائل الإعلام نشر صور ومقاطع فيديو عن وحشيّة، وفظاعة آثار «النبالم»، لا سيّما على أجساد الضّحايا. في ذلك الوقت، شدّدت وسائل الإعلام على الألم النّاجم عن «النبالم»، ما ساعد على تعزيز الحركة المناهضة لحرب فيتنام. عام 1966، جرت أوّل مظاهرة ضدّ استخدام «النبالم»، في حرم جامعة «بيركلي» في كاليفورنيا، وجامعة «واين ستيت» في ميشيغان. واستمرّت مئات الاحتجاجات على نطاق أوسع. تمّت مقاطعة شركة «داو» للكيميائيّات، التي صنّعت «النبالم» لصالح الحكومة الأمريكيّة، ومنتجاتها في جميع أنحاء البلاد، فضلاً عن أنّ القائمين على التّوظيف في شركة «داو»، واجهوا عاصفة من الاحتجاجات من قبل طلاب الجامعات، الذين أطلقوا عليهم اسم «قتلة الأطفال»<sup>(1)</sup>.

بسبب وحشيّة «النبالم»، حظرت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، استخدامه على أيّ مكان فيه مدنيّون. من الواضح من خلال حرب فيتنام، أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة مستعدة لاستخدام أيّ سلاح، مهما بلغت خطورته، حتّى وإن كان من الأسلحة المحرّمة دولياً، لتنفيذ مآربها وأهدافها اللّاشعريّة في أراضي الدّول الأخرى. واللّافت أنّ المنظّمات الدّوليّة والأمميّة، تكتفي بالإدانة والسّجّب، دون اتّخاذ مواقف أو قرارات من شأنها، ردع الولايات المتّحدة الأمريكيّة، عن جرائمها اللّإنسانية ضدّ شعوب العالم. وهذا التّاريخ يكرّره الاحتلال الاسرائيليّ الغاصب، الطّفّل المدلّل للولايات المتّحدة الأمريكيّة، في القرن الواحد والعشرين على الأرض الفلسطينيّة، مستخدماً الأسلحة الفتّاة المحرّمة دولياً لقتل الأطفال والنّساء والمدنيّين العزل.

#### 4. التّهديد الأمريكي باستخدام النّوويّ

هدّدت السّلطات الأمريكيّة باستخدام الأسلحة النّوويّة، بعد هزائمها ومقاومة الفيتناميين لها، لتنهى المعركة كما فعلت في اليابان، لكن لم تفعل ذلك، بسبب ردّ الاتّحاد السّوفياتيّ والصّين

1 - خليفة، أ. (2004)، ص 65.

بالطريقة ذاتها، لأن كليهما يمتلك سلاحاً نووياً، مما قد يسبب دماراً شاملاً لا أحد يعلم كيف ينتهي؟!.

## ■ المبحث الرابع: الفضائح الأمريكية

أسهم الإعلام الأمريكي بدور كبير، في تجيش الغضب العالمي ضد تلك الحرب الشعة. نُشرت مقالات كثيرة وتقارير، أجراها أطباء وصحفيين على الأرض الفيتنامية، تكشف استخدام الجيش الأمريكي للغازات السامة نفسها، التي سبق لألمانيا النازية أن استخدمتها في الحرب العالمية الثانية. فضلاً عن ذلك، فرّبحارة أمريكيون من الخدمة بفيتنام، وذهبوا للسويد طالبين اللجوء، وصرّحوا خلال لقاء تلفزيوني، أنهم غير نادمين أو آسفين على فرارهم من الخدمة.

أعلن أيضاً سيناتور بأنّ حادثة "تونكين"، التي بسببها أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على فيتنام، كانت مفتعلة. وأعلنت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، وجود رسالة سرّية خاصة تؤيد ما قاله السيناتور، وأنّ المدمرة الأمريكية استنزفت زوارق الطوربيد الفيتنامية، حتى اضطرتها لمهاجمتها، لتخلق ذريعة لشنّ الحرب، عندها صرّح نائب الكونغرس علناً، بأنّ الرئيس الأمريكي (جونسون)، حجب نصف الحقيقة على الأقل، بالنسبة لدوافع الحرب عن الشعب الأمريكي. أمّا الفضيحة الكبرى هي الحرب الكيميائية، التي شنتها الجيوش الأمريكية على الأراضي الفيتنامية، من خلال استخدام العامل البرتقالي، الذي ذكرناه سابقاً<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى كل ذلك، لفتت انتباه الجمهور أوراق البنتاغون التي تحمل عنواناً رسمياً "تاريخ صنع القرار الأمريكي في فيتنام"، بعد مقال نشر على الصفحة الأولى لصحيفة «نيويورك تايمز» عام 1971. أظهر المقال أنّ إدارة (ليندون جونسون) كذّبت بشكل منهجي، ليس فقط على الجمهور، إنّما أيضاً على الكونغرس. كشفت هذه الأوراق أنّ الولايات المتحدة قامت سرّاً بتوسيع نطاق أعمالها في حرب فيتنام، من خلال الغارات الساحلية على فيتنام الشمالية، وهجمات مشاة البحرية، ولم يتم الإبلاغ عن أيّ منها في وسائل الإعلام الرئيسية. ووضّحت الأوراق كيف ساهم الدّعم الأمريكي للفرنسيين منذ البداية، بتأجيج الوضع حتى أصبحت متورّطة رسمياً في فيتنام، وشنّت الحرب ضدها<sup>(2)</sup>.

1 - فياض، ع. (1991)، ص 123.

2 - <https://reviews.history.ac.uk/review/1372>

من ناحية ثانية، كشفت الأوراق أيضاً تنحية (روبرت ماكنمارا)، من منصب وزير الدفاع الأمريكي بعد أن بدأ سرّاً، بالتشكيك في الحكمة من التدخّل العسكريّ الأمريكيّ في فيتنام، وبحلول عام 1967 صار يبحث علناً عن طريقة لبدء مفاوضات السّلام. بدأ تحقيقاً سرّياً للغاية وشاملاً حول التورّط الأمريكيّ بفيتنام، وعارض القصف المستمرّ لفيتنام الشماليّة<sup>(1)</sup>.

### ■ المبحث الخامس: الهزيمة الأمريكيّة المدويّة ونتائج الحرب.

مع نهاية 1967، اقترب عدد القوّات الأمريكيّة في فيتنام من 500 ألف، وبلغ مجموع القتلى الأمريكيّين بين 15058 ألف قتيل إضافة إلى 109,527 جريح. ومع استمرار الحرب، بدأ بعض الجنود يفقدون ثقتهم بذرائع الحكومة لإبقائهم هناك، ولم يصدّقوا مزاعم واشنطن المتكرّرة بقرب انتصارهم في الحرب. فشهدت السّنوات الأخيرة من الحرب تدهوراً متزايداً فيما يتعلّق بالتأحيّة النفسيّة والجسديّة بين الجنود الأمريكيّين -المتطوّعين والمجنّدين على حدّ سواء- فضلاً عن تعاطي المخدرات، واضطراب ما بعد الصّدمة والتمرد، إضافةً إلى الهجمات، التي شنّها الجنود على الضبّاط المفوضين، وضبّاط الصفّ.

عام 1969، بدأت المفاوضات الرّباعيّة المعلنة في باريس، بين أميركا وحكومتها فيتنام الجنوبيّة والسّماليّة وممثلي "الفيتكونغ". لكن لم تحقّق أيّ تقدّم. بعد ذلك استمرّت مفاوضات سرّيّة بين مسؤولين أمريكيّين وفيتناميّين لسنوات، قبل أن يتمّ عن الاتفاق النّهائيّ الذي يفضي، بالانسحاب الأمريكيّ النّهائيّ مع بداية عام 1973. أبرمت الولايات المتّحدة اتّفاقية سلام مع فيتنام الشماليّة، الأمر الذي أنهى العمليّات العدائيّة المفتوحة بين البلدين. مع ذلك، استمرّت الحرب بين شمال فيتنام وجنوبها حتّى 30 نيسان 1975، عندما استولت قوات فيتنام الشماليّة الديمقراطيّة على "سايغون"، وأعدت تسميتها بمدينة "هو تشي منه"<sup>(2)</sup>.

الجدير بالذكر أنّه بين عامي 1966 و1973، هرب أكثر من 503 آلاف من أفراد الجيش الأمريكيّ، ونتج عن الحركة القويّة المناهضة للحرب احتجاجات عنيفة، وقتل وسجن جماعيّ للأفراد المتمركزين في فيتنام، وفي الولايات المتّحدة أيضاً.

1 - فياض، ع. (1991)، ص 123.

2 - خليفة، أ. (2004)، ص 185.



وبعد أن امتلأت مخيلتهم وأدهانهم بالصّور المروّعة الفظيعة للحرب، على شاشات التّلفزيون، انقلب الأمريكيّون في الجبهة الدّاخلية ضدّ الحرب أيضاً، وكانت التّيجة في تشرين الأوّل 1967، أن نظّم نحو 35 ألف متظاهر، تظاهرة ضخمة ضدّ حرب فيتنام، أمام مبنى البنتاغون. وجدال معارضو الحرب بأنّ المدنيّين، وليس المقاتلين الأعداء، هم ضحايا الحرب الحقيقيّون، وأنّ الولايات المتّحدة تدعم الديكتاتورية الفاسدة.

خلال أكثر من عقدين من الصّراع العنيف، وقعت خسائر فادحة في تعداد سكان فيتنام. فبعد سنوات من الحرب، قُتل ما يقدر بمليون فيتناميٍّ، في حين أصيب أكثر من 3 ملايين شخص، وأصبح 12 مليون آخرين لاجئين. وقد دمّرت الحرب اقتصاد البلد والبنيّ التّحتية فيه، ومضت عمليّة الإعمار ببطء. سنة 1976، توحدت فيتنام بوصفها جمهورية فيتنام الشيوعية، رغم استمرار عمليات العنف المتقطعة على مدار السّنوات الـ 15 اللاحقة، متضمنة الصّراعات مع الصّين وكمبوديا المجاورتين. وفي ظلّ سياسة السّوق الحرّة الواسعة التي وضعت عام 1986، بدأ الاقتصاد بالتّحسّن، مدعوماً بعائدات تصدير النّفط، وتدفق رؤوس الأموال الأجنبيّة. وكذلك استؤنفت العلاقات التجاريّة والدبلوماسية بين فيتنام والولايات المتّحدة في التسعينيات<sup>(1)</sup>.

تشير التّقارير الصّادرة عن وزارة الدّفاع الأمريكيّة، إلى أنّ الولايات المتّحدة أنفقت حوالي 168 مليار دولار حينها في حرب فيتنام، تشمل 111 مليار دولار هي تكلفة العمليّات العسكريّة، خلال الفترة ما بين أعوام 1965 و1970، بالإضافة إلى 28.5 مليار دولار في صورة مساعدات اقتصاديّة وعسكريّة لحليفها فيتنام الجنوبيّة، أي أنّ الولايات المتّحدة أنفقت حوالي 168 ألف دولار، لقتل كلّ جنديّ فيتنامي من ضحايا الحرب. ورغم ذلك لا يمثّل هذا الرقم الضّخم، سوى التّكلفة المباشرة للحرب، فوفقاً لتقديرات مركز "آسيا للموارد"، تتراوح التّكلفة الإجمالية النهائيّة للحرب، التي شنتها الولايات المتّحدة على فيتنام، ما بين 300 إلى 900 مليار دولار.

أنفقت الولايات المتّحدة، في السّنوات الأربع من 1967 إلى 1970، على حرب فيتنام 22.2 مليار دولار، و26.3 مليار دولار، و26.5 مليار دولار، و18.5 مليار دولار على التّوالي.

وشكّلت رواتب 2.6 مليون جنديّ أمريكيٍّ، خدموا في فيتنام على مدار 11 عاماً جزءاً كبيراً من تكلفة الحرب، مثلها مثل 4900 طائرة هليكوبتر، وأكثر من 3700 طائرة فقدها الجيش الأمريكي

1 - بيطار، هـ. (2003)، ص 126.

خلال القتال. وقبل نهاية الحرب كان الفيتناميون الشماليون، قد وضعوا أيديهم على معدات عسكرية، وأسلحة أمريكية تتجاوز قيمتها ملياري دولار<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى، كانت فيتنام حقل تجارب واسع لاستخدام المعدات الالكترونية، فلقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب، عدداً كبيراً من الأنظمة الالكترونية المتعددة ولأغراض مختلفة. لكن لم تساهم هذه الاستخدامات برفع الكفاءة العسكرية بشكل عام، ويعود ذلك إلى عدة عوامل، أهمها العوامل الطبيعية في فيتنام، والإجراءات المضادة التي ابتكرها الفيتناميون<sup>(2)</sup>.

بعد حرب فيتنام، لم تخُص الولايات المتحدة الأمريكية بعدها حرب مباشرة ضد أي بلد آخر، كما فعلت في فيتنام أو في الحرب العالمية الثانية؛ إنما حاولت استخدام حلفائها، وأدواتها لتأجيج الأوضاع السيئة، أو نشوب حروب بين الدول دون أن يكون لها تدخل مباشر، وهذا لأنّ حرب فيتنام شكّلت صدمة قوية للأمريكيين، وأدّت إلى تغيير جذري في الإستراتيجية الأمريكية. فالحرب التي خاضتها الولايات المتحدة طوال تسع سنوات في جنوب شرق آسيا، كانت حرباً مكلفة، خرجت وهي تحمل الخيبة من تلك المنطقة، وشكّلت لها عقدة عرفت باسم «عقدة فيتنام». هذه العقدة دفعت الولايات المتحدة الأمريكية، للابتعاد عن التورط المباشر بأيّ تدخلات عسكرية أخرى، في نزاعات العالم الثالث الداخليّة.

لعلّ من أبرز النتائج للتدخل الأمريكي، كان فقدان نصف أفراد القوّات المسلّحة، وخفض ميزانية البنتاغون، بسبب الهبوط الملحوظ في صناعة الأسلحة، وإرغام وكالة المخابرات، على نشر تقريرها السنويّ وكشف عملياتها.

اقتصادياً يمكننا القول، إنّ حرب فيتنام هزّت المجتمع الأمريكي، وسبّبت له صدمة كبيرة. فرغم التحسّن الظاهر الذي طرأ على قيمة الإنتاج السنوي، حيث كانت الولايات المتحدة تحتكر 60% من الإنتاج العالمي، وأنتجت أكثر من مجموع ما ينتجه العالم من المواد الاستهلاكية، لكن ذلك لم يستطع القضاء على الأعداد الكبيرة، ممّن يعيشون في مستوى دون الفقر، فلقد وصلت البطالة إلى نسبة 14%. يرجع السبب بالدرجة الأولى لعملية التطويع للحرب في فيتنام.

1 - بيطار، هـ. (2003)، ص 126.

2 - فياض، ع. (1991)، ص 266.

ما لبثت أن تعرّضت الولايات المتحدة، لأزمات عدّة نتيجة حربها تلك، إذ بلغ إنفاقها العسكريّ 3,60 مليار دولار سنوياً عام 1966، وارتفع إلى 5,71 مليار دولار عام 1967، يضاف إلى ذلك 6 مليارات دولار كميزانية إضافية في عام 1966، وتوقّعت وزارة الدفاع الأمريكيّة أن تصل تكاليف الحرب في فيتنام، عام 1967 إلى مليار دولار إضافية، فوصلت إلى 17 مليار دولار، أي زيادة ستّة مليارات دولار عمّا كان متوقّعا. كلّ هذا على حساب مشروع المجتمع الكبير، الذي وعد به الرئيس (جونسون) الأمريكيّين أثناء حملته الانتخابيّة. وفي عهد (نيكسون) ظلّ المجهود الحربيّ يستنزف كلّ الموارد. فلم تتمكّن الخزينة الفدراليّة، من تجاوز إغراء طبع كميات هائلة من الدّولارات، مستغلةً إلى أبعد الحدود، المزايا المعترف بها للعملة الأمريكيّة منذ عام 1971. فضلا عن ذلك، ألحقت حرب فيتنام أضرارا بالغة بالاقتصاد الأمريكيّ. وبسبب عدم الرّغبة بزيادة الضّرائب لتغطية تكاليف الحرب، أطلقت الحكومة الأمريكيّة العنان لموجة من التّضخّم<sup>(1)</sup>.

من النّاحية الاجتماعيّة، أدّت هذه الحرب على بلد غير متكافئ بالقوّة أو التكنولوجيا أو المال، إلى نتائج كارثيّة، خاصّة بعد استخدام الولايات المتّحدة للأسلحة المحرّمة دوليّاً، مثل قنابل «النبالم»، والأسلحة الجرثوميّة، وكذا الغازات الكيميائيّة، وما ألقته الطّائرات أثناء القصف على فيتنام الشّمالية بقاذفات «بي - 52» العملاقة، حيث كان ما أُلقي عليها، يعادل تقريبا 3 مرات ما أُلقي على ألمانيا، أثناء الحرب العالميّة الثّانية. هذا كلّه أدّى إلى تدمير البنية التّحتيّة لفيتنام؛ والمأساة الأكبر كانت عدد الخسائر البشريّة من مدنيّين وعسكريّين، وعدد الجرحى، وعدد اللاّجئين الذين اضطرّوا للفرار من هول الحرب.

في الدّاخل الأمريكيّ، أضعفت الحرب الرّوح المعنويّة العسكريّة للولايات المتّحدة، وقوّضت -لبعض الوقت- التزام الولايات المتّحدة بالحالة الدّولية. بالقدر نفسه من الأهميّة، قوّضت الحرب الإصلاح الليبراليّ وجعلت العديد من الأميركيّين، مشكّكين بشدّة بالحكومة وقراراتها، وصحّة ما تداولته حول سنّها لتلك الحرب.

اليوم، وبعد عقود من انتهاء الحرب، لا يزال الشّعب الأمريكيّ منقسماً بشدّة حول معنى الصّراع، فمعظمهم يعتقد، أنّ الحرب كانت خاطئة بشكل أساسيّ، وغير أخلاقيّة<sup>(2)</sup>.

1 - خليفة، أ. (2004)، ص 156.

2 - <https://www.nytimes.com/2018/03/28/opinion/vietnam-broke-democratic-party.html>

## الخاتمة

لم تنجح الولايات المتحدة في أن تحقق أهدافها، التي دخلت من أجلها حرب فيتنام. أساءت القيادة السياسية والعسكرية الأمريكية، قراءة وفهم دوافع الخصم، كما فشلت في قراءة الظروف على الأرض. لقد حاولوا التغلب على المقاتلين غير التقليديين بالتكتيكات التقليدية، واتبعوا استراتيجيات بدت وكأنها مصممة، بحيث لا ينتج عنها نصر أو تسوية. بعد سنوات من تلك الحرب البشعة، خرجت القوات الأمريكية مهزومة، وخسائرها المادية والبشرية هائلة، الأمر الذي خلف صدمة كبرى في الداخل الأمريكي، واعتُبرت هذه الحرب بمثابة وصمة عار في تاريخ الجيش الأمريكي. يُذكر أن حرب فيتنام، لم تكن آخر الحروب الخاسرة، التي خاضها الجيش الأمريكي، بل تلاها عدّة حروب، جميعها كانت نتائجها كارثية على العالم، وانتهت بهزائم مذلة، أبرزها غزو العراق عام 2003، الذي تسبّب في تدمير الدولة، وتحويلها إلى تربة خصبة للتنظيمات الإرهابية، وحرب أفغانستان، التي انتهت بانسحاب فوضوي للجيش الأمريكي عام 2021 بعد 20 عامًا من إطلاقها، فضلاً عن الحروب التي تدعمها مالياً وعسكرياً دون تدخل مباشر، كما يجري في فلسطين، والقواعد التي تنشرها في كل مكان، لسلب ونهب ثروات الشعوب، كما يحدث في الشمال السوري والعراق. إن الذخائر غير المنفجرة، التي خلفتها عملية "الرعد المتدحرج"، وغيرها من حملات القصف في حرب فيتنام، تسببت في مقتل أو إصابة عشرات الآلاف من الفيتناميين، حسب بعض التقديرات، منذ سحبت الولايات المتحدة قواتها القتالية في عام 1973.

|                             |                  |
|-----------------------------|------------------|
| عدد ضحايا الحرب الفيتناميين | 627000 ضحية      |
| عدد قتلى الجنود الأمريكيين  | 282000 جندي قتيل |
| عدد جرحى الجنود الأمريكيين  | 153303 جريح      |
| عدد المفقودين من الأمريكيين | 1587 مفقود       |

جدول - إحصائيات متعلقة بالحرب<sup>(1)</sup>

1 - [https://www.digitalhistory.uh.edu/disp\\_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469](https://www.digitalhistory.uh.edu/disp_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469)

جاء في أحد التقارير، الذي نشره موقع جريدة جامعة "هارفارد" الرسمي، بعد مرور أكثر من 30 عامًا على انتهاء الحرب في فيتنام، إن تأثير الضغط المستمر على الأمريكيين، الذين قاتلوا هناك لا زال يسبب التوتر بين الباحثين.

توصلت دراسة جديدة، إلى أن ما يقرب من 19%، أي حوالي ثلاثة ملايين جندي أمريكي خدموا في فيتنام، عادوا وهم يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة. هذه الحالة تركتهم مع ذكريات مزعجة، وكوابيس، وفقدان التركيز، والشعور بالذنب، والتهيّج، وفي بعض الحالات الاكتئاب الشديد. وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على الحرب، ما زال 10% عدد منهم، غير قادر على نسيان تلك الحرب التي أصبحت وراءهم.

## المراجع والمصادر:

### أولاً: باللّغة العربية

- 1 - بيطار، هـ. (2003) الموسوعة العسكريّة والسّياسيّة، دار المنهل، ط1، بيروت.
- 2 - خليفة، أ. (2004) هزيمة أميركا في فيتنام ، مكتبة مدبولي، ط1، بيروت.
- 3 - فياض، ع. (1991) التّجربة العسكريّة الفيتناميّة ، دار كنعان، ط1، مصر.
- 4 - معتوق، ف. (1996) معجم الحروب، دار جروس، ط1، بيروت.

### ثانياً: روابط المقالات

- <https://reviews.history.ac.uk/review/1372>
- <https://thevietnamwar.info/napalm-vietnam-war/>
- [https://www.digitalhistory.uh.edu/disp\\_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469](https://www.digitalhistory.uh.edu/disp_textbook.cfm?smtID=2&psid=3469)
- <https://www.history.com/topics/vietnam-war/operation-rolling-thunder>
- <https://www.nature.com/articles/496029a>
- <https://www.nytimes.com/197113/06//archives/vietnam-archive-pentagon-study-traces-3-decades-of-growing-u-s.html>
- <https://www.nytimes.com/201209/09//books/review/embers-of-war-by-fredrik-logevall.html>
- <https://www.nytimes.com/201828/03//opinion/vietnam-broke-democratic-party.html>

## جرائم الحرب الأمريكية في العراق

■ د. صفوان ناصيف النداف<sup>(1)</sup>

### ملخص

يمثل التدخل الأمريكي في قضايا العراق، منذ حربي الخليج الأولى والثانية، وصولاً إلى مرحلة الاحتلال العسكري المباشر، دعوة للتفكير في العواقب المأساوية، والطويلة الأمد للحرب في هذا البلد، وبشكل خاصّ الجرائم والفظاعات، التي ارتكبتها الجيش الأمريكي بحق العراقيين. وعلى الرغم من أنّ التدخل الأمريكي، جاء تحت شعارات رنانة، مثل إرساء الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وتخليص العراق من أسلحة الدمار الشامل، إلا أن الغزو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، لم يحمل فعلياً للعراق سوى الفوضى، والعنف، والموت، وكل أشكال الدمار. لقد استباححت الحرب موارد العراق، وأغرقت في عدة أزمات خانقة مهّدت لخرابه، وهو البلد الذي شكّل خطراً استراتيجياً على مصالح الولايات المتحدة وحليفها إسرائيل، وجعلت الحرب من التوترات الطائفية بين المسلمين السنة والشيعة، وقوداً للانقسام السياسي والعنف والتطرف. هذا التدمير الممنهج أدى إلى انقسامات خطيرة في المجتمع العراقي، وأصبحت الهجمات الإرهابية روتيناً يومياً، شلّ الحياة في العراق ودمر كلّ أشكال النمو والتطور، وما زال العراق يعاني، من عواقب التدخل الأمريكي حتى يومنا هذا.

**الكلمات المفتاحية:** حرب الخليج الثانية - حرب الخليج الثالثة - عاصفة الصحراء - مجزرة طريق الموت - اجتياح الكويت - الوحشية الأمريكية.

1 - عضو هيئة تدريسية في كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق.

## مقدمة

شكل النفط منذ اكتشافه في مناطق الشرق الأوسط، مطمعا للعديد من الدول الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ووضعت هذه القوى الدول النفطية، على خرائط مصالحها الاقتصادية والسياسية، لاسيما الدول الأعضاء المؤسسين لمنظمة "الأوبك"، إيران والعراق، والكويت، والمملكة العربية السعودية، وفنزويلا؛ في هذه الدول يوجد 80.4% من احتياطات البترول المؤكدة في العالم، وبالتالي شكّلت هذه الدول هدفاً جوهرياً للإمبريالية الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وازداد الاهتمام الأمريكي في هذه المناطق، ونجحت دبلوماسيتها في تطويع العديد من الدول النفطية في العالم، بما يخدم مشاريعها القريبة والبعيدة. لكن إيران والعراق لم تنسحب عليهم هذه المخططات، وبقيتا خارج العباءة الأمريكية، فكان لزاماً على إمبراطورية القهر، إيجاد خطط بديلة لتحقيق مصالحها، فجاءت حروب الخليج الثلاثة التي انتهت باحتلال العراق، واستباحة ثرواته حسب شروط اللعبة الأمريكية.

### 1 - حرب الخليج الأولى

حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية الإيرانية، أو ما عرف باسم "قادسية صدام"، حسب التسمية العراقية، أو "الدفاع المقدس" كما سماها الإيرانيون<sup>(1)</sup>. هي الحرب التي نشبت بين العراق وإيران بين عامي 1980 - 1988م. وقد أثرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط، وكان لتأثيرها بالغ الأثر في العوامل، التي أدت إلى حربي الخليج الثانية والثالثة.

1 - القصاب، ع. (2014)، ص 22.

أيضا: دار الكتب والوثائق العراقية ابحث في الفهارس نسخة محفوظة 12 يونيو 2018 على موقع واي باك مشين.



## 2 - حرب الخليج الثانية

كان فشل صدام في غزو إيران، وما ترتب عليه من تردّي للأوضاع الاقتصادية في العراق، أوّل سبب لتطلّعه إلى غزو الكويت، للتعوّض عن تراكم الديون، والخسائر الفادحة في حربه الفاشلة ضدّ إيران. إذ اتّهم صدام حسين الكويت، بتعمّد تخفيض أسعار النّفط، عبر ضخّ كمّيات أكبر من حصّتها من النّفط، من الحقول النّفطيّة المشتركة بينهما، وهو الأمر الذي اعتبره مبادرة استفزازيّة، لطالما أدّت إلى انخفاض أسعار النّفط العالميّ، وإلى خسارة العراق - الذي يعتمد في 90% من وارداته على النّفط - لحوالي سبع مليارات دولار سنويّاً- في توقيت حسّاس جدّاً، لاسيّما بعد خروج العراق من حربه على إيران التي استنزفت طاقات العراق<sup>(1)</sup>. وعندما رفضت الكويت إلغاء ديون الحرب العراقيّة<sup>(2)</sup>، قرّر صدام حسين غزوها<sup>(3)</sup>، لكن صدام، كان بحاجة إلى ذرائع أمام الرّأي العام العالمي، فاتّهم الكويت بسرقة النّفط العراقيّ، عن طريق نصب أبراج متطورة داخل أراضيها، على الحدود مع العراق؛ تقوم بالحفر بالطريقة المائلة، وتسحب النّفط الخام العراقيّ من المكامن النّفطيّة العراقيّة الحدوديّة، عدا عن اعتباره أنّ الكويت تاريخياً جزء من الأراضي العراقيّة<sup>(4)</sup>.

### أ- الدّور الأمريكيّ في دفع العراق نحو الهاوية الكويتيّة.

بعد أن تمّ استخدام الرّئيس العراقيّ (صدام حسين)، من قبل الولايات المتّحدة الأمريكية في حربها بالوكالة ضدّ إيران، لمدّة تجاوزت ثمان سنوات، بحجّة واهيّة تلخّصت، في حماية البوابة الشّرقية للوطن العربيّ. زجّ الديكتاتور العراقيّ جيش بلاده، في حرب جديدة ضدّ الكويت، كانت نتائجها الكارثيّة أشدّ فداحة على مستقبل العراق والعراقيين لسنوات طويلة.

ففي خضمّ هذه الأحداث، كان لا بدّ للولايات المتّحدة الأمريكية، من إكمال تنفيذ مخطّطها بجرّ العراق إلى حروب عبثيّة، فعمدت إلى تشجيع الديكتاتور العراقيّ على غزو الكويت، عن طريق تصريحها على لسان السفيرة الأمريكية في بغداد (أبريل غالاسبي) بأنّ: "الولايات المتّحدة

1 - سالنجر، ب. و لوران، أ. (1993)، ص 8.

2 - لا يستبعد أبداً، أن يكون للأمريكيين يد، في رفض الكويت إلغاء الديون العراقيّة، كجزء من خطة توريث العراق بحرب جديدة.

3 - الخالديّ، و. (1991)، ص 9.

4 - تلاس، م. (1994)، ص. ص. 30-31.

ليس لها رأي بشأن الخلافات العربية العربية، وهو التصريح الذي اعتبره (صدام حسين)، بمثابة ضوء أخضر لتنفيذ خطته المرسومة ضد جيرانه الكويتيين<sup>(1)</sup>، ولأن الرجل كان يعاني من قصر نظر سياسي، نجحت خطة «العصا والجزرة»، وبدأت حرب الأثقاء على مرأى من المشاهد الأمريكي، إلى أن يحين موعد التدخل العسكري المخطط له بدقة.

وعلى الرغم من أن (صدام حسين)، لهث وراء «الجزرة» الأمريكية، في حربه مع إيران ودفع ثمنًا باهظًا، إلا أن تهوره السياسي، فوت عليه فرصة الاستفادة من دروس الأمس، ودفعه إلى نفس الخطأ للمرة الثانية. ونفس الرجل الذي خاض حربًا ضد إيران -بالوكالة عن أمريكا- لمدة ثمانية أعوام، أعاد نفس الحماقة وغزو الكويت، بعد أن استغلت الولايات المتحدة طموحه التوسعي، لتقوده إلى حرب جديدة ضد جيرانه المسالمين، تلك الحرب التي ستمهد لفرض حصار قاس على العراق سبب مأساة إنسانية كبيرة، دامت سنوات عدّة، انتهت بالغزو الأمريكي للبلاد عام 2003م، والإطاحة بنظام (صدام)، والقضاء على أكبر جيش عربي، شكّل يومًا ما خطرًا على مصالح الولايات المتحدة، وحلفائها في المنطقة.

لقد اقتضت الخطة الأمريكية المحبوكة بعناية، استنجد الكويت بحليفها الأمريكي ليخلصها من براثن (صدام حسين)، وهذا التحالف «الكويتي - الأمريكي» كان معروفًا للجميع<sup>(2)</sup>، فردّة الفعل الأمريكية لم تكن بحاجة إلى ذكاء سياسي، لأن العلاقات والمصالح بين الطرفين توطدت منذ أزمة ادّعاء (عبد الكريم قاسم)، تبعيّة الكويت للعراق عام 1961م<sup>(3)</sup>، حينها وقف الأمريكيون في وجه ذلك الادّعاء العراقي، ثم تطوّرت العلاقات فيما بعد، عندما طلب زعماء الكويت عام 1986م من الولايات المتحدة، رفع العلم الأمريكي على السفن، التي تحمل النفط الكويتي لتأمين الحماية لها، إضافة إلى استتجار الكويت ناقلات نفط أمريكية، لاستخدامها في نقل منتجاتها النفطية إلى العالم. وشكّلت هذه الخطوة قفزة في العلاقات الإستراتيجية، بين الكويت والولايات المتحدة، وزادت من قوّة العلاقات بين الجانبين<sup>(4)</sup>، وبالتالي لم يكن متوقّعًا أن تتخلى الولايات المتحدة، عن مصالحها الاقتصادية مع حلفائها الكويتيين.

1 - العفنان، س. (1991)، ص 109.

2 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص 64.

3 - الخالدي، و. (1991) ص 6.

4 - الرحمن، ح. (1999)، ص 296.

### ب- الاجتياح العراقي للكويت.

في الثاني من آب من عام 1990م، اندفعت القوّات العراقيّة عبر الحدود إلى الكويت، وسيطرت على مدينة الكويت العاصمة، وتغلّبت القوّات العراقيّة سريعاً، على القوّات الكويتيّة صغيرة العدد نسبياً، وغادر الشّيخ (جابر الأحمد الصّباح) أمير الكويت الأسبق إلى السّعودية. وزعم الرّئيس العراقيّ (صدام حسين)، أنّ الغزو جاء تأييداً لانتفاضة شعبيّة وشيكة ضدّ أمير الكويت، وذلك ضمن سلسلة الادّعاءات الكاذبة في حربه المتهوّرة، لكنّ تصفية الكويتيين، الذين وقفوا ضدّ الاعتداء العراقيّ، أظهر زيف تلك المزاعم<sup>(1)</sup>.

### ت- التّحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتّحدة.

شكّلت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، تحالفاً دولياً شمل أكثر من 30 دولة، يتضمّن 750 ألف جندي (75% منهم أميركيون)، و3600 دبابة، و1800 طائرة، و150 قطعة بحرية<sup>(2)</sup>، وهو ما يخالف تماما "الوعد المبطن"، الذي قدّمته السفارة الأمريكيّة للرئيس العراقيّ، وفُرّضت عقوبات اقتصادية على العراق، وطالب مجلس الأمن القوّات العراقيّة، بالانسحاب من الأراضي الكويتيّة دون قيد أو شرط.

لم يستجب (صدام حسين) للنداءات الدوليّة، بضرورة الانسحاب من أراضي الكويت، فاستعدّت الولايات المتّحدة وبريطانيا للحرب، وبدأت عمليّة تحرير الكويت من القوّات العراقيّة في 17 كانون الثاني سنة 1991م، بعد انتهاء المهلة التي أعطيت للعراق، وحقّقت العمليات نصراً مهّداً لقوات التّحالف الدّخول إلى أجزاء من العراق، وتركز الهجوم البريّ والجويّ على الكويت والعراق وأجزاء من المناطق الحدوديّة مع السّعودية، وقامت القوّات العراقيّة بالرّد، عن طريق إطلاق عدد من صواريخ «سكود» على إسرائيل، والعاصمة السّعودية الرّياض. لكن الإنزال الدوليّ بقيادة الولايات المتّحدة، ضاعف حجم قوّاته في أراضي العربيّة السّعودية<sup>(3)</sup>، ما اضطر (صدام) بعدها إلى اتّخاذ قرار الانسحاب في 26 شباط 1991م.

1 - تلاس، م. (1994)، ص 60.

2 - CNN. 2001. «CNN.com In-depth specials - Gulf War». مؤرشف من الأصل في 2008-12-19.

3 - تلاس، م. (1994)، ص.ص. 76-73.

### ث- حادث "ملجأ العامرية"

قبل الانسحاب، وفي يوم 13 شباط من عام 1991م، وقع حادث "ملجأ العامرية" في بغداد، الذي هزّ التحالف الدوليّ، وأبرز بشاعة الخسائر البشرية لعمليات عاصفة الصحراء. فقد تم إطلاق قنبلتين موجّهتين بالليزر، من مقاتلة أمريكية من طراز «الشبح»، على ملجأ تحت الأرض كانت قوّات التحالف، تظنّ أنّه أحد مراكز قيادة الجيش العراقيّ. وكان الهدف من الهجوم هو إدخال القنبلتين، التي تبلغ زنة كلّ منهما تسعمائة كيلو غرام، إلى داخل الملجأ من خلال فتحات التهوية، لكن إحداهما أخطأت هدفها، وانفجرت في موقع قريب، وأدى انفجارها إلى سدّ مخرج المخبأ الوحيد<sup>(1)</sup>.

القنبلة الثّانية اخترقت سقف المخبأ، وانفجرت وسط أكبر غرفة في الطابق العلويّ منه، وقد أدّى الانفجار الثّاني، إلى مقتل 314 شخصاً بينهم 130 طفلاً. ولم تكن القيادة الجوّية لقوّات التحالف تعلم أنّ مئات النّساء والأطفال، كانوا يستخدمون الملجأ للاحتباء من القصف الجوّي منذ بداية الحرب. وقد أصيب أهالي الضّحايا، ومعهم مشاهدو التلفزيون في كلّ مكان في العالم، بصدمة عند رؤية الجثث المتفحّمة المنتشرة من داخل الملجأ. واستغلّت السّلطات العراقيّة الحادث إعلامياً، بأن سمحت لجميع فرق التصوير التابعة لمحطات التلفزيون الغربيّة، بتصوير المشاهد الأليمة دون قيود<sup>(2)</sup>.

### ج- مجزرة طريق الموت.

جاء وقت الحسم في جريمة حرب فظيعة، أقدمت عليها القوّات الأمريكيّة، بحقّ القوّات العراقيّة المنسحبة من الكويت، في إبادة شاملة وغادرة للقدرات العسكريّة العراقيّة، كان هدفها إضعاف العراق بعد تجاوز نظامه لجميع الخطوط الحُمر.

ففي ليلة الـ26 من فبراير / شباط 1991م، وصلت القوّات العراقيّة المنسحبة من الكويت، إلى الطّريق السّريع رقم 80، الذي يربط مدينة الكويت بمنفذ "العبدلي" الحدودي، ومن هناك

1 - نايتس، م. (2019)، ص116.

2 - فطور بالمليارات يدفعه العراق.. تعرّف على «عاصفة الصّحراء»، التي أتت على الشّرق الأوسط، فغيرته للأبد، بغداد اليوم 2021-8-3، تمّ الاسترداد بتاريخ 8 أيار، 2024 من (<https://baghdadtoday.news/>) (print:page,1,160556-.html).

إلى الطريق الرابط من "صفوان" العراقية إلى "البصرة" على امتداد هذا الطريق، وقعت أكبر وأبشع مجزرة ضد الجيش العراقي، والتي عُرفت حينها بـ"مجزرة طريق الموت"، التي استشهد وأصيب فيها، ما لا يقل عن 10 آلاف جندي عراقي، وتعرضت أكثر من 1500 مدرعة عراقية للتدمير الشامل<sup>(1)</sup>.

بدأت وقائع تلك المجزرة، عندما بدأ الجيش العراقي الانسحاب من الأراضي الكويتية، متجهًا إلى "البصرة" امثالاً لقرار الأمم المتحدة 660<sup>(2)</sup>، وأثناء الانسحاب تم تنفيذ الخطة الانتقامية بقيادة الأميركي (كولن باول)، رئيس هيئة الأركان المشتركة، والتي تقوم على ضرب المقدمة والمؤخرة، على طول الطريق الممتد بين الكويت و"العبدلي"، لإرباك وحصار الجيش العراقي أثناء انسحابه، الأمر الذي خلق حالة من الازدحام الشديد على الطريق، حتى وقعت تلك المدرعات والأرتال العسكرية في فخ القوات الأمريكية، التي نفذت قصفها الوحشي وقامت بتدمير أرتال الجيش العراقي على طول الطريق رقم 80، وإبادة جميع قوات الجيش المنسحبة على امتداد هذا الطريق<sup>(3)</sup>. وهو الأمر الذي يُضاف إلى رصيد الولايات المتحدة في عدد جرائم الحرب التي ارتكبتها عبر تاريخها.

استخدم طيران القوات الأمريكية، في مجزرة طريق الموت، عددًا من الأسلحة الفتاكة ضد قوات الجيش العراقي المنسحبة، أبرزها: الذخائر العنقودية، قذائف A-10، ذخائر مافريك، الذخائر الحارقة الموجهة بالليزر، ذخائر المنتقم<sup>(4)</sup>، كان الأمر مرعباً حقاً، أشلاء الجثث المتفحمة في كل مكان على امتداد طريق الموت، وكانت جريمة انتقامية مكتملة الأركان، تخالف كل العهود والمواثيق الدولية. لقد أكد الوحش الأمريكي في هذه الحرب، موقف الولايات المتحدة المستعدة دائماً لتجاوز كل المعايير الإنسانية، في سبيل الحفاظ على مصالحها.

1 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت، حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية، تم الاسترداد بتاريخ 8 أيار، 2024 من (<https://www.infoplusnetwork.com/news/politics>)

2 - Joy, G. (2012). p.p. 23-24.

3 - نايتس، م. (2019)، ص.ص 142-144.

4 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية، تم الاسترداد بتاريخ 8 أيار، 2024 من (<https://www.infoplusnetwork.com/news/politics>)

تحدّثت الصّحفيّة الأمريكيّة -لبنانية الأصل- (جويس شدياق)، واصفّةً ما حدث في مجزرة طريق الموت، خلال حديثها لمجلة "نيورك تايمز" عدد مارس 1991م، قائلة: «تعرّضت الشّاحنات لقصف شديد، لدرجة جعلها تلتصق بالأرض، وكان من المستحيل التّعرف بالنّظر إليها ما إذا كانت تحمل سائقين أم لا، كما ذاب الزّجاج الأمامي لهذه الشّاحنات تماماً، وتمّ اختزال دبابات ضخمة إلى مجرد خردة حديدية، كما حاصرت الطّائرات الأمريكيّة القوافل الطّويلة عن طريق تعطيل المركبات من الأمام والخلف، ثمّ قصفت الاختناقات المروريّة الممتدّة على طول طريق الموت لساعات»<sup>(1)</sup>. لقد تورّطت القوات العسكريّة الأمريكيّة، في انتهاك القانون الدولي، بإطلاق نيرانها على جنود عراقيين كانوا منسحبين، وكان معظمهم من العزل قبل وقف إطلاق النّار مباشرة. ووصف الطّيّارون الأمريكيون ذلك في تقارير إخبارية بأنّه "إطلاق النّار على الدّيك الرّوميّ" و"مثل إطلاق النّار على سمكة في برمبل". لم تكن المذبحة غير ضروريّة فحسب، بل كانت بشعة أيضاً<sup>(2)</sup>.

مجلة "التايم" الأمريكيّة نشرت تقريراً في عام الانسحاب، كشفت خلاله صراحة، وباعتراف عدد من الضبّاط الأمريكيين المشاركين في حرب الخليج الثّانية، أن هدف الولايات المتّحدة لم يكن تحرير الكويت في تلك المرحلة، بل كان تدمير قوّة العراق الهجوميّة، التي جعلته يمثل تهديداً إقليمياً. وأن هذا كان هو الهدف الحقيقي وراء الحرب، تدمير قوّة العراق العسكريّة، وإيقاع الجيش العراقيّ في حالة عجز تامّ، أمام مخطّطات الولايات وحليفها إسرائيل في المنطقة.

وأضافت المجلة بتقريرها الصّادر في 12 أغسطس / آب عام 1991م: "كان قدر كبير من تلك القوّة الهجوميّة العراقيّة -أي القوّة التي قرّروا تدميرها- والتي تتألّف من مركبات على طريق البصرة (طريق الموت 80)، يقاد من قبل أفراد الحرس الجمهوري، وكان الحلفاء مصمّمين على عدم منحهم متنفساً للانسحاب، أو إعادة تجميع صفوفهم لشنّ هجوم على الجيش الأمريكي".

ظهرت وحشيّة الأسلحة الأمريكيّة، باستخدام "التابالم" لحرق الجنود العراقيين المتحصّنين. لقد تمّ إسقاط متفجّرات الوقود والهواء، وهي أسلحة مروّعة يطلق عليها غالباً "شبه أسلحة نوويّة" بسبب قدرتها التدميرية من خلال النيران والاختناق والارتجاج. لقد تمّ إسقاط قنابل عنقوديّة،

1 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية.

2 - فتزل، حرب الحلفاء الأمريكيّة "العادلة!" على العراق، تم الاسترداد بتاريخ 8 مايو / أيار، 2024 من

(<https://almadayinpost.com/7639.html>).

تستخدم شظايا حادة لتمزيق الناس. ولاخترق الدبابات، استخدمت قذائف اليورانوم المنضب، والتي لا تُعرف آثارها الصحيّة على المدى الطويل. إنّ مفاهيم التناسب وحماية المدنيين المقبولة على نطاق واسع، تخرج من النافذة مع استخدام هذه الأسلحة.

### ح- صدام والفتح الأمريكيّ.

حتّى يومنا هذا، لا تزال العديد من الأسئلة، تبحث عن إجابات مقنعة حول أسباب عدم مبالاة (صدام حسين)، بفترة الإنذار الدوليّ التي انتهت يوم 15 كانون الثاني 1991م، لسحب قوّاته من الكويت، ومهما كانت الأسباب التي دفعت (صدام حسين)، إلى التّعنت برأيه والإصرار على عدم التّجاوب مع القرار الدوليّ، فإنّ (صدام) يعتبر أبرز المشاركين في الكارثة التي حلّت بجيش بلاده، لدرجة تجعل الباحث في حرب الكويت، يشكّ للّحظات أن (صدام) حسين كان أحد رموز هذه المؤامرة، لشدة تعنّته أمام الآلة العسكريّة الأمريكيّة، وعلى أقلّ تقدير وصل إلى منتهى الاستخفاف والاستهانة بفداحة وحجم الكارثة، التي تنتظر جيش العراق، وبخس العراقيين عموماً كلّ ما قدّموه لبلدهم، ولا شكّ أنّه يتقاسم مسؤوليّة الخراب الكبير، الذي حلّ ببلده وشعبه مع الولايات المتّحدة، التي سهّلت خطة دخول الجيش العراقيّ إلى الكويت.

لقد أشار (صدام) نفسه إلى الفتح، الذي نصبته الولايات المتّحدة بتصريحه ليلة 16-17/1/1991م بقوله: «ولقد غدر الغادرون»، في إشارة منه إلى كذبة الموافقة الضمنيّة، التي حصل عليها على لسان السفارة الأمريكيّة (أبريل غالاسبي)، بأنّها ما كانت إلاّ فتحاً نصبه الأمريكيون له، خصوصاً أنّ مجلة "فورين بوليسي" الأمريكيّة، ذكرت أنّ وزارة الخارجية الأمريكيّة أكّدت لصدام في وقت سابق، أنّ واشنطن ليس لديها التزامات دفاعيّة خاصّة تجاه الكويت، ما يعني أنّ ما قامت به (أبريل غالاسبي)، كان جزءاً من مجهود منظم للإيقاع بـ(صدام)<sup>(1)</sup>.

إنّ أهمّ حلقات مسلسل الخداع الأمريكيّ، يمكن ملاحظتها بوضوح في مجريات الحديث المطوّل، الذي دار يوم 25 تموز 1990 بين السفارة الأمريكيّة (أبريل غالاسبي) و(صدام حسين) عشية الغزو العراقيّ للكويت.

لقد جاء هذا اللّقاء بناء على طلب من الرّئيس العراقيّ نفسه، في الوقت الذي كان واضحاً

1 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص 79.

لجميع الأطراف، أنّ العراق مقدّم على عمل عسكريّ ضدّ الكويت، وأن طلب الرئيس العراقيّ لهذا اللقاء لا يمكن تحليله، إلّا في إطار الحصول على ضوء أخضر من الجانب الأمريكيّ، ويلاحظ من مجريات الحوار -الذي تم تسريبه لاحقاً- أنّ (صدام حسين)، رغب في استبيان الموقف الأمريكيّ، مع تلميح واضح إلى نيته في أن يكون حليفاً للأمريكيين في المنطقة، وأسهب في الحديث عن مسألة الدّيون، وحقّ الشعب العراقيّ في العيش بسلام وبحبوحه وكرامة، وأمّله بأنّ تأخذ الولايات المتّحدة قراراً صائباً، بشأن علاقتها مع العراق وبناء روابط جيّدة، وأنّ العراق ينتظر مكافأة من أميركا على موقفه في حرب الخليج الأولى.

وقد جاء ردّ (أبريل غالاسبي)، بمجموعة من الرسائل والتلميحات، إن لم نقل التّصريحات الواضحة، لجهة عدم رضا الأمريكيين، عن خفض سعر التّفط من الجانب الكويتيّ، ودعمهم لقرار رفع أسعار التّفط، وأشارت إلى ضرورة إعادة إعمار العراق، وبأنّ الولايات المتّحدة ليس لها أيّ آراء محدّدة فيما يتعلّق بالصّراعات العربيّة، مثل النزاع الحدوديّ مع الكويت، وإنّ هذه الخلافات ليست قضيتنا<sup>(1)</sup>.

لقد قدّمت الولايات المتّحدة الدّعم للعراق، خلال حرب الخليج الأولى ضدّ إيران ما بعد الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة<sup>(2)</sup>، وقدّمت بقيمة مليارات الدّولارات، العديد من المساعدات الاقتصاديّة وبيع التّكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج، والأسلحة من خارج الولايات المتّحدة، والاستخبارات العسكريّة وتدريب العمليّات الخاصّة، واستخدمت وسطاء في جميع مبيعات الأسلحة إلى العراق خلال الحرب<sup>(3)</sup>. كلّ هذا الدّعم الأمريكيّ جاء في سياق تسويق الأسلحة الأمريكيّة من جهة وتدمير قوّة العراق بشكل ممنهج ومدروس من جهة أخرى، وذلك بزجّه بحروب عبثيّة تستنزف طاقاته، لكنّ حرب الخليج الأولى على الرّغم من أنّها أضعفت البلدان المتصارعان، اللذان يشكّلان خطراً على مصالح الولايات المتّحدة، إلّا أنّ ثمارها لم تكن كافية

1 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص.ص. 78-81.

2 - رغم أنّ الولايات المتّحدة دعمت نظام الشّاه (رضا بهلوي) (1878 - 1944 م) وكانت أقرب الحلفاء لإيران، عندما كانت مصالحها مرتبطة مع نظام الشّاه الإيرانيّ، فإنّها تحوّلت بعد وصول الإمام (آية الله الخميني) إلى الحكم عام 1979م، إلى أشدّ أعداء نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، لتخوض طهران من جهة، وواشنطن وتلّ أبيب من جهة أخرى، منذ ذلك الوقت حرباً أيديولوجيّة وإستراتيجيّة في آن واحد.

3 - Crile, G. (2004), p.p. 274-275.



للوّحش الأمريكيّ، لذلك، سهّل الأمريكيّون غزو العراق للكويت، ومن ثمّة نصّبوا أنفسهم حماة للكويت. وبطبيعة الحال دفع الكويتيون كلفة طرد الجيش العراقيّ خارج الأراضي الكويتيّة، وفي نفس الوقت دفعوا كلفة الغزو الأمريكيّ للعراق، لتكتمل الخطة الأمريكيّة بغزو العراق، وتدمير مقدّراته والقضاء على جميع طموحاته الجيوسياسية القريبة والبعيدة، وتمويل عربيّ إسلاميّ. يظهر للباحث في العلاقات العراقيّة - الأمريكيّة، أنّ الأمريكيين استغلّوا إلى أقصى حدّ جنون العظمة عند (صدام حسين)، ووجهوا دفة القيادة العراقيّة، بالشكل الذي يخدم مصالح أمريكا، فكانت الحرب العراقيّة الإيرانيّة 1980 - 1988م، ثمّ الحرب العراقيّة الكويتيّة 1990-1991م، ثمّ حرب الاجتياح الأمريكيّ للعراق 2003م، جاءت هذه الأزمات والحروب، بترتيب مدروس وهادف في زمن رئيس عراقيّ مختلّ، صاحب ردّات فعل مفهومة ومتوقّعة، وتزامن هذا مع دكتاتوريّة (صدام) التي خنقت الأصوات في الدّاخل العراقيّ بالحديد والنّار، واختزلت القرار السّياسي لبلد غنيّ، وشعب طموح بشخصيّة دكتاتور غير متوازن. من الواضح أنّ الأمريكيين فهموا نفسية هذا الرّجل، واخذوا بمعطياتها وجروا العراق ومقدّراته إلى حيث أرادوا. لقد خدم هذا الرّجل المصالح الأمريكيّة أيّما خدمة، وسهّلت دكتاتوريته على الأمريكيين، جرّ العراق بكلّ مقدّراته إلى وحول المستنقعات الأمريكيّة، وتوجيه دفة الصّراع بالاتّجاه الملائم، وبأقلّ التكاليف والخسائر.

### 3 - حرب الخليج الثالثة

#### أ- الحصار الاقتصاديّ

على الرّغم من توقّف إطلاق النّار، إلّا أنّ الحظر الاقتصاديّ، الذي فُرض على العراق كان الأكثر إرهاباً. ومن المفترض أنّ العقوبات الاقتصادية القاسية، تهدف إلى كبح جماح نظام (صدام حسين)، إلّا أنّها لم تقتل سوى الأبرياء، ما يصل إلى أكثر من مليون شخص قتلوا على أثر الحصار الأمريكيّ، وفقاً لدراسات الأمم المتّحدة<sup>(1)</sup>.

لقد تركت العقوبات الاقتصادية الأمريكيّة، آثارها المأساويّة على العراق بعد غزوه الكويت، وكانت استكمالاً لتطويق العراق ونسف مقدّراته. واجه العراقيون خلال أعوام الحصار الذي

1 - صالح، ص. (2010)، ص.ص. 110-112

استمرَّ حتَّى الغزو الأميركي للبلاد عام 2003م، معاناة إنسانية كبيرة بسبب حرمان البلاد من المواد الغذائية والأدوية وأسط ووسائل التكنولوجيا، ممَّا تسبَّب بوفاة مليون ونصف مليون طفل، وهجرة ثلاثة ملايين عراقي من نخبة المجتمع، كما تسبَّب في انهيار مؤسَّسات الدولة العراقية<sup>(1)</sup>. باختصار، من المضلُّ أن نسمي حرب الخليج حربًا، لقد كانت مذبحه مروعة بشعة جدًّا. وعلى حد تعبير الصحفي البريطاني (جيف سيمونز)، الذي درس الحرب بالتفصيل، فقد كانت مذبحه جماعية لعدو عاجز إلى حدِّ كبير، حيث حدث الكثير من عمليَّات القتل، بعد الوقت الذي كانت فيه الدبلوماسية البناءة، ستضع حدًّا للحرب وإنهاء الصِّراع.

### ب- التمهيد للغزو

بعد حرب الخليج الثانية عام 1991م، وكجزء من اتِّفاقية وقف إطلاق النَّار، نصَّ قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتَّحدة رقم 687، على وقف برامج الصَّواريخ العراقية الكيماوية، والبيولوجية، والنووية، وبعيدة المدى، وتدمير جميع هذه الأسلحة تحت إشراف اللُّجنة الخاصَّة للأمم المتَّحدة. كان مفتشو الأسلحة التابعون للأمم المتَّحدة داخل العراق، قادرين على التَّحقُّق من تدمير كمية كبيرة من موادَّ أسلحة الدِّمار الشَّامل، لكن القضايا الجوهرية ظلَّت دون حلِّ في عام 1998م، عندما غادر المفتشون العراق بسبب اعتقاد رئيس اللُّجنة الخاصَّة آنذاك (ريتشارد باتلر)، بأن الولايات المتَّحدة والمملكة المتَّحدة مُقدِّمتان على عمل عسكريِّ كان وشيكًا. بعد وقت قصير من انسحاب المفتشين، شنت الولايات المتَّحدة والمملكة المتَّحدة، حملة قصف استمرَّت أربعة أيَّام في العراق. كما أصدر الكونغرس الأمريكي والرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) خلال هذه الفترة، قرارًا يدعو إلى تغيير النِّظام في العراق<sup>(2)</sup>. بالإضافة إلى عمليَّات التفتيش التي تقوم بها الأمم المتَّحدة، انخرطت الولايات المتَّحدة والمملكة المتَّحدة (إلى جانب فرنسا حتى عام 1998م)، في نزاع منخفض المستوى مع العراق، من خلال فرض مناطق حظر طيران في شمال وجنوب العراق، غير مفوضَّة من قبل الأمم المتَّحدة. عُرفت هذه باسم عمليَّة "توفير الرَّاحة"، و"توفير الرَّاحة 2"، ثم تلتها عمليَّة المراقبة الشَّمالية في كردستان العراق في

1 - صالح، ص. (2010)، ص 110.

2 - القصاب، ع. (2013)، ص 9.

الشمال وعمليات المراقبة الجنوبية في الجنوب، واعتبرتها الحكومة العراقية انتهاكاً لسيادة العراق. تكثفت التحقيقات قبل عام واحد من بدء حرب العراق، عندما بدأت الولايات المتحدة عملية التركيز الجنوبي، من أجل تعطيل هيكل القيادة العسكرية في العراق قبل الغزو<sup>(1)</sup>. لقد أكملت الولايات المتحدة، حلقات مسلسلها في تدمير العراق، والسيطرة على مقدراته، ومنعه من تشكيل أي خطر على مصالحها السياسية والاقتصادية، وبشكل خاص أمن إسرائيل الطفل المدلل، بالسيطرة على مقدرات النفط العراقي، وتوجيه أسواق النفط العالمية، بما يتماشى مع مصالحها القريبة والبعيدة، بعد أن ضمنت تشجيع جيران العراق الكويتيين والسعوديين، الذين أصبحوا ينظرون إلى بغداد، على أنها مصدر الخطر الأعظم بدلاً من "تل أبيب". وتمهيداً للحرب احتلال العراق، أصدرت الإدارة الأمريكية في أكتوبر 1998م، "قانون تحرير العراق"، الذي نصّ على منح 97 مليون دولار لقوى المعارضة العراقية، لدعمها في إسقاط نظام صدام حسين، لكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، وإدراج اسم العراق في "محور الشر"، بدأت الجهود الأمريكية بالتحرّك للإطاحة بحكومة (صدام حسين). قدّمت إدارة الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، مجموعة تبريرات لشنّ حربها على العراق، والتي تركّزت أساساً على تأكيد أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وأنّ حكومة (صدام) تشكّل تهديداً كبيراً، للولايات المتحدة ودول التحالف وشعب العراق نفسه، وأنّه لا بدّ من إنهاء قمع أحد أشرس الدكتاتوريين الظالمين، وتحقيق الديمقراطية لشعب العراق.

### ت- العمليات العسكرية.

بدأت حرب الخليج الثالثة في 20 مارس 2003م، بعد انقضاء 90 دقيقة على المهلة، التي أعطها (جورج بوش) لـ(صدام حسين) ونجليه لمغادرة العراق، وتسليم الحكم لسلطة انتقالية اقترحتها جامعة الدول العربية، وحظيت بقبول الأمم المتحدة لتفادي الحرب<sup>(2)</sup>. لاقت الحرب

1 - القصاب، ع. (2013)، ص 15.

2 - لقد كان الإنذار الأمريكي لـ(صدام حسين)، فرصة أخيرة لتجنب العراق مآسي حرب جديدة، انتهت باحتلال العراق وفرض الهيمنة الأمريكية على جميع مقدراته. لاشكّ بأنّ الأمريكيين، لم يكن لهم أن يتخلّوا عن تحقيق مصالحهم وطمعهم في العراق، لكن كان من الممكن تجنب العراق، والشعب العراقي الكثير من ويلات الحرب.

دعم قوى عراقية مختلفة، متمثلة في الشيعة في الجنوب، والأكراد في الشمال، لكن في المقابل واجهت رفضاً، من قوى عالمية حليفة لواشنطن كفرنسا. وكانت العمليات العسكرية لإسقاط (صدام) سريعة، وتميزت بانهيار سريع للجيش العراقي في وجه القوات الأمريكية وحلفائها، على عكس ما كان يتوقعه (صدام حسين)، الذي تواري في جحور العراق بعيداً عن أنظار الأمريكيين خوفاً على حياته.

وبعد نحو ثلاثة أسابيع، وتحديدًا في 9 أبريل 2003م، سقط حكم (صدام حسين) الذي استمر 24 عاماً، وفي 15 من الشهر نفسه أعلنت القوات المسلحة الأمريكية، بسط سيطرتها على جميع الأراضي العراقية<sup>(1)</sup>.

### ث- نتائج الغزو الأمريكي للعراق

لقد اختلفت التقديرات للعدد الإجمالي لقتلى حرب الخليج الثالثة، فقد أفادت نتائج الدراسة التي قدمها معهد الاستطلاعات البريطاني عام 2007م، بأن عدد القتلى من العراقيين بلغ قرابة مليون شخص، أما منظمة الصحة العالمية فقد قدرت حصيلة القتلى العراقيين بين 104 آلاف و230 ألفاً، وهي تقديرات مقارنة لما أفادت به وثائق ويكيليكس المسربة عام 2010م، والتي أشارت إلى مقتل 109 آلاف عراقي منذ بداية الغزو الأمريكي، في حين اعترف الجيش الأمريكي بمقتل 77 ألف عراقي بين كانون الثاني 2004م وآب 2008م، الناتجة عن أعمال العنف الطائفية التي عمّت البلاد. لقد عمدت قوات الاحتلال الأمريكية، بعد إحكام قبضتها العسكرية، إلى تفتيت كيان الدولة العراقية كلياً، وحلّت الجيش والأجهزة الأمنية، وعطلت المؤسسات العامة كافة، واستولت على مصادر إنتاج النفط، وأباححت عمليات القتل والسلب والنهب والتدمير، في كل مؤسسات الدولة، بحيث لم تسلم من تلك الأعمال حتى البنوك والمصارف، جميع ذلك تحت نظر القوات الأمريكية بحجة إعادة بناء الدولة العراقية الجديدة وفقاً للتصورات الأمريكية.

وتحت عنوان إعادة الاعمار، منحت العقود لعدد من الشركات الأمريكية لتنفيذ مشاريع داخل العراق، تشمل بناء المدارس، وشق الطرق، وإدارة قطاع النفط، وتقديم المشورة للبنك المركزي

1 - الغزو الأمريكي للعراق تم الاسترداد بتاريخ 10 أيار، (<https://www.almasyalyoum.com/news/>) (details/3126640)

العراقي، وتحت هذا الستار دخلت شركات أمريكية كانت مهمتها الحراسة والأمن، ويقدر عددها بنحو 35 شركة، ووقعت عقوداً بما يزيد على مليار دولار<sup>(1)</sup>.

لقد نظم الأمريكيون عملية تخريب الاقتصاد العراقي، وفق خطوات مدروسة وهادفة، ونحووا بالمجتمع العراقي إلى هاوية التناقضات الاجتماعية، من إحياء للرؤى العشائرية، وإثارة النعرات الطائفية، وشل أي مشروع إصلاحية.

في 18 ديسمبر 2011م، أعلنت الولايات المتحدة أن جيشها أنهى انسحابه من العراق، وأن الانسحاب جاء، تطبيقاً للاتفاقية الأمنية الموقعة مع حكومة العراق عام 2008م<sup>(2)</sup>.

إن الخدمة الوحيدة التي قدمها العم سام للعراقيين -خارج حسن النوايا-، هي تخليصهم من الديكتاتور (صدام حسين)، الذي انتهك حق الإنسان العراقي بكل الطرق والأساليب، وتعرض الشعب العراقي أثناء فترة حكمه، لجملة من أعمال القتل الجماعي والتعذيب والاعتقال، نفذ أغلبها بدون محاكمات رسمية أو علنية. وقد طالت عواقب جرائمه، جميع أطراف الشعب العراقي، من شيعة وسنة، وأكراد، وأقليات أخرى، وتوسعت دائرة حماقاته، لتشمل الدول المجاورة كالكويت وإيران.

### خاتمة

لقد حرّكت الولايات المتحدة البيدق العراقي، على رقعة الشرق الأوسط، مستخدمة كل وسائل الخداع، ولعبت على طموحاته الممتزجة بالتهور، فضربت به إيران أولاً، والكويت ثانياً، والعراق نفسه ثالثاً، فأضعفت إيران وأجلت أحلامها في استعادة بيت المقدس، وأضعفت الكويت وابتزتها، وقضت على طموحات العراق ونهبت ثرواته. وهكذا فإن السياسة الأمريكية تجاه العراق، لم تختلف عن سياستها تجاه أي من دول العالم المخالفة للتوجه الأمريكي، فالمصالح الأمريكية موجودة حيث توجد الأزمات، فإذا اختفت الأزمات لسبب أو لآخر، عملت

1 - صالح، ص. (2010)، ص.ص 157-180.

2 - الغزو الأمريكي للعراق، مبررات واهية ونتائج كارثية، المصدر: الجزيرة، تم الاسترداد بتاريخ 10 أيار،

(<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2016/12/23>) 2024

السياسة الأمريكية على إيجادها. إنها إمبراطورية الأزمات، ولدى القائمين على سياستها قناعة راسخة، بأن وجودهم وديمومتهم مرتبط بضعف الآخرين، والسيطرة عليهم وسرقة مقدراتهم.

## قائمة المصادر والمراجع

### اللغة العربية

1. الخالدي، و. (1991) "أزمة الخليج الجذور والتأثيرات"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 2، العدد 5.
2. الرحمن، ح. (1999) حرب تحرير الكويت جذورها ومقوماتها، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 1، بيروت.
3. سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993) حرب الخليج الملف السري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 11، بيروت.
4. صالح، ص. (2010) آثار الاجتياح العراقي للكويت على العلاقات العراقية الأمريكية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، ط 1.
5. طلاس، م. (1994) حرب تحرير الكويت، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 2، دمشق.
6. العفنان، س. (1991) عاصفة الصحراء ومقدماتها، مطابع النهضة الوطنية، ط 1، حائل.
7. القصاب، ع. و. (2013) الغزو وأطروحات المحافظين الجدد لتفتيت العراق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، الدوحة.
8. القصاب، ع. و. (2014) الحرب العراقية الإيرانية 1980-1988 م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، بيروت.
9. نايتس، م. (2019) مهد الصراع، ترجمة قيس قاسم العجرش، مركز الرافدين للحوار، ط 1، بيروت.

### مواقع الكترونية

1. CNN.com In-depth specials - Gulf War". CNN. 2001
2. إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية، تم الاسترداد بتاريخ ٨ أيار، 2024 م من (<https://www.infoplusnetwork.com/news/politics>).

3. حسن، م. (2023) الغزو الأمريكي (قوات التحالف) للعراق «زي النهارده» في 20 مارس 2003م، تم الاسترداد بتاريخ ١٠ أيار، ٢٠٢٤م (<https://www.almasryalyoum.com/news/details/3126640>).
4. دار الكتب والوثائق العراقية، الفهارس نسخة محفوظة 12 يونيو 2018م على موقع واي باك مشين.
5. الغزو الأمريكي للعراق مبررات واهية ونتائج كارثية، المصدر: الجزيرة، تم الاسترداد بتاريخ ١٠ أيار، 2024م (<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2016/23/12>).
6. فتزل، ف. (2024) حرب الحلفاء الأمريكية «العدالة!» على العراق، ترجمة حامد فضل الله / برلين (أوراق ألمانية)، المدائن بوست، تم الاسترداد بتاريخ ٨ أيار، 2024م من (<https://almadayinpost.com/7639.html>).

#### باللغة الانكليزية

1. Crile, G. (2004) Charlie Wilson's War, Grove press, New York.
2. Joy, G. (2012). Invisible War: the United States and the Iraq sanction.



## غزو أمريكا لأفغانستان والجرائم ضد الإنسانية

■ أ.د. حسين علي حسن أحمد<sup>(1)</sup>

### ملخص

شهدت أفغانستان غزواً تلو الآخر في تاريخها الحديث، بسبب تضاريسها وموقعها الاستراتيجي على مفترق طرق آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية والشرق الأوسط، حيث امتلكت حدوداً مجاورة لمناطق التوسع البريطاني في الجنوب، وأيضاً لمناطق التوسع الروسي في الشمال. جعلها هذا الموقع المتميز عرضة للغزو البريطاني والروسي. تحمّل الأفغان البسطاء كافة الآثار السلبية، الناجمة عن الغزو الأجنبي المتكرر لبلادهم. وبعد الهجوم الذي تعرّضت له الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر 2001، شنت أمريكا حرباً شرسة ضد أفغانستان -تحت مزاعم كاذبة وادّعاءات مضلّة- إذ أطلقت على حربها ضد أفغانستان اسم "الحرب على الإرهاب". لقد طوّرت أمريكا حروبها الوحشية إلى حدّ مخيف، بحيث تحوّلت من "حروب على الإرهاب" إلى "حروب إرهابية"، تشنّها الولايات المتحدة الأمريكية، ضدّ كلّ الدول المناوئة لها، والمعارضة لسياساتها العدوانية. لقد قامت أمريكا بارتكاب جرائم وحشية بحقّ المدنيين الأفغان، واستخدمت الأسلحة المحرّمة دولياً لقتل الناس وتدمير البيئة. وقد أدّى الغزو الأمريكي لأفغانستان إلى انهيار الاقتصاد الأفغاني.

**الكلمات المفتاحية:** الاحتلال البريطاني - الاحتلال السوفيتي - الأسلحة المحرّمة دولياً - اليورانيوم - الجرائم الأمريكية - الأسلحة الكيميائية - القنابل العنقودية.

1 - أستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس - مصر.

## المقدمة

لقد نهجت الولايات المتحدة الأمريكية طوال تاريخها، نهجاً لا إنسانياً في حروبها ضد شعوب العالم، فهي لا تتورع عن استخدام أسلحة محرّمة دولياً، بغية حسم صراعاتها العسكرية مع الغير بما في ذلك غزوها لدولة أفغانستان، ولقد زعمت الولايات المتحدة الأمريكية، أنّ حكومة طالبان تؤوي على أرض أفغانستان تنظيم القاعدة وتحميه؛ وهو التنظيم الذي اتّهمته أميركا بأنّه خطّط هجوماً، ونفّذه على مركز التجارة العالمي بالولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001. طالب الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) حكومة طالبان تسليم (أسامة بن لادن)، وطرد تنظيم القاعدة خارج أفغانستان. لقد كان (بن لادن) مطلوباً من قبل مكتب التحقيقات الفيدراليّ منذ 1998. رفضت طالبان تسليمه، ما لم تُمنح ما اعتبرته دليلاً مقنعاً على ضلوع (بن لادن) في هجمات 11 سبتمبر. رفضت الولايات المتحدة تقديم هذا الدليل، الذي طالبت به حكومة طالبان، ونظرت إلى هذا المطلب بوصفه مماثلة لا معنى لها، وشنت مع المملكة المتحدة عملية أطلقت عليها "الحرية الدائمة" في 7 أكتوبر 2001. أطاحت أميركا بحكومة طالبان. وكانت الأهداف العامّة للغزو هي تفكيك القاعدة، وحرمانها من أيّ مكان آمن تشنّ منه عملياتها.

مارست أميركا جرائم بشعة بحقّ الشعب الأفغاني؛ إذ قامت بالتّعذيب الممنهج للمعتقلين الأفغان، ومارست القتل التعسفي، وارتكبت جرائم حرب، تتعارض مع أبسط مبادئ القانون الدوليّ. وهذا ما سوف نتعرّض له بالتفصيل في هذا البحث. حيث سنسأل السؤال التالي: ما مبررات الاتّهامات التي وجهتها الولايات المتحدة الأمريكية لحكومة طالبان؟ وهل حقاً شارك تنظيم القاعدة في أحداث 11 سبتمبر؟ ما أنواع الأسلحة المحرّمة دولياً التي استخدمتها أميركا في أفغانستان؟ وما مدى ما سبّته من دمار وخراب على الإنسان والبيئة؟ ما حجم الخسائر الماديّة التي نجمت عن استخدام هذه الأسلحة الفتّاقة؟ وكم عدد الأرواح التي أزهقت في أفغانستان

على أيدي القوات الأمريكية؟ وما مدى مشروعية ما ارتكبتة من أفعال، في نظر القانون الدولي؟

## ■ أولاً: حروب أفغانستان ودور التضاريس فيها

في تاريخها الحديث، تعرّضت أفغانستان لغزوات كثيرة؛ كان هدف تلك الغزوات الاستحواذ على ثروات أفغانستان الطبيعية، فضلاً عن استغلال موقعها الاستراتيجي المتميز والإفادة منه. ونجم عن تلك الغزوات، نشوب صراعات طاحنة بين القوى الكبرى -تحديداً بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية- وكانت أفغانستان بمثابة ورقة مساومة كبرى بينهما، ومن ثمّ صارت هي الضحية، التي عليها أن تدفع أثمناً باهظة.

بدأ التاريخ السياسي لأفغانستان بوصفها دولة مستقلة عام 1747م عندما طرد الفرس منها، وتأسست فيها "إمبراطورية دوراني". لم تُعرف "أفغانستان" بهذا الاسم إلا عام 1747م في عهد الملك (أحمد شاه دوراني)، والذي كان ينتمي إلى عرقية البشتو (الأفغان) التي تمثل أغلبية السكّان، فسميت "أفغانستان" باسمهم، وذلك بعد أن مات (نادر شاه الفارسي) في السنة نفسها، وكان (أحمد شاه) الملقب بـ "دوره دوراني" -أي درّة العصر- حاكماً على "خيرات" وزعيماً لقبائل "أبدالي"، انتقل مع فرقة الأبدالية إلى "قندهار"، والتفّ حوله القندهاريون الأشداء، ونصّبوه ملكاً على أفغانستان مستقلاً بذلك عن إيران. وانطلق منها إلى وادي نهر السند و"لاهور" و"ملتان" و"كشمير". ودخل "دهلي" عاصمة الهند لإنقاذ المسلمين من مذابح الهندوس، الذين ارتكبوا تلك المذابح بإيعاز من الإنجليز<sup>(1)</sup>.

### أ- الحرب الأولى على أفغانستان (1838 - 1842م)

طمعت كل من روسيا وإنجلترا في الاستيلاء على الصين، عن طريق الممر الأفغاني المؤدّي إلى تركستان الشرقية، فحاولت إنجلترا التّودّد إلى الأمير (محمد دوست) -هو مؤسس أسرة "باراكزاي"- التي ظلت في الحكم حتى عام 1973م لتفرض عليه معاهدة حماية، لكنها لم تجد منه نفعاً. فقرّرت غزو أفغانستان سنة 1839م، تحت ذريعة مناصرة (شجاع ملك ابن أحمد شاه الدوراني) -مؤسس أفغانستان- في سياق منافسته للأمير الأفغان (محمد دوست)، وتمكّنت

1 - فرج، أ. (2002) ص 14.

من احتلال "كابول" بعد سلسلة من الهزائم التي مني بها الأفغان، ولكن الأفغانيون تمكنوا من تنصيب (شجاع ملك) حاكماً لأفغانستان، ونجحوا أيضاً في طرد الدخلاء وعملائهم، بل استطاعوا إبادة الجيش البريطانيّ بأكمله عند "خورد كابول" في يناير 1842م. بعد ذلك عاد البريطانيون إلى "كابول" للانتقام من هزيمتهم، إلى أن غادروا أفغانستان تماماً بحلول نهاية العام. عندها عاد (محمد دوست) من منفاه في الهند ليتولّى حكم أفغانستان<sup>(1)</sup>. إنّ التّخوّف البريطانيّ من التّوسّع الرّوسيّ، والوصول إلى الهند هو السّبب في رغبة الإنجليز السّيّطرة على أفغانستان، ذلك الجزء المنعزل عن العالم منذ القرن التّاسع عشر.

### ب- الحرب الثّانية 1878 - 1880م

سيطر (شير علي) -بعد وفاة الدهه محمد دوست- على العرش، وحدث أن حشدت روسيا عام 1878م جيوشها في "طشقند" على حدود أفغانستان، فأرسلت إنجلترا مذكرة احتجاج على ذلك، وبعثت بها إلى (شير علي) الذي لم يعرها اهتماماً، ولم يرد عليها بشيء، فقرّر الإنجليز مهاجمة أفغانستان، فكانت الحرب الثّانية بين إنجلترا وأفغانستان. انتصر البريطانيون وأجبروا الأمير (شير علي خان) على الهروب، ونصّب الإنجليز ابنه (محمد يعقوب) أميراً، ووقّع (يعقوب) على معاهدة "غانداماك"، وتخلّى عن بعض الأراضي للإنجليز، وتعهد بقبول بعثة بريطانية تقيم بالعاصمة<sup>(2)</sup>. ارتكبت فيما بعد مذبحه بحقّ البعثة الإنجليزيّة، وقد أشارت أصابع الاتهام أن مرتكبها كان (أيوب خان) حفيد (الأمير دوست)؛ ومن ثمّ اشتعلت جذوة الحرب مرّة أخرى، ممّا أدى إلى تنازل يعقوب عن السّلطة. وانتهت الحملة الثّانية في سبتمبر 1880، عندما هزم البريطانيون (أيوب خان) هزيمة ساحقة قرب "قندهار". واختار البريطانيون أميراً جديداً هو (عبد الرحمن خان)، الذي صدّق على معاهدة "غانداماك" مرّة أخرى. تبعاً للمعاهدة وافق الأفغان على أن يتولّى البريطانيون، مسألة تحقيق كلّ أهدافهم الجيوسياسية، ونظرت بريطانيا إلى أفغانستان بوصفها "دولة عازلة"؛ في سياق محاولة بريطانية لإنشاء، لإنشاء دولة عازلة تبعاً للمعاهدة وافق بين إمبراطوريتهم وروسيا القيصرية<sup>(3)</sup>.

1 - المصري، ج. (1986) ص. 539-538.

2 - المصدر السابق، ص 539.

3 - Runion, M (2007), P.P. 80-81.

### ج - الحرب الثالثة 1919م

تُعرف هذه الحرب في أفغانستان باسم "حرب الاستقلال". بدأت في 6 مايو 1919 عندما طالبت أفغانستان بالاستقلال التام وحريتها في العمل، رفضت بريطانيا منح الأفغان حقهم في إدارة السياسة الخارجية لبلادهم، وكان ذلك الرقّض هو السبب المباشر في اندلاع لهيب الحرب الثالثة بين البلدين. وكان النصر حليفًا للقوات الأفغانية، مما أدّى إلى استعادة الأفغان لحقهم في إدارة الشؤون الخارجية لبلادهم، وفي العام نفسه وقّعت اتفاقية "روالبندي"، والتي اعترفت بريطانيا فيها بأفغانستان دولة مستقلة<sup>(1)</sup>.

### د- الحرب السوفيتية في أفغانستان.

يعود تاريخ الأطماع السوفيتية في أفغانستان، إلى أيام الإمبراطور (بطرس الأكبر) 1689 - 1725م، إمبراطور روسيا سابقًا، عندما صرّح علنًا بأنه يرغب في الوصول إلى المياه الدافئة. تُعدّ روسيا على الرّغم من أنّها محاطة بـ13 بحرًا متّصلة بثلاثة محيطات، لكنّها تبقى متجمّدة معظم السّنة، وعلى الرّغم من أنّ الإمبراطور لم يحقق تلك الرغبة، ولكنّ القياصرة الذين جاؤوا بعده، عملوا على تحقيق حلمه، مع أنّهم لم يصرّحوا بأهدافهم حيال أفغانستان<sup>(2)</sup>. أراد الرّوس من خلال احتلال أفغانستان الدّهاب إلى أرض باكستان ليكون لهم منفذ على المياه الدافئة، ثمّ يطلّون من قريب على آبار التّفط في الخليج<sup>(3)</sup>. تحتوي أفغانستان على عدد من الجبال والممرّات الإستراتيجية المهمّة، وكان منها نهر "جيحون" الذي يفصل أفغانستان عن الاتّحاد السّوفيتي. ويُعدّ أيضًا موقع أفغانستان إستراتيجيًا مهمًّا، كدولة حاجز بين الاتّحاد السوفيتي وبين الوصول إلى منطقة الشّرق الأوسط حيث تكمن مصالحتها.

بدأ الاهتمام السّوفيتي بأفغانستان عام 1919، عندما أصبحت حكومة (لينين) الماركسيّة الوليدة، أوّل دولة تعترف بالنّظام الأفغانيّ الجديد. وسرعان ما ردّت أفغانستان حُسن النّيّة، لتصبح أوّل دولة مجاورة للاتّحاد السّوفيتي تعترف بالدّولة الجديدة. بحلول أوائل العشرينيّات من القرن

1 - العامري، ص. (2012) ص.ص 103-105.

2 - الفتلاوي، أ. (2019) ص 231.

3 - المصري، ج. (1986) ص 156.

الماضي، كان السوفييت يساعدون أفغانستان في مشاريع البنية التحتية المختلفة، فضلاً عن توفير الطائرات العسكرية، والمدرّبين للقوّات الجوّية الجديدة في البلاد. وحافظ البلدان على علاقات جيّدة على مدى العقود الثلاثة التالية، وبحلول الخمسينيات من القرن الماضي، أصبح الاتحاد السوفيتي، يضحّ بمبالغ هائلة من المال إلى أفغانستان. وكما أشار المؤرّخ العسكريّ (ستيفن تانر)، فإنّهم استثمروا في أفغانستان من خلال بناء السّدود، والطّرق والمطارات والمدارس وأنظمة الرّيّ، وكذلك من خلال البحث عن الموارد الطّبيعيّة<sup>(1)</sup>.

شهدت الفترة ما بين عامي 1978 - 1979م، موجة كبيرة من الاضطرابات والتّظاهرات؛ اعتراضاً على الحكومة الأفغانيّة الشّيعيّة الموالية للسوفييت، وزجّت تلك الحكومة أكثر من 4000 أفغانياً معارضاً في سجون النّظام، ولكنها لم تتمكّن من القضاء على المعارضة. وأخذت حدّة المعارضة تزداد قوّة وفعاليّة، لدرجة أنّها وصلت إلى الإغارة على بعض المدن القريبة من العاصمة "كابول"، واحتلالها من قبل المعارضين<sup>(2)</sup>.

تفاقم الأمر، وازدادت حدّة المعارضة، وفي مواجهة ذلك قامت الطّائرات والمدفعيةّ المواليّة للحكومة، بقصف وتدمير بعض القرى الصّغيرة، التي كانت تمدّد العون للمعارضة، من أجل مساعدتهم في القيام بعمليات جديدة ضدّ النّظام الموالي للسوفييت. وهذه أولى الهجمات التي قام بها الثوّار الأفغان، ضدّ النّظام الموالي للسوفييت؛ وانضمّ حوالي 1000 جندي إلى جانب المعارضة الأفغانيّة. فأرسل السوفييت آنذاك أوّل وحدة هجوميّة إلى أفغانستان؛ وهي كتيبة محمولة جواً قوامها 4000 مقاتل، واستقرّت في "باجرام" العسكريّة الجوّية بالقرب من "كابول". وأصبحت أفغانستان تحت إدارة وسيطرة السوفييت بصورة كاملة<sup>(3)</sup>.

تزايدت القوّات الرّوسيّة في أفغانستان مرّة تلو المرّة، وأخذت تستعمل الغازات السّامة ضدّ المقاومين من السكّان العزل؛ في مقابل نقص عدد القوّات الأفغانيّة، إلى النصف خلال سنة واحدة، فبعد أن كان ثمانين ألفاً 1979م، أصبح 40 ألفاً عام 1980م. ولم يكن في وسع السكّان، سوى الفرار من هول ما يتعرّضون من مخاطر، كما قام الاتحاد السوفيتي ببلشفة التّعليم في

1 - Matthews, M. (2011) p.5

2 - الفتلاوي، أ. (2019) ص 239.

3 - المصدر السابق، ص 240.

أفغانستان، وإرسال عشرات الآلاف من الطلبة الأفغان في بعثات تعليمية إلى الاتحاد السوفيتي<sup>(1)</sup>. لم تضعف المقاومة، ونجحت في إجبار القوات الروسية على الانسحاب من أفغانستان عام 1989م، ولم يقوَ النظام الشيوعي الحاكم في أفغانستان، على الاستمرار في الإمساك بدفة الحكم، فسقط وخسر كل شيء.

ولكن في الحقيقة، استهدفت كتائب المقاومة الأفغانية الغزو بحجة خطر الشيوعية وتوسّعها الجغرافي. أفغانستان كانت في حرب أهلية قبل سنة 1979م، بين فصيلين أحدهما موالٍ للسوفييت، والثاني موالٍ لأمريكا وحلف الناتو. وعملت أمريكا قبل عام 1979م، على حشد العرب والمسلمين من أجل دعم المجاهدين في أفغانستان، بحجة التصدي للخطر الشيوعي. لقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على توفير المال والعتاد للمجاهدين الأفغان، كانت المملكة السعودية تتولّى تقديم المال للمجاهدين، أمّا السلاح والعتاد فكانت مصر ترسله إلى باكستان، من أجل تسليح المجموعات الإسلامية، المناهضة للاتحاد السوفيتي المحتلّ لأفغانستان، واستمرّ ذلك من عام 1980 حتى عام 1989م، وبعد عام 1989 أوقفت الولايات المتحدة مساعداتها للمجاهدين الأفغان. وتغيّر الموقف الأمريكي تمامًا من قضية الجهاد الإسلامي، بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان<sup>(2)</sup>.

## ■ المحور الثاني: مظاهر وحشية ممارسات القوات الأمريكية في الاعتداء على أفغانستان

في الحادي عشر من سبتمبر 2001م، تعرّضت الولايات المتحدة الأمريكية لهجمات، استهدفت أحد برجى مركز التجارة العالمي، ومبنى وزارة الدفاع في العاصمة واشنطن. عقب هذا الحدث وجّهت الولايات المتحدة الأمريكية أصابع الاتهام إلى (أسامة بن لادن)، الذي كان مقيمًا في تلك الفترة في أفغانستان تحت رعاية حكومة طالبان. طالبت الولايات المتحدة بتسليم (بن لادن) لها لتقديمه إلى المحاكمة، لكن الحكومة الأفغانية رفضت تسليم (بن لادن) لعدم وجود دلائل قوّة تثبت قيامه بذلك. أمام هذا الرّفص قامت الولايات المتحدة الأمريكية

1 - شاكور، م. (1995) ص 231.

2 - عبد الطالب، إ. (2009) ص 182.

بغزو أفغانستان، ضاربة بعرض الحائط المواثيق الدوليّة، وبنود القانون الدوليّ التي تجرّم غزو دولة أخرى ذات سيادة.

ففي السّابع من أكتوبر عام 2001م، شنّت الولايات المتّحدة هجوماً شاملاً على الأراضي الأفغانيّة، وكان الرّئيس الأمريكي (جورج بوش الابن)، قد أعلن أهدافه من الحملة العسكريّة الموجهة لأفغانستان في خطاب له في يوم الهجوم نفسه، حيث قال: "بناءً على أوامري بدأت القوّات العسكريّة الأمريكيّة، هجومها على المعسكرات الإرهابيّة التابعة لتنظيم القاعدة، وعلى القواعد العسكريّة لنظام طالبان في أفغانستان، وتهدف هذه الضّربات الموجهة بعناية، إلى منع استخدام أفغانستان كقاعدة عمليّات، وكذلك ستعمل القوّات الأمريكيّة على مهاجمة القدرات العسكريّة لحكومة طالبان... شاركتنا كثير من الدّول في توفير المعلومات الاستخباراتيّة، التي جمعتها وكالات استخباراتهم. إنّ الإرادة الجماعيّة في كلّ أنحاء العالم تدعمنا وتؤيدنا."<sup>(1)</sup> وبذلك أصبحت ذريعة "مكافحة الإرهاب"، مسوّغاً للولايات المتّحدة الأمريكيّة والدّول الحليفة لها، للتّدخل في الشّؤون الدّاخليّة للدّول، وانتهاك سيادتها لتحقيق أهدافها السياسيّة والإستراتيجيّة، تحت غطاء الحرب الأمريكيّة على الإرهاب الدوليّ.

تضمّنت المادّة الخامسة من لائحة حلف الناتو، أنّه إذا حصل اعتداء على أيّة دولة من دول الحلف، فإنّ ذلك يُعدّ اعتداءً على دول الحلف، دلفت الولايات المتّحدة الأمريكيّة من هذا الباب، ومن ثمّ لم تلجأ لمناقشة الموضوع وإصدار قرار، وإنّما اكتفت بذكر أنّها وفق المادّة (51) من ميثاق الأمم المتّحدة قد تعرّضت إلى حرب وأنّها ستردّ على ذلك<sup>(2)</sup>.

**1 - صنوف الأسلحة المحرّمة دولياً، المجازر بالغة الوحشيّة، وأساليب الإبادة العنصريّة**  
سقطت "كابول" وعدد من المدن والمناطق الأفغانيّة الأخرى، بفعل كثافة ضربات القوّات الأمريكيّة التي استخدمت أسلحة محرّمة دولياً مثل: صواريخ وقنابل زنة 15 ألف رطل، والقنابل العنقوديّة، وكذلك ألقت قنابل خارقة للكهوف، ونفذت غارات جوية متواصلة ليل نهار على المدن والمرافق المدنيّة والعسكريّة وكلّ شيء تقريباً. على إثر ذلك انسحبت حركة طالبان من

1 - عباس، ن. (2002) ص 41.

2 - عبد الطالب، إ. (2009) ص 194.



المدن في غضون ساعات أو أيام قليلة<sup>(1)</sup>. وطالبان وهي حركة إسلامية سياسية سنية حنفية ماتريديية مسلحة تكوّنت من طلبة المدارس الدينية في باكستان بقيادة الملاً (محمد عمر) خلال فترة التسعينيات، وتهدف لتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة إمارة إسلامية في أفغانستان. أثناء غزو 2001، شنت أمريكا أضخم قصف جوي في التاريخ، بأحدث التقنيات المتطورة، التي لم تُستخدم في أي حرب من قبل. واقتربت القوة التدميرية للدخائر التقليدية من القوة النووية، حتى أنّ القنابل الثقيلة للطائرات، بلغت زنة سبعة أطنان تقريباً، فأحدثت تصدّعات في القشرة الأرضية، وتسببت في تنشيط الزلازل في المنطقة<sup>(2)</sup>.

منذ أن دخلت القوات الأمريكية الأراضي الأفغانية في أكتوبر عام 2001م، واطبت على شنّ هجمات مكثّفة من خلال القصف الجوي المتواصل ليلاً نهاراً، وبعد مرور ستة أشهر من شنّ هذه الحملات، كشف (جوناثان ستيل) من صحيفة "الجارديان" أنّ عدد القتلى في أفغانستان تراوح بين 1300 إلى 8000 شخصاً قُتلوا مباشرة بسبب القصف، فيما بلغ عدد من قُتلوا بشكل غير مباشر 50 ألف شخص. والجدير بالذكر أنّ الرئيس الأفغاني السابق (حامد كرزاي)، أثناء تجواله في إحدى مستشفيات جنوبي البلاد قبل ثمان سنوات، التقى طفلاً عمره أربعة أعوام، فقد ساقه جراًء غارة جوية شنتها طائرة هليكوبتر، تابعة للقوات الخاصة الأمريكية في فبراير من العام نفسه، أسفرت تلك الغارة عن مقتل 20 مدنياً، أخرج (كرزاي) الطفل من فراشه، وخرج به إلى فناء المستشفى، ووفقاً لثلاثة شهود من بين الحاضرين، سأله الرئيس: "من الذي أصابك؟" أشار الصبي وهو يبكي إلى السماء<sup>(3)</sup>. تتنوع هذه العمليات الإجرامية من جهات ثابتة ومتحركة، وحروب عصابات بكل أشكالها، وتستخدم القوات الأمريكية كافة أنواع الأسلحة القتالية التقليدية المدمرة، التي تستهدف إبادة شعب، وتدمير البيئة والبنية التحتية، أليس هذا هو الإرهاب الحقيقي؟

استخدمت أمريكا اليورانيوم المنضب في غزوها أفغانستان؛ وهو مادة مشعة سامة تستخدم في إنتاج قذائف مضادة للدروع نظراً لتمييزها بصفات كثيرة، منها الكثافة العالية التي تجعلها قابلة

1 - مورو، م. (2010) ص.ص 248-247.

2 - حامد، م. (2017) ص.6.

3 - بدوي، إ. (2019) ص.6.

لاخترق الدروع وتمتّع بقدرة تفجيرية هائلة<sup>(1)</sup>.

وهذا ما اتّضح من خلال فحص العينات التي أخذها البروفيسور (آصف دراكوفيتش) -مدير المركز الطبّي لأبحاث اليورانيوم في واشنطن- وهي عينات مأخوذة من مواطنين أفغان، يقيمون في مناطق مختلفة من شمال وشرق وجنوب ووسط أفغانستان؛ إنّ قذائف اليورانيوم التي استُخدمت ضدّ العراق لا تزيد عن خمسة كيلو غرامات، أمّا التي استُخدمت في أفغانستان فصل إلى ألفي رطل، وقد أثبت تحليلها أن أجساد الأفغان المصابين، تحوي نسبة يورانيوم تصل إلى ما بين مائتين إلى أربعمائة وستين ضعفاً ممّا وُجدَ في أجساد العراقيين<sup>(2)</sup>.

أرسل الدكتور (آصف دراكوفيتش) ثلاث مرات فريقاً طبياً تابعا له إلى أفغانستان، لتقصّي الحقائق الطبيّة حول الآثار السلبية الناجمة عن استخدام اليورانيوم في الحرب، التي تشهها أمريكا ضدّ أفغانستان، وعندما أخذ صوت الدكتور (آصف دراكوفيتش)، يرتفع في المحافل الدّولية محدّراً من مخاطر استخدام الأسلحة التي تحتوي على اليورانيوم، حتّى على الجنود الأمريكيين الذين يشاركون في المعارك، والذين يستنشقون غبار اليورانيوم، الذي يتمرّكز استنشاقه في الرّئة والنّخاع والعظام، ويسبّب أمراض السرطان وسرطان الدّم والكبد، بل ويغيّر الجينات الوراثيّة للإنسان، لقد أكّد (دراكوفيتش) أنّ هناك تغييراً في الجينات الوراثيّة للمصابين، أدّى إلى أنّ كثيرين منهم وُلد لهم أطفال مشوهون.

اتّجهت العمليّات الأمريكيّة -من جهة أخرى- إلى تشديد الضّغط على الميليشيات الطّالبانيّة باستخدام زخّات من القنابل العنقوديّة -المحرّمة دولياً- تزن الواحدة منها في المتوسط ألفي رطل، والتي أسماها الأمريكيان بالقنابل الذكيّة، نجحت في إحداث أكبر قدر من الخسائر في صفوف المدنيّين بالأساس، وهدم كثير من القرى وأنصاف القرى والأحياء<sup>(3)</sup>.

حرصت بعض وسائل الإعلام، بالتحديد قناة الجزيرة، على نقل صور ومعلومات خطيرة عن مذابح الأمريكيان للأفغان. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإنّ قرية "كورام" التي تبعد 40 كيلو

1 - Institute of medicine of the national academies (2006) p.1.

2 - الأزدي، أ. (1995) ص 62.

3 - ماهر، م. (2016) ص 226.

متراً عن مدينة "جلال آباد"، والتي كانت تضمّ من 25 إلى 30 كوخاً أو بيتاً، نام أهلها مطمئنين ذات مساء من أكتوبر 2001 م، لتفاجئهم الطائرات الأمريكية من طراز الشبح والتنين السحري، وتلقي عليهم أطناناً من القنابل ذات الألف رطل والخمسة آلاف رطل، فتهدّم جميع البيوت على رؤوس أصحابها، وتقتل جميع السكّان أو تجرحهم، إذ بلغ عدد القتلى 201 قتيلاً و 17 جريحاً. بل وأهلكت الأغنام والأبقار (حوالي 1000 رأس غنم وماشية)، ولم ينجُ من هذه المذبحة إلاّ الذين كانوا خارج القرية "حوالي 30 فرداً"<sup>(1)</sup>. ولقد أفادت تقارير أخرى أنّ القوّات الأمريكية، ألقت آلاف الأطنان من القنابل على أفغانستان. وما قرية "كورام" سوى نموذجاً لثلاث عشرة قرية جبلية، طالتها حرب الإبادة الجماعية والتدمير، وكانت هذه القرى يسكنها رعاة، ليس لديهم علم بما يجري في الواقع السياسي، ولا يعرفون حتّى ما هي أمريكا، أو (بوش)، أو (بن لادن)! كتّفت الولايات المتّحدة غاراتها، التي كانت الأسوأ منذ بدء الحملة، وحتّى نهاية الأسبوع الثالث، وذلك على كافّة خطوط ومواقع قوات طالبان، في حالة من الغضب الهادر بدت أقرب إلى الجنون، وأسفرت عن نجاح منقطع النظير، في قصف حيّ "قلعة الماطر" في "كابول"، والمعروف بحيّ "الأكوخ"، بوابل كثيف من القنابل الذكيّة والصّواريخ الموجهة. في حين أنّ جنرالات الجيش الأمريكيّ، ناشدوا لأوّل مرّة البيت الأبيض، والشعب الأمريكيّ وحلفاءه التّحليّ بالصّبر حتّى تتحقّق الحرب أهدافها، لأنّها عمليّة معقّدة للغاية، كما أنّها ليست "حرباً تقليديّة"<sup>(2)</sup>.

عرّفت هذه الغارات بـ "العقاب والانتقام"، وشنّت الطائرات الأمريكية هذه الغارات على كافّة المدن الرئسيّة في غيظ وحنق، دفع المراقبين للقول بأنّه إذا كان التّحالف الدّولي قد نجح في شيء، فإنّما نجح في كسب عداة الشّعوب سواء داخل أفغانستان أو خارجها في كلّ أرجاء العالم الإسلاميّ ولاسيّما في باكستان، وأنّ مشاهد القتلى والجرحى والأشلاء والمشرّدين من الرّجال والنساء والأطفال الأفغان فتحت على واشنطن وحلفائها نيران الغضب الشّعبيّ عالمياً، وأثارت اعتراضات المنظّمات الدّولية وغير الحكوميّة حتّى داخل أمريكا ذاتها<sup>(3)</sup>.

1 - مورو، م. (2010) ص 242.

2 - ماهر، م. (2016) ص 227.

3 - المصدر السابق.

## 2 - أنواع الإصابات: الشهداء والجرحى والأسرى، والأسر المشتتة والمُهَجَّرَة

ارتكبت قوّات الاحتلال الأمريكيّة جرائم ضدّ المدنيين الأفغان، لا يمكن تبريرها بأيّة حال من الأحوال، بل وتقتضي محاكمة مرتكبيها، وتعويض الضّحايا. ومن أهمّ هذه الجرائم وأفظعها قصف هيئات الإغاثة في أفغانستان، وضرب المستشفيات، وقصف دُور المسنّين، وهدم البيوت على أهلها، وتدمير قرى ومدن كاملة ليس فيها أيّ شبهة عسكرية، بل اعترفت الولايات المتّحدة الأمريكيّة بذلك كلّ مدعية أنّه من قبيل الأخطاء الفنيّة<sup>(1)</sup>. وتُعدّ تلك الأفعال جرائم موجهة ضدّ الإنسانيّة، وتظهر خطورتها في كونها تمثل حرب إبادة للشعب الأفغانيّ.

منذ 2001م، ارتكبت القوّات الأمريكيّة كثيراً من المذابح بقتل الأفغان، وكان معظم الضّحايا من المدنيين العزّل. وكان من بين جرائمهم، هجومهم على حفل زفاف في ولاية "أرزكان"، وقد أسفر الهجوم الأوّل عن قتل جماعي؛ إذ لقي فيه عشرات الأفراد حتفهم ومن بين القتلى العروس ذاتها. وادّعى المسؤولون الأفغان تأييداً للمسؤولين الأمريكيّين وقتها، بأنّ الملا (برادر) - قائد عسكريّ في حركة طالبان - شارك في الحفل، وأنّ العروس كانت من أقربائه! ولذلك فإنّ قتل العشرات من الأفراد، هو جزء من مكافحة أميركا للإرهاب. وظهر بعد ذلك أنّ ضحايا الهجوم، كانوا من أقرباء أناس دعموا (كرزاي) أثناء سقوط حكم طالبان<sup>(2)</sup>.

في عام 2008، هاجمت القوّات الأمريكيّة قرية "عزيز أباد" في مقاطعة "هرات" الأفغانيّة، ما أسفر عن مقتل ما يقارب مئة مدنيّ. وفي عام 2012، أطلق الجنديّ الأمريكيّ (روبرت باليس) النّار، وقتل 16 مدنيّاً أفغانيّاً في القرى المجاورة. تشير الإحصاءات إلى أنّه على مدار العشرين عاماً الماضية، تسبّبت العمليّات العسكريّة الأمريكيّة، في سقوط أكثر من 100 ألف ضحيّة من المدنيين الأفغان، وأصبح ما يقرب من 11 مليوناً من اللاّجئين. كما شهدت ولاية "قندوز" الشماليّة في عام 2008 حادثاً مأساوياً، حيث قامت طائرة حربيّة أمريكيّة بقتل ما يزيد عن مئة طفل من حفظة القرآن، استهدفتهم الطّائرة إبان حضورهم لحفل توزيع شهادات تكريم لهم بإحدى المدارس القرآنيّة، تتبع المدرسة حركة طالبان، التي فرضت سيطرتها حديثاً على الولاية بعد عام

1 - مورو، م. (2010) ص 242.

2 - أفغانستان ومجازر في ظلّ الاتفاقيّة الأمنيّة مع أميركا (2015) ص 2.

كامل من الحصار<sup>(1)</sup>.

وكانت من بين الأحداث المأساوية اقتحام جندي أمريكي ثلاثة منازل في ضواحي مدينة "قندهار" الأفغانية، معقل البشتون، وقتل كل من تواجد فيها من مدنيين دون شفقة أو رحمة. وبلغ عدد القتلى 16 مدنيًا بينهم تسعة أطفال، هذا الجندي يمثل المؤسسة العسكرية الأكثر انضباطًا واحترافًا في العالم، مثلما يزعم الرئيس (باراك أوباما)، لم يكتفِ الجندي بالقتل بدم بارد، بل جمع إحدى عشرة جثة، من بينها جثث أربع فتيات تقل أعمارهن عن ست سنوات، ثم أشعل فيها النار<sup>(2)</sup>.

يترافق مع تلك المجازر الوحشية حفلات نهش الكلاب المتوحشة لهؤلاء المدنيين، الذين يُحشدون ليلاً في ساحات القرى، لتتولى الكلاب تمزيق أجساد الأحياء منهم، ونهش أجساد القتلى. ففي حادثة مشهورة وقعت في ولاية «باكتيكا» عام 2008، أطلقت القوات الأمريكية كلابها المفترسة على عائلة كاملة، حتى قتلت جميع أفرادها، في مجهود مشترك بين الكلاب المفترسة وجنود لا يمكن وصفهم إلا بأنهم مرضى عقليين<sup>(3)</sup>.

ومن أشنع الممارسات الإجرامية، قيام أربعة جنود من مشاة البحرية الأمريكية، بالتبول على جثث ثلاثة من عناصر من حركة طالبان بعد قتلهم، وقيام أحد الجنود بتصوير هذه الحادثة بالفيديو، والذي تم الكشف عنه وتداوله على نطاق واسع، على شبكة المعلومات الدولية ومواقع التواصل الاجتماعي في 12 يناير<sup>(4)</sup> 2012.

دائمًا ما نجد الولايات المتحدة الأمريكية، تعطي دروسًا لدول العالم في احترام حقوق الإنسان، في الوقت الذي ترتكب فيه قواتها انتهاكات وجرائم بشعة تفوق الحصر. كالمجزرة التي ارتكبتها القوات الأمريكية في الحادي عشر من شهر مارس عام 2012م، في منطقة "بنجواي" في ولاية "قندهار"؛ إذ قتلت القوات الأمريكية ستة عشر مدنيًا وإصابة ستة آخرين، وتسعة من الضحايا كانوا أطفالًا، وأحد عشر من القتلى كانوا من عائلة واحدة، أُحرقت بعض الجثث في

1 - بديوي، إ. (2019) ص 6.

2 - عطوان، ع، ع (2012) ص 20.

3 - حامد، م. (2017) ص 7.

4 - فرحات، م. (2015) ص 309.

وقت لاحق من صباح ذلك اليوم، والمثير للدّهشة أنّ أميركا تدفع أحياناً تعويضاً لمواساة أهالي القتلى الأبرياء. فقد نُشرت وثائق عسكرية أميركيّة، تشير إلى أنّ الجيش الأمريكيّ دفع لرجل أفغانيّ، ما يزيد قليلاً عن ألف دولار تعويضاً عن قتل ابنه المدنيّ، في عملية قصف بالقرب من الحدود مع إيران في مارس عام 2014م، وبعد ستّة أشهر دفع الجيش الأمريكيّ لرجل أفغانيّ آخر عشرة آلاف دولار تعويضاً عن مقتل طفليه، في عمليّة قادتها قوَّات معتدية في الاقليم نفسه. وممّا يُذكر أنّ رجلاً من "قندوز" فقدَ 20 من أقاربه من بينهم شقيقه وزوجة شقيقه، وأصيب تسعة من أقاربه في إحدى العمليّات الإجرامية للقوَّات الأميركيّة والأفغانيّة بالقرب من مدينة "قندوز"، ولم يحصل بتاتاً على شيء من الجيش الأمريكيّ<sup>(1)</sup>.

هاجمت الطائرات الحربيّة الأميركيّة، خلال شهر يوليو من عام 2015، مقرّاً للجيش الأفغانيّ في ولاية "لوكر"، من دون أيّ مواجهات عسكريّة على الأرض، ممّا أسفر عن قتل وجرح عدد من الجنود. وفي الهجوم الذي حدث في مديرية "بركي برك"، لقي 9 جنود أفغان حتفهم، وجرح آخرون وفقاً لما جاء بالتقارير الرّسمية. ويقول شهود عيان بأنّ عدد القتلى فاق العشرات..

وكشفت مجلّة "نيوزويك" جانباً من جرائم الحرب في أفغانستان، فذكرت أنّ أكثر من 3000 أسير من طالبان استسلموا لقوات الناتو، التي حشرتهم وهم في حالة مرض وجوع في إحدى الحاويات، التي لا تتسع إلا لـ 800 شخص فقط، ومات المئات منهم خنقاً في حاويات معدنيّة مغلقة أثناء نقلهم إلى المعتقلات<sup>(2)</sup>. وفي عام 2016م اضطرت وزارة الدفاع الأميركيّة، إلى نشر مئات الصوّر لسجناء أساءت إليهم القوَّات الأميركيّة في العراق وأفغانستان. وفي عام 2020م صرّح المدعي العامّ للمحكمة الجنائيّة الدوليّة، أنّ هناك أدلّة على أنّ ما يقرب من مئة سجين أفغاني، تعرّضوا للتّعذيب والإيذاء، وتعرّضوا أيضاً للاغتصاب أثناء الاستجواب.

تنوّعت الجرائم التي ارتكبتها القوَّات الأميركيّة، في حقّ الشعب الأفغاني المضطهد، الذي تجرّع الآلام والمآسي والمعاناة ورعب الحرب. إنّ ما ترتكبه أميركا من المجازر المروّعة، من قتل مدنيّين، وعسكريّين، وأطفال، ونساء، وشيوخ في أفغانستان، يمثل وصمة عار على جبين الإنسانيّة؛ فلم تسلم من جرائمها الأماكن المقدّسة، ولا المدارس، ولا المستشفيات، ولا مراسم

1 - بلخي، ع. (2017) ص 22.

2 - الأزدي، أ. (1995) ص 61.

العزاء ولا حفلات الأعراس. في ظل ارتكاب كل هذه الجرائم اختار العالم المتحضر الصمت المخزي عن جرائمها، بل يباركها ويدعمها ويشارك في ارتكابها؛ تماماً كما حدث ويحدث من عدوان صهيوني في قطاع غزة.

### 3 - الخسائر الاقتصادية الفادحة التي تكبدها أفغانستان.

كان أحد الدوافع الرئيسية للغزو الأمريكي لأفغانستان، هو السيطرة على منطقة قلب آسيا المليئة بالنفط، وبما يضمن تنوع مصادر الطاقة العالمية، وتقليل الاعتماد الأمريكي على نفط الخليج العربي -الذي يصعب ضمان استمرارية تدفقه-، حيث يُعد بحر قزوين ثالث أكبر احتياطي للنفط والغاز الطبيعي في العالم.

لذلك، استغلت الولايات المتحدة الأمريكية أحداث 11 سبتمبر 2001 وما بعدها، من أجل تحقيق أحد أهم الأهداف على أجندتها الإستراتيجية في منطقة آسيا الوسطى، حيث تصرّ على التواجد العسكري الدائم، في دول المنطقة بدعوى "القضاء على الإرهاب"، كما تسعى إلى توفير أدوات نفوذ أمنية وعسكرية وسياسية من أجل ضمان السيطرة الغربية والأمريكية، على منابع النفط والغاز في منطقة بحر قزوين. وقد أتاحت أحداث 11 سبتمبر 2001 الفرصة أمام الولايات المتحدة الأمريكية، لفعل ذلك من خلال إرسال قواتها العسكرية إلى أفغانستان؛ من أجل الحفاظ على مصالحها في الدول التي كانت بعيدة عن سيطرتها في السابق، وتمهيداً لقيامها باستغلال ثروات هذه المنطقة. والموقع الجغرافي لدولة أفغانستان، أتاح للولايات المتحدة الأمريكية التحكم في شرايين الطاقة المتجهة نحو كل من الصين والهند واليابان وباقي الأسواق الآسيوية<sup>(1)</sup>.

بالرغم من وجود هذه الموارد والثروات الهائلة، من غاز ونفط وفحم في باطن الأرض، التي لم تستكشفها، كانت هناك مفارقة كبيرة بين سطح الأرض وباطنها. تعتبر أفغانستان واحدة من أفقر دول العالم وأكثرها دماراً، نتيجة الحروب والغزوات التي تعرّضت لها من القوى الاستعمارية بداية من الغزو البريطاني والسوفييتي ثم الأميركي. وخلال حروب الأربعين عاماً الأخيرة، لا يقل عدد الشهداء الأفغان عن ثلاثة ملايين إنسان، معظمهم في سنّ الشباب. إضافة إلى إصابة ضعف هذا العدد بإصابات جسيمة، فضلاً عن الدمار الكبير الذي لحق بالقرى والبنية

1 - دريسي، ح. (2015) ص 62.

التحتية للزراعة، مع غياب شبه كامل للصناعة من الحياة الاقتصادية. إضافة إلى عشرات ملايين الألغام التي مازالت مدفونة. ومساحات شاسعة من الأراضي تلوّثت بفعل قذائف اليورانيوم التي استخدمتها أميركا ضدّ الشعب الأفغاني. أمّا معدل الفقر في أفغانستان، فقد تخطّى نسبة 70% من السكّان<sup>(1)</sup>.

إنّ الاقتصاد الريفيّ هو عماد أفغانستان؛ يعتمد 77% من السكّان الأفغان على الزراعة وتربية المواشي ذات العائد المادي المحدود، من أجل الحصول على قوت يومهم. وتُبين إحصاءات الفترة السابقة على نشوب الحرب، أنّ ما يربو على 80% من إنتاج القمح والمحاصيل الأخرى، كان يعتمد على مياه الريّ. والطابع الغالب لشبكات الريّ، هو مخطّطات الريّ الصّغيرة والمتوسطة في وديان الأنهار، التي تمتلكها المجتمعات المحليّة القرويّة وتتولّى إدارتها وتشغيلها. وقد أدت النزاعات إلى الهجرة من الأراضي الزراعيّة أو زراعتها بالألغام. كما تعرّضت نظم الريّ للتلف أو الدمار. وتشير تقديرات المسح، الذي أجرته منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتّحدة لعام 2001م، إلى نحو نصف الأراضي المرويّة توقفت عن الإنتاج وتعرّضت الطرق المؤدّية إلى الأسواق لمخاطر شديدة، ممّا أدى إلى صعوبة شديدة في التّنقل داخل المناطق الريفيّة. وأدت الأضرار الجسيمة التي سببتها النزاعات، وتعاقب حالات الجفاف إلى تدهور الإنتاج الزراعيّ بشدّة. ومنذ عام 2002م تحقّق بعض الانتعاش بفضل هطول الأمطار بمعدّلات منتظمة، ولا تزال أفغانستان تعاني من نقص الإمداد بالحبوب الغذائيّة الأساسيّة<sup>(2)</sup>.

تشكّل أنشطة الإنتاج الحيواني، جزءاً لا يتجزأ من معظم النظم الزراعية في أفغانستان. في السابق، كان القطاع الفرعيّ للإنتاج الحيواني يسهم بنسبة 40% من مجموع عائدات التصدير، وتشير التّقديرات الحاليّة إلى أنّ عدداً رُوّس الحيوانات، انخفض إلى نحو نصف ما كان عليه منذ عقد مضى؛ بسبب تدهور توافر الأعلاف والرعي الجائر وتدهور الصّحة الحيوانيّة<sup>(3)</sup>.

جمّدت أميركا احتياطيّات البنك المركزيّ الأفغاني، وبالغة (9.4) مليار دولار، والتي استولت عليها الإدارة بعد سيطرة طالبان على البلاد. أدّى تشديد القيود الدوليّة المفروضة على

1 - حامد، م. (2017) ص 15.

2 - جمهورية أفغانستان الإسلاميّة، "برنامج الفرص الإستراتيجيّة القطريّة"، ص 3.

3 - المصدر السابق.



النظام المصرفي الأفغاني إلى انهيار الاقتصاد في أفغانستان، كما أدت الضغوط المالية الأمريكية على أفغانستان، إلى فقدان العملة الأفغانية ما يقرب من 12% من قيمتها مقابل الدولار. وحدرت الأمم المتحدة من أن النظام المصرفي في البلاد معرض لخطر الفشل الهائل، الذي قد يؤدي إلى انكماش الاقتصاد الأفغاني بنسبة 30%. وقد ذكر أنه مع استمرار عزل أفغانستان وطالبان، تراجع اقتصاد البلاد ونظامها المالي بشكل متزايد إلى شفا الانهيار، وتفاقم الوضع سوءاً، بسبب الجفاف المدمر والوباء الذي اجتاحت البلاد<sup>(1)</sup>.

تزايد عدد السكان بشكل كبير على الرغم من أجواء الحرب هناك لما يزيد على 4 عقود، على الرغم من ذلك فإن أداء الناتج المحلي الإجمالي لم يكن مناسباً على الإطلاق بسبب الحروب؛ فالبطالة هناك حسب تقديرات البنك الدولي، بحدود 11.73% من قوة العمل عام 2020م. كما يزيد عدد الفقراء في أفغانستان عن نصف عدد السكان، فمعدلات عام 2016م تشير إلى أن نسبة 54% من السكان تحت خط الفقر.

تشير الإستراتيجية الوطنية المؤقتة للتنمية في أفغانستان، إلى أن أكثر من 21% من السكان يعيشون في فقر مروع، ويتعرضون لانعدام الأمن الغذائي، ويتعرض نحو 38% من الأسر الريفية -أي نحو 6 ملايين أفغاني- للنقص المزمن أو المؤقت في الأغذية. ويُعد الفقر في أفغانستان ظاهرة متعددة الأوجه، إذ تتضمن انخفاض الأصول المادية والمالية والبشرية، وانعدام الأمن بسبب الدمار الشديد، الذي لحق بنظام الإنتاج نتيجة الحرب الأمريكية<sup>(2)</sup>.

## الخاتمة

الإطلاع على التاريخ الحديث لأفغانستان، يكشف لنا مدى ولع الغزاة بذلك البلد، الذي كان يمثل استراتيجية بؤرة جذب للإمبرطوريات الكبرى. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، والتي نالت من هيئة الولايات المتحدة الأمريكية، وهزت اقتصادها، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بحملة عسكرية وحشية على أفغانستان، استخدمت فيها الأسلحة

1 - "أمريكا تستبدل حربها العسكرية في أفغانستان بحرب سياسية واقتصادية" (2022) ص 30.

2 - جمهورية أفغانستان الإسلامية، "برنامج الفرص الإستراتيجية القطرية"، ص 4.

العسكرية المحرمة دولياً، وانتهكت حقوق الإنسان، وترك ذلك آثاراً سلبية على حياة الشعب الأفغاني من كافة نواحي حياته.

لقد توصلنا من خلال هذا البحث، إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، نعرضها على النحو الآتي:

### أولاً: النتائج

1 - منذ أن تأسست الولايات المتحدة الأمريكية، قامت بالتدخل العسكري في كثير من دول العالم، وأرسلت جيوشها إلى أكثر من عشرين دولة، كما قصفت ثلاثاً وعشرين مرة أراضي دول، ولا زالت تتدخل في شؤون الدول، إما بالغزو المباشر، أو بإشعال الحروب والفتن الداخلية. أبادت بكل الوسائل المتاحة لديها كما فعل المحتلون في الماضي وأكثر، وقتلت المدنيين العزل من أطفال ونساء. استخدمت في أفغانستان القنابل العنقودية خلال عمليات القصف، بالإضافة إلى استخدامها اليورانيوم والأسلحة شبه النووية الجديدة، بحيث أصبحت أرض أفغانستان حقلاً لتجريب الأسلحة الجديدة على البشر، وشن غارات على الأماكن المقدسة، وأما معاملتهم للأسرى فكانت بالغة السوء؛ فالإنسانية معدومة لديهم، وقد تمثلت في أمريكا أعظم أنواع الإرهاب المنظم، وبلغ شغفهم باضطهاد الآخرين وإرهابهم مبلغاً لم يشهد مثله في عالمنا الحاضر.

2 - لم يكن غزو أمريكا لأفغانستان مجرد رد فعل تلقائي على هجمات 11 سبتمبر 2001، فالغزو كان سيحدث تحت أي مبرر لأهمية وضع أفغانستان في الجغرافيا السياسية للنفط والغاز الطبيعي، بمعنى آخر تكمن مقاصد التدخل الأمريكي في أفغانستان في هدف ظاهري، وهو إسقاط نظام طالبان، واستئصال شبكة القاعدة، وإرساء الديمقراطية، واستتباب الأمن، وهدف آخر باطني وهو التواجد الإستراتيجي في قلب منطقة آسيا الوسطى. وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية اضطرت آخر الأمر للانسحاب العسكري من أفغانستان، فإن ذلك لا يعني الانسحاب السياسي والاقتصادي. لكن ما يمكننا قوله، أن الولايات المتحدة حققت بعضاً من مصالحها في المنطقة، من خلال الهيمنة على موارد الطاقة والتحكم في ممرات نقلها.

## ثانياً: التوصيات

1 - يجب على الولايات المتحدة الأمريكية الالتزام بأحكام القانون الدولي، وخصوصاً تلك التي تتعلق باستخدام القوة العسكرية، وعدم التوسع في تفسير الاستثناءات حتى تتوافق مع أهدافها ومصالحها. ومن الضرورة قصر استخدام القوة على الأهداف العسكرية المشروعة، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة من أجل حماية المدنيين، ومراعاة مبدأ التمييز بين الأهداف العسكرية والأهداف المدنية، والسيطرة على العلاقة التناسبية بين الميزة العسكرية المتوقعة والأضرار الجانبية. ضرورة أن تنص اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، على حماية خاصة لبعض الفئات كالأطفال والنساء وسواهم من الفئات، التي لا يجوز الاعتداء عليها تحت أي بند، أو أي ذريعة بوصفهم فئات لا تشارك مباشرة في الحرب.

2 - يجب على المنظمات الدولية عدم السماح، لأحد طرفي الحرب دون الآخر، باستخدام القوة المسلحة. وألا تستخدم أسلحة محرمة دولياً أو مقيّدة الاستعمال، بل على أطراف النزاع حتى في حالة قيام ضرورة عسكرية، الاقتصار على استخدام الوسائل المسموح بها دولياً فقط.

3 - ضرورة إيجاد تعريف موحد يتعلّق بالدفاع الوقائي، وتحديد الحالات التي يمكن للدولة أن تستخدمها. ولقد أثبتت الأعمال العدوانية الأمريكية السابقة، أنها كانت تتوفر بها كل أركان جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، الأمر الذي يترتب عليه وبموجب قواعد المسؤولية الدولية، محاكمة مجرمي الحرب الأمريكيين أمام المحكمة الجنائية الدولية، بغض النظر عن مراكزهم وصفاتهم الرسمية.

4 - ضرورة العمل على تطوير وتنفيذ الآليات الدولية والوطنية، فيما يتعلق بالحماية والرقابة، وفتح المجال أمام لجان تقصي الحقائق بغرض الكشف عن الانتهاكات الأمريكية والخروقات، التي تتعرض لها نصوص القانون الدولي من انتهاك سيما الحق في الوجود والحياة، عن طريق شن الحرب حسب إرادتها.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المراجع العربيّة

- 1 - الأزدي، أ. (1995) جرائم أميركا في أفغانستان، مركز الدّراسات والبحوث الإسلاميّة، ط1، مصر.
- 2 - بديوي، إ. (2019) "واشنطن في قفص الاتهام.. جرائم أميركا في أفغانستان تثير قضية المحكمة الدوليّة"، مجلة صمود، مجلة إسلاميّة شهرية يصدرها المركز الإعلاميّ لإمارة أفغانستان الإسلاميّة، العدد 152، 2019.
- 3 - بلخي، ع. (2017) استعراض العضلات والقنابل الفتّاة لا ينجز المهمّة!، مجلة الصمود، العدد 134، مايو 2017.
- 4 - حامد، م. (2017) "المرحلة الأخيرة من الحرب.. ومشاكلها"، مجلة الصمود، العدد 134، مايو 2017.
- 5 - دريسي، ح. (2015) "السّياسة الأمريكيّة في منطقة بحر قزوين: الأهداف والمحدّدات"، المجلة الجزائريّة للسياسات العامّة، العدد6، 2015.
- 6 - شاكر، م. (1995) التّاريخ الإسلاميّ (إيران وأفغانستان) التّاريخ المعاصر، المكتب الإسلاميّ، ط1، بيروت.
- 7 - العامريّ، ص. (2012) تاريخ أفغانستان وتطوّرها السّياسيّ، العربيّ للنّشر والتّوزيع، ط1، القاهرة.
- 8 - عباس، ن. (2002) "السّياسة الخارجيّة الأمريكيّة تجاه أفغانستان"، مركز الدّراسات الدوليّة، جامعة بغداد، العدد الخامس والأربعون.
- 9 - عبد الطّالب، إ. (2009) الغزو الأجنبيّ لأفغانستان في القرون الثّلاثة الأخيرة، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان.
- 10 - عطوان، ع.ع. (2012) مجازر أميركا "الحضارية" في أفغانستان، 14 مارس 2012.
- 11 - الفتلاويّ، أ. (2019) "التّفوذ السّوفيتي في أفغانستان (1919-1979)"، المجلة العلميّة للأدب، العدد 35، أبريل 2019.

- 12 - فرج، أ. (2002) ذكريات عربيّ أفغانيّ أبو جعفر المصريّ القندهاريّ، دار الشروق، ط1، مصر.
- 13 - ماهر، م. (2016) أفغانستان والجوار: السياسات والانعكاسات والدلالات، مركز الحضارة للدراسات السياسيّة.
- 14 - المصري، ج. (1986) حاضر العالم الإسلاميّ وقضايا المعاصرة، الجزء الثاني، الجامعة الإسلاميّة، ط1، السّعوديّة.
- 15 - مورو، م. (2010) جرائم أمريكا والغرب، مكتبة الجزيرة الورد، ط1، القاهرة.

### ثانياً: تقارير ومجالات

1. جمهورية أفغانستان الإسلاميّة، برنامج الفرص الاستراتيجيةّ الصّندوق الدّوليّ للتنميّة الزراعيّة IFAD، "الدّورة الثالثة والتّسعون، -25 أبريل 2008-.
2. "أمريكا تستبدل حربها العسكريّة في أفغانستان بحرب سياسيّة واقتصاديّة"، عن مجلّة وعي، مجلّة الصّمود، العدد 198، يوليو 2022.
3. القوّات الأمريكيّة وجرائمها الشّنيعة في أفغانستان، العربيّة 2021، CGTN-09-15.
4. "أفغانستان ومجازر في ظلّ الاتّفاقيّة الأمّنيّة مع أمريكا"، مركز الدّراسات الإستراتيجيّة والإقليميّة، أفغانستان، العدد 120، يوليو 2015.
5. موقع إيلاف: <https://elaph.com/Web/NewsPapers/2012/html.722714/3/>

### ثالثاً: المراجع الأجنبيّة

1. Matthews, M. (2011) "We Have Not Learned How to Wage War There" The Soviet Approach in Afghanistan 1979–1989, Fort Leavenworth, Kansas, Combat Studies Institute Press.
2. Runion, M. (2007) The History of Afghanistan, Greenwood Press, USA.
3. Institute of Medicine of the National Academies, Epidemiologic Studies of Veterans Exposed to Depleted Uranium, Washington, 2006.

## الولايات المتحدة والأسلحة المحرمة دولياً التاريخ الأعظم

د. دعاء حسن<sup>(1)</sup>

### ملخص

تتناول هذه الدراسة جرائم الحرب للولايات المتحدة الأمريكية، التي انتهكت كل الشرائع الدولية بشكل خطير، وهي جرائم ضد الإنسانية، التي استخدمت أساليب بالغة الوحشية في حربها على السكان الأصليين، (الهنود الحمر) واليابان، وفيتنام، والعراق باستخدام الاسلحة المحرمة دولياً. تُعدّ أمريكا الدولة الوحيدة في تاريخ البشرية التي استخدمت سلاحاً نووياً في صراعها مع اليابان، لقد احتلت فيتنام واستخدمت الأسلحة الكيميائية والجراثومية على شعبها، واحتلوا العراق وقاموا باستخدام الأسلحة العنقودية، وغيرها من الأسلحة ذات اليورانيوم المنضب. كما تتناول هذه الدراسة التأثيرات المختلفة، لاستخدام الأسلحة المحرمة دولياً بأنواعها، النووية، والكيميائية، والبيولوجية على الإنسان، والبيئة، واقتصاد الدولة المحتملة أثناء الحروب.

**الكلمات المفتاحية:** الأسلحة المحرمة دولياً - الحرب النووية - الجرائم الأمريكية - الأسلحة الكيميائية - القنابل العنقودية - الأسلحة الجراثومية.

1 - دكتوراه الفلسفة السياسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

## المقدمة

دأبت الولايات المتحدة الأمريكية طوال تاريخها على استخدام القوة الغاشمة في صراعتها مع أيّ طرف من الأطراف، فهي لا تتورّع ولم تُحجّم يوماً عن استخدام كافة الأسلحة المحرّمة دولياً، من أجل تحقيق أهدافها السياسيّة، وحرصت على امتلاك كافة الوسائل، التي تمكّنها من تحقيق هذا المبدأ على الأرض، بغضّ النظر عمّا سيترتب على مغامراتها العسكريّة والسياسيّة، من آثار مدمّرة على الشعوب الآمنة التي أوقعها قدرها العاثر في صراع مع أمريكا.

إنّ إلقاء الضوء على تاريخ أمريكا الدّمويّ، وأساليبها في استخدام الأسلحة المحرّمة دولياً في الحروب وقدرتها التدميريّة، والتي تمثّل التهديد الأعظم والأشدّ فتكاً في تاريخ الحجر والبشر، بل إبادة مظاهر الحياة على الأرض وتعريضها للدمار والفناء، يعدّ أمراً هاماً جداً. وتكمن أهميّة هذا البحث في إبراز عدوانيّة أمريكا ووجهها القبيح، وحرصها الدائم على استعمال الأسلحة المحرّمة دولياً بأشكالها المتعدّدة؛ من أسلحة نوويّة وبيولوجيّة وجرثوميّة، وكيماويّة، وقنابل عنقوديّة، وذخائر اليورانيوم المنضب. إنّ تأثير الضّرر الناجم عن هذه الأسلحة، لا يقتصر على عدد محدود من البشر، بل قد يشمل مداها التدميريّ قطاعاً كبيراً من العالم، وربّما العالم بأسره.

إذ تحرص أمريكا على حرمان دول العالم من امتلاك الأسلحة النوويّة، فيما هي الدولة الوحيدة في العالم، التي استخدمت سلاحاً نووياً في صراعها مع اليابان خلال الحرب العالميّة الثّانية عام 1945م. واستخدمت أساليب بالغة الوحشيّة في حربها في فيتنام وكوريا، وارتكبت جرائم ومجازر من خلال استخدامها للأسلحة المحرّمة دولياً، كالقنابل الفسفوريّة والتّابالم وقنابل الغاز، التي أزهدت أرواح عدد هائل من الفيتناميين والكوريين. كما استعملت ذخائر تحتوي على اليورانيوم المنضب، وأنواع مختلفة من أسلحة الدمار الشامل الأخرى في عدوانها أيضاً على كل من أفغانستان والعراق واحتلالها لهما. ورغم استخدام الولايات المتّحدة الأمريكيّة للأسلحة

المحرمة دولياً، والتي تشكل خطراً داهماً، يهدد أمن وسلامة شعوب العالم بل يعرض الوجود البشري ذاته للخطر، فإنّ أحداً لم يحاسب -وليس في وسعه أن يحاسب- أميركا على جرائمها. فهي لم تتعرض لأيّة مساءلة دولية قانونية أو جنائية. إنّ الولايات المتحدة الأمريكية هي أشبه بفتوة العالم، تنتهج سياسة البلطجة، والبطش، والعدوان، والتدخل في شؤون الدول الأخرى، لتحقيق مصالحها وفرض السيطرة على غيرها من شعوب الأرض والهيمنة عليها.

لذلك نسأل هنا الأسئلة التالية: ما هي أوجه عدوانية الولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هي جذور هذه العدوانية في نشأة أميركا ذاتها؟ وما مدى حرص أميركا على استخدام الأسلحة المحرمة دولياً؟ وإلي أي مدى استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الهيمنة على العالم؟ وما مدى تأثيرها على الإنسان والبيئة؟

### أولاً: تعريف الأسلحة المحرمة دولياً

على الرغم من أنّه لا يوجد تعريف محدد متفق عليه لمصطلح "الأسلحة المحرمة"؛ بسبب التطور المذهل في أسلحة الحرب الحديثة من حيث النوع والقوة التدميرية، لذلك، فإن المحدد الرئيسيّ لتحريم بعض الأسلحة، هو أنّها تخطت كونها أسلحة عسكرية تستخدم فقط ضدّ قوات العدو إلى أسلحة عمياء، عند استخدامها لا تميز بين الأهداف المشروعة وغير المشروعة، تقتل العسكريين والمدنيين على حدّ سواء. غير أنّ أثر هذه الأسلحة يشكل العامل الأساسيّ في تحديد خصائصها الأساسية؛ بوصفها ذات قدرة هائلة على تدمير أعداد كبيرة من الناس والبنیان، وإلحاق الضرر بالطبيعة وتلوّثها؛ وهذا أهمّ خصائص الأسلحة المحرمة. لذلك يحقّ وصف هذه الأسلحة بأسلحة دمار شامل؛ ومن ثمّ فإنّ الأسلحة المحرمة دولياً، هي الأسلحة التي تسبب آلاماً ودماراً لا فائدة منه، كالقنابل الفسفورية، والعنقودية، والنبالم، ورمصاص دمدم، واليورانيوم، والغازات الكيميائيةّ الخانقة، والسّموم، والقنابل الهيدروجينية والذرية بأنواعها<sup>(1)</sup>.

إنّ الأسلحة المحرمة دولياً، هي الأسلحة التي تمّ تحريمها بموجب الاتفاقيات الدولية، تمّ تحريم أسلحة معينة على النحو التالي: المقذوفات المتفجرة أو الحارقة، التي يتجاوز وزنها عن 400 غرام (كما جاء في إعلان "سانت بطرسبرغ" الصادر في 11 ديسمبر/كانون الأول 1868م)،

1 - سوادى، ع.ع. (2017)، ص 49.



والسّموم والأسلحة المسمومة (في "لائحة لاهاي" 1899م) مقذوفات تنشر الغازات الخانقة، والغازات السّامة والخانقة وجميع السّوائل أو الموادّ أو الأجهزة ذات تأثير تدميري (معاهدة فرساي 1919م). تمّ تأكيده وتوسيع نطاقه ليشمل الأساليب البكتريولوجية للحرب (بروتوكول جنيف للغاز لعام 1925م)، الأسلحة الكيميائية والبيولوجية (بروتوكول جنيف للغاز، اتفاقية 10 أبريل 1972) وتحريم الأسلحة البكتريولوجية (البيولوجية) بأنواعها من البكتيريا، الفيروسات، الفطريات، سموم الميكروبات، وتحريم إنتاجها وتخزينها والإحتفاظ بها وكافة الأسلحة النّووية بأنواعها المختلفة<sup>(1)</sup>. يتمثّل الاختلاف الرّئيسيّ بين الأسلحة العاديّة والأسلحة الدّمار الشّامل -المحرّمة دولياً- في اتّساع نطاق تأثير أسلحة الدّمار الشّامل. فإذا كان قتل البشر بأعداد كبيرة، ليس بجديد على العمليّات الحربيّة، وليس مقصوراً على العصر الحالي. فإنّ الأسلحة المحرّمة تقلّل الزّمن المطلوب لإحداث أثر التّدمير مثلما تقلّل الجهد المطلوب؛ لذلك أصبح بالإمكان تدمير مدن بأكملها بما فيها من بشر، وبما تحويه من حجر في غصون لحظات قصيرة، باستخدام أسلحة الدّمار الشامل، بعد أن كان ذلك يستغرق أشهراً أو سنوات باستخدام الأسلحة التّقليديّة<sup>(2)</sup>.

وقد ظهرت مشكلة التعرّف منذ بداية مناقشة نزع السّلاح في الأمم المتّحدة بعد الحرب العالميّة الثّانية، حيث تقدّمت أمريكا بمشروع قرار في 7 سبتمبر / أيلول عام 1947م، يتضمّن توصيفاً لأسلحة التّدمير الجماعيّ، وأيّة أسلحة تتطوّر مستقبلاً ولها خصائص تدميريّة مماثلة لخصائص القنبلة الذريّة، وقد وصف الاتّحاد السّوفياتيّ في حينه هذا التعرّف بأنّه تقييدي جدّاً، مشيراً إلى أنّ القنابل والصّواريخ التّقليديّة، التي استُخدمت في الحرب العالميّة ذات تأثيرات تدميريّة جماعيّة<sup>(3)</sup>. عرّفتها لجنة الأمم المتّحدة المنشأة، بموجب قرار مجلس الأمن والمعنيّة بالأسلحة التّقليديّة، بقولها إنّ أسلحة الدّمار الشّامل هي كلّ سلاح تفجيريّ، يكون توظيفه واستخدامه انطلافاً من بثّ موادّ إشعاعيّة. وبذلك يُعدّ استخدامها محرّماً وفقاً للاتفاقيات الدوليّة، والتي أصبحت اليوم جزءاً من قواعد القانون الدّوليّ، نظراً لما تمتلكه من قدرات إشعاعيّة وحراريّة وجراثوميّة، تدمّر المنطقة المستهدفة تدميراً شاملاً واسع النّطاق.

1 - Grant, J. & Barker, J. (2009) p.p.483-484.

2 - عثمان، م. (2007) "أسلحة الدّمار الشّامل"، ص 9.

3 - الجميلي، ع. (2023)، ص 260.

## ثانياً: استخدام الأسلحة النووية في الحرب على اليابان.

تعدّ الأسلحة النووية من أخطر الأسلحة المحرّمة دولياً، وهي أكثر الأسلحة تدميراً وترويعاً، سواء من حيث حجم الدمار الذي تسببه، ويعجز أيّ سلاح آخر أن يحقق مثل هذه القوّة التدميرية، أو تداعياتها الإشعاعية المستمرة والمدمرة وراثياً، ويحدث نتيجة للعمليات النووية عواقب إنسانية وبيئية كارثية تمتدّ لعقود وعبر أجيال؛ فإنّ قوّة وتأثير انفجار قنبلة نووية صغيرة، أكبر بكثير من قوّة وتأثير انفجار أضخم القنابل التقليدية؛ إذ يمكن لقنبلة نووية واحدة أن تدمّر مدينة بأكملها، أو تتسبّب في أضرار كارثية لمدينة بأكملها.

تصنّف هذه الأسلحة النووية إلى صنفين: أولهما الأسلحة الإنشطارية، التي تستند إلى مبدأ الانشطار المتسلسل لنواة ذرة اليورانيوم 235، أو البلوتونيوم 239 عند قصفها بالنيوترونات، والتي تُؤلّد عند انشطارها نواتج الانشطار، وهي نظائر مشعّة لعناصر أخرى تكون بالغة الخطورة والضّرر، ويصاحب ذلك انبعاث إشعاع ذي طاقات عالية يتسبّب في الدمار الفوري للكائن الحي، كما يرافق انشطارها تحرّر طاقة هائلة تتسبّب في إحداث حرائق واسعة، وفي توليد عصف شديد مدمر. وتُحسب الطاقّة التدميرية لهذه الأسلحة بمقدار ما يكافئها من مادة "TNT" شديدة الانفجار، وتتراوح طاقتها عادة بألاف الأطنان من هذه المادّة<sup>(1)</sup>.

كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، أوّل من أنتجت الأسلحة الإنشطارية ضمن برنامج بحثيّ وسريّ، رصدت له مليارات الدولارات، وسخرت له جهود مئات العلماء وآلاف المهندسين والفنيين، وعُرفَ ببرنامج "مانهاتن" الذي نُفِذَ في الفترة 1941 - 1945، وهي الدّولة الوحيدة التي استخدمت هذه الأسلحة النووية في الحرب، وبعدها أجرت دول أخرى تجارب نووية: الاتّحاد السوفيتي 1949م، بريطانيا 1952م، فرنسا 1962م، الصّين 1964م، الهند 1974م، باكستان 1978م، كما يمتلك الكيان الصّهيونيّ السلاح النوويّ إلّا أنّه لم يعلن عن ذلك، رغم امتلاكه للأسلحة النووية منذ نهاية الستينات<sup>(2)</sup>.

ويمكن الإشارة إلى الأضرار التي نجمت عن استخدام الولايات المتّحدة الأمريكيّة للأسلحة النووية في حربها على اليابان في النقاط الآتية:

1 - جعفر، ج. (2004)، ص 166.

2 - المرجع السابق، ص. ص 166-167.

## أ- الأضرار الاجتماعية

أسقطت الولايات المتحدة قنابل نووية على اليابان، في السادس والتاسع من أغسطس عام 1945م. كانت هذه الهجمات في نهاية الحرب العالمية الثانية؛ وظنّوا أنّ استخدامها سيؤدّي إلى نهاية سريعة للحرب. كانت هاتان القنبلتان النوويتان الوحيدتان اللتان استُخدِمتا في الحرب. أطلقت الولايات المتحدة على القنبلة الأولى اسم "الولد الصّغير"، انفجرت فوق مدينة "هيروشيما"، وكانت قوتها تعادل 20 مليون طنّ من مادة "تي إن تي" المتفجرة. لقد دُمِرَ 90% من مدينة هيروشيما. مات أو اختفى ما يقرب من 130 ألف شخص بعد الانفجار. وأطلقت الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذريّة الثانية على مدينة "ناكازاكي"، قتلت هذه القنبلة 75000 ياباني. دُمِرَ أكثر من 33% من المدينة. ويمكن القول إنّ القنبلة الذريّة التي أدّت إلى أكبر الخسائر في الحرب العالمية الثانية، نتيجة إسقاط القنبلة الذريّة؛ دُمِرَت المدينتان تدميراً كاملاً في غضون ثوان معدودة، واحترقتا بشدّة، ولم يبقَ شيء على سطح المدينتين إلاّ قلة قليلة، فقد تمّ تدمير كلّ شيء سواء البشر أو الكائنات الأخرى، وتمّ حرق البيئة الطّبيعيّة، وتدمير المنشآت الصّناعيّة. لقد اكتسحت العواصف النّارية مدينة "هيروشيما"، عقب تفجير القنبلة الذريّة. حيث اندلعت النيران بعد انبعاث الوميض، تبعته عواصف نارية انطلقت في جميع الاتجاهات، في حين لم يحدث هناك أعاصير نارية في "ناكازاكي" بعد التفجير النووي؛ حيث حالت المدينة دون ذلك. إذ انتشرت النيران من منطقة إلى أخرى في المدينة، حتّى عمّت جميع الأحياء. ومن آثار اندلاع الحرائق أنّها تستهلك معظم الأوكسجين الموجود في الجو؛ لذا فإنّ الأشخاص الموجودين في ملاجئ، أو منازل قريبة ماتوا بالإختناق، وقد أمتدّ الموت فطال النباتات والحياة البرية<sup>(1)</sup>.

أصيب النّاس بالحروق في نطاق مساحة قدرها 3.5 كيلومتر مرّبع، من مركز الانفجار في «هيروشيما»، 4 كيلومتر في «ناكازاكي»؛ واشتعل كلّ شيء قابل للاشتعال في نطاق مساحة قدرها 2 كيلومتر مرّبع، ونتج عن هذا حريق كبير للغاية. وتعرّض المصابون لحروق والجروح فظيعة؛ إذ تساقطت جلودهم كأوراق الشّجر، وتدفّق الدّم من جروحهم، ولم تكن إصابتهم فقط بالحروق أو الجروح، بل كانوا قد تعرّضوا لكميات كبيرة من الإشعاعات، فخلال أسبوع من الحادث أصيب

1 - السّاكت، م. وتوفيق، م. (2004)، ص 110.

أغلب الناس بالتهاب الأشعة النووية الفجائي، وتدهورت حالتهم من سيء إلى أسوأ<sup>(1)</sup>. إن الأشعة النووية لا يمكننا رؤيتها بأبصارنا؛ ولا ينتج عنها دماء حتى لو اصطدنا بها. ولكن هذه الأشعة تؤثر تأثيراً كبيراً على الخلايا البشرية لدى نفاذها في العظام والجسم. إن هذه الأشعة قادرة أن تسبب الموت للإنسان، أو التسبب بمشاكل وأمراض ذات آثار خطيرة، وقد يكون هذا هو الغرض من استخدام الإشعاع كسلاح للفتك<sup>(2)</sup>. ولا يزال ضحايا هذه الجريمة في حق المجتمع الياباني، وحق الإنسانية مستمرة حتى اليوم؛ إذ إن الأضرار الناجمة عن الإصابة بالإشعاعات، تؤدي إلى إعاقات وتشوهات تصيب حتى الأجنة في رحم أمهاتهم. يعيش الجيل الحالي حتى الآن، في خوف دائم من الأمراض الناجمة عن الإشعاعات النووية في الهواء والبيئة المحيطة عموماً، وتلك التي تعرضت للتلوث.

#### ب- الأضرار البيئية

لا تقتصر أضرار الحرب النووية على الإنسان فحسب، وإنما هي حرب ضد البيئة بكل محتوياتها أيضاً. عقب الانفجار النووي والتهام النيران لمظاهر الحياة في مواقع استخدامها، الذي كان بمثابة المرحلة الأولى من القوة التدميرية. تجلّت بعد ذلك التغيرات المناخية، التي تحدثها جراء الإخلال بالتوازن البيئي، وبالإضافة إلى استنفاد طبقة الأوزون، وهو ما يؤدي إلى تأثيرات مدمرة على صحة الإنسان والحيوان، بسبب زيادة الأشعة فوق البنفسجية، المسببة لزيادات في معدلات الإصابة بالسرطانات الجلدية، وتلف المحاصيل وتدمير الحياة البحرية<sup>(3)</sup>. يتبع ذلك تلوث الهواء بالمواد الإشعاعية، الذي يؤدي إلى تغيير في تركيبة الهواء الفيزيائية نتيجة اختلاطه بعناصر مشعة؛ بسبب احتوائه على بعض الغازات، أو جزيئات المواد المشعة العالقة، والتي كثيراً ما تعلق بذرات أو قطرات الماء المنتشرة به، وهناك بعض العوامل المؤثرة على نسبة التلوث الإشعاعي للهواء، منها ما إذا كان هناك طبقة جليدية على الأرض، أو تفاوت نسبة الأتربة والدخان في الهواء، وظروف الزمان والمكان واتجاه الريح وسرعته، واستقرار الأحوال الجوية<sup>(4)</sup>.

1 - إيتو، ت. (1994)، ص.ص 79-85.

2 - الساكت، م. وتوفيق، م. (2004)، ص 110.

3 - أفاري، س. (2020)، ص 869.

4 - غرارة. خ. حمايزية، ج. (2021)، ص 27.

## ج- الأضرار الاقتصادية

لقد عانى الاقتصاد الياباني بصفة عامّة، بعد الحرب من فقدان ثلث ثرواته القوميّة، ومن انخفاض معدّل الدّخل القوميّ إلى النّصف، ممّا أدى إلى انخفاض مستوى المعيشة لسكّان الرّيف، بما يتراوح بين 40% و65% عنه فيما قبل الحرب، كما انخفض مستوى معيشة سكان الحضر بمقدار 35% عنه قبل الحرب. ومن خلال تقارير "لجنة الشّرق الأقصى" في أوائل عام 1946م، يتبيّن أنّ الانطباع العام المأخوذ عن الوضع في اليابان، هو اختفاء أغلب السّلع من كلّ الأنواع من الأسواق، والمظهر الرثّ لملابس الرّجال والنساء<sup>(1)</sup>.

لا شك أنّ الحرب على اليابان، ترتّب عليها حدوث تحولات ضخمة، إذا ما قورنت بالتّغيرات التي حدثت في المراحل التّاريخيّة السّابقة. فالصّناعة وصلت إلى حالة شلل تامّ؛ خصوصاً بعد توقّف المصانع الحيوية والسكك الحديدية؛ نتيجة لنقص الطّاقة والمدخلات الصّناعية، وفي أعقاب الحرب مباشرة 1945م و1946م انهار الإنتاج إلى 20% مقارنة بدورة الإنتاج في فترة ما قبل الحرب. فقد انخفض الإنتاج الزراعيّ إلى ما يقارب الثلث نتيجة مُضيّ سنوات طويلة دون تحديث الآلات، ودون استخدام مخصّبات مناسبة، فضلاً عن عدم توقّف القوى العاملة اللّازمة، وأصبح الاقتصاد اليابانيّ اقتصاداً عاجزاً بدرجة خطيرة، بعد أن حُرِم من التّدقّ الطبيعيّ للتّجارة<sup>(2)</sup>. لقد تفاقم العجز في الإمدادات وانحدرت مستويات المعيشة إلى أدنى مستوياتها في عام 1946م. وقد كان يخشى أن يعاني النّاس من المجاعة، حتّى الموت بسبب النّقص الحادّ في الغذاء، ووصل معدّل البطالة إلى مستويات حادّة، وارتفع معدّل التّضخّم ليتجاوز 100% خلال الفترة (1946م- 1949م)، نتيجة اتّجاه الحكومة إلى طبع كميات ضخمة من الأوراق الماليّة لتمويل الدّعم وسدّ الفجوة الغذائيّة<sup>(3)</sup>.

## ثالثاً: استخدام الأسلحة الكيميائيّة في الحرب على فيتنام والعراق.

بالرغم من إنّ الأسلحة الكيميائيّة هي من الأسلحة المحرّمة دولياً، فإنّها تختلف عن الأسلحة

1 - صبحي، م. (2022)، ص 527.

2 - الدّليمي، خ. (2016)، ص.ص 531-532.

3 - فرحات، م. (2015) ص 234.

التّوويّة في كونها مواد كيميائيّة سامة مصنّعة من أجل تدمير الكائنات الحيّة دون إلحاق الضّرر بالمنشآت. تختلف أشكال الأسلحة الكيميائيّة، وهي عادة ما تكون غازيّة، لكنّها قد تتخذ شكلاً مغايراً، وقد تكون سائلة سريعة التبخر، ونادراً ما تكون في حالة صلبة. خلال الحرب العالميّة الأولى، عملت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا والدول الأوربية المتحاربة، على إنتاج هذه الأسلحة واستخدامها.

تطلق الموادّ الكيميائيّة عادة في الفضاء، أو تلقى على الأرض، سواء بالرّشّ مباشرة بواسطة الطّائرات على ارتفاع منخفض، أو بوضعها في ذخائر على شكل قنابل أو قذائف، بحيث توضع الكيميائيّات السّامة في أوعية من الرّصاص أو الخزف حتّى لا تتفاعل مع مواد قابلة للإنفجار، أو مع جدار القذيفة. وعند وصول القذيفة إلى الهدف وانفجارها، تتصاعد المادّة الكيميائيّة السّامة على شكل أبخرة مسبّبة الموت الجماعي. ومن أنواع الأسلحة الكيميائيّة، الغازات الكاوية والخانقة والمهيّجة، وهناك غاز الأعصاب الذي تمّ اكتشافه إبّان الحرب العالميّة الثّانية<sup>(1)</sup>.

### 1 - الحرب على فيتنام

تعدّ الحرب الفيتنامية أطول حرب استمرّت خلال فترة الحرب الباردة، والتي بدأت إرهاباتها الأولى عام 1959م حتى عام 1973م، كما تعدّ من أكثر الحروب خلال فترة الحرب الباردة، التي استهلكت سلاحاً وأموالاً وجنوداً. كان السّبب الرّئيسيّ للحرب على فيتنام، هو تصميم الولايات المتّحدة الأمريكيّة على عدم السّماح للشّيوخ بالوصول إلى فيتنام الجنوبيّة، مثلما فعلوا في فيتنام الشّمالية.

#### أ- الأضرار الاجتماعيّة:

لقد دارت هذه الحرب بين قوتين غير متكافئتين مادياً وتكنولوجياً، وقد أدّت إلى نتائج كارثيّة، خاصّة بعد استخدام الولايات المتّحدة أسلحة محرّمة دولياً، مثل قنابل النابالم، وكذا الغازات الكيميائيّة، وما ألقته الطّائرات أثناء القصف على فيتنام الشّمالية بقاذفات (بي - 52) العملاقة، حيث كان مقدار ما ألقِيَ عليها يعادل تقريباً 3 مرّات ما ألقِيَ على ألمانيا من قنابل الحلفاء أثناء الحرب العالميّة الثّانية، ولقد أدّى هذا كله إلى تدمير البيئة التّحتيّة لفيتنام. أمّا من حيث الخسائر البشريّة فالمأساة تفوق التّصور، فقد بلغ عدد القتلى في فيتنام، حسب المؤرّخ (أندري كاسبي)

1 - عويس، م. (2003)، ص 112.

كما يلي: عدد القتلى في فيتنام الجنوبية 254257 قتيلاً، عدد القتلى في الشّمال الفيتنامي 1,027085 قتيلاً، أمّا عن عدد الجرحى في شطري فيتنام بين عام 1961م و 1975م نحو 7 ملايين و 313 ألف جريح<sup>(1)</sup>.

إنّ أوّل ما نشر عن الغازات الكيمياءية النّفسيّة، في الأغراض الحربيّة في مارس 1963م وذلك عند استخدام القوّات الأمريكيّة لغازات نفسيّة تخليقيّة (BZ) في الحرب على فيتنام. وتؤثّر هذه الغازات على المراكز العصبيّة في المخّ، وإنّ من تأثير هذه المادّة على الأفراد المصابين، حدوث مظاهر الخوف والفرع، المصاحبة بألم في الرّأس وفقد السّيّطرة، وبالتالي تؤثّر على القدرة القتاليّة للقوّات نتيجة الجرعات المحدودة من هذه الموادّ. وقد تُسبب أيضاً أمراضاً نفسيّة تستمرّ مع الفرد طوال حياته<sup>(2)</sup>.

#### ب- الأضرار البيئيّة:

لقد عمدت الولايات المتّحدة الأمريكيّة خلال حربها على فيتنام، إلى استخدام أدوات تؤثّر على كمّيّات الأمطار المتساقطة، بغرض إغراق المقاتلين وعرقلة تقدّمهم في مجابهة القوات الأمريكيّة. وصاحب ذلك استخدام لـ "العامل البرتقالي" -هي مادّة كيميائيّة ناتجة عن احتراق جزيئات الكلور، أو تعرّضها لدرجات حرارة عالية، وتُعتبر من أخطر الموادّ السّامة الموجودة حالياً، حيث "أُلفت منه 44 مليون لتر على الأراضي الفيتناميّة خلال 10 سنوات، ما بين عامي 1962م و 1971م، وأدّى ذلك إلى تغيير عميق في تكوين التربة في المناطق التي استخدمت فيها، وكذلك الحال بالنّسبة للمناطق المجاورة لها، وانتقلت هذه الموادّ بواسطة العوامل الطّبيعيّة والحيوانيّة والنباتيّة. ويحتوي هذا "العامل البرتقالي" على مادّة "الديوكسين"، كمادّة "مسرطنة"، أضرت بالسلسلة الغذائيّة عبر ترسّبها في الأنهار والأسماك المستهلكة<sup>(3)</sup>. وكان لاستخدام "العامل البرتقالي"، آثار سلبية خطيرة على صحّة وسلامة المواطنين الفيتناميين، إبّان الحرب وحتى بعد نهايتها بسنوات عديدة. لم يقتصر على القضاء على الأعداد الهائلة من البشر، الذين كانوا في ذلك الوقت، بل تسبّب لمئات الآلاف من الأطفال من الجيلين الثّاني والثالث، بأمراض وإعاقات جسديّة.

1 - سهيلات، ص. (2014)، ص 70.

2 - بومعة، ن. (2017)، ص 131.

3 - إكرام، إ. وبوتخيلي، خ. (2020)، ص 67.

لقد أدت الحرب الأمريكية في فيتنام، إلى ما يمكن أن يُطلق عليه بالإبادة البيئية، واستعملت فيها جميع أنواع الأسلحة الممكنة، والمؤذية إلى التدمير الكليّ أو الجزئيّ بالبيئة، سواء عن طريق القنابل المدمرة أم حقول الألغام أو مبيدات الأعشاب الكيميائية. وتساقط أوراق الأشجار بشكل لافت عند إلقاء هذه المواد الكيماوية، والتدمير الكليّ للغابات فيما بعد، وتضرّر أنظمة الرّي، وقتل فصائل من النباتات والحيوانات التي تتخذ من هذه الغابات ملجأ ومأوى؛ كما تسمّمت التربة، التي أصبحت تحتوي على مكونات كيماوية أحدثت تأثيراً سلبياً على الزراعة بصفة خاصّة، وعلى بقاء السكّان الفيتناميين وعيشتهم الآمن بصفة عامّة<sup>(1)</sup>.

### ج- الأضرار الاقتصادية:

لقد واجه الاقتصاد الفيتنامي صعوبات هائلة في الإنتاج، على الرغم من أن اقتصاد فيتنام كان قبل الحرب من أفقر البلدان في العالم، وكان النمو بطيئاً للغاية في الإنتاج الزراعي، والصناعي، وإجماليّ الناتج القوميّ. فقد ازدادت الحالة سوءاً بعد الحرب، وارتفعت معدلات التضخم، ومشاكل الديون المتزايدة، واختلّ التوازن في العرض والطلب. وشهدت فيتنام تدهوراً اقتصادياً حاداً في فترة إعادة الإعمار بعد الحرب.

## 2- الحرب على العراق

بالرغم من أن التوترات المتصاعدة في المنطقة، كانت ستجعل الصراع محتملاً في وقت ما وفي ظروف معينة. ولولا موقف الولايات المتحدة وعنادها، ووضعها جدولاً سرياً محدداً للحرب بلا ريب، لأصبح تجنّب الحرب التي نشبت في يناير / كانون الثاني 1991م ممكناً. وعندما اندلعت الحرب اتضح سريعاً، أنّ الصواريخ والطائرات الأمريكية ستكون أدوات التدمير الرئيسيّة، وسقط ما بين 16 يناير و27 فبراير، 88 ألف طنّ من القنابل على العراق، أي ما يعادل القوّة التفجيريّة لسبع قنابل ذريّة من قنابل "هيروشيما"<sup>(2)</sup>.

### أ- الأضرار الاجتماعية

استعملت الولايات المتحدة الأمريكية، مجموعة متنوّعة واسعة من الأسلحة، لقد أطلقت

1 - المصدر السابق، ص 68.

2 - سيمونز، ج. (2014)، ص 31.



ما بين خمسة آلاف وستة آلاف قذيفة يورانيوم منضّب، وألقت الطائرات عشرات الآلاف من هذه القذائف، ودُكر أنّ هذه الأسلحة سبّبت موت ما يزيد عن خمسين ألف طفل عراقي، خلال الأشهر الثمانية الأولى من عام 1991م؛ نتيجة الإصابة بأمراض مختلفة منها السرطان، وعجز الكلية، وأمراض داخلية لم تكن معروفة من قبل<sup>(1)</sup>. ولقد تفاوت التأثير على البشر، من حالات التسمّم العصبيّ إلى الإصابة بالتهاب الكبد، وسرطان الكبد، والإجهاض التلقائيّ، والتشوّهات الخلقيّة.

واستعملت "النابالم" أيضاً لحرق الجنود العراقيين في الخنادق. وكان من آثار "النابالم"، أنّه ينتشر على مساحة واسعة في كتل من الهلام المشتعل، بدرجات حرارة عالية تفوق 800 درجة مئوية، ويكاد يستحيل إطفاء النوع المحسّن منه، ولا يمكن إزالته بسهولة من أجساد البشر، واستعملوا أيضاً أجهزة الفوسفور الأبيض الحارقة، التي تسبّب بقاء الموادّ الكيميائيّة الحارقة نشيطة في اللحم البشريّ، لساعات كثيرة قد تصل لأيام<sup>(2)</sup>.

هذا الصّراع لم يكن حرباً بالمعنى التقليديّ، إذ طيلة المرحلة الأكثر حسماً فيه -من بداية الغارات الجوية في 16 يناير إلى بداية الهجوم البريّ لقوّات التحالف في 24 شباط فبراير- حلّقت طائرات قوّات التحالف -الأمريكيّة غالباً- فوق الأراضي العراقيّة كلّها. ولقد أدّى القصف الذي قامت به طائرات B52 إلى وقوع مآسي بشريّة ومدنيّة، وسبّب القصف مقتل ستّة آلاف إلى سبعة آلاف مدنيّ. ولم يُظهر الإعلام الغربيّ اهتماماً، بالدمار الشامل في القرى والمدن والصّحراء، أو بالآثار القاتلة للقنابل العنقوديّة على البشر، فالواحدة من هذه القنابل تحتوي على 247 قنبلة يدويّة ضدّ الأفراد، تنفجر إلى ألفي شظيّة عاليّة السّرعَة كالموس تمزّق الأشخاص، ولا تميّز بين الجنديّ والمدنيّ ويقول العراقيون: "إنّ القنابل العنقوديّة استعملت ضدّ العجلات المدنيّة، وسيارات الأجرة، والحافلات وسيارات نقل البضائع"<sup>(3)</sup>.

أشارت التّقديرات البريطانيّة التي وردت بعد الحرب مباشرة إلى مقتل 100 ألف إلى 200 ألف عراقيّ، وإصابة 300 ألف إلى 700 ألف. كما أشارت إحدى التّقارير، أنّ القصف دمر

1 - الأزديّ، أ. (1995)، ص 45.

2 - سيمونز، ج. (2014)، ص 32.

3 - الأزديّ، أ. (1995)، ص 46.

350 مخزنًا وسوقًا تجاريًا، و120 مزرعة، و68 مصرفًا، و157 مركزًا لخدمات الماء والكهرباء، و646 مدرسة ابتدائية وثانوية، و16 جامعة وكلية و28 مستشفى، و45 مركزًا صحيًا، ومنشآت اقتصادية واجتماعية كثيرة أخرى، منها المختبرات والمتاحف والصيديات ومخازن الحبوب ومواقع أثرية قديمة<sup>(1)</sup>.

### ب- الأضرار البيئية

شكّلت المخاطر البيئية والصحية المحتملة، هاجسًا مستمرًا يُنذر بالخطورة، منذ أن بدأ التفكيك في تصنيع ذخيرة مضادة للدروع من مادة اليورانيوم المنضب. والهاجس الأكبر في موضوع ذخيرة اليورانيوم، كان الغبار المشع الناتج عن اصطدام الذخيرة بالدبابة أو بالمدرعة، أو تعرض الذخيرة للحريق وما ينتج عن ذلك من «أوكسيد» اليورانيوم، الذي يتحوّل بدوره إلى غبار قابل للاستنشاق، والانتشار فوق التربة والنباتات<sup>(2)</sup>.

ولقد أشار بحثٌ نشره مركز التوثيق "ستشنغ لاكا"، في أمدسترام في يونيو (حزيران) 1994م، يؤكد تعاضم الأدلة التي تثبت، تزايد انتشار الأمراض المرتبطة بالإشعاع، بين سكان العراق: "إنّ النوع الجديد من الموت البطيء، الذي نقلته أكثر الحروب تسميمًا في التاريخ، يشمل ما يُقدَّر بثمانئة طنّ من غبار، وجزئيات اليورانيوم الناضب المستمرّ في الهبوب عبر شبه الجزيرة العربية، لعقود كثيرة في المستقبل تكفي لجعل هذه العملية معروفة جيدًا في السجلات الطبيّة". وقد ر مكتب السكّان الأمريكيّ في يناير / كانون الثاني 1992م، أنّ معدّل عمر العراقيين قد هبط 20 سنة للرجال و11 سنة للنساء؛ وكان انتشار التلوّث الإشعاعيّ سببًا رئيسيًا في حدوث ذلك؛ لم تستعمل القنابل النووية في العراق، غير أنّ المفاعل النووي العراقيّ بعد قصفه أطلق إشعاعات في الفضاء، وأدّى استعمال ذخيرة اليورانيوم المنضب، إلى بقاء الأحجام الكبيرة من الموادّ المشعّة، كسمة دائمة للبيئة العراقية<sup>(3)</sup>.

أشارت إحدى التقديرات إلى تدمير 1613 هكتارًا من الأرض الزراعيّة، ولو حظت كثافات عالية من الهيدروكربونات في مساحات واسعة تبعد مئات الأميال عن الحرائق التي سببها القصف،

1 - المصدر السابق، ص 49.

2 - عفت، ك. (1985)، ص 91.

3 - سيمونز، ج. (2014)، ص 51.

وقد ربط بين المستويات العالية من التلوث الجوّي، والتي تشمل مزيج من منتجات الكبريت المعقّدة، كهيدروكربونات ومنتجات النيتروجين ومخلّفات حرّة ومركّبات عطريّة... إلخ، وبين أمراض نباتيّة وحيوانيّة غير مألوفة، مسبّبة على سبيل المثال، تدمير آلاف أشجار الأوكالبتوس وزهاء 120 ألف نخلة، فضلاً عن التدهور المُفجّع في صحّة السكّان المدنيّين العراقيّين<sup>(1)</sup>. لذلك أسفرت الحرب -باستخدام الأسلحة الكيميائيّة- عن تعرية واسعة المدى للتربة، وإفناء الحياة البريّة الأرضيّة، وخسائر في أسماك المياه العذبة، وتدهور في الثروة السمكيّة البحريّة الساحليّة. ت- الأضرار الاقتصاديّة.

أدّت حرب الخليج الثّانية، التي قادتها الولايات المتّحدة الأمريكيّة ضدّ العراق، إلى انخفاض التّموّ الاقتصاديّ في العراق، وتدمير الكثير من مرافق البنية التّحتيّة الأساسيّة. وارتفعت نسبة التّضخّم لتصل إلى 2400% في 1994م. وهجرة أكثر من 23 ألف باحث وطبيب ومهندس عراقيّ، إثر انخفاض معدّلات أجر الفرد إلى أكثر من النّصف<sup>(2)</sup>.

استغلّت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، المنظمة الدّولية من أجل اتّخاذ تدابير تدفع لفرض عقوبات اقتصاديّة على العراق، واعتبرتها معتديّة، ويتوجّب عليها دفع فاتورة الأعمال، التي جاءت نتيجة عدوانها على الكويت. فقد أثر بشكل كبير على الاقتصاد العراقيّ. وتمّ فرض الحظر على نفط العراق، وبذلك تمّ حرمان العراق من العملة الأجنبيّة، التي تعتمد عليها في موازنة الطّلب على السّلع والخدمات في الدّاخل، وعرضها المعتمد على الاستيراد، وذلك لأنّ الاقتصاد العراقيّ اقتصادٌ ريعيٌّ لا يعتمد على رأس المال الوطنيّ، بل يعتمد على ريع النّفط بشكل كبير، الذي حصلت عليه من فرق كلفة إنتاج البرميل الواحد من النّفط وسعره في الأسواق العالميّة. إنّ ما حدث هو قطع هذا المورد الوحيد، الذي يسدّ قيمة استيراد الموادّ الغذائيّة والصّناعيّة والتموينيّة، ممّا أدّى إلى حدوث اختلال كبير في موازنة العرض والطلب، بسبب شحّ المعروض من تلك الموادّ قياساً للطلب عليه<sup>(3)</sup>. واجه شعب العراق التدمير بسلاح فتاك، شأنه شأن أيّ سلاح محرّم دولياً، ألا وهو سلاح الحظر الاقتصاديّ.

1 - المصدر السّابق، ص 52.

2 - ذويبي، د. (2016)، ص 48.

3 - الجلبي، ف. (1996)، ص 85-86.

أعلنت منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة في تقرير لها، عن محنة المدنيين العراقيين المتفاقمة: عام 1995م توفي أكثر من مليون عراقي بينهم 567 ألف طفل، كنتيجة مباشرة للعقوبات الاقتصادية. وأكثر من 12% من الأطفال الذين شملهم المسح في بغداد مصابون بالهزال، و28% منهم مصابون بإعاقة دائمة في نموهم الطبيعي، و29% وزنهم أقل من الوزن الطبيعي<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الاستراتيجيات الإجرامية للولايات المتحدة الأمريكية في استخدام الأسلحة البيولوجية

تعدّ الأسلحة البيولوجية من أشدّ أسلحة الدمار الشامل فتكاً وتدميراً، لأنها تتكوّن من كائنات حيّة تعيش وتتكاثر، وتزداد خطورتها بمرور الوقت والزمن. وتتميّز بأنها فعّالة بدرجة كبيرة، وتعيش لتظلّ تنقل العدوى لفترات طويلة بعد إطلاقها، كما أنّنا لا نشعر بإطلاقها، ووسائل إطلاقها ميسّرة وكثيرة<sup>(2)</sup>.

يُعرّف قادة الحرب الأمريكيّون الحرب البيولوجية بقولهم إنّها: "استخدام البكتيريا، والفيروسات، والفطريات، ومسبّبات الكساح، والزّعافات المستمّدة من الكائنات الحيّة، لإحداث الموت أو المرض للبشر والحيوان والنبات"<sup>(3)</sup>. تتسبّب الأسلحة البيولوجية بأمراض كثيرة وتعدّ الجمرة، والحمى، والكوليرا، والطّاعون أخطرّها في فئة البكتيريا، والجدرى في فئة الفيروسات، والبوتولينوم، والرّيسين في فئة التّوكسينات. وتتميّز الأسلحة البيولوجية بأنّها سهلة الإحراز، ورخيصة الثمن في الإنتاج، وتسبّب حالة ذعر وسط المواطنين بسبب كثرة حالات المرض والوفاة، كما أنّ المستشفيات سرعان ما تصاب بعجز في إمكانيّاتها لمواجهة الأزمة، وهذا بالإضافة إلى سهولة هروب مرتكبي الجريمة؛ بسبب عدم ظهور الأعراض إلّا بعد أيّام<sup>(4)</sup>. على الرّغم من أنّ الأسلحة الكيميائيّة، من شأنها عمل أضرار جسيمة في المنطقة التي تُطلَق

1 - الأزدي، أ. (1995)، ص 53.

2 - عبد الهادي، م. (2002)، ص 24-25.

3 - جاسم، ر. (2015)، ص 27-28.

4 - عثمان، م. (2007)، ص 39-40.

فيها، فإنّ الأسلحة البيولوجية تُعدّ أكثر وأشدّ ضرراً؛ فبينما يقلّ مفعول الأسلحة الكيميائية مع الزمن، يزداد مفعول الأسلحة البيولوجية، كما أنّ أقلّ كميات من الميكروب المضرّ قد تُحدث أضراراً بالغة. فعلى سبيل المثال، يُعدّ «توكسين البوتولينوم» فعّالاً، بمقدار 3 ملايين مرّة من غاز «السارين»، كما أنّه يقتل قتلاً بطيئاً عن طريق إماتة خلايا عضلات التنفس. أمّا في حالة الجمرة، فيعاني المصاب لمدة ثلاثة أيام كاملة، حتّى يتمكّن الميكروب من تدمير رئتيه وأمعائه<sup>(1)</sup>.

تسببت القوّات البريطانيّة سنة 1763، بمقتل عدد كبير من السكّان الأصليين في قارة أمريكا الشماليّة من الهنود الحمر، عبر إرسال جراثيم الجدريّ على شكل هدية، من الملابس والتّجهيزات الملوّنة بمرض الجدري، جلبت من مستشفى العزل المصابين بداء الجدريّ، كهدايا مرسلّة إلي رؤساء قبائل السكّان الأصليين، وهو مرض فيروسيّ حادّ العدوى وينتشر عبر الهواء، ولديه القدرة على العدوى لفترات طويلة بسبب تميزه بدرجة عالية من الاستقرار البيئيّ<sup>(2)</sup>. فقد ذكر (هنري دويينز) أنواع الحروب الجرثوميّة الثلاثة والتّسعين، التي أباد بها المستعمرون الأميركيّون الهنود الحمر وهي: 41 حرباً بالجدريّ، و4 بالطّاعون، و17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و25 بالسّل والديفتيريا والتيفوس والكوليرا<sup>(3)</sup>.

بدأت الولايات المتّحدة عام 1941م، بالاشتراك مع كندا وبريطانيا وبعض الدّول الأخرى، برنامجاً قومياً لأبحاث التّسلّح البيولوجيّ، وإنتاج مثل هذا النوع من الأسلحة، وبالفعل كان عام 1942م هو بداية برنامج التّسلّح البيولوجيّ الهجوميّ في الولايات المتّحدة، في مدينة "كامب ديتريك" بولاية "ميران"، وكان هذا البرنامج يشمل استخدام الأنواع المختلفة من البكتيريا مثل "الأنتراكس" و"البروسلا"، إلّا أنّ تجربة إنتاج مثل هذه الأنواع من الميكروبات كانت محفوفة بالخطر، حيث حدث أكثر من حادث أدّى إلى تلوّث البيئة، وبعض النّباتات بأنواع البكتيريا، التي كان من المعتقد أنّها غير ضارّة على الإطلاق<sup>(4)</sup>.

في عام 1952م وجهت الصّين الشّعبية وكوريا الشماليّة، الاتّهامات إلى الولايات الأمريكيّة بأنّها استخدمت الدّخائر البيولوجية في أثناء الحرب الكوريّة، كما شوهدت كميات كبيرة وغير

1 - عثمان، م. (2007)، ص 39.

2 - عبد الهادي، م. (2002)، ص 48.

3 - الأزدي، أ. (1995)، ص 14.

4 - عبد الهادي، م. (2002)، ص 51.

عاديّة من الحشرات في مناطق الغارات، وكان معظم هذه الحشرات غير معروفة محلياً، أو ظهر في فصل زمني غير طبيعي بالنسبة له، كما جاء في أقوال الشهود الذين تمّ استجوابهم، إنّ الطائرات الأمريكيّة ألقت حيوانات وأشياء ملوثة، من بينها براغيث وفئران الحقول المصابة بالطاعون، والرّيش الحامل لجراثيم الجمرة الخبيثة، والمحارّ الملوّث بالبكتيريا المسبّبة لمرض الكوليرا، وأكّدوا أنّ رشّ العوامل البيولوجيّة، يكون أكثر فعالية عند شنّ الحرب البيولوجيّة<sup>(1)</sup>. في السّتينيات، كانت كلّ أسلحة الجيش الأمريكيّ، تحتوي على برنامج نشط للحرب والأسلحة البيولوجيّة، وكانت ترسانة الأسلحة البيولوجيّة المتضخّمة، تشمل أسلحة قاتلة مثل الجمرة، وسمّ البوتولينوم، وكذلك البكتيريا المسبّبة لحمى الأرانب "توليريميا"، وكذلك أسلحة تسبّب أمراضاً مزمنة معوّقة، مثل: البروسيللا، والكوكسيللا، والإلتهاب السّحائي، وإلتهاب المخّ الذي يسبّبه فيروس VEE، وكان من ضمن هذه الأسلحة أيضاً تلك، المواجهة للقضاء على المحاصيل الزراعيّة لضرب اقتصاد الدّول المعاديّة. وكان من بين أسلحة هذه الترسانة الكثير من السّموم التي تستخدم بواسطة المخبرات المركزيّة مثل: الكوليرا، وسمّ السّاكسي توكسين وغيرها<sup>(2)</sup>. اثبتت هذه الحروب كونها أسوأ أنواع الحروب، حيث إنّها تستهدف الخصم من خلال انتشار الفيروسات، التي لا يمكن رؤيتها، ولا يمكن مواجهتها بشكل مباشر.

في عام 1986م نجح فريق من الباحثين في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، في تحويل جراثيم غير مؤذية، إلى جراثيم عدوانيّة باستعمال تقنيّة الهندسة الوراثيّة، وذلك بإدخال جينات قاتلة. كما تمّ عزل الجين القاتل من جرثومة عصوية (الجمرة الخبيثة)، وإدخالها في بكتيريا الأمعاء القولونيّة، وهي بكتيريا غير مؤذية في العادة وقد تكون مفيدة، ممّا جعل البروتين القاتل جرثومة الجمرة الخبيثة، يظهر في البكتيريا القولونيّة ويسبّب نفس التأثيرات المميّتة التي تسبّبها الجمرة الخبيثة. وفي عام 1969م وصل العسكريّون الأمريكيّون إلى قناعة، هي عدم جدوى مثل هذه الأسلحة البيولوجيّة كسلاح ذي قيمة استراتيجيّة للحرب في ذلك الوقت، في عصر الأسلحة الذريّة والتّوويّة<sup>(3)</sup>.

1 - بومعة، ن. (2017)، ص 140.  
2 - المصدر السابق، ص 141.  
3 - عويس، م. (2003)، ص 143.

بعد وقت قصير من الحرب الروسية الأوكرانية في فبراير 2022م، أعلنت روسيا أنّ جيشها قد كشف عن أدلة على وجود برامج عسكرية، تمولها الولايات المتحدة في أوكرانيا، بما في ذلك وثائق تؤكد تطوير مكونات أسلحة بيولوجية. وأشارت روسيا في جلسة مجلس الأمن بتاريخ 11 مارس / آذار 2023م، إلى أنّ أوكرانيا لديها حوالي 30 منشأة لتطوير الأسلحة البيولوجية، بالتعاون مع قوات حلف الناتو العاملة على أرضها، والتي تجري برامج بحثية تشكل تهديدًا لروسيا<sup>(1)</sup>. تعددت الجرائم الأمريكية المباشرة وغير المباشرة، حتى وقتنا الحالي بدعم أمريكا بقوة الكيان الصهيوني في حربه، وتمدّه بجميع أنواع تلك الأسلحة المحرّم استخدامها دوليًا في حربها على قطاع غزة. أبرز الأسلحة التي استخدمها جيش الاحتلال الإسرائيلي في عدوانه على قطاع غزة؛ خلال التقرير التالي: تداول رواد السوشيال ميديا مقاطع فيديو مصوّرة، تُظهر قصفًا جويًا لقوّات الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة، واستهدافهم باستخدام سلاح الفسفور الأبيض المحرّم دوليًا، من قبل قوات الاحتلال، وذلك دلالة على مدى العنف الذي يتعرّض له المدنيون بالقطاع. ومن أشهر تأثيرات الفسفور قدرته على إذابة، كل شيء من جسم الإنسان حتى يصل إلى العظام<sup>(2)</sup>.

شنت "إسرائيل" غارات جوية عشوائية كثيرة باستخدام القنابل الغبية، ما أدى لاستشهاد عشرات المدنيين الفلسطينيين، والقضاء على عائلات بأكملها، حيث تسبّب في تدمير واسع المدى وقتل المدنيين بشكل عشوائي، كما استهدفت البنية التحتية في قطاع غزة. كما استخدمت "إسرائيل" القنابل العنقودية ضدّ القوّات البرية المحتبّسة في الخنادق أو النقاط الحصينة، ممّا يجعل ما حولها من مناطق الشّاسعة خطيرة للغاية، إلى حدّ قد يحول دون السير فيها، إلا بعد تطهيرها بعناية. مستخدمة ذخيرة تعد من القنابل المحرّمة دوليًا الحارقة والخرقة للحصون، قنابل «هالبر» تسمّى بـ "الانتقامية"، حصلت عليها أيضا من الولايات المتحدة الأمريكية، وتمتلك 750 قنبلة من هذا النوع و3 آلاف صاروخ من نوعية «هالبر» المخصّصة للمروحيّات الهجومية<sup>(3)</sup>.

1 - الكيايبي، س. (2023)، ص 246.

2 - عاشور، م. (2023)، ص 2.

3 - المصدر السابق، ص.ص. 5-8.

## الخاتمة

لقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نعرضها على النحو الآتي:

1- لا يوجد تعريف محدد متفق عليه، لمصطلح الأسلحة المحرّمة دولياً، بسبب التطوّر المتسارع في أسلحة الحرب الحديثة، من حيث النوع والقوة التدميرية، إلا أنّ أثر هذه الأسلحة تجاوز أغراض الحرب، ويشكّل العامل الأساسي في تحديد خصائصها الأساسية (العشوائية)، بأنّها ذات قدرة هائلة على تدمير أعداد كبيرة من البشر، والبنيان وإلحاق الضّرر بالطبيعة وتلوّثها، وتدمير البنية التحتية للاقتصاد، والتي تمثّلت حصرياً في الأسلحة النوويّة والكيميائيّة والبيولوجية.

2- إنّ الوحشية الأمريكيّة بدأت بانتهاك حقوق المواطنين الأصليين لقارة أميركا الشماليّة. ومن ثمّ التوسّع في نطاق انتهاك الحقوق على باقي دول العالم المستضعفة، ومحاولة السيطرة على ثروات ومقدّرات هذه الدّول الضّعيفة. لم يستند الغزو الأمريكيّ إلى مبررات إنسانيّة أو جيوسياسيّة أو أخلاقيّة. وعلى الرّغم من تحريم المعاهدات الدوليّة، استخدام جميع أشكال الأسلحة العسكرية المحرّمة دولياً، والنّظر إليها بوصفها جرائم حرب وجرائم ضدّ الإنسانيّة، فما تزال تمارس السياسات الشّيطانيّة الأمريكيّة، التي تمثّل قوّة الشرّ والغطرسة في تحقيق المكاسب العسكريّة، وانتهاك كافّة المعاهدات الدوليّة.



## المراجع والمصادر

### أولاً: باللّغة العربيّة

- 1 - الأزدي، أبي جندل، جرائم أمريكا في العراق، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بدون تاريخ نشر.
- 2 - أكرام، إدريس و بوتخيلي، خديجة، مركزية البيئة والموارد الطبيعية في سياق النزاعات المسلحة، مجلة الاقتصاد والإدارة والبيئة والقانون، المجلد 3. العدد 1، فبراير 2020.
- 3 - إيتو، تاكيشي، هيروشيما ونجاساكي: مأساة القنبلة الذرية، ترجمة: أكير اكويانو، مراجعة: محمود عبده، دار الشروق، القاهرة، 1994.
- 4 - جعفر، ضياء جعفر، نعمان سعد الدين، احتلال العراق وتداعياته عربيا واقليمياً ودولياً، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.
- 5 - سيمونز، جيف، التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- 6 - الدليمي، خالد عبد نمال، اليابان ما بعد الحرب العالمية الثانية، مجلة مداد الآداب، العدد الثاني عشر.
- 7 - حمانيّة، خولة غرارة وجهيدة، المخاطر البيئية للتلوث الإشعاعي على المستوى الدولي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة العربي ابن مهيدي، الجزائر، 2021.
- 8 - ذويبي، دواجي، حرب الخليج الثانية (1990-1991) تداعياتها وآثارها، أطروحة ماجستير، جامعة محمد بو طيف، الجزائر، 2015-2016.
- 9 - جاسم، رقيب، مشروعية حيازة واستخدام الأسلحة النووية في ضوء مبادئ القانون العام، دار الكتب القانونية، القاهرة، 2015.
- 10 - أقاري، سالم، الآثار البيئية لاستعمال أسلحة الدمار الشامل في الحروب الدولية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 9، العدد 1، لسنة 2020.
- 11 - الإكيابي، سلوى يوسف، أثر الحرب الروسية الأوكرانية على تفسير وتطوير قواعد القانون الدولي، المجلة الدولية للفقه والقضاء والتشريع، المجلد 4، العدد 1، 2023.
- 12 - سهيلات، صفية، الثورة الفيتنامية 1964-1975، أطروحة ماجستير، جامعة محمد خضير، الجزائر، 2014.
- 13 - الجميلي، عبد الستار حسين، النظام القانوني لنزع أسلحة الدمار الشامل في ضوء القانون الدولي

- العام، مجلة كلية الفنون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك، العراق، المجلد 2، العدد 4.
- 14 - سوادى، عبد علي محمد، حماية أسري الحرب في القانون الدولي، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية، القاهرة، 2017، ص 49.
- 15 - الجلبي، فاضل، الآثار الاقتصادية لغزو الكويت، منتدى الفكر العربي، عمان، 1996.
- 16 - عفت، كمال، الطاقة النووية والمفاعلات النووية لتوليد الطاقة، معهد الأنماء العربي، بيروت، 1982.
- 17 - عويس، محمد زكي، أسلحة الدمار الشامل، دار العين للنشر، القاهرة، 2003.
- 18 - عثمان، محمد، أسلحة الدمار الشامل، دار نهضة مصر، القاهرة، 2007.
- 19 - فرحات، محمد فايز، الاحتلال وإعادة بناء الدولة: دراسة مقارنة لحالات اليابان وأفغانستان والعراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015.
- 20 - صبحي، مرفت، الاقتصاد الياباني في ظل الاحتلال الأمريكي 1945 - 1952، مجلة المؤرخ المصري، عدد يناير 2022، العدد الستون.
- 21 - عبد الهادي، مصباح، الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخابرات الإرهاب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000.
- 22 - الساكت، منيب و توفيق، ماضي وصياري، غالب، أسلحة الدمار الشامل: الكيمياء- البيولوجية- النووية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- 23 - بومعزة، نبيلة أحمد، المواجهة الدولية لمخاطر أسلحة الدمار الشامل، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة قسنطينة، كلية الحقوق، 2016-2017.
- 24 - عاشور، مختار، بدعم أمريكي 6 أسلحة محرمة دولياً يستخدمها الاحتلال في عدوانه على غزة، البوابة نيوز، <https://www.albawabhnews.com/4901123>.

### ثانياً: باللغة الانجليزية

1. Grant, J. & Barker, J. (2009) Encyclopaedic Dictionary of International Law, Oxford University Press, New York.
2. Harwell, M. (1984) Nuclear Winter, Springer-verlag, New York.
3. Rivera, Sh. (2004) Weapons of Mass Destruction, ABDO Publishing, The United States.

## شهادات حيّة من المواقع السود معسكرات الاعتقال والتعذيب الأمريكية

كريم الجمال<sup>(1)</sup>

### ملخص

يتناول البحث موضوع التعذيب وانتهاكات حقوق الإنسان، في السجون ومراكز الاعتقال الأمريكية، التي أنشأتها الحكومة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد أُطلق على هذه المعتقلات "المواقع السود".  
يُرَكِّز المقال على أساليب التعذيب المتبعة في "المواقع السود" الأمريكية، بالأخص في سجن "جوانتانامو" و"أبو غريب"، معززاً بالأدلة والأمثلة على هذه الانتهاكات والفظائع، كشهادات للجنود الأمريكيين المدانين. كما يسوق بعض شهادات للمعتقلين السابقين. بشكل عام يُقارن المقال، بين ما تدعيه آلة الزيف والكذب الأمريكية، وبين الحقائق الصادمة.

### الكلمات المفتاحية:

التعذيب - المواقع السوداء - جوانتانامو - أبو غريب - السجون - الاعتقال.

1 - باحث وكاتب وصحفي، من مصر.

## المقدمة

أقامت الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية القرن الحالي، مراكز للتعذيب خارج أراضيها، تسمى "المواقع السود"، حتى لا تخضع للقانون والمساءلة. حيث تطرح عدّة أسئلة حول السلوك الإجرامي للولايات المتحدة ودوافعه، وتأثير التاريخ الأمريكي كدولة مهاجرين، قامت على دماء أمم أخرى مثل الهنود الحمر. فيما يبدو أنّ نزعة الانتقام عند الحضارة الأمريكية آتية من قيم براغماتية، وازدواجية المعايير التي تتميز بها الإدارة الأمريكية. لذلك كان لا بدّ من تسليط الضوء على الجرائم الأمريكية والسجل الأمريكي في مجال حقوق الإنسان، بعكس ما تدّعيه بكلّ غطرسة، وما يترتب على ذلك من رغبة أمريكا في محاسبة الدول والتدخل في شؤونها وتخطّي سيادتها. لذلك كان لا بدّ من تقديم لمحة وافية عن السياسة الأمريكية، وتوجهاتها القائمة على الإزدواجية والتضليل، وتبرير السلوك الإجرامي، وعمل الماكينة الإعلامية لتحقيق المصالح، دون الالتفات للمبادئ التي تدّعيها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اعتمد المقال على جمع شهادات من السجناء، والجنود مع سرد وقائع التعذيب.

### ■ المبحث الأول: تاريخ معسكرات التعذيب.

#### أ- تعريف مختصر للتعذيب

نصّت الأعراف والمواثيق الدولية بالأّ يخضع أيّ شخص للتعذيب، أو المعاملة، أو العقوبة القاسية، أو غير الإنسانية أو المهينة، واعتبرت كافة أفعال التعذيب، أو أيّ معاملة أخرى قاسية، أو غير إنسانية أو مهينة تشكّل جريمة ضدّ الكرامة الإنسانية، وانتهاكاً لهذه الأعراف والمواثيق المتعلقة بحقوق الإنسان.

واعتبرت العديد من المنظمات الحقوقية، مثل منظمة العفو الدولية، وقوع التعذيب عندما

يتسبّب شخص ما في إيقاع الألم النفسيّ أو البدنيّ لشخص آخر لغرضٍ محدّد. وفي بعض الأحيان تقوم السّلطات بتعذيب أيّ شخص لانتزاع معلومات أو اعتراف منه. في بعض الأحيان، يتمّ استخدام التعذيب كوسيلة عقاب لنشر الخوف في المجتمع.

واختار الفيلسوف الفرنسي (ميشال فوكو)، تعريفاً للتعذيب بأنه عقاب جسديّ مؤلم، يتفاهم إلى حدّ الفظاعة نوعاً ما. فهو ظاهرة لا تقبل التفسير، جعل منها اتّساع مدى خيال النّاس بربريّة ووحشيّة<sup>(1)</sup>. ويمكن فهم مصطلح التعذيب بحسب بعض المعاهدات الدّولية، مثل ما تضمّنت عليه الاتّفاقية الأمريكيّة لمنع التعذيب والمعاقبة عليه، حيث اعتبرت أنّ التعذيب هو استخدام الوسائل، التي يقصد بها طمس شخصيّة الضّحيّة، أو إضعاف قدراته البدنيّة أو العقليّة، حتّى وإن لم تسبّب الألم البدنيّ أو العقليّ.

وقد اعتبرت كلّ المواثيق والأعراف الدّولية، أنّ التعذيب جريمة لا تسقط بالتّقاد، ولم تعطِ أيّ مبرر للقيام بأعمال التعذيب وإساءة المعاملة.

وبحسب ما ذكره (بيرنهاردت ج. هاروود)، فإنّه ليس صحيحاً أنّ الشّرقيّين أكثر قسوة من الغربيّين، الفارق كامن في حقيقة أنّه في الشّرق، هناك اعتراف أكثر أمانة بالقسوة الغريزيّة، التي تعتمل في قلوب البشر كلّهم<sup>(2)</sup>.

وقد تطوّرت أدوات العقاب والتّعذيب مع التطوّر التكنولوجيّ عبر العصور، فقد بدأت بالأساليب التقليديّة المعتادة مثل الضّرب بالعصا، أو الجلد بالسّوط، أو الكي بالنّار، وإن كانت هذه التّقنيّات مستمرّة حتّى الآن. استغلت قوى الشّر التكنولوجيّة الحديثة، في تطوير أساليب جديدة، مثل الصّعق بالكهرباء في مختلف أنحاء الجسم، مع وضعيات مؤلمة للجسم.

وبشكل عامّ تلجأ الأنظمة السياسيّة إلى عمليات التعذيب، مع عامل إشاعة الخوف والرّعب ممّا يحدث في معتقلاتها، وتعتمد إلى نشر أو تسريب بعض الأهوال، التي تقوم بها بهدف إثارة الخوف والإرهاب عند الشّعب، للسيطرة عليه وقمعه وتهديده الدائم بالمصير الأسود. ولا تتحرّى أجهزة القمع عند هذه الأنظمة الدقّة في الإجراءات القانونيّة، فقد يكون المحتجز أو السّجين، الذي يتمّ تعذيبه وانتهاكه جسديّاً، أو نفسيّاً، أو جنسيّاً، مُداناً أو مذنباً.

1 - فوكو، م. (1990)، ص 71.

2 - هروود، ب. (2008)، ص 31.

## ب- مدخل مبسّط لعمليات التعذيب الأمريكيّ قبل القرن العشرين.

قدّم العديد من الباحثين دراسات وكتباً وأبحاثاً عن هذا الموضوع. وقد ربطه كثير منهم بالإرث الاستعماريّ للولايات المتحدة الأمريكيّة. وفي هذا الصدد نظّم برنامج التّقدّم البحثيّ للطلاب الجامعيّين التابع لمركز الدراسات الدوليّة والإقليمية "كيورا"، في جامعة "جورج تاون" فرع قطر في 3 أبريل / نيسان، 2019م ندوة تحدّثت فيها (ريتिका راميش)، بعنوان "التعذيب الأمريكيّ والمواقع السّود: التّاريخ والتّطور (1898-2008)". وقدّمت (راميش) نبذة تاريخيّة، عن استخدام حكومة الولايات المتحدة التعذيب، سياسةً رسميّةً في حروبها منذ الحرب الفلبينيّة الأمريكيّة في عام 1898. وحول اضطهاد الأمريكيّين من أصول أفريقيّة، تنفي (راميش) انتهاء التعذيب ضدّهم بعد إلغاء العبوديّة في عام 1865م، بل تصفه بأنّه اتّخذ طابعاً مؤسّسياً. وتمّ وضع نظام اعتبرهم مجرمين مدانين، وبالتالي يتمّ تأجيرهم في أعمال شاقّة بلا أجر ولا أيّ حقوق. وقالت (راميش) كان يتمّ تقييد السّجناء بالسّلاسل. ويلقى عليهم القبض لا لشيء، إلّا لأنّهم أحياء يرزقون، وكانوا يُرغمون على أداء أعمال شاقّة بلا أجر<sup>(1)</sup>. واعتمدت (راميش) في تكوين وجهة نظرها على ما حدث قبل إلغاء العبودية؛ فقد وقع العبيد ضحايا لانتهاكات شنيعة على اعتبار العبودية شكلاً من أشكال التعذيب، حيث تمت ممارسات من قبيل الكي بالحديد المحمي، والضرب الوحشي، والإغتصاب. وتعتقد (راميش) أنّ الحكومة الأمريكيّة، خصّصت موارد مالية ضخمة، لدراسة التعذيب وتطوير أساليبه، بما في ذلك بناء مراكز الاحتجاز والاعتقال بشكل مثاليّ لممارسة التعذيب. وترى (راميش) أنّه قد تمّ استخدام أساليب تعذيب في الفلبين منها الإجهاد والضرب، وسُجن الكثير من الفلبينيّين في معسكرات الاعتقال، حيث ساد الاكتظاظ والجوع والأمراض. وبحسب (راميش) فإنّ أسلوب الإيهام بالغرق، الذي استعملته المخابرات الأمريكيّة في التعذيب، بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قد تمّ تطويره واستحدثه من أسلوب "العلاج المائي"، الذي استخدمه الأمريكيّون في تعذيب السّجناء الفلبينيّين.

## ج- تعريف بنشأة المواقع السّود الأمريكيّة.

يقول الكاتب الأمريكيّ والمدافع عن حقوق الانسان (لاري سيمز)، أنّ تاريخ إنشاء السّجون

1 - Ramesh, R. (2019), p.14.

السريّة الأمريكيّة، التي يُطلق عليها المواقع السّود، يعود إلى السّابع عشر من سبتمبر، بعد ستّة أيّام من الهجمات الإرهابيّة على مدينة نيويورك، والعاصمة واشنطن. ولهذا قد أصدر الرّئيس الأمريكيّ (جورج بوش الابن) أمراً توجيهياً، يخوّل بموجبه وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة، إنشاء سجون سريّة خارج الولايات المتّحدة وإدارتها<sup>(1)</sup>.

تظهر الرّغبة الأمريكيّة في القيام بعمليات الاعتقال والتّعذيب، ولكن خارج حدودها لكي تظلّ حقوق الإنسان والديمقراطيّة والحرّيّة حكرًا على المواطن الأمريكيّ والأوروبيّ فقط دون، وهو ما يعكس مبادئ الطبقية والعنصريّة، التي تخدم الفكر الرأسماليّ المتوحّش.

وقد امتدّ برنامج التّعذيب الأمريكيّ بعد الحادي عشر من سبتمبر، منذ 17 سبتمبر / أيلول 2001م حتّى يناير / كانون الثاني 2009م، حيث أصدر الرّئيس (باراك أوباما)، أمراً ينهي برامج التّعذيب التي اعتمدها سابقاً (جورج دبليو بوش)، الذي سمح بالتّعذيب للمعتقلين بعد منع تطبيق اتّفاقيات جنيف على المشتبه بهم من تنظيم القاعدة.

فيما أخفت أمريكا وجود مراكز الاعتقال والاستجواب السريّة في 54 دولة، بالتعاون مع بعض أجهزة الأمن في دول مثل بولندا، وليتوانيا، ورومانيا، وتاييلاند، ودول عربيّة وإسلاميّة أخرى<sup>(2)</sup>. وقد صدر تقرير لمجلس الشيوخ الأمريكيّ عام 2014م عن الممارسات والانتهاكات، التي قامت بها المخابرات الأمريكيّة، ومن قبلها خرجت تسريبات صحفية وتقارير لمنظّمات حقوقية، تفصح ما قامت به المخابرات الأمريكيّة في "المواقع السّود"، حيث تسربت صور مقرّزة تحاكم ضمير العالم والإنسانيّة، بالأخصّ "جوانتانامو" و"أبو غريب".

وقد تضمّن الأمر الرئاسيّ الأمريكيّ، استخدام "القوة الضّرورية" المناسبة ضدّ تلك الشّعوب، أو المنظّمات، أو الأشخاص الذين يقرّر الرّئيس أنهم خطّطوا، أو خوّلوا أحدًا للقيام بالهجمات، التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر، أو قاموا بها بأنفسهم، أو أووا تلك المنظّمات؛ وذلك لكي يمنع أيّ أعمال إرهابيّة في المستقبل على الولايات المتّحدة من أيّ جهة كانت<sup>(3)</sup>.

ويرى (لاري سيمز) أنّ جريمة الاختفاء القسريّ، مقترنة إلى حدّ كبير بجريمة التّعذيب،

1 - سيمز، ل. (2017)، ص 35.

2 - السعدي، ح. (2023)، ص 40.

3 - سيمز، ل. (2017)، ص 40.

كما يرى أنه لا يوجد مبرر لإخفاء شخص ما تحت التحقيق، أو استخدام التعذيب معه لانتزاع معلومات. يعتقد (لاري سيمز) أن السجون السرية مسألة غير شرعية، تخالف القانون الدولي. ويجب على دول العالم أن تعلن عن السجون الخاصة بها، وأن يكون للمعتقلين الحقوق في محاكمة عادلة، وفي إجراءات تقاضي قانونية، وأن يحظوا بالرعاية الصحية، ومتابعة الجمعيات الحقوقية، وأن تكون مراكز الاحتجاز، وأماكن التحقيق مناسبة، وتحقق الشروط القانونية بحسب ما اتفقت ووقعت عليه دول العالم في المعاهدات والمواثيق الدولية لحقوق الانسان، التي تدعو لمناهضة التعذيب.

وقد تعاون عدد من منظمات المجتمع المدني الأمريكي، مثل "اتحاد الحريات المدنية" في إتاحة الوثائق، التي تم نشرها عن التعذيب وقت "المواقع السود" بشكل رقمي على الانترنت، ومع ذلك فإنه لا يزال العديد من الوثائق عن عمليات التعذيب، غير واضح وغير معلن، وبحسب (لاري سيمز) فإن أغلب أشرطة الفيديو، التي توثق عمليات التعذيب، قامت المخبرات الأمريكية بإتلافها. وقد كان هناك جدال في إدارة (بوش) بين الكونغرس، والمخبرات الأمريكية، ومستشاري (بوش) للأمن القومي، ونائبه (ديك تشيني) بشأن إعلان الخطوات، التي ستتخذها المخبرات من أجل إنشاء "المواقع السود"، خارج أمريكا وعمليات التحقيق فيها.

اعتمد عملاء المخبرات الأمريكية على الأمر الرئاسي الذي أصدره (بوش) في عملهم، ولكن هذا الأمر الرئاسي لم يكن كافياً ولا منضبطاً من الناحية القانونية كما يرى (لاري سيمز)؛ لأنه كتب بصيغة فضفاضة، ولم يتم وضع ضوابط واضحة لتحديد الأعداء، أو التهديدات، أو تحديد الإجراءات التي تقوم بها المخبرات في الداخل الأمريكي وخارجه، ولذلك حرص عملاء المخبرات على إتلاف الكثير من الوثائق وعدم السماح بنشر الكثير منها، لسابق علمهم بإمكانية إلغاء الأمر الرئاسي بعد انتهاء فترة رئاسة (بوش)، وحتى لا يتعرض أحد منهم للمسائلة القانونية، أو لكي يحافظوا على سمعة المخبرات في حال تم افتضاح الأمر.

وكان (بوش) وأفراد من إدارته، مثل نائبه (ديك تشيني)، قد تحدثوا في وسائل الإعلام الأمريكية عن اتخاذ إجراءات ضرورية، قد تكون مؤلمة واستثنائية، في إشارة لعمليات التعذيب، وقد بررت إدارة (بوش) هذه السلوكيات الهمجية بأن أعضاء تنظيم القاعدة إرهابيين خطرين، ولديهم القدرة على الكذب في التحقيقات وعدم إعطاء أي معلومات تفيد التحقيق.



## ■ المحور الثاني: التعذيب والانتهاكات في سجن "جوانتانامو" و"أبو غريب"

حدثت في هذين المعتقلين كل أنواع الانتهاكات لحقوق الإنسان من ضرب وإهانة وتعذيب، منها أشياء نفسية وجسدية، وصلت حدّ إهانة المقدّسات وتدنيس المصحف الشريف، واستجواب لساعات طويلة، وعدم السماح بالنوم، والحرمان من الطّعام، والحرمان من الملابس والأغطية، وقد استحدثت أمريكا وسائل تعذيب جديدة، فالأمر غير مقتصر على التعليق والصّعق بالكهرباء مثل الإيهام بالغرق. ولم تقتصر الاعتداءات على الجوانب النفسية والبدنية فقط، بل امتدّت إلى اعتداءات جنسية، من التّسجيلات التي منعت السّلطات الأمريكيّة، نشرها اعتداءات جنسية على أطفال عراقيين في سجن "أبو غريب".

فقد نقل (الفتلاوي) وقائع مماثلة؛ ففي العاشر من مايو / أيار عام 2004م، نشرت جريدة "نيويورك تايمز" مقالاً للكاتب (سيمور هيرش) بعد مشاهدته شريط فيديو حول تعذيب الأطفال. ومنعت السّلطات الأمريكيّة عرض الفيلم أو عرض الصّور. واحتوى الشريط على مشاهد لجنود الاحتلال، يلطون بالأولاد والكاميرا تقوم بالتصوير، وكان أسوأ جزء من المشاهد، هو تلك الأصوات الصّاخبة التي كانت تصاحب عمليّات الاغتصاب، إنّها صرخات الأولاد خلال اللّواط بهم.

### أ- أساليب التعذيب في المواقع السود الأمريكية

● الإيهام بالغرق: هذا الأسلوب في التعذيب، يمكن أن يتسبّب في تشنّجات وقيء. يتم صبّ الماء بشكل قسريّ في فم المعتقل وأنفه مع تقييده، أو غمره بالماء حتّى يشعر بقرب الموت، وهذا الأسلوب تمّ استعماله قديماً، ولكن أمريكا قامت بتطويره من خلال متخصصين نفسيين لاستخدامه في "المواقع السود".

- خفض الحرارة: يتمّ وضع المعتقلين في أحواض مليئة بالماء المثلج.
- النّوم والعزل: الاستيقاظ القسريّ لمُدّد تصل إلى 180 ساعة، في وضعيّة الوقوف مع تقييد الأيدي في بعض الأحيان. ومن وسائل التعذيب أيضاً، ترك السّجناء وسط ظلام تامّ في زنازين معزولة لفترات طويلة، واستعمال الموسيقى أو الضّجيج.
- التّهديد والاستفزاز: تمّ تخويف السّجناء بأدوات حديدية، وتهديدهم بالضّرب أو كسر الأعضاء، أو إحداث إصابات بالغة، وبالاعتصاب، والتّهديد بإلحاق الأذى بعائلاتهم، والتّهديد

بالقتل. واستفزاز المعتقلين بالسخرية، والإساءة للمعتقدات والمقدسات الإسلامية، والتهديد بتمزيق وتدنيس المصحف مثل إلقائه في القذارة، والاستفزاز برائحة الخمر المحرّم.

● الإذلال: كان السُّجناء يمشون عراة خارج زنازينهم، مع الضرب والإهانات، والصّنع الشّدِيد، وعدم السّماح لهم باستعمال دورات المياه، واستعمال الحفاضات.

● الإجهاد: إجبار المعتقلين على الجلوس أو الوقوف في وضعيات متعبة ومرهقة جسدياً، مثل وضع عصا خلف ركبة السّجين عندما يجثو على ركبتيه، والتقييد بالحبال أو الجنازير، والحرمان من الطّعام والشّراب، أو تقديمه بكميّات قليلة جدّاً. التعلّق لساعات طويلة في باب أو سقف، ويكون هذا التعلّق مؤلماً للغاية، إذا تمّ في عضو من الجسم مثل الذّراع أو القدم، ممّا قد يتسبّب بخلع أو كسور في العظام، واستعمال وضعيّة أشبه بالدّجاجة على سيخ الشّوي مع الضّرب أو الصّعق بالكهرباء.

● التّغذية القسريّة: وضع أنبوب داخل الشّرج، مرتبط بطعام مهروس وضخّه داخل الجسم. ● التّخويف باستخدام الحشرات والكلاب: يتمّ وضع السّجين وسط كمّيّة كبيرة من الحشرات، مثل البعوض والصّراصير، واستعمال الكلاب المفترسة لتخويف الأسرى.

● الاعتداءات الجنسيّة: الاغتصاب والشّدوذ الجنسيّ أو التّهديد به، تمّ التّحرّش بالسُّجناء سواء كان الجنود رجالاً أم نساء، الإجبار على مشاهدة موادّ إباحية، إيذاء الأعضاء التّناسليّة للسّجناء وأحياناً صعقها بالكهرباء، التّمرّ والسّخرية الجنسيّة من السّجناء، مشاهدة المجنّات لأعضائهم وهم عراة، وإجبار السّجناء على الاستمناة، وكان أحياناً يتمّ اللّجوء إلى وضع عصا صغيرة في مؤخرات السّجناء.

### ب- التّعذيب والانتهاكات في سجن "جوانتانامو".

معتقل "جوانتانامو" في كوبا، يقع في منطقة خليج "جوانتانامو" على مساحة 45 ميلاً مربعاً، يبعد عن الحدود الأمريكيّة حوالي 90 ميلاً، قامت الحكومة الأمريكيّة باستئجارها من كوبا منذ أكثر من 100 عام، والحكومة الكويبيّة الحاليّة تعتبر التّواجد الأمريكيّ غير شرعيّ.

يروى (معظم بيع) البريطانيّ من أصول باكستانيّة، والمعتقل السّابق في "جوانتانامو"، في كتابه "عدوّ محارب"، رحلة مسلم بريطانيّ إلى معتقل "جوانتانامو" ذهاباً وإياباً، قصّته والأحداث

التي عايشها والأشخاص الذين التقى بهم، والمعاناة والانتهاكات التي رآها، وسمع عنها خلال رحلته الطويلة.

وفي سياق حديثه عن معتقل "جوانتانامو"، بعد القبض عليه من شقته في باكستان، ثم نقله إلى سجن "باجرام" في أفغانستان، روى (معظم بيچ) كيف أن التحقيق لم يكن قانونياً، وملفقا، حيث لم يكن معه أيّ محام سوى شخص قام الجيش الأمريكي بتعيينه فيما بعد، وعندما واجه المحققين وجد سلسلة من الاعترافات مكتوبة، وطلب منه المحققين التوقيع عليها، وقد اندهش (معظم) من هذه الافتراءات، حيث أنه لم يقم بهذه الأفعال، ولم يرتكب هذه الجرائم، وعندما اعترض على المحقق، هددوه بالإعدام أو بالسجن فترات طويلة، أو بالإعدام بعد السجن فترات طويلة.

تمّ وضع (معظم) في الحبس الإنفرادي لمدد طويلة، وقد قدّم شكاوى عديدة، وطلب من إدارة السجن توفير لقاء له مع أحد رجال الدين الإسلامي، ولكن طلبه قوبل بالرفض، وكان يتمّ استبداله ببعض الأطباء النفسيين، وأثناء حوار (معظم) مع إحدى الطبيبات النفسيات قالت له: "إن هذا المعتقل في يوم من الأيام سيتحوّل إلى متحف للتعذيب، مثل معتقلات التعذيب اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية". ويصف هذه الطيبة بأنها لم تكن فخورة بأمريكا. ويروي (معظم) عن حوار مع أحد الجنود في السجن، ويُدعى (ميسادور) وقد حكى له (معظم) عن اعتقاله ورحلته من باجرام إلى "جوانتانامو" بقوله: "تبّاً يا (معظم)، إن لم تكونوا إرهابيين جميعاً قبل قدومكم إلى هذا المكان، فستصبحون كذلك ما إن تغادروه، بسبب الطريقة التي عوملتم بها"<sup>(1)</sup>.

وكان (ميسادور) قد أخبر (معظم) عن الهرم البشري، الذي استعمله الجنود في سجن "أبو غريب"، وهو عبارة عن مجموعة من السجناء يتمّ تعريتهم ووضعهم فوق بعض على شكل هرم. وقد أشار (معظم) إلى السخرية من الشّعائر الإسلاميّة، حيث كان بعض الجنود الأمريكيين يحاولون تقليد صوت الأذان بطريقة ساخرة، وبعضهم كان يعطي معلومات مضللة عن اتجاه قبلة الصلاة، وفي رمضان كانوا يعطون مواعيد مغلوطة عن توقيت الصيام والإفطار.

وكان (معظم) بسبب جنسيته البريطانيّة يحظى بمعاملة طيبة في "جوانتانامو"، بعكس باقي الجنسيات العربيّة والإسلاميّة، وكانت هناك مفاوضات بين الحكومة البريطانيّة والحكومة

1 - بيچ، م. (2008)، ص 297.

الأمريكية، لإطلاق سراح 5 بريطانيين بينهم (معظم)<sup>(1)</sup>. وذكر (معظم) أنّ بعض السُّجناء، كانوا لا يحصلون على ملاءات مثلهم، تسترهم وقت قضاء الحاجة، وقد شعر بالأسف الشديد لأنّ أولئك المعتقلين كانوا يقضون حاجتهم أمام أعين الحراس. ويصف (معظم) قوّة التّدخل السّريع، وهي مجموعة من الجنود، ترتدي خوذة الصدر والكواحل، ودروع ضخمة، ومهمّتها معاقبة أيّ مسجون يخرج عن النّظام وتعليمات السّجن. وكانوا يحرصون على تصوير كلّ عمليّاتهم وكان يتمّ تهديد المعتقلين بهذه القوّة. ويروي (معظم) واقعة مهينة لأحد المعتقلين، لمّا أعطاه الجنود قطعة صابون للإغتسال بعد الحمام، ولكنّه أراد الاستحمام فلم يُعد لوح الصّابون، فتدخلت هذه القوّة وتمّ ضربه بعنف حتّى سالت منه الدّماء.

### 1. حالة (أبو زبيدة)

أصدر "مركز السياسات والبحوث" بجامعة "سيتون هول" الأمريكيّة تقريراً، عن حالة المعتقل الفلسطينيّ في جوانتانامو (أبو زبيدة). أعدّ التقرير البروفيسور (مارك دينبو) الأستاذ بالجامعة ومدير المركز، ومحام لعدد من المعتقلين بـ"جوانتانامو"، منهم المعتقل الشّهير (أبو زبيدة). اشترك مع البروفيسور (دينبو) بعض الباحثين والمتخصّصين في التقرير، الذي أعدّه عن التعذيب وانتهاكات مكتب التّحقيقات الفيدراليّة، ووكالة الاستخبارات المركزيّة في معتقل "جوانتانامو". تمّ اعتقال (أبو زبيدة) في باكستان في شهر مارس / آذار 2002م، اسمه الحقيقيّ (زين العابدين محمّد حسين)، فلسطينيّ الأصل مولود في السّعودية. أورد التقرير معاناة (أبو زبيدة)، وتضمّن ما قدّمه، أكثر الروايات شمولاً وتفصيلاً حتّى الآن، عن التعذيب في المعتقل. رسم نحو 40 لوحة تؤرّخ التعذيب، الذي تعرّض له وزملاءه بين عامي 2002م و2006م. وهو أقدم معتقل في "جوانتانامو"، وأوّل من تمّ تطبيق برنامج التعذيب الأمريكيّ عليه. ولقد اعترف المسؤولون في وكالة الاستخبارات المركزيّة، ومكتب التّحقيقات الفيدراليّة المتسبّبين في عمليّات التعذيب، أنّ ما حدث كان نتيجة خطأ في تحديد الهوية، ومع ذلك لا يزال رهن الاعتقال، ولم توجه إليه أيّ تهمّة حتّى يومنا هذا<sup>(2)</sup>.

1 - بييج، م. (2008)، ص 343.

2 - Denbeaux, M. (2023) p2.

وقد روى (أبو زبيدة) للجنة الصليب الأحمر، ظروف معاملته السيئة داخل السجن، حيث كان في زنزانه صغيرة، ثم تم نقله إلى كرسيّ قبع فيه، مقيّد اليدين والساقين مدة أسبوعين إلى ثلاثة، فقط سمحوا له بدلو لقضاء حاجته، اشتكى لـ (أبو زبيدة) للصليب الأحمر من قلة الطعام الذي يقدّم له وردائه، ومن برودة الزنزانه، ومن صوت الموسيقى والضجيج العالي، ولم يكن يُسمح له بالنوم، وكان الحراس يرشّون عليه الماء البارد لإبقائه مستيقظاً، وتركوه عارياً لمدة شهرين أو شهر ونصف. وبعد شهرين أو ثلاثة بدأ برنامج التعذيب الحقيقي. أظهر التقرير الذي أعده البروفيسور (دينبو) بعض رسومات أبو زبيدة التي تحاكي طرق تعذيبه<sup>(1)</sup>.

● وقد أوضح التقرير انتهاكات جسيمة من خلال الرسومات، مثل الرّسمة الأولى حيث كان (أبو زبيدة) جالساً في صندوق صغير أشبه بالتأبوت، ومكبّل الأيدي والقدمين وهو عار.  
● الرّسمة الثّانية التي نشرت لـ (أبو زبيدة) كانت وهو مقيّد اليدين والقدمين، وممدّد على ظهره أو بطنه، وقوده مشدودة إلى قضبان الزنزانه، وكان من دون ملابس، ومن دون فرش. عانى (أبو زبيدة) من درجة حرارة الزنزانه الإسمتيّة التي وصلت إلى درجة التجمّد، وفي بعض الأحيان كانوا يضعون كيساً أو صندوقاً صغيراً يغطّي رأسه، ويتركونه مدة طويلة في هذه الوضعيات المجهدّة. وكان مصاباً عند اعتقاله بطلقات في الفخذ وفي الخصية، ولديه إصابات في القدم والساق، بسبب عمليّة اعتقاله ونقله من باكستان إلى مواقع سود أخرى، قبل وصوله إلى "جوانتانامو"، بالإضافة إلى ما يسببه ألم القيود والأصفاد، والوضعيات المجهدّة.

● الصّورة الثّالثة توضح (أبو زبيدة) معلقاً، حيث يتمّ تقييده من يديه، وشده بعد رفعه عن الأرض، بحيث يتمّ رفع يديه إلى الأعلى وهي مقيدة، ثمّ ربط يديه مقيدتين في أحد القضبان، ثمّ يترك متدلياً مرفوعاً عن الأرض، ممّا يسبب آلاماً مبرحة في الذّراعين مع تركه لوقت طويل.  
● الصّورة الرّابعة (أبو زبيدة) مقيّداً، ومربوطاً على سرير، ويتمّ صبّ الماء المندفّع بشدّة على وجهه.

● الصّورة الخامسة لـ (أبو زبيدة) مقيّد اليدين والقدمين، ويتمّ خنقه بفوطة حول عنقه، وأحد الحراس يضرب رأسه في الجدار بشدّة.

● الصّورة السادسة "أبو زبيدة" جالس على كرسيّ، مقيّد اليدين والقدمين، وفي بعض الأحيان

1 - Denbeaux , M. (2023) p6.

- كانوا يغطون رأسه بكيس من القماش .
- الصورة السابعة توضح تعليق (أبو زبيدة)، وشدّ قدميه وذراعيه بالسلاسل الحديدية بقوة، وتركه لأيام أو أسابيع وهو عار، ويقضي حاجته في نفس مكانه.
  - الصورة الثامنة (أبو زبيدة) مقيد اليدين والقدمين، ومحشور في صندوق صغير، لا يمكنه فيه رفع جسده، ولا يمكنه الوقوف، فإما يكون نائماً أو منحنيًا في وضعيّة السجود.
  - الصورة التاسعة تظهر تهديد بالاعتصاب لـ (أبو زبيدة)، وقد جثا على قدميه وركبتيه، بينما يتمّ ضربه بعصا على مؤخرته، أو وضع العصا داخل المؤخرة.
  - الصورة العاشرة يمكن وصفها بالدوامة، وهي مزيج رهيب من أساليب التعذيب المختلفة بشكل مستمرّ، حيث تمّ استعمال التقييد، مع البرد الشديد، مع إطلاق بعض الحشرات مثل العقارب، مع استعمال الموسيقى والضجيج، مع تركه عارياً، ورشه بالماء، مع السباب والإهانات الجنسيّة.
  - الصورة الحادية عشرة توضح تعرّض (أبو زبيدة) للبرد الشديد، حيث يتمّ رشه بالماء عن طريق خرطوم، مع استعمال مكيفات ليشعر بالبرد الشديد حتّى التجمّد مع تركه عارياً.
  - الصورة الخامسة عشرة تظهر (أبو زبيدة) مستلقياً على ظهره داخل حوض، ومغمور تماماً بالماء، مع استمرار سكب الماء وخنقه، وإغلاق الصندوق.
  - الصورة السادسة عشرة توضح بعض الحشرات والزواحف في زنزانه مثل العقارب والصرّاصير، وهذه الطريفة تهدف لإخافة المعتقلين.
  - الصورة السابعة عشرة توضح (أبو زبيدة) في صندوق صغير، أقلّ من طول قامته، وهو جالس ومقيد بداخله، والحراس يقومون بدفع الصندوق، وضربه من الخارج، وداخل الصندوق دلو ليقتضي حاجته فيه، ومع هذه الحركة والضرب يسقط البول داخل الصندوق على أبو زبيدة.
  - الصورة التاسعة عشرة توضح الإيهام بالغرق، عندما يوضع في حوض ويتمّ غمر كامل جسده بالماء، وقد تعرّض "أبو زبيدة" للإيهام بالغرق أكثر من 80 مرة.
  - الصورة الثالثة والعشرون توضح (أبو زبيدة) وهو مقيد، ووضع كيس من القماش حول وجهه، مع توصيل سماعة بأذنه مع موسيقى صاخبة متواصلة.
  - الصورة السابعة والثلاثون توضح إيذاء العضو التناسليّ (أبو زبيدة)، حيث كان ممدداً على

ظهره، ومقيّداً من يديه وقدميه بالأصفاد، والحراس يقومون بإيذائه جنسياً بجرح، أو التّهديد بقطع العضو.

● الصّورة الثامنة والثلاثون تظهر (أبو زبيدة) والحراس يقومون بحلق لحيته بشكل قسريّ، والتي تعتبر في معتقده من العادات الدّينيّة، وهو يستغيث من الحراس ويطلب عدم حلق لحيته، فيرد الحراس بإهانة المقدّسات والمعتقدات الإسلاميّة.

● الصّورة التاسعة والثلاثون توضح ركل الجنود للمصحف الشّريف أثناء تفتيش زنزانتة.

## 2. حالة "محمّدو ولد صلاح"ي

كما نشر الموريتاني (محمّدو ولد صلاح)ي المسجون السّابق في "جوانتانامو" عام 2015م، كتاباً عن الفظائع التي تعرّض لها أثناء احتجازه في المعتقل، ونشر الكتاب تحت عنوان "يوميات جوانتانامو"، ذكر فيها رحلته التي بدأت في موريتانيا موطنه، ومرّت بالأردن وأفغانستان قبل أن يُنقل إلى كوبا، وما صاحبها من عمليّات تحقيق وانتهاكات. حرّر الكتاب الكاتب الأمريكيّ (لاري سيمز). "يوميات جوانتانامو" هو العمل الأوّل من نوعه، لأنّ مؤلّف الكتاب كان وقتها مازال سجيناً خلف القضبان، وقد كتبه (صلاح)ي في زنزانتة عام 2005م بخطّ اليد، واحتاج محاميه إلى سبعة أعوام من المفاوضات، قبل أن يحصل على موافقة لنشره بعد عناء طويل، وكانت وزارة الدّفاع الأمريكيّة قد قرّرت، حذف بعض المقاطع من شهادات (صلاح)ي قبل نشره بعد الموافقة الأمنيّة.

و(صلاح)ي مهندس إلكترونيّات، مسجون في "جوانتانامو" منذ عام 2002م، بتهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة، وتجنيد ثلاثة من المشاركين بهجمات 11 سبتمبر. وتحوّلت قصّة (محمّدو ولد صلاح)ي لفيلم سينمائيّ بعنوان الموريتانيّ.

لم يوجّه القضاء الأمريكيّ اتّهامات رسميّة لـ (ولد صلاح)ي، وهذا دليل جديد على العدالة الأمريكيّة المزعومة. أكّد محامي (ولد صلاح)ي أنّ ملفّه ليس فيه، إلّا أدلّة بسيطة ضدّ موكله، ونفى (صلاح)ي الاتّهامات والجرائم المنسوبة إليه، وإن كان أقرّ سفره إلى أفغانستان، للقتال فيها مطلع العقد الثّاسع من القرن الماضي ضدّ القوّات السّوفيّتيّة. انضمّ (صلاح)ي إلى القاعدة عام 1991م، إلّا أنّه تركه بعد فترة قصيرة.

روى (ولد صلاحى) في كتابه، معاناته مع التعذيب بكل أنواعه، واشتكى سوء المعاملة، وحينما زاره الطبيب في إحدى المرات اشتكى له الحرمان من الدواء. فقد كان يعاني من آلام الظهر، وآلام في العصب الوركي، وانخفاض ضغط الدم. وكانت جلسات التحقيق في موعد أخذ الدواء. وأوضح له الطبيب أنه ليس صاحب سلطة، ولكنه سيرفع تقريراً بحالته، ولكن لم تتحسن حالته بل ساءت.

ومما ورد في الكتاب: "كان التعذيب يزداد يوماً بعد يوم، واشترك الحراس فيه بنشاط، كان (...) <sup>(1)</sup> يخبرهم ماذا عليهم أن يفعلوا بالمعتقلين، عند إعادتهم من التحقيق إلى المبنى الذي يحرسونه. كان الحراس الذين يحرسونني يقرعون باب الزنزانة بقوة بهدف حرمانني من النوم، وكانوا يلعنونني من دون سبب، و يوقظونني من النوم مراراً، إن لم يكن لديهم قرار من المحققين بتركي أخذ قسطاً من الراحة" <sup>(2)</sup>.

روى (صلاحى) في كتابه عن الانتهاكات الجنسية، التي حدثت له من الحراس والمحققين رجالاً ونساء. فيما عانى (صلاحى) من السخرية والاستهزاء بالمعتقدات الإسلامية؛ حيث تم حرمانه من الصلاة أكثر من مرة، والاستهزاء بالصلاة الإسلامية وبعثها بالقذارة، بل وحرمانه من الصيام أيضاً.

### 3. حالة (مروان الجبور)

روى (مروان الجبور) المعتقل السابق في "جوانتانامو"، لمنظمة "هيومن رايتس ووتش" شهادته عن اعتقاله وتعذيبه، وهو فلسطيني الأصل. في بداية اعتقاله كان يتم نقله من زنزانه لغرفة التحقيق عارياً تماماً مع صفعه أحياناً، والتحقيق معه لساعات طويلة. عانى (مروان) سوء المعاملة المعتاد من نقص الطعام وردائه، إلى غير ذلك من أساليب معروفة مثل الضجيج والصخب، والوضعيات المجهددة، والنوم في الظلام الدامس أو الحرمان من النوم. وقال الجبور لـ "هيومن رايتس ووتش"، إنّ رجليه ظلّتا في الأصفاد مدة عام ونصف العام. وطوال هذه الفترة لم يكن يستطيع السير، إلّا بخطى قصيرة لأنّ السلسلة التي تربط بين كاحليه، كان طولها حوالي 75 سم. وعندما كانوا يخرجونه من الزنزانة ليأخذوه إلى غرفة أخرى

1 - محذوف في النسخة الأصلية، اسم أحد المحققين او مسؤول عن التعذيب.

2 - ولد صلاحى، م. (2015)، ص 252.



للاستجواب، كانوا يعصبون عينيه<sup>(1)</sup>.

وأورد الكاتب الأمريكيّ (لاري سيمز)، في كتابه "تقرير التعذيب" الرأى الذي أصدرته القاضية الفيدرالية (جلاديس كيسلر) في نوفمبر 2009م، بشأن الالتماس المقدم من المعتقل السابق في جوانتانامو (فرحي سيد بن محمد)، تأمر بموجبه الحكومة باتخاذ جميع الخطوات الدبلوماسية المناسبة والضرورية؛ لتسهيل إخلاء سبيل مقدم الالتماس فوراً<sup>(2)</sup>.

### ج- التعذيب والانتهاكات في سجن "أبو غريب".

نشرت مجلة "المستقبل العربي"، الصادرة عن "مركز دراسات الوحدة العربية" في عددها رقم 346 ديسمبر / أيلول 2007م، مقابلة مع الحاج (عليّ القيسيّ) كشهادة حيّة على التعذيب في سجن "أبو غريب"، وقد أجرى الحوار الأكاديميّ الباحث العراقيّ الدكتور (عبد الحسين شعبان).

#### 1. حالة (عليّ القيسيّ).

قال (عليّ القيسيّ) عند سؤاله عن أسباب ومناجع العنف، إنّ شخصاً عنده خمسة وسبعون سنة لا يكتفون بسحبه من لحيته، ولكن يجبرونه على ارتداء ملابس البحر، ويشغلون له الموسيقى الصاخبة، ويحضرون كاميرات ويركّزونها عليه، وعندما يرفض أن يرقص يصنعون له فيلماً مفرّجاً عن طريق المونتاج كأنه كان يرقص، ويعرضون هذه المشاهد على أقاربه وعائلته وبينهم نساء. وعندما يُطلب من معتقل ممارسة الجنس مع مجنّدة، ويرفض فيتمّ اغتصابه من المجنّدة. وامرأة يتمّ اغتصابها أمام عشرة أو خمسة عشر رجلاً، فهذا هو مولّد العنف الحقيقيّ. كيف يستطيع أيّ شخص أن يتحكّم في كميّة السخّط والغضب بداخله، أو أن يسامح المتسبّب في ذلك. وعمّا تعرّض له بشكل شخصيّ، أفاد (عليّ القيسيّ) أنّه كان في شهر رمضان وسمع الحراس ينادون على اسمه، وقيدوا يديه خلف ظهره، وربطوا قدميه بسلسلة، ووضعوا كيساً في رأسه، وصعدوا به إلى السيّارة، ثمّ ذهبوا به الى مكان آخر، وأجبروه على الحركة، وكان هناك أصوات أناس تستغيث وكلاب تنبح، ثمّ جردوه من ملابسه كلّها عنوة، ولم يكن يستطيع الحركة بسبب الآلام،

1 - هيومن رايتس ووتش (2007)، ص 16.

2 - سيمز، ل. (2017)، ص 123.

فضربوه بكعوب البنادق والأحذية، لينقلوه عبر درج إلى غرفة التحقيق، فكان يزحف على ركبتيه أحياناً، مع تشغيل موسيقى صاحبة وسط إهانات وتهديدات، وكان الكيس يغطي رأسه، ورموا عليه الأوساخ والقاذورات، وكانوا يكتبون على جسمه عبارات مهينة، ويرمونّه بالماء البارد في شهر يناير. وحينما وصل عند المحقق هدده وتوعده بمزيد من التعذيب، وكلّ يوم يكرّرون نفس الأسئلة بحثاً عن اعترافات، أو معلومات عن أشخاص مطلوبين للاحتلال.

ويصف (عليّ القيسيّ) "حفلة الاستقبال" في السجن كما يُطلقون عليها بقوله: "بقيت على هذه الوضعية ثلاثة أيام من دون طعام نهائياً، وكانوا يحرصون دوماً على رميّ بالماء، وبثّ الأصوات في أذنيّ، ولقد وصلت إلى مرحلة من الإنهاك والتعب، لدرجة صرت فيها على استعداد للنوم حتّى وأنا واقف، لكن لم يكونوا يسمحون حتّى بذلك، ولم يكن مسموح لنا بقضاء حاجتنا"<sup>(1)</sup>.

(عليّ القيسيّ) هو صاحب أشهر صورة لمعتقل في أبو غريب، عندما كان يتمّ صعقه بالكهرباء، وهو واقف على صندوق، ووجهه مغطّى ببطانية. تلك الصورة أصبحت رمزاً على التعذيب والإجرام الأمريكيّ والغربيّ. ويقول (عليّ القيسيّ) كنت مازلت أقف على الحائط، وقال لي الجنديّ ستقف على هذا الكرتون، الكرتون وهو صندوق وزنه 25 كيلو غراماً، كان يستخدمه الأمريكيّ للتعذيب أحياناً، بحيث يجبرون السجنين على رفعه لمدة يوم كامل، قال له الجنديّ ستقف على الكرتون، إن لم تعترف سنصعقك بالكهرباء فتسقط من على الكرتون، وسنكرّر العملية حتّى تعترف، أو تموت مصعوقاً بالكهرباء، وأحدث التعذيب إصابات خطيرة في (عليّ القيسيّ)، بل إنه حُرّم من العلاج لأنّهم يستخدمون الإصابة في التعذيب أيضاً، مثل أن يدوس الجنديّ قدمه على مكان الجرح، بل أحياناً كان الأطباء يشاركون في التعذيب"<sup>(2)</sup>.

وعن أوضاع السجنين قال (عليّ القيسيّ): "كانت زنازين النساء في مقابل زنازين الرجال، وكانت المعاملة نفسها، وكان الرجال يسمعون أصوات استغااثات النساء، وكانوا يجبرون أحد الرجال أن يذهب للنساء بالطعام وهو عار تماماً. وقد حدثت حالات اغتصاب كثيرة في سجن "أبو غريب"، وبعض من السجنين أقدمن على الانتحار خوفاً من جلب العار لمجتمعهنّ القبليّ، وربما تمّ قتل بعضهنّ من عائلتهنّ خوفاً من الفضيحة".

1 - شعبان، ع. ح. (2007)، ص 103.

2 - المصدر نفسه، ص 111.

## 2. حالة (خالد المقطري).

برز اسم اليمينيّ (خالد المقطريّ) كأحد ضحايا التعذيب في "أبو غريب"، نشرت "منظمة العفو الدوليّة" تقريراً عن حالته وعن التعذيب الذي تعرّض له داخل السّجن. ويقول (المقطري) بعد القبض عليه اقتادوه لغرفة التعذيب، وهي غرفة ضيقة أرضيتها مغطّاة دوماً بالماء، واعتدوا عليه بالضرب أكثر من مرّة بالعصيّ وباللكمات، واستخدموا موسيقى صاخبة. وتمّ إجباره على الوقوف أمام مكيف هواء قويّ وبدأوا بسكب الماء البارد على رأسه بين الحين والآخر، وأعطوه صندوقاً ثقيلاً وأجبروه على حمله، وبالطبع لم يستطع، فكانوا يضربونه بشدّة. واستمرّ التعذيب باستخدام بكرّة لتنزيله ورفعته فوق صندوق فيه ماء، مع ربطه بسلسلة تتدلّى من سقف الغرفة. وقال (خالد المقطري) أنه أثناء التعذيب استخدمه أحد المحقّقين ككرسيّ للقدمين، حيث جلس على كرسيّ مجاور ووضع قدميه على رأس خالد أو ظهره، وأطفا ذات مرّة لفاقة تبغ في كتبه<sup>(1)</sup>.

تساءلت (أوليفر) كيف استطاعت البنات في أبو غريب هتك عرض الرّجال؟! هذا هو الجزء الغريب في المعادلة بنات يهتكن عرض رجال، ليس هذا هو المعتاد. أمانا الآن خلطة معقّدة من العنف العنصريّ والجنسيّ، موجّه للرّجال المحتجزين العراقيين الذين يُعاملون كالكلاب<sup>(2)</sup>. وتتساءل (أوليفر) ماذا نرى عندما نشاهد الصّور القادمة من "أبو غريب"؟! إنّ الصّور تعرض بوضوح السلوك الاستعماريّ لأمريكا في العراق، حيث تظهر الأجساد الذكوريّة السّمراء حال الاعتداء عليها، وشابّات بيضاوات يبتسمن ويرفعن إبهامهن.

## ■ المبحث الثالث: ادّعاءات السياسة الأمريكيّة الكاذبة وتناقضاتها

أ- نماذج لشهادات بعض الجنود والمحقّقين السابقين في المواقع السود.  
أصدر (إيريك سار) الجندي السابق والمترجم في معتقل "جوانتانامو"، بالاشتراك مع الصّحفية البارزة (فيفيكا نوفاك)، كتاباً بعنوان "داخل الأسلاك الشائكة"، احتوى الكتاب تفاصيل مروّعة عن الانتهاكات والتعذيب والاعتداءات الجنسيّة ضدّ السّجناء، وبدأ (سار) عمله كمترجم في

1 - منظمة العفو الدوليّة (2008)، ص 8.

2 - كيللي، أ. (2011)، ص 6.

زنايات المعتقلين في ديسمبر / كانون الأول 2002م، ثم انتقل للعمل كمترجم أيضاً في عمليات التحقيق حتى يونيو 2003م.

وصرح (إيريك سار) في مقابلات إعلامية<sup>(1)</sup>، بأن الجيش الأمريكي تجاهل بشكل متعمد اتفاقيات جنيف، بل إن الجنود قد مارسوا التضييل للتغطية على التعذيب، حيث تمت عمليات تحقيق وهمية عند الزيارات أو التفتيش.

وأضاف (سار) أن غالبية السُجناء، لم يمتلكوا معلومات استخباراتية مهمة، ولم تكن لديهم علاقات أو اتصالات بجماعات إرهابية، وأبدى (إيريك سار) تخوفه من الصورة السيئة، التي ستؤثر بكل تأكيد على سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقتها بالمسلمين في العالم، وقال إنه يشعر بتناقض الإدارة الأمريكية بين ادعاءات نشر الديمقراطية في العالم، وانتهاكات جسيمة غير مسبوقه بحق المعتقلين في "جوانتانامو".

وذكرت (كيللي أوليفر) في كتابها "النساء أسلحة حربية"، أن مخطوطة كتاب (إيريك سار)، كان تحت يد البنتاغون قبل طباعته عام 2005م، وتم تسريب بعض صفحاته؛ وتصف كيف كانت تستجوب المحققات المعتقلين، باستخدام أساليب مثل اللمس الجنسي، والملابس المثيرة، ودم الحيض الكاذب لكسر السُجناء المسلمين بجعلهم غير طاهرين، ومن ثم غير قادرين على الصلاة. وذكرت (أوليفر) بخصوص المجنّدة (ليندي انجلاند) وشريكها (شارلز جرانر)، وهما أصحاب أشهر صور التعذيب في أبو غريب. (جرانر) صاحب فكرة الهرم البشري، و(ليندي) صاحبة صورة المعتقل الذي يمشي على يديه وقدميه، وفي رقبته طوق كلب وهي تمسك به، وتبتسم بينما يصورها (جرانر).

نقلت (أوليفر) أنّ (جرانر)، قال إنّ (اينجلاند) كانت تنفذ الأوامر فقط، وأنّ قوّة الإكراه التي استخدمتها كانت مشروعة، عبر القاضي عن استيائه لإقرار (اينجلاند) بأنها مذنبه، بعد أن قالت أنها كانت تظنّ صورة حزام الكلب شيئاً مقبولاً، بقولها: "ليس صواباً أن تضع حزام كلب حول عنق إنسان، وتأمّره أن يزحف"<sup>(2)</sup>.

1 - نشرتها الجارديان البريطانية: <https://www.theguardian.com/world/2005/may/08/usa.guan-tanamo>

tanamo، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 1/1/2024

2 - أوليفر، ك. (2011)، ص 185.

فيما لم يكن (تشارلز جرانر) وحده مع المجرمة (ليندي انجلاند)، بل كانت معهم شريكته المجنّدة السّابقة (ميجان امبول)، ضمن فريق التّعذيب في سجن أبو غريب، وقد اعترفت (ميجان) بأنّ المسؤولين عن الاستجواب كانوا يحثّونها هي وباقي النّساء العاملات في السّجن، على السّخريّة من المعتقلين العراقيين، وهم عراة بالإشارة إلى أعضائهم التناسليّة.

### ب- تناقض العدالة والسياسة الأمريكيّة

قامت تظاهرات احتجاجيّة على مستوى العالم تنديداً بفظائع الاحتلال الأمريكيّ، ظهرت فيها صور سجناء عراقيين يتعرّضون للإذلال والتّعذيب، وبعضهم تحت تهديد السّلاح من الجنود الأمريكيين في سجن "أبو غريب"، وتمّ فتح التحقيق مع المطالبات الدّوليّة وضغوط الجمعيات الحقوقية. والعجيب أنّ أعمالاً بهذه القسوة والفظاعة، يتمّ تحميل مسؤوليتها فقط لسبعة أفراد من الشّركة العسكريّة، في حين أنّ هذه الأعمال تحتاج لتخطيط ودراسة، والأهمّ إذن من مسؤولين كبار بالقيام بذلك. وقد يرى البعض أنّ هذه العقوبات غير كافية لهؤلاء الجنود المجرمين، وربّما غير رادعة، وقد تتكرّر في المستقبل، أو ربّما كانت مستمرة لأنّ نهج الغطوسة الأمريكيّة لم يتغيّر في السّاحة الدّوليّة. وأمّا الضحايا فلم يحصلوا على أيّ تعويض، سوى اعتراف ضئيل من الحكومة الأمريكيّة.

وقد جرت تحقيقات أمام القضاء الأمريكيّ جرى فيها تقديم رتب صغيرة، وليس المسؤولين الكبار الحقيقيين، وتحجّجت الإدارة الأمريكيّة أنّ التّعذيب حالات فردية، وليست استراتيجية عامّة. تمّت محاكمة وإدانة سبعة عسكريين فقط من حراس السّجن، ثمّ تسريحهم وإدانتهم بالسّجن. كما تمّ توبيخ العميد (جانيس كارينسكي) المسؤولة عن سجن "أبو غريب"، وتخفيض رتبها إلى عقيد. (جانيس كارينسكي) بدورها كانت أقرّت بأنّها شاهدت بعينها مذكرة مشدّدة موقّعة، من قبل وزير الدّفاع الأمريكيّ حينها، تُلزم مسؤولي السّجن باستخدام القسوة مع معتقلي "أبو غريب".

وزير الدّفاع وقتها (دونالد رامسفيلد)، كان قد زار السّجن في بغداد، والتقط الصّور مع الجنود ليعطي رسالة للشّعب الأمريكيّ، أنّنا هنا من أجل الحرّيّة، في حين أنّه كان يشرف على عمليّات قتل وتشريد وتعذيب الشّعب العراقيّ، وبثّ الفرقة بين كلّ دول المنطقة.

## خاتمة

تظهر الإزدواجية الأمريكية بين ما ترفعه من شعارات مثل الحرية، ولكنها تكفلها فقط لشعبها وليس للآخرين، وترفع شعار حقوق الإنسان، فقط لحلفائها وفي الوقت عينه تغض الطرف بل وتساهم في قتل الشعوب المناهضة لسياستها. فقد اتخذت أمريكا الاستكبار والغطرسة نهجاً في العراق وافغانستان وفلسطين. وحاصرت الشعوب الحرة مثل لبنان وإيران، وتمارس الضغط الاقتصادي والسياسي والإعلامي على باقي شعوب المنطقة، مثل مصر والأردن إلى غير ذلك. عندما قررت الولايات المتحدة وحلفاءها غزو افغانستان، لأسباب عديدة لم تهاجم فقط الإرهاب الذي صنعه، بل انتقمت من الشعب كله وأحدثت حالة من التوتر والانقسام بين شعوب وسط آسيا، وحدثت نفس الشيء عند الهجوم على العراق، عندما نثرت بذور الطائفية والمذهبية، التي تعاني منها المنطقة حتى الآن. ولم يكن تنظيم داعش الإرهابي حالة شاذة عن هذا السياق التخريبي، بل كان آخر مؤامراتها ولن يكون المؤامرة الأخيرة.

وها هو الشعب الفلسطيني، يتعرض لأبشع أنواع الاعتداء والعدوان من الكيان الصهيوني، وكل هذه الجمعيات والمؤسسات الدولية لم تحرك ساكناً، وكأن الشعارات التي ترفعها هي موجهة فقط ضد الشعوب العربية والإسلامية.

## المراجع والمصادر

### أولاً: باللّغة العربيّة

1. أوليفر، ك. (2011) النساء أسلحة حربيّة: العراق الجنس والإعلام، ت: شكري مجاهد، ط1، الرّيّاض.
2. بيج، م. (2008) عدوّ محارب-رحلة مسلم بريطاني إلى معتقل جوانتانامو ذهاباً وإياباً، ت: أيهم الصّبّاغ، مكتبة العبيكان، ط2، الرّيّاض.
3. السّعدي، ح. (2023) فكّ الشّيفرة الخماسيّة، العين للنّشر، ط1، الإمارات العربيّة المتّحدة.
4. سيمز، ل. (2017) تقرير التّعذيب-وثائق برنامج التّعذيب الأمريكيّ بعد أحداث 11 سبتمبر، ت: منار الشّهابي، مكتبة العبيكان، ط1، الرّيّاض.
5. شعبان، ع. (2007) "شهادة حيّة في سجن أبو غريب-مقابلة مع الحاجّ عليّ القيسيّ"، مجلّة المستقبل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، العدد 346.
6. فوكو، م. (1990) المراقبة والمعاقبة-ولادة السّجن، ت: الدّكتور عليّ مقلّد، مركز الإنماء العربيّ، ط1، بيروت.
7. منظمة العفو الدّوليّة (2008)، الولايات المتّحدة الأمريكيّة: قضية تستوجب المساءلة- من أبو غريب إلى الحجز السّرّي لوكالة الاستخبارات المركزيّة-حالة خالد المقطري، ط1، لندن.
8. هروود، ب. (2008) تاريخ التّعذيب، ت: ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنّشر، ط1، دمشق.
9. هيومن رايتس ووتش (2007) السّجناء الأشباح-عامان من الاعتقال السّرّي لدى وكالة الاستخبارات المركزيّة، فبراير 2007.
10. ولد صلاح، م. (2015) يوميات جوانتانامو، تحرير لاري سيمز، ت: عمر رسول، دار السّاق، ط1، بيروت.

### ثانياً: باللّغة الانجليزيّة

1. Denbeaux, M. (202) American Torturers -FBI and CIA Abuses at Dark Sites

and Guantanamo, Seton Hall University School of law, Center for Policy and Research.

2. Ramesh, R. (2019) The History and Evolution of American Torture and Secret Prisons (1898 - 2008) George Town University, Qatar.

3. <https://www.theguardian.com/world/2005/may/08/usa.guantanamo>

4. <https://www.europeanpressprize.com/article/what-guantanamo-made-of-them/>



## الإعلام الأمريكي والتضليل والتبرير للحرب

د. غنوة ناصر<sup>(1)</sup>

### ملخص

يلقي هذا البحث الضوء على حرب الإعلام والدعاية، الذي استخدمته الولايات المتحدة لتضليل الرأي العام المحلي والدولي، وتبرير عدوانها السافر، واستخدامها لأسلحة الدمار الشامل، والأسلحة المحرمة دولياً، بحجة نشر السلام والديمقراطية، والحفاظ على حقوق الإنسان. ولكن في الحقيقة لا يتعدى الأمر كونه سيطرة على مقدرات الشعوب، ونهب خيراتها، والسيطرة على الموارد، ويثبت أن كل ما قدمته من عناوين بشأن السلام الدولي، ما هو إلا عناوين براءة لأهداف نفعية ومادية بحتة. كما قدّم البحث نبذة عن دور الإعلام المقاوم، في فضح التضليل والأكاذيب الأمريكية، والضغوط التي تعرّض لها، ولاسيما في منطقتنا العربية.

### الكلمات المفتاحية:

الإعلام الأمريكي - التضليل الإعلامي - المقاومة الإسلامية - الرأي العام - الإرهاب.

1 - أستاذة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

## المقدمة

يحاول هذا البحث، الإجابة عن تساؤلات عدّة متعلّقة بالإعلام الأمريكيّ، الذي يقدّم الصورة معكوسة لمشاهديه، ليس هذا فحسب بل يحاول إظهار الطّرف الآخر، على أنّه شكلٌ خارجٌ عن الاجماع الأمميّ والبشريّ، وأنّ الولايات المتّحدة تقوم بدور أخلاقيّ واجتماعيّ كبير، من خلال محاربتها لهذه الدّول والجماعات، التي تطلق على بعضها اسم محور الشرّ. ويعرّج البحث على أنّ الولايات المتّحدة، لا يهتمّها من كل ذلك إلاّ الرّبح الماديّ، باحثه عن مصادر الطّاقة من نفط وغاز وغيرها؛ ولعلّ هذا هو السّبب الذي يجعل من المنطقة العربيّة - ولاسيما دول الخليج العربيّ-، في لبّ اهتمامات الولايات المتّحدة وحلفائها الغربيّين. يضاف إلى التّساؤلات السّابقة الكشف عن تنصّل الولايات المتّحدة من التّزاماتها، التي كانت تدّعيها من مساعدة عسكريّة، أو تنمية وتطوير لاقتصاد تابعيها، خاصّة بعد أن تحصل على ما تريده، أو بعد حساب الرّبح الذي ستجنيه من تلك الاتّزامات. لقد شهد التّوازن الطّويل الذي دام أكثر من 40 عاماً، بين القوتين العظميّين الولايات المتّحدة والاتّحاد السّوفيتي -الدولتين التّوويتين-، عدداً لا يحصى من الصّراعات التي تميّزت بالتنوع والاختلاف من حيث المدة والشّدّة، وبالتدخّل المباشر أو غير المباشر. فالولايات المتّحدة تدخلت عسكريّاً في حرب كوريا وفيتنام، بينما الاتّحاد السّوفيتي لم يتدخل بشكل مباشر، منذ الحرب العالميّة الثّانية، إلاّ في أحداث أفغانستان بين عامي 1979 - 1988 (بدون احتساب الصّراعات الحدوديّة مع الصّين). وكان لتفكك الاتّحاد السّوفيتي أثرٌ كبير، لفتح الطّريق أمام الولايات المتّحدة للهيمنة دون منازع. لكن ظهور روسيا الجديد الذي يمثّل استحضرار لقوّة الاتّحاد السّوفيتي القديم، عمل على تعديل الهيمنة الأمريكيّة والحدّ منها.

### أولاً: قواعد الإعلام والتّضليل.

قال (ونستون تشرشل): "إنّ الحقيقة ثمنها غال جدّاً، بحيث يجب أن يسبقها كمّ هائل من الأكاذيب"<sup>(1)</sup>. وبهذا المعنى، إنّ الإعلام والتّضليل والتّبرير للحرب له قواعد، فمنذ الحرب

1 - Russell, J. (1996).p. 50.

العالمية الأولى بدأت الدعاية الحربية تتطور في مفهومها، وتأخذ بعداً اجتماعياً كبيراً، وأصبح لا بد من توليد موقف يهدف إلى إثارة الحرب، وإقناع الوطنيين بعدم التدخل، وإيجاد التبرير المناسب اجتماعياً للتورط في الصراعات الحربية.

وفي عام 1928 وصف (آرثر بونسومبي)، ما يمكن أن نسميه القواعد العشر للدعاية الحربية في كتابه "التزييف في زمن الحرب .. أكاذيب الإعلام في الحرب العالمية الأولى"<sup>(1)</sup>، نشر عام 1928م. وقد تم استخدام هذه القواعد في كل الصراعات، التي ظهرت منذ ذلك الحين سواء في الحرب العالمية الأولى أو في الحرب الأهلية الإسبانية أم في الحرب العالمية الثانية، أم في حرب فيتنام والحرب الكورية أم في حرب الخليج الأولى، وصولاً إلى حرب العراق. ويمكننا، من خلال تحليل خطابات أبطال سيناريو غزو العراق، أن نثبت أن هذه الأسس التي تم وضعها منذ تسعة عقود، مازال صانعو الحرب يكرّرونها بشكل مثير للغثيان، وهي ما يلي:

- 1 - لا نريد الحرب.
  - 2 - العدو هو المسؤول الوحيد عن الحرب.
  - 3 - العدو كائن بغيض وشرير.
  - 4 - نريد أهدافاً نبيلة.
  - 5 - العدو يرتكب الفظائع.
  - 6 - العدو يستخدم أسلحة غير مرخصة.
  - 7 - خسائرننا قليلة وخسائر العدو هائلة.
  - 8 - الفنانون والمثقفون يدعمون قضيتنا.
  - 9 - قضيتنا لها طابع سام ومقدس.
  - 10 - الذين يشككون في الهدف من حربنا هم خونة.
- تتجلى المشكلة هنا، في أن السيطرة الاستعمارية، التي تمارسها أمريكا وحلفائها من دول الغرب على وسائل الإعلام، أدت الى تكرار تلك الرسائل، وكما هو معلوم تكرار الكذبة مع الوقت تصبح حقيقة. في كل الحروب ادعى أبطالها الرئسيون أهدافاً نبيلة للتدخل، الجميع أراد

1 - Ponsonb, A. (1991), p.12.

السّلام، الحرب بالنّسبة لهم أمر غير مرغوب فيه لكنّه ضروري<sup>(1)</sup>. وفيما يلي أمثلة على تطبيق مبدأ الدّعاية؛ يمكننا الإشارة الى الحرب الأمريكيّة الإسبانيّة 1898م، ودور الإعلام في شنّ تلك الحرب، التي كان من نتائجها احتلال أمريكا لكوبا والفلبين. كلّ بدأ عندما وصلت دون سابق انذار سفينة (ماين Main) بحجّة حماية رعايا الولايات المتّحدة المقيمين في كوبا، وبعد 3 أسابيع فقط، انفجرت السفينة وتطايرت في الهواء. لم ينتظر (ويليام راند ولف هيرست)، أبرز شخصيّة في الإعلام ومؤسس ما يسمّى بالصّحافة الصّفراء، نتائج التّحقيق في أحداث ذلك الانفجار ومعرفة الجاني. وضع عنواناً: "سفينة ماين" انشطرت لنصفين بواسطة سلاح استخدمه العدو الجهمني"، ونشرت وكالته الإخباريّة، ومجلّاته، وصحفه اليوميّة، وإذاعة الرّاديو، بكلّ أنحاء الولايات المتّحدة، مقالات تُظهر فيها "وحشيّة" العدو الإسبانيّ، وخطورة وجوده في تلك الجزيرة، وضرورة الإسراع لمساعدة وإغاثة وتحرير الكوبيين الأبرياء، والرّعايا الأمريكيّين المقيمين فيها، من ذلك المستبدّ الإسبانيّ. وبالفعل شنّ الرّئيس الأمريكيّ (وليام ماكينلي) الحرب، لكن الشّيء الوحيد الأكيد أنّها لم تكن حرباً لتحرير كوبا، وإنّما لاحتلالها. وقد برّر الرّئيس الأمريكيّ (ترومان)، في رسالة بثّت بعد ثلاثة أيّام، إطلاق القنبلة النّوويّة على مدينة "هيروشيما" اليابانيّة، وفي يوم إسقاط قنبلة ثانية على مدينة "ناكازاكي" أثناء الحرب العالميّة الثّانية، حيث قال: "نحن نستخدم هذا السّلاح لتقصير مدّة الحرب، ولإنقاذ حياة الآلاف من الشّباب الأمريكيّين. نحن نستخدمها ضدّ أولئك الذين هاجمونا دون سابق إنذار في "بيرل هاربور"، ضدّ أولئك الذين جوعوا وضربوا وأعدموا أسرى الحرب الأمريكيّين، ضدّ أولئك الذين تخلّوا عن طاعة قوانين الحرب الدّوليّة". ووفقاً لـ (تسويوشي هاسيغاوا)<sup>(2)</sup>، الأستاذ في قسم التّاريخ بجامعة كاليفورنيا في سانتا باربرا، أنّ السّبب الرّئيسيّ لاستخدام القنبلة، هو إجبار القادة اليابانيّين على الاستسلام، والتّصدي للاتّحاد السّوفيتيّ بشكل غير مباشر. إنّ دور الإعلام في سياسة الحروب مؤثّر بشكل غير قابل للإنكار. فمثلاً، سنجد التّبرير الأمريكيّ في المشاركة في حرب فيتنام قائم على قضيّة أنّه في 2 أغسطس / آب 1964، قامت خمسة زوارق دوريّة فيتناميّة شماليّة بالهجوم على المدمرة الأمريكيّة "مادوكس"، التي نفّذت أعمال المراقبة

1 - Montañés, M. (2011). P.2.

2 - Arturo, W. (2015).

والاستخبارات في المنطقة، لقد كان هذا كافياً لواشنطن لإثارة الردّ. أما ما هو السبب الرئيسيّ، في تدخل الولايات المتحدة في فيتنام؟! فالجواب بسيط لأنها لا تريد شيوعية فيتنام الشماليّة أن تسيطر على فيتنام الجنوبيّة، أيّ أنّها تريد مواجهة الاتحاد السوفيتي ضمن إطار ما يسمّى الحرب الباردة. تأتي أهمية هذه الحرب، في كونها نقطة تحوّل في السياسيّة الإعلامية الأمريكيّة لسببين، الأوّل أنّها كانت الحرب الأولى المتلفزة، والتي حملت اسم حرب "غرف الجلوس"، والثاني لعبت وسائل الإعلام دوراً حاسماً، في ردود أفعال الرأى العامّ حول هذا الصّراع. تجدر الإشارة إلى تزامن حرب فيتنام مع تطوّر التلفزيون في أمريكا، حيث كان له تأثير كبير على السكّان، ولم يكن التلفزيون الوسيلة الوحيدة في التأثير عليهم، بل كانت الصحافة أيضاً أداة لذلك.

ففي البداية، دعم التلفزيون العديد من الأخبار الحربيّة في فيتنام، لكن بابتعاد السيطرة الحكوميّة على الإعلام، أدرك الإعلاميون والشعب ما يحدث بالفعل، وقاموا برفض الحرب وانتقادها وخصوصاً، بعد هجمات "تيت" ومذبحة "ماي لاي" 1968م، التي كانت بمثابة النهاية للتأييد الحكومي، بكلّ الوسائل الإعلامية بما فيها التصوير الفوتوغرافي. ولعل أشهر تلك الصّور فتاة «النباليم»، التي التقطها (نيك أوت) 1972م وفاز بسببها بجائزة "بولتيزر" 1973م<sup>(1)</sup>.

كما أنّ الملصق الإعلانيّ، الذي يظهر فيه "العمّ سام" في 1917م يرتدي ألوان العلم الأمريكيّ، مشيراً بإصبعه للمُشاهد وتحتته عبارة "أريدك للجيش الأمريكي"، يعبر عن هذه الحقيقة<sup>(2)</sup>. وفي عام 1971م يعود "العمّ سام" للظهور بحلّة جديدة، كرجل مهزوم ومتعب بملابس العلم الأمريكيّ، لكنّ بألوان باهتة وممزقة، ووضعت ضمادات على رأسه وذراعه، وكتب تحتته أريد الخروج، إشارة للخروج من حرب فيتنام<sup>(3)</sup>.

1 - تمّ التقاط هذه الصّورة بعد أن قصفت طائرة تابعة للجيش الفيتنامي الجنوبيّ، بالتنسيق مع القيادة الأمريكيّة مدينة "ترانج بانج" بالقرب من "سانجون"، بالنابالم من أجل السيطرة على طريق الامداد بين كمبوديا وفيتنام، كانت الحكومة الأمريكيّة تهتمّ بشكل أساسيّ بالفوز بالحرب. لكن هذه الصّورة كان من شأنها إحداث تغيير اجتماعي وإعلامي وحتىّ سياسيّ، مازلنا نرى تبعاته حتىّ يوم كتابتنا لهذا البحث.

2 - Martinez, N. (2022).

3 - ظهر في الولايات المتحدة إعلانين، رغم تباعدهم زمنياً، لكن بالمقارنة بينهما، يظهر مقدار تغيير المجتمع والسياسة الحربيّة الأمريكيّة. وكان الملصق الأوّل من صناعة (جيمس مونغمري)، خلال الحرب العالمية الأولى من أجل تجنيد أكبر عدد من الرّجال للحرب والملصق الثاني الذي ظهر عام، 1971م من قبل لجنة المساعدة في إنهاء الحرب، ضمن حملة احتجاجيّة على المشاركة الأمريكيّة في فيتنام.

كان دمج وسائل الإعلام في الخطط العسكرية الأمريكية مثالاً لدرجة أنه عندما بدأت الطلعات الجوية في الساعات الأولى من يوم 17 يناير / كانون الثاني 1991م، كان من الصعب التمييز، بين ما إذا كانت الحكومات والجيش هي التي استخدمت وسائل الإعلام، وتلاعبت بها وخاصة التلفزيون، أو ما إذا كانت وسائل الإعلام هي التي استخدمت الحكومات والجيش، لإعطاء قدر أكبر من الواقعية والمصدقية لوسائل الإعلام<sup>(1)</sup>.

لقد كانت حرب الخليج 1991م، بمثابة محاكاة أولية لما يمكن أن نسميه "الحرب الجديدة". والحرب في البوسنة والهرسك وكوسوفو كانت أيضاً ضمن هذا النموذج مع اختلاف في حسابات الفائدة المرجوة منها. حيث لم يكن لأمريكا مصلحة اقتصادية لإقحام قوة عسكرية في تلك المناطق، ولم يكن في نيّة (بل كلتون) مواجهة الأزمة عن طريق التدخّل العسكريّ لمعرفته الأكيدة بأنه لا يوجد مكاسب تتناسب طردياً مع تكاليف العمليات العسكرية؛ وأن هذه الحرب يمكن أن تؤثر على علاقتها بحلفائها، وستواجه ازدياداً من قبل دول أوروبية أخرى. ولم يكن هناك وقع مؤثر لما يجري من مذابح بحق المسلمين في البوسنة، في دول مثل اليونان ورومانيا وبلغاريا. لذا تركت الولايات المتحدة مسألة "حرب البلقان" لحلفائها الأوروبيين مع الاستمرار في دعمهم الإعلامي من خلال الدعاية، وترويج أنها لن تسمح للمعتدي بالاستمرار، وسوف تفرض عقوبات على صربيا، وأنها أرسلت 300 مليون دولار كمساعدات إنسانية لبوسنة، لامتصاص غضب المسلمين، ولعدم إحراج الدول الإسلامية الصديقة لها، أمام الرأي العام الإسلامي، واتهامهم بالتقاعس لنصرة إخوانهم في البوسنة. كل ذلك دعايات لاستمرار إذكاء نار الحرب وكسب الوقت<sup>(2)</sup>.

يجب التركيز هنا على نقطة أساسية وجوهرية، وهي ما إذا كانت الدول النامية تريد سياسة إعلامية موجهة، تهدف إلى خلق جيل جديد قادر على تحمّل مسؤولياته التنموية والأخلاقية تجاه بلاده، فإن السياسة الإعلامية في الغرب بشكل عام، وفي الولايات المتحدة بشكل خاص، دأبت على تصوير الدول النامية بأنها غير قادرة على مواكبة التطور الحضاري، ولا مسايرة الثورة التكنولوجية، وبالتالي لا بدّ من التدخّل في هذه الدول تحت مسميات، وذرائع واهية مكشوفة للجميع، بل ذهبت هذه السياسة الإعلامية أبعد من هذا بكثير، بحيث أرسلت مراسليها ومبعوثيها

1 - Quintero, P. (1991).

2 - Ibid.

لمرافقة الجيوش الغازية هنا وهناك، لقد أصبح ذلك التّمط من الانخراط ومرافقة القوّات العسكريّة بمثابة تأسيس جديد لنوع جديد من الحروب في القرن الواحد والعشرين<sup>(1)</sup>. لقد ظهرت في الفترة الأخيرة، أساليب جديدة من أساليب توجيه الرّأي العامّ، وهي المنظّمات غير الحكوميّة على شبكة الأنترنت، ولاسيّما تلك التي تعمل في المجالات الإنسانيّة، ونحن هنا لا ننكر بأنّ بعض هذه المنظّمات مستقلّ وإنسانيّ حقاً، ولكن الكثير من هذه المنظّمات، ممولّ ومستقطب، ويعدّ جزءاً لا يتجزأ من أجنادات القوى الكبرى. ويبدو أنّ العمل على إنشاء مثل هذه المنظّمات تمّ بإيحاءات سياسيّة، بهدف خلق مجتمع مدنيّ، وهو الأمر الذي كان محور تركيز، المبادرة الوطنيّة للديموقراطيّة المعمولة من قبل الإدارة الأمريكيّة<sup>(2)</sup>.

## ثانياً: نماذج من التّضليل الإعلاميّ الأمريكيّ.

### 1 - المقاومة اللبنانيّة

تتمثّل المشكلة في العلاقة بين الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وأيّ دولة في العالم، أو حزب، أو منظمة في الهيمنة السياسيّة الأمريكيّة، وعدم إيمان الأمريكيّين بتكافؤ الأطراف فيما بينها، وتقديم الرّؤية والمصالح الأمريكيّة على أيّ شكل آخر من أشكال العلاقات. يُضاف إلى هذا الإشكال عدم وجود أيّة قابليّة للتنازل، أو تقريب وجهات النظر بنسب معيّنة بين الطّرفين المتحاورين أو المختلفين؛ فالأمريكيّ في هذه المرحلة التّاريخية تعود، مقابلة المسؤول الفلاني في الدّولة الفلانية، لكي يعطي الأوامر والإملاءات.

لقد عاصرت المقاومة اللبنانيّة، منذ نشأتها السياسة الأمريكيّة، الدّاعمة للعدوان الإسرائيليّ على مختلف دول المنطقة، وهذا الدّعم لم يكن سياسياً فحسب، بل كان دعماً بمختلف الأشكال السياسيّة والماليّة والعسكريّة وكلّ ما يمكن تقديمه، وبالتالي فإنّ وجود المقاومة اللبنانيّة، في الطّرف التّقيض من السياسة الأمريكيّة أمر حتمياً. وقد تعاملت السياسة الأمريكيّة مع المقاومة الإسلاميّة في لبنان، على أنّها إرهاب وهي العبارة الشّائعة لكلّ من يخالف السياسة الأمريكيّة. وعملت في محطّات كثيرة لتأليب الرّأي العامّ اللبنانيّ على المقاومة، وساهمت في إيجاد الفتن

1 - أندرسون، ت. (2017)، ص 158.

2- المصدر نفسه، ص 159.

الداخلية لإلهائها وضربها<sup>(1)</sup>.

استطاعت المقاومة اللبنانية أن تتصدى للإحتلال الإسرائيلي، وأن ترغمه على الإنسحاب من بيروت، وتجبر القوّات متعدّدة الجنسيّات على الرّحيل عن الأرض، لأنّها لم تأت لتحقيق السّلام، ولو كان السّلام هدفها لأجبرت إسرائيل على الانسحاب من كلّ الأراضي اللبنانيّة، كان الاتّهام هناك جاهزاً لسورية بأنّها تشجع الإرهاب<sup>(2)</sup>.

حاول الإعلام الأمريكيّ جاهداً أن يسوق كذبة كبرى، وهي محاولة الفصل بين المقاومة اللبنانيّة - حزب الله - وبين جماهيرها ومؤيديها مبرراً ذلك، بأنّ الحزب لا يمثل الشّعب اللبنانيّ، المسالم المحبّ للحياة حسب زعمه، وكم كانت خيبة هذا الإعلام كبيرة في انتخابات عام 1992م، عندما فاز حزب الله على إثرها بلائحة كاملة غير مقلّعة، بثمانية مقاعد لكتلة الوفاء للمقاومة، من أصل عشرة مقاعد، ذلك أنّ الانتخابات تعطي شرعيّة رسميّة في كيان الدّولة التّمثيليّ للقوى الشّعبية الموجودة على الأرض<sup>(3)</sup>.

ولم يكن انتصار المقاومة اللبنانيّة - حزب الله - حدثاً لبنانياً فحسب، بل كان بحقّ أهمّ انتصار عربيّ منذ حرب تشرين/أكتوبر 1973م، ولذلك فقد سكن قلوب ووجدان العرب، وطرد منها الشّعور بالإحباط والخيبة والتشردم، والشّعور القدريّ بالهزيمة والفناء، بل إنّ مدى الارتياح والغبطة، التي عبّرت عنها الجماهير العربيّة قاطبة بهذا الانتصار الجميل المؤزّر، مؤثّر على مدى القنوط والإحباط الذي كانت تشعر به هذه الجماهير قبل هذا الانتصار، بسبب مسلسل التّهافت على استرضاء العدوّ تحت أضواء الإعلام، والتنازل عن الحقوق العربيّة في المباحثات السّريّة<sup>(4)</sup>. ولم تكن وسائل الإعلام الأمريكيّة وحدها التي انبرت لتشويه المقاومة اللبنانيّة، ومحاولة إخراجها من الواقع السياسيّ اللبنانيّ، فقد عملت وسائل إعلام عربيّة طوال التسعينات إلى الترويج للمهرولين، وحاولت بثّ نظريّات وأفكار ومفاهيم، تزيد العرب فرقة وضعفًا وانقسامًا، وأصبحت تروّج لسياسات تكرّس التبعيّة، وتترك العرب ومصيرهم لقمة سائغة للطّامعين والحاقدين<sup>(5)</sup>.

1 - المركز الثقافيّ اللبنانيّ (2012)، ج 1، ص 145.

2 - رضا، ع. (1993)، ص 436.

3 - المركز الثقافيّ اللبنانيّ (2012)، ج 1، ص 147.

4 - شعبان، ب. (2006)، ص 722.

5 - رضا، ع. (1993)، ص 442.



## 2 - العراق "أسلحة الدمار الشامل"

تعدّ حرب الولايات المتحدة على العراق، أكثر خطورة من الجانبين الإعلامي والعسكري، منها في لبنان؛ ذلك أنّ الجيش الأمريكي نزل بعدته وعديده أرض العراق، ومارس كل ما عرفته البشرية ولم تعرفه من أعمال القتل والإجرام، هذا الجيش الذي يقدمه الإعلام الأمريكي، على أنّه جيش الدفاع عن الحريّات والديمقراطية، وغيرها من هذه المسمّيات التي تستخدمها الولايات المتحدة حجّة هنا وهناك لابتزاز الشعوب ونهب ثرواتها.

بدأت الدعاية الحربية تتطور في مفهومها، وتأخذ بعداً اجتماعياً كبيراً، فأصبح لا بدّ من توليد موقف يهدف إلى إثارة الحرب، وإقناع المواطنين بعدم التّدخل، وإيجاد تبرير اجتماعي للتورط في الصّراعات الحربية، حيث رفعت الولايات المتحدة سلسلة من الشّعارات الحربية، الغرض منها استخلاص موقف اجتماعي يؤيد التّدخل العسكري في العراق.<sup>(1)</sup>

يتبادر إلى الذّهن سؤالٌ مهمٌّ جدّاً، عن علاقة الولايات المتحدة مع نظام (صدام حسين)، حين كان يقاتل إيران؟! ولماذا لم تظهر كلّ تلك "الجرائم" التي يتحدّث عنها الأمريكيون؟! لقد تحدّث الرئيس الأمريكي (بوش)، عن عشرات الآلاف من معارضي (صدام حسين)، الذين سُجنوا، أو اعتقلوا، أو أُعدموا عشوائياً؛ ولكن هناك أدنى إشارة إلى أنّ عمليات الضّرب، والحرق، والصّدّامات الكهربائية، والتشويه، والاعتصاب، حصلت أساساً عندما كان لدى أمريكا علاقات جيّدة مع العراق، أي قبل عام 1990م، وعندما كان البنتاغون يقدّم معلومات إلى مخابرات (صدام)، لمساعدته على قتل أكبر عدد من الإيرانيين.<sup>(2)</sup>

عانت المنطقة عموماً من الآثار السّلبية للغزو العراقيّ للكويت، سيّما وأنّ النظام العراقيّ قد صمّ أذنيه عن كلّ الدّعوات والنداءات التي دعت للترّاجع عن ذلك، وأدخل المنطقة عموماً والعراق خصوصاً في أتون حرب لا تزال تعاني تبعاتها إلى يومنا هذا.

لقد كان إصرار (صدام حسين) على موقفه، واستنجد الكويت بمجلس الأمن، واستغلال الولايات المتحدة الموقف، حيث استنفرت مجلس الأمن دافعة إياه إلى إصدار قرارات، هي

1 - Montañés, M. (2011), p2.

هو مقال باللّغة الإسبانيّة بعنوان "الدّعاية الحربية في غزو العراق، سيكولوجية الخطاب"، قام الباحث بترجمته. 2 - فيسك، ر. (2006)، ص 345.

الأولى من نوعها من حيث طبيعتها وآلية تنفيذها، حيث ادّعت الولايات المتحدة أنّ مهمتها هذه في حرب الخليج، قد انطلقت من قبولها بالمهمة الكبرى، وهي بناء نظام عالمي جديد، نظام الشرعية الدوليّة، وعليه أخذت الولايات المتحدة مسؤوليّة تطبيق هذه الشرعية في العراق<sup>(1)</sup>. يمكن القول إنّ دولاً عديدة في العالم، لم تقتنع بالمسوغات الأمريكيّة لشنّ الحرب على العراق. خاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار، أنّ المهمة الرئيسيّة التي تدّعي الولايات المتحدة، أنّها جاءت لأجلها - تحرير الكويت - قد تمّت تمامًا ولكن الجشع الأمريكيّ، تجاه منابع النفط والاحتلال المباشر لم ينته، كما أنّ دولاً عديدة في العالم والمنطقة، كانت تمتلك أسلحة دمار شامل، كما أنّ الهند وباكستان، قامتا بتجارب نوويّة، وامتلكت "إسرائيل" برنامج نوويّ شامل، واتجهت كوريا الشماليّة نحو امتلاك أسلحة نوويّة، وهذا يبيّن بوضوح أنّ للحرب أهدافاً أخرى غير معلنة<sup>(2)</sup>.

ما يهمننا من حالة الغزو الأمريكيّ الغربيّ للعراق، هو طريقة التعامل الأمريكيّ الكاذبة مع معظم الوقائع داخل العراق، هذا إذا لم نقل كلّها، ففي كلّ الحروب التي اشتركت فيها دول الغرب، كانت وسائل الإعلام الغربيّة تُظهر الوجه الإنسانيّ لدولهم، في حين تظهر بشاعة الطّرف المقابل، وكما هي العادة يظهر زيف ادّعاءات الإعلام الغربيّ بعد مرور فترة من الزّمن<sup>(3)</sup>.

جرت عدّة محاولات لكشف التّضليل، حيث كان يخضع أيّ شخص يفكر، أو يختلف مع الخطاب الرّسمي للرقابة، وهذا ما تؤكّده حالات الصحفيين المستقلين، أو أولئك الذين كوّنوا آراء ضدّ الغزو، حيث فقدّ العديد من الأشخاص في وسائل الإعلام المحليّة والوطنية الأمريكيّة، وظائفهم أو تمّ فصلهم عندما عبّروا عن وجهة نظر انتقاديّة فيما يتعلّق بالحرب<sup>(4)</sup>.

اعتمدت وسائل الإعلام الغربيّة، على تهويل قدرات العراق العسكريّة، بهدف الإيحاء للرأي العامّ بأنّ العراق يملك القدرة الماديّة، التي تساعد على التّوسع وتهديد أمن المنطقة، وإقناع

1 - محمّد، ن. (1995)، ص 119.

2 - حسين، خ. (2009)، ص 430.

3 - طوالبه، ط. (2006)، ص 173.

4 - Mora, W. (2003).

دول الخليج العربي باحتمال توسع الدور العراقي في الخليج، بعد دخول الكويت ودفعها إلى قبول المخطط الأمريكي العدواني، والمساهمة في تحمّل كلفة العدوان العسكري<sup>(1)</sup>. وكذلك لم يكن هناك نقص في عمليات التعبئة الدماغية، وتحريك المشاعر الدولية من قبل الحكومة الأمريكية، لدعم قصتها في ابراز "فظائع" النظام العراقي، كقصّة الفتاة الكويتية (نيرة)، التي بكت أمام الكونغرس متحدثة عن وحشية الجنود العراقيين، الذين غزوا الكويت وكيف قاموا بإخراج 312 طفلاً من حاضنات "مستشفى عدن"، وألقوا بهم في الشارع ليلقوا حتفهم هناك. هذه القصّة اختلقتها شركة "هيل اند نولتون"، وهي من أكبر شركات الدعاية والإعلان في العالم، ولها علاقاتها القويّة مع حكومتي الكويت والولايات المتحدة. ومع الوقت تبين أنّ (نيرة)، ماهي إلاّ ابنة سفير الكويت في الولايات المتحدة، وأحد أفراد الأسرة الحاكمة الكويتية. والمثال الآخر في الدعاية والتضليل، هو تطبيق سياسة صفر ضحايا، أي منع، أو أخذ، أو بثّ أية صورة فوتوغرافية، أو مشاهد متلفزة للجنود الأمريكيين القتلى<sup>(2)</sup>.

يستطيع المتتبع للأحداث أن يعي، أنّ وسائل الإعلام الأمريكية، قد جعلت من أسلحة الدمار الشامل شائعة تعلق عليها كلّ أسباب فرض سيطرتها على العراق، كما أنّ أسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة، قد تمّ تدميرها مسبقاً، وفقاً لتوصيات اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة<sup>(3)</sup>، يواكب ذلك غياب واضح للسيادة العراقية، وحصار اقتصادي شديد، وأنظمة رقابة صارمة<sup>(4)</sup>. لم تتوقف الوحشية الأمريكية عند استخدام وسائل الإعلام، وبثّ الدعايات والأكاذيب، بل تعدّتها إلى محاولة تزوير التقارير الرسمية عن الوقائع، وأساليب القتل والتعذيب. فقد قام مكتب المسح الديموغرافي الأمريكي بواسطة موظفة تدعى (بيث أوزبورن دبونت)<sup>(5)</sup>، بإحصاء عدد العراقيين الذين قتلوا أثناء الحرب، فتبين أنّ هناك 86000 رجل، و40000 امرأة، و32000 طفل، على أيدي قوّات التحالف التي يقودها أمريكيون، وبعد ذلك تمّ طرد (دبونت)، ثم قام المكتب بعد إقالتها بإعادة كتابة

1 - طوالبه، ح. (2006)، ص 173.

2 - فيسك، ر. (2006)، ص 37.

3 - تم تدمير العشرات من صواريخ الصمود العراقية التي يصل مداها إلى أكثر من مئة كيلو متر وتم تفتيش القصور الرئاسية العراقية إمعاناً في إذلال العراق والعراقيين، وبحجة إن العراق يخفي الأسلحة في هذه القصور.

4 - Pearce, R. (2006), p.5.

5 - هكذا أورد اسمها مترجم الكتاب باللغة العربية ولم يوردها بالكتابة الإنكليزية.

التقرير، مخفضاً حجم الضحايا المدنيين وحادثاً الضحايا من النساء والأطفال. ولاحقاً ورد في رواية مسؤول أمريكي في البنتاغون، فصل عن الخسائر لم يُسر فيه إلى الضحايا المدنيين العراقيين<sup>(1)</sup>. لقد جنّدت الولايات المتحدة وسائل الاعلام، على نطاق واسع قبل الغزو، وقامت بنشر تقارير رسمية صادرة عن الحكومة الأمريكية، برئاسة (بوش) بما يبرر العمل العسكري، واتهمت (صدام) بامتلاك رؤوس حربية نووية وأسلحة بيولوجية، وبشكل مواز للنشاط الإعلامي المؤيد، كان هناك اسكات وحذف تام لأصوات المعارضة، الأمر الذي ساهم في الحصول على تأييد شعبي ساحق للحرب. ووفقاً لصحيفة "نيويورك تايمز" و"سي بي اس"، يعتقد 42% من الجمهور الأمريكي أنّ (صدام) كان مسؤولاً مباشراً عن هجمات 11 سبتمبر على مركز التجارة العالمي والبنتاغون وأنه هو من يرعى تنظيم القاعدة. وفيما يتعلق بالسيطرة على الأخبار، أشار موقع TBR news.com أنّ مسؤولاً تنفيذياً، في إحدى شبكات التلفزيون الأمريكية الرئيسية الثلاث، أرسل أكثر من ألف وخمسمائة مذكرة، إلى إدارة قسم الأخبار التلفزيونية، فيها تعليمات بكيفية تقديم الأخبار الوطنية والدولية لمشاهدي الشبكة. مثلاً تغطية كاملة لحشود العراقيين السعداء، بإسقاط نظام صدام وتكسير تماثيله، والعراقيون الذين يتلقون الطعام الذي يقدمه الجنود. عندما كان السكّان المدنيون في المجتمعات العراقية المختلفة، هم من يطعمون الجنود، عندما لم تصلهم شاحنات الطعام في الوقت المحدد، إظهار الصعوبات التي واجهها الجنود المتعلقة ببعدهم عن وطنهم، وحالة عائلاتهم في الوطن الأم. وفي السعي من أجل التضييق على كل شخص يفكر، أو يختلف مع الخطاب الرسمي لـ(بوش) وحكومته، أن يخضع للرقابة. وهذا ما تؤكده حالات الصحفيين المستقلين، الذين تم طردهم من عملهم وفصلهم، بسبب تعبيرهم عن وجهة نظرهم بالحرب. مثلاً في 25 فبراير ألغيت قناة MSNBC برنامج Phil Donahue الحواري، الذي استضاف مناهضين للحرب، و(بوش) ومشككين بدوافع الإدارة، وحذرت الإدارة الأمريكية أنّ برنامج "دونا هو"، يمكن أن يكون ساحة للأجندة الليبرالية المناهضة للحرب.

### 3 - سورية "الحرية والديمقراطية"

لقد قامت وسائل الإعلام بلعب الدور السيئ، عن طريق تقديم الأحداث بشكل مغاير لما

1 - فيسك، ر. (2006)، ص 37.

كانت تحدث على أرض الواقع، وكيف استخدموا مجموعات من المأجورين والملاحقين قضائياً، وليس هذا فحسب، بل إن بعض وسائل الإعلام، قامت ببث بعض الأخبار نقلاً عن شهود عيان - حسب ما تدّعي - وتبين لاحقاً أنّ هؤلاء الشهود لم يكونوا أصلاً في سورية، وقد لعب الإعلام الناطق بالعربية، والذي يدور في فلك السياسة الأمريكية، دوراً جوهرياً في ذلك ولا سيّما قناتي الجزيرة القطرية، والعربية السعودية، وكذلك الجزيرة الناطقة باللغة الإنكليزية. وقد كانت تتلقّى تعليمات من المسؤولين في واشنطن، عن كيفية إدارة الحرب الإعلامية في سورية، وهنا نضرب مثلاً، فقد صدرت تعليمات لقناة الجزيرة الناطقة باللغة الإنكليزية من قبل المنتج المنفّذ «كيلي جاريت»، بقوله: "الرجاء عدم تقديم النصرة على أنها تابعة لتنظيم القاعدة، الحرب في سورية معقدة... والحقيقة أنّ القاعدة لم تعد المنظمة التي كنّا نعرفها من قبل، وليست مناسبة في هذا السياق، فالنصرة هي جزء من تحالف المتمرّدين في سورية، الذي يتكوّن من مجموعات مسلّحة متعدّدة، والمشاهدون بحاجة إلى فهم أنّ هذه المجموعات المسلّحة، تشكّل المعارضة الرئيسيّة للحكومة، التي يقودها الرئيس الأسد"<sup>(1)</sup>.

ولا شكّ بأنّ المصالح الأمريكيّة، هي الموجه الأول والأخير للحرب، التي تقودها واشنطن على سورية مستخدمة شتى الوسائل، بما في ذلك الإعلام. ولا شكّ في أنّ لذلك أبعاداً دولية وأوجهاً متعدّدة، خاصّة بعد أن أصبحت سورية خطّ الدفاع الأول عن الاقتصاد الروسي والصيني والإيراني<sup>(2)</sup>؛ خاصّة بعد أن اعتمدت استراتيجية البحار الأربعة وطريق الحرير، التي تلاقحت مع استراتيجية الصين لكسر الطوق الأمريكيّ عليها<sup>(3)</sup>.

ويبدو أنّ وسائل الإعلام الغربيّة، التي أصبحت منحازة جداً وتحت رحمة الإدارة السياسيّة، لم تعد تدقّق في الأخبار التي توردها، وكلّ ما يهتمّها هو التّسويق الإعلامي للفكرة، التي تريدها وهي بطبيعة الحال فكرة متبنّاة من قبل الإدارة، وقد أصبحت هذه الوسائل مولعة بقصص غير ذات مصدر ميداني أو إعلامي أو رسمي موثوق. فقد كرّرت قناة الـ BBC العديد من السرديات

1 - أندرسون، ت. (2017)، ص 168.

2 - لم توافق سورية كما هو معروف على خطّ الغاز القطريّ إلى أوروبا، الذي يشكّل خطراً على روسيا، بعد أن تستطيع أوروبا الإستغناء عن الغاز الروسي، وربما هذا الذي يفسّر ردّ الفعل القطريّ.

3 - الشاهر، ش. (2018)، ص 81.

التي تبين لاحقاً كذبتها، مثل قولها أنّ الصّراع بدأ لأنّ الجيش السّوري قتل المتظاهرين العزّل، ثمّ بدأت "المعارضة" في نهاية المطاف بحمل السلاح بداية للدّفاع عن أنفسهم، ولاحقاً لطرده قوات الأمن من المناطق المحليّة<sup>(1)</sup>.

لم تكن الحكومات الأمريكيّة المتعاقبة مهتمة يوماً، بمصائر الشّعوب وحاجتها إلى الاصلاح السياسيّ، والحرّيّة والديمقراطيّة كما تدّعي، ولا رغبتها بمدّ يد العون للشّعب السّوريّ، وإذا كان هذا الكلام صحيحاً، فلماذا لا تقدم العون للنّازحين السّوريين، الموجودين في دول الجوار؟! وهل هؤلاء ليسوا من الشّعب السّوريّ الذي تدّعي الحرص عليه؟! ولماذا لا يكون دعمها إلّا للجماعات التي تقاوم الحكومة الشّرعية في سورية؟! وهل تعتقد واشنطن أنّ جرائمها في العالم، من القنبلة النّوويّة في اليابان، وحتىّ سجن "أبو غريب" ومعتقل "جوانتنامو"، قد نُسيّت؟ ولماذا لا تدعم الولايات المتّحدة إلّا الثّورات ضدّ الحكومات، التي كانت تدور في فلك الاتّحاد السّوفيتيّ السّابق؟! ولذلك أطلق عليها اسم "الثّورات الملوّنة"، وذلك بسبب استخدام لون معين لتحديد وتتبع المتابعين، وتقنية التّسويق والتنظيم الذّكيّة؛ وكما كان عليه الحال في الثّورة الوردية في جورجيا، أو الثّورة البرتقاليّة في أوكرانيا<sup>(2)</sup>.

لقد كان استحضار تسمية "الرّبيع العربيّ"، أمراً ساذجاً خالياً من المحتوى في بعض الدّول، ذات الأهمية الجيوسياسية في منطقة الشّرق الأوسط، والتي اشترك في صنعها أناس محليون بمساعدة وكلاء أجنب. هذه التّسمية في إشارة الى الأحداث، التي شهدتها الدّول العربيّة منذ نهاية 2010م، يمكن أن نعرّوها الى مجلّة (Foreign Affairs)، وهي مجلّة السياسيّة الخارجيّة الأمريكيّة ذات النّفوذ الكبير. على الرّغم من استخدام المصطلح خلال الحرب الباردة كالحديث عن "ربيع براغ"، لوصف الحركة التي تمّ تقديمها بشكل إيجابيّ لعمليّة ديمقراطيّة بالمعنى اللّبيراليّ الأمريكيّ للمصطلح. وفي فترة ما بعد الحرب الباردة، استمرّ استخدام هذا المصطلح. في كانون الثّاني 1999م أشارت (مادلين أولبرايت) وزيرة خارجيّة أميركا آنذاك، إلى وصول الرّبيع إلى كوسوفو، في إشارة إلى مذبحة "راتشاك"، التي قتل فيها حوالي 40 إنسان<sup>(3)</sup>.

1 - أندرسون، ت. (2017)، ص 168.

2 - برينان، ك. (2019)، ص 219.

3 - Pablo, S. (2018).

يبدو من خلال تتبع آراء وأفكار السياسيين السوريين والمفكرين، بأنهم كانوا واعين بشكل قطعي للمخطط الأمريكي الذي يستهدف سورية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يشكلوا قوة حقيقية، تقف في وجه طوفان الغوغاء، الذي استباح الحرمات تحت مسميات واهية عبثية. وكثيراً ما كانت الولايات المتحدة وراء إذكاء نار الفتن، وشن الحرب النفسية عبر إعلام مضلل، عنوانه العريض الإشاعة، وبث الأنباء المفبركة والكاذبة، التي من شأنها أن تزيد الاحتقان، إضافة إلى إشعال الحروب السياسية المستمرة، عبر دعم المنشقين سراً، ودعم طروحاتهم عبر الوسائل الإعلامية، المسمّاة زوراً وبهتاناً "المستقلة" و"المحايدة"، والترؤيب لهم ولأفكارهم عبر حملة منظمة، وخلق طابور خامس من العملاء، عبر شراء ذممهم، وإطلاقهم فيما بعد كجواسيس دورهم التحريض على الفتن واللعب على وتر العرقية والطائفية<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: انكشاف الإعلام الأمريكي وفشله.

لا شك في إن الإعلام الأمريكي، بالرغم من الإمكانيات المادية الضخمة، التي يتمتع بها لم يستطع اقناع المشاهد العربي، بما يبثه من أكاذيب، وما يقوم به من تهويل وتضليل؛ ذلك أن العربي في هذه الأرض هو صاحب الحق التاريخي والحصري بها، فكيف يمكن للإعلام الغربي أن يقنع المواطن العراقي مثلاً أن أمريكا جاءت لبناء الدولة والمؤسسات العراقية؟! والمشاهد العراقي يشاهد بأم العين، كيف تمّ تدمير مؤسسات الدولة ونهبها وسرقة محتوياتها، حيث إن الإعلام اعتمد على الصورة الدعائية التضليلية، باعتبار أن ما يتركه الإعلام في ذهن المواطن من انطباعات، يبقى أهمّ من الحقيقة التي قد تحتاج إلى وقت كبير للتحقق منها. وقد تبين لاحقاً أن هناك كثيراً من المشاهد التي تمّ عرضها على أنها جرت في مكان ما، لم تجر به أصلاً، بل ربما كان مأخوذة من مكان آخر. فقد ثبت أن أحد المشاهد، التي تمّ عرضها على أنها تحدث في درعا، كانت لمظاهرات حدثت في عام 2008م في منطقة "حيّ السلم" في لبنان<sup>(2)</sup>.

ونشأت في العراق قوى شعبية مناهضة للوجود الأمريكي، وحركات تدعو إلى

1 - الوز، هـ. (2012)، ص 50.

2 - الشاهر، ش. (2018)، ص 216.

إخراج القوّات الأمريكيّة من العراق، ولم يحقّق "مشروع الشرق الأوسط الكبير" أيّاً من النّجاحات، ولم يستطع منظّرو "الفوضى الخلاقة" من إحداث الفوضى التي يريدونها في بلادنا<sup>(1)</sup>. وإذا كان (جورج بوش الأب) قد وضع خطأً من الرّمال حول العراق، فإنّ إدارة (جورج بوش الابن)، قد جمعت الكرة الأرضيّة، لتضيق الخناق على المقاومة في لبنان، وقد فشلت<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: نبذة عن مواجهة الإعلام المقاوم

لا شكّ بأنّ الإعلام المقاوم، قد لعب دوراً جوهريّاً في تنبيه الشارع المقاوم، إلى الأعباء الإعلام الأمريكيّ المضللّ، وما يدور في فلكه من الإعلام النّاطق بالعربيّة، الذي فضّل الاستسلام للمخطّطات الأمريكيّة الغربيّة، وقد واجه الإعلام المقاوم ضغوطاً، تكاد لا تقلّ شأنًا عن الحرب العسكريّة، ولم تنجُ أيّة قناة تلفزيونيّة أو محطة إعلاميّة من الإستهداف، سواء على مستوى إغلاق البثّ، أم على مستوى عدم منح أذونات للعمل. وهنا لا بدّ أن نشير إلى مجموعة من القنوات التلفزيونيّة، تأتي في مقدمتها قناة "المنار" اللّبنانيّة، وقناة "الميادين"، وكذلك قناة "العالم" -وهي قناة إيرانية ناطقة بالعربيّة-، وكذلك قناة "الدّنيا" السّوريّة. وقد تعرّضت هذه القنوات لكثير من الضغوط، في محاولات لثيها عن الأدوار التي تقوم بها، ولا يخفى على المُشاهد الحالي، أنّ قناتي «المنار والدنيا»، قد جرى حجبهما عن القمر العربيّ "عرب سات"<sup>(3)</sup>، وربما يمثّل هذا الأمر اعترافاً ضمناً بما لهاتين القناتين، من تأثير في فضح جوقة الأكاذيب، التي يقودها الإعلام الغربيّ؛ لقد قامت قناة «المنار» على سبيل المثال، ببثّ مشاهد من رشوة المحقّق الدّولي في اغتيال (الحريريّ)، بما يوحي للمُشاهد الواعي، أنّ هذا المحقّق لا يهتمّ من مقتل (الحريريّ) شيئاً إلاّ الرّبح المادّي، ولم يأت باحثاً عن الحقيقة، ولا عن القتل، ولا يهتمّ ذلك في شيء. كما قامت قناة "الدّنيا" السّوريّة بإعادة بثّ بعض

1 - لا ننكر أنهم أحدثوا فوضى عارمة في بلداننا ولكن في مطلق الأحوال لم يحققوا ما أرادوه.

2 - ياسين، ن. (2013)، ص 292.

3 - إنه من العجائب أن يجري حجّب قناة على القمر العربي وهي ناطقة في العربية بينما يستمر بثها على القمر الأوروبي، ولا يخفى علينا أن هذا الأمر هو بإملاء من السيد الأمريكي.



المُشاهد، التي تعرضها قناتي "الجزيرة" و"العربية" التّاطقتين باللّغة العربيّة، موضحة بأنّ هذه المشاهد قد تمّ تصويرها في أماكن أخرى غير سوربيّة، وقد كان لهذا الأمر الأثر الكبير، في مواجهة الحرب الإعلامية الكبرى على سورية.

ولا يخفى على المُشاهد العربيّ ما تواجهه قناة "الميادين"، في هذه الفترة الحرجة من حرب، محاولة إيقاف بثّها، ومضايقات للقناة والعاملين فيها في محاولة يائسة لإسكاتها، حيث جرى استهداف اثنين من مراسليها في الأراضي اللبنانيّة وسقطوا شهداء على طريق القدس.

إنّ مواجهة الإعلام المقاوم، تحتاج دراسة مستقلة ومعقّمة، ترقى أن تكون كتاباً مفرداً، أو أطروحة جامعية لما لها من أهميّة كبيرة.

## الخاتمة

يتبيّن بما لا يدع مجالاً للشكّ، أنّ وسائل الإعلام الأمريكيّة والغربيّة بشكل عامّ، التي تدّعي الاستقلال عن السّلطة السياسيّة في بلدانها، ليست مستقلة ولا شبه مستقلة، بل هي تابعة وبشكل مطلق للإرادة السياسيّة في تلك البلدان، وتقود حملة ممنهجة لتسويق طروحاتها السياسيّة والاقتصاديّة، بما يعود بالنفع المادّي على تلك البلدان، بغض النّظر عن الوسائل التي تحقّق هذه الغايات. ويمكن أن نخلص من خلال هذه الدّراسة، بمجموعة من التّائج التي لا بدّ من ذكرها:

- لقد تمّ استخدام التّكنولوجيا العربيّة المتطورة بأرقى أشكالها، في محاولات فرض الأجندات السياسيّة على شعوب المنطقة العربيّة وإخضاعها.
- هناك بعض وسائل الإعلام العربيّة، التي تكرّر بشكلٍ ببعائيّ الادّعاءات الغربيّة، دون أن تسأل عن الأهداف والخلفيّات، وهذا أمر جدّ خطر على المشاهد العربيّ.
- هناك بعض العرب المستعدّين، لتقديم الخدمات المجانيّة للأعداء، على حساب أوطانهم وكرامة بلدانهم.

- لم يستطع الإعلام الغربيّ، ومن خلفه العدو الصهيونيّ، والمنهزمون في الدّاخل، من كسر إرادة الصّمود لدى شريحة واسعة من الشّعوب.
- أخيرا لا بدّ من إنشاء منظومة إعلام إقليمية موحّدة، تسعى إلى نشر الأفكار الهادفة للحفاظ على المجتمعات العربيّة، ومنع تفكيكها وانهارها نفسياً أمام المشاريع الخارجيّة.
- ضرورة غرس المبادئ والقيم العربيّة والإسلاميّة الصّحيحة في أذهان الجيل النّاشئ الجديد.

## المراجع والمصادر

### أولاً: المراجع العربية

1. أندرسون، ت. (2017) الحرب القذرة على سورية، ت: ناهد تاج هاشم، مركز دمشق للأبحاث والدراسات ، ط1، دمشق.
2. برينان، ك. (2019) سقوط أسطورة الربيع العربي من الثورة إلى الدمار الشامل، ت: أدهم مطر، دار الرضا للنشر، ط1، دمشق.
3. خليل، ح. (2009) النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، ط1، بيروت.
4. الشاهر (2018): تجليات الحرب على سورية، تقديم فيصل مقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1.
5. شعبان، ب. (2006) بنت الأرض، دار الفكر، ط1، دمشق.
6. طوالبه، ح. (2006) في الإعلام والدعاية والحرب النفسية، دار عالم الكتب الحديث، ط1، دمشق.
7. عادل، ر. (1993) التاريخ لا تحركه الصدفة، تقديم ابراهيم سعدة، ط1، القاهرة.
8. فيسك، ر. (2006) الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة، ت: عاطف المولى وآخرون، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، لبنان.
9. محمد، ن. (1995) المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسوريا، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق.
10. المركز الثقافي اللبناني (2012) حزب الله السيرة والمسيرة، سوريا.
11. الوز، هزوان: الوطن في لحظة الحقيقة، دار الشرق للطباعة والنشر، ط1، دمشق.
12. ياسين، ن. (2013) الإرهاب الأمريكي المعلوم، دار الفارابي، ط1، بيروت.

### ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Russell. J. (1996). «Bodyguard of Lies by Anthony Cave Brown». Central

Intelligence Agency Historical Review Program. Archived from the original on 27 March 2010.

2. Martinez, N. (2022) La guerra de Vietnam (1955 - 1975):medios de comunicacion nortamericanos,movimientos sociales y propaganda antibelica, Universidad autonoma de Nuevo Leo.<https://revistabloch.uani.mx>

3. Montañés, M. (2011) La propaganda de Guerra en la invasion de Iraq: piscológico del discurso, Comunicació presentada al IIIsimposio de la asociación española de motivación y emoción, Valencia.

4. Quintero, P. (1991) La Guerra de las mentiras, Universidad Complutense de Madrid,España.

5. Pearce, R. (2006) Disarming Iraq: the search for weapons of mass Destruction, Council for the National Interest.

6. Ponsonb, A. (1991), Falsehood in Wartime: Propaganda Lies of the First World War Paperback.

7. Sabag, P. (2018) Los medios no han estado a la altura, el salto diario.[www.elsaltodiario.com](http://www.elsaltodiario.com)

8. Wallace, A. (2015) Era necesario lanzar la bomba atómica contra Hiroshima? BBC Mundo, @bbc\_wallace,6 agosto 2015, Actualizado 26 mayo 2016 [https://www.bbc.com/mundo/noticias/2015150805/08/\\_hiroshima\\_bomba\\_atomica\\_aniversario\\_razones\\_aw](https://www.bbc.com/mundo/noticias/2015150805/08/_hiroshima_bomba_atomica_aniversario_razones_aw)

9. Mora, W. (2003) Medios de comunicación y Guerra: Cuando la mentira se vende como verdad, revista estudios,ISSN-e,N 17.

## تاريخ جرائم الولايات المتحدة الأمريكية في العالم: دراسة إحصائية

■ زينب علي فرحات<sup>(1)</sup>

### ملخص

تحت عنوان "نشر الديمقراطية" و"حقوق الإنسان"، ارتكبت الولايات المتحدة أسوأ الجرائم بحق الإنسانية، لتعيد بذلك إعادة رسم خريطة العالم بما ينسجم مع النظام العالمي، الذي حققت من خلاله الهيمنة. وإن تعددت أشكال الهيمنة الأمريكية على شعوب العالم من العسكرية، والاقتصادية، والثقافية، فإننا سنتطرق في هذا البحث إلى الحروب، التي خاضتها الولايات المتحدة منذ إعلان استقلالها، بهدف احتلال المزيد من الأراضي وتوسيع نفوذها، سواء بشكل مباشر أو بالوكالة في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك منطقة غرب آسيا؛ للحديث عن أبرز الخسائر البشرية التي خلفتها تلك الحروب.

**الكلمات المفتاحية:** الحروب الأمريكية - الحرب العالمية الأولى - الحرب العالمية الثانية - حرب الخليج - الضحاي - القتلى - إبادة الشعوب الأصلية.

1 - ماجستير الإعلام - الجامعة اللبنانية، باحثة في مركز الاتحاد للأبحاث والتطوير.

## مقدمة

أُعلن استقلال الولايات المتحدة الأميركية، بشكل رسمي في تموز/ يوليو عام 1776م في "فيلادلفيا"، وكان ذلك بعد قرابة شهر من "المؤتمر القاري الثاني لاستقلال المستعمرات" باسم الولايات المتحدة، بعد أن كانت محتلة من قبل الإمبراطورية البريطانية، ومجبرة على دفع الضرائب من دون وجود تمثيل لها في البرلمان البريطاني، ومنذ ذلك الحين، سعت الولايات المتحدة إلى توسيع أراضيها ونفوذها، من خلال الحروب العسكرية المباشرة وغير المباشرة، التي ستمتد إلى أكثر من 240 عامًا في العالمين الغربي والعربي.

بعد الحرب العالمية الثانية، لم تدخر الولايات المتحدة جهداً للهيمنة على العالم، وقد اتبعت الإدارات الأميركية المتعاقبة، وصولاً إلى يومنا هذا استراتيجيات الهيمنة، لا سيما عقيدة (ترومان)<sup>(1)</sup>، المعروفة أيضاً بسياسة الاحتواء. وقد تفرّدت الإدارات المتوالية في استراتيجيات خاصة وفق أهداف المرحلة، مثلاً استراتيجية القوة الذكّية لـ(باراك أوباما)، وسياسة أميركا أولاً لـ(دونالد ترامب)، وسياسة إعادة البناء بشكل أفضل لـ(جو بايدن)، والهدف النهائي من كلّ ذلك هو ضمان الهيمنة الأميركية. ومن خلال التمسك بما يسمّى الاستثناء الأميركي، تعمّدت واشنطن ممارسة ازدواجية المعايير، متجاهلة القوانين والمواثيق الدولية، التي حاكمت بها دول وشعوب العالم.

تسببت الحروب الأميركية المباشرة بقتل ملايين الأشخاص حول العالم، من ضمنهم الأميركيين أنفسهم الذين شاركوا في الحروب سواءً في القارة الأميركية، أو في تلك التي شنتها واشنطن في أماكن أخرى، عدا عن ملايين الجرحى والمشرّدين، واللائحة تطول في ذكر الجرائم

1 - "مبدأ ترومان" هو سياسة خارجية أميركية نشأت بهدف رئيسي يسعى إلى احتواء التوسع الجيوسياسي السوفيتي خلال الحرب الباردة.

والانتهاكات، التي ارتكبتها الولايات المتحدة في مختلف دول العالم من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه. أما الحروب غير المباشرة خاصة خلال الألفية الحالية، فكانت من خلال تغيير الأنظمة، ودعم الانقلابات السياسية والعسكرية، وافتعال الثورات الملوثة التي تجرد بلد ما من طاقاته وقدراته، وتركه غارقاً بالفوضى ومسرحاً للعصابات المسلحة، وفي هذا البحث سنتناول أبرز حروب الولايات المتحدة الأميركية، التي أسفرت عن عشرات ملايين الضحايا حول العالم.

وفيما يلي جداول احصائيات بالضحايا التي تسببت بها الحروب الأمريكية:

| الاعتداءات                       | الضحايا |
|----------------------------------|---------|
| القتلى (بشكل مباشر أو غير مباشر) | 363000  |
| تعقيم النساء                     | 70000   |
| انخفاض عدد الهنود                | 237000  |

الجدول 1: ضحايا إبادة الهنود الحمر.

| الحروب | الفلبين | كوريا  | فيتنام | يوغوسلافيا | أفغانستان | ناكازاكي وهيروشيما |
|--------|---------|--------|--------|------------|-----------|--------------------|
| القتلى | 220000  | 300000 | 300000 | 8000       | 174000    | 518092             |

الجدول 2: أبرز الحروب الأميركية في العالم.

| الحروب | العراق | اليمن | سوريا  | الصّومال |
|--------|--------|-------|--------|----------|
| القتلى | 209000 | 18140 | 350000 | 200      |

الجدول 3: الحروب الأميركية في العالم العربي.

| القتلى  | الجيش الأميركي | مختلف دول العالم | العالم العربي | الهنود الحمر |
|---------|----------------|------------------|---------------|--------------|
| المعدّل | 1548914        | 6920092          | 577340        | 363000       |

الجدول 5: معدّل جرائم الولايات المتحدة في العالم.

## المصادر والمراجع

### اللغة العربيّة

1. بي بي سي. (2011). "حرب العراق بالأرقام".
2. بي بي سي. (2021). "الحرب في أفغانستان: كم كلف ذلك الصّراع الولايات المتّحدة؟"
3. العكش. م. (2002). حقّ التّضحّيّة بالآخر: أميركا والإبادة الجماعيّة، رياض الرّيس، ط1، بيروت.
4. مركز عين الإنسانيّة. (2023). "مركز عين الإنسانيّة يصدر إحصائيّة (8 أعوام) من جرائم العدوان السّعوديّ الأمريكيّ على اليمن".
5. الميادين. (2023). "بينهم نحو 70% من النّساء والأطفال.. ارتفاع عدد شهداء غزّة إلى أكثر من 14500".
6. ياسين. ب. (2019). "ديلي بيست: هل ارتكب الأمريكيّون مذبحه بالصّومال قبل بلاكهوك؟ عربيّ 21".

### اللغة الأجنبيّة

1. Archive, M. i. (n.d.). Chapter 22 The First World War and the Peoples of the Americas.
2. Archive, M. i. (n.d.). Part 3 From Capitalism to Socialism: Chapter 22 The First World War and the Peoples of the Americas.
3. Bielsa, F. M. (2019). The United States and the History of its War Crimes. The website of Spain's.



4. Britannica. (n.d.). How many people died during World War II?
5. Dobyns, H. F. (1983). Their Number Become Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America. Georgia Historical Society.
6. Hao, J. (2021). The Ministry of Foreign Affairs lists five human rights crimes in the United States: The fig leaf of human rights can no longer cover the evil it has committed. wap.peopleapp.
7. Hickman, K., & Kelly, M. (2020). Guerres et batailles américaines à travers l'histoire. jumelage.org.
8. Martin, P. (2023). Las guerras de EE.UU. desde 2001 han matado a 4,5 millones de personas. world socialist web site.
9. Qiong, L. (2021). 美国同盟体系“七宗罪”. xinhuanet.
10. Rawls, J. J. (1986). Indians of California: The Changing Image Paperback. University of Oklahoma Press.
11. Yu, B., & Guangyu, Y. (2022). 美国在中东等地犯下严重侵犯人权罪行. world people.
12. Yu, X. L. (2002). How many people have died in all the wars in the United States? omnitalk.
13. zhuanlan. (2020). Comparison of the number of U.S. military casualties in previous wars and the number of COVID-19 deaths (as of June 16, 2020).
14. (2016). Illustration of the brutal Civil War: the death toll was greater than that of all other wars combined. sohu.
15. (2017). Number of people killed by the atomic bomb: 501,787. charitsumo.
16. (2019). Guerras de EE.UU. provocan más de 800.000 muertos en 20 años. telesurtv.
17. (2019). It has only not participated in armed conflicts for 17 years since

the founding of the People's Republic of China. China Human Rights Research Association.

18. (2020). Philippine-American War: Causes and Consequences.

19. (2021). Les Etats-Unis, le plus grand destructeur de la paix dans le monde après la Seconde Guerre mondiale. Xinhua News Agency.

20. (2021). List of facts about human rights violations in the United States, Britain and France. un.china-mission.gov.

21. (2021). Original: Libya was beaten until it lost its temper: The United States launched two air strikes on Libya in 1986, pioneering the surgical strike! shou.

22. (2022). Historical facts and practical evidence of the genocide of Indians by the United States. aopaulo.china-consulate.gov.

23. (2022). More than 38,000 children died in the atomic bomb; some feel guilty for surviving. asahi.

## مُعاملة الأسرى

### دراسة مقارنة بين القوانين الدولية والشريعة الإسلامية

■ الشيخ محمود علي سرائب<sup>(1)</sup>

#### ملخص

تعدُّ رعاية حقوق الأسرى، من الأولويات التي حرص عليها الإسلام في البُعدين التشريعي والتطبيقي، وإنَّ الصورة التي قدَّمتها الإسلام في معاملته مع الأسرى، تعدُّ الأنقى والأنصع على مدى التاريخ، وإنَّ الأسس التي حكمت مُعاملة الأسرى، وهي ثلاثية: الرَّحمة، الكرامة، العدالة، تعكس مدى التزام الإسلام بحقوق الإنسان، ضمن رؤية منهجية متكاملة، وطرح عالمي عابر لحدود الزمان والمكان. إنَّ التعرفَ إلى بعض هذه الحقوق، التي طبَّقتها الإسلام لهو أمرٌ ضروريٌّ ومهمٌّ، لمعرفة إنسانية التشريع الإسلامي، والاستفادة من هذا الطَّرح لتطبيقه على أرض الواقع. إنَّ الغرض من هذا البحث، هو التعرفُ إلى حقوق الأسير في الإسلام، ومقارنتها بالقوانين الدولية لاسيما اتفاقية جنيف، وبيان أسبقية، وشمولية، وربانية، الطَّرح الإسلامي في هذا المجال؛ إذ نعتقد أنَّ الإسلام قدَّم أنموذجًا يُحتذى به في مجال التعامل مع الأسرى، ممَّا يُمكن أن يكون مصدر إلهام للمجتمعات الحديثة، والقوانين الوضعية في مجال رعاية حقوق الإنسان، ومنها حقوق الأسرى. وقد اعتمدنا المنهج الوصفي- التحليلي بالإضافة إلى المنهج المقارن.

**الكلمات المفتاحية:** الأسرى - الحرب - الحقوق - الإسلام - اتفاقية جنيف.

1 - أستاذ التفسير والعقيدة في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

## مقدمة

تعدُّ رعايةُ الأسرى والاهتمامُ بشؤونهم، ومراعاةُ حقوقهم في الإسلام واجباً إنسانياً وشرعياً يجب على المسلمين الالتزام به. ويُشدّد الإسلام في تعاليمه المختلفة، على ضرورة معاملة الأسرى طبقاً لقواعد الإحسان والرّحمة، والكرامة، ويمنع من أيّة معاملة تُؤدّي إلى امتهان كرامتهم، والتّعدي على شخصيّتهم الحقوقية والمعنوية، وذلك استناداً إلى التعاليم القرآنية، وسُنّة النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسيرته المباركة.

في القرآن الكريم، يوجد العديدُ من الآيات، التي تدعو إلى المعاملة الحسنة مع الأسرى، كما يوجد العديدُ من الروايات النبوية وروايات أهل البيت، التي تدعو إلى معاملة الأسرى بالرّحمة والإنصاف والعدالة.

وبكلمة مُختصرة، يعدُّ بحثُ حقوق الأسرى في الإسلام، من القضايا الإنسانية الحسّاسة والمهمّة جداً، لأنّه يأخذ أبعاداً إنسانية وشرعية، تعكس قيم العدل والرّحمة، التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية في تعاليمها المباركة.

ومن الاتّفاقيات الدوليّة التي تُراعي حقوق الأسرى هي اتّفاقية جنيف، وهي عبارة عن مجموعة من الاتّفاقيات الدوليّة، التي تحمي حقوق الأشخاص الأسرى، وتُنظّم معاملتهم في حالات النزاع المسلح. وتهدف الاتّفاقية إلى ضمان معاملة الأسرى بإنسانية وكرامة، وتحظّر المعاملة القاسية والتّعذيب وغيرها من أشكال الانتهاكات الإنسانية.

هذه المقالة هي محاولةٌ لعرض بعض حقوق الأسرى، حسب الشريعة الإسلامية ومقارنتها بالاتّفاقيات الدوليّة كاتّفاقية جنيف. وقد اعتمدنا المنهج التحليلي والمنهج المقارن، ونهدف من هذه المقالة بيان أصالة الرّحمة، ومبدأ الكرامة الإنسانية في تعامل الشريعة الإسلامية مع الأسرى؛ وذلك من خلال الحفاظ على حقوقهم الماديّة والمعنوية، وبيان أسبقية الإسلام والنبيّ الأعظم

(صلى الله عليه وآله)، لكلِّ القوانين والاتفاقيات الدوليَّة في هذا المجال. ولكي تبينَّ معنا الصَّورة الحقيقة في التَّعامل مع الأسرى، وفهم الأبعاد التَّشريعيَّة والإنسانيَّة المُتعلِّقة بهم، فإنَّ ذلك يتوقَّف على توضيح مُختصر لفلسفة البعثة النَّبويَّة والجهاد في الإسلام. ومن خلال هاتين النقطتين، يمكننا فهم المبادئ الأساسيَّة التي تحكم مسألة الأسرى في الإسلام.

## ■ المبحث الأول: البعثة والجهاد الأهداف والغايات. أولاً: فلسفة البعثة

إذا نظرنا إلى فلسفة البعثة وأهدافها وغاياتها، نجد أنَّ الأنبياءَ (عليهم السَّلام) أرسلوا لتربية الإنسان وتعليمه، ولمساعدته على بلوغ الكمال في الإنسانيَّة. وربما يُمكن اعتبار هذا الهدف هو الأعلى والأسمى، لخلق الإنسان وبعثة الأنبياء والرَّسل (عليهم السَّلام). وقد ذكر القرآن الكريم أنَّ من أهداف بعثة الأنبياء (عليهم السَّلام) أيضاً، إخراج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، من ظلمات الجهل إلى نور العقل والعلم، كما في سورتي إبراهيم 1-5، والمائدة: 16. وأنَّ في دعوة الأنبياء حياةً للنَّاس؛ لأنَّ رسالة الله تتمثَّل في دعوة صادقة إلى الحياة، وتشمل هذه الحياة السَّعي إلى العلم والعمل، والهدى، واستخدام قوانين الطَّبيعة لصالح البشر. يُدكرنا القرآن الكريم بأنَّ الاستجابة لهذه الرِّسالة تتناسب مع الفطرة الإنسانيَّة. قال -تعالى-: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: 24) أي إذا دعاكم لما يحييكم بلحاظ إنسانيَّتكم، ويحيي عقولكم التي هي المرتكز الأساس في حركتكم التَّكامليَّة إلى الله -تعالى-، لأنَّ للإنسان حياة حقيقية، أشرف وأكمل من حياته الدنيويَّة... وهذه هي الحياة الحقيقية<sup>(1)</sup>.

فكانوا يدعون إلى الله -تعالى- بكلِّ رحمة ورأفة ولين، حتَّى قال -سبحانه- مخاطباً نبيَّه الكريم (صلى الله عليه وآله): ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: 6). "ولكنَّهم (عليهم السَّلام) واجهوا في تبليغهم ودعوتهم، الطَّغاة العتاة من مُستكبريِّ أقوامهم الأشدَّاء، فقابلوا لِنهم بالشدَّة، ورحمتهم بالقسوة، وبراهينهم بالضَّرب والتَّعذيب، والجفوة وإصرارهم في التَّبليغ بالجرح والقتل والهلكة، فعندئذٍ أوجبت الفطرة على الأنبياء (عليهم السَّلام)، الدِّفاع ومقابلة المثل بالمثل، استخداماً للدِّفاع في طريق الهداية

1 - الطَّباطبائي، م.ح. (1991)، ج2، ص942.

والدعوة والإصلاح، فكانت حربهم دفاعاً عن الدين، والتوحيد، والمسلم المُستضعف، ودفاعاً عن غرض البعثة، بل دفاعاً عن غرض الخلق<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: فلسفة الجهاد في الإسلام، المشروعية والأهداف.

وإذا كانت بعثة الأنبياء (عليهم السّلام)، من باب اللّطف والرّحمة بهم، وقد رُوِيَ في أسلوب الدّعوة أيضاً الرّحمة والرّأفة والحنان؛ فالقتال في الإسلام أيضاً شرّع رحمةً للعباد، لحفظ الإنسانيّة، ولحفظ أساس التّوحيد، وللدّفاع عن الدّعوة الحقّة وعن الإنسانيّة.

”والقرآن يذكر أنّ الإسلام دينُ التّوحيد، وهو مبنيٌّ على أساس الفطرة، والقيام على إصلاح الإنسانيّة في حياتها، فإقامته والتّحفظ عليه أهمّ حقوق الإنسانيّة المشروعة، ثمّ يذكر أنّ الدّفاع عن هذا الحقّ الفطريّ المشروع حقٌّ آخر، وبيّن أنّ قيام دين التّوحيد منوط بالدّفاع، كما قال -تعالى-، في ضمن آيات القتال من سورة الأنفال: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: 8)، ثم قال بعد عدّة آيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: 24) فسَمِيَ الجهادَ والقتالَ الذي يُدعى إليه المؤمنون مُحْيِي، لهم ومعناه أنّ القتالَ سواء كان بعنوان الدّفاع عن المسلمين، أو عن بيضة الإسلام، أو كان قتالاً ابتدئياً، كلّ ذلك بالحقيقة دفاع عن حقّ الإنسانيّة في حياتها، ففي الشّرك بالله هلاكُ الإنسانيّة وموت الفطرة، وفي القتال وهو دفاعٌ عن حقّها، وفيه إعادة لحياتها وإحيائها بعد الموت“<sup>(2)</sup>.

ومن المعلوم إنّما شرّع لغاية الرّحمة على العباد، ويُراعى في أسلوبه أيضاً الرّحمة والرّأفة، وبعبارة أخرى ما جعل وسيلة للوصول إلى الهدف وحفظه، لا بُدَّ وأن يلائمه ويوافقه لا أن يزاخمه ويضاده، فعندئذ لا بُدَّ وأن يكون القتال في الإسلام، محكوماً بأداب وأحكام وشرائط تُقرّب من الهدف المقصود وتلائمه.

وفي هذا السّياق، فإنّ القتال في الإسلام سواء أكان قبل البدء بالمعركة، أم في أثناء المعركة، أم بعدها كما هو الحال في موضوع الأسرى، يجب أن يكون محكوماً بقواعد وأحكام وشروط،

1 - الميانجي، ع. أ. (1422 هـ)، ص. ص 16-13، بتصرّف.

2 - الطّباطبائي، م. ح. (1991) ج 2، ص 66.

تُسهم في تحقيق الهدف المرجو، وتكون متناسبة معه. ولذا يتعين أن يتم تنفيذ القتال ومعاملة الأسرى، وفقاً للأخلاق والثواب الإسلامية، وأن يتم الالتزام بالضوابط والقيود، التي تقرب من تحقيق الهدف المقصود، وذلك من أجل المحافظة على القيم الإنسانية، وتحقيق العدل والسلام في المجتمع.

ولبيان هذه المسألة ينبغي الالتفات إلى النقاط الآتية:

### 1. كل التشريعات الإسلامية محكومة بالضوابط الأخلاقية.

من المعلوم أن الأخلاق في الإسلام، ليست مرتبطة بالآداب وحسن السلوك، ولا في التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل فحسب، بل هي متغلغلة في جميع الأبواب، وجميع الأحكام، ومندرجة في جميع التكاليف الشرعية. ومن يدقق النظر في القرآن الكريم، يستشعر وجود البعد الأخلاقي في كل التشريعات، ذلك أن الأخلاق هي الأسس والقواعد الأولى للتشريع الإسلامي. فالتشريعات الإسلامية مبنية على الأخلاق ومستمدة منها، وقد نبهت كثير من الروايات الشريفة على هذه الحقيقة، ومن هذه الروايات نذكر كلاماً لأمر المؤمنين (عليه السلام) قال: "فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيهاً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق... إلى أن يقول: والجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء...".<sup>(1)</sup>

### 2. الإسلام دين السلام لا الحرب.

الأصل في الإسلام هو السلام والدعوى والتبليغ لا الحرب، وأما القتال فهو أمر طارئ فرضته الظروف، لذا فإن الإسلام ينتهز أقرب الفرص للعودة إلى الأصل، وهو أصالة السلام واستثنائية القتال. "الدين الإسلامي هو دين التبليغ، وصحيح أننا في الدين الإسلامي المقدس، لدينا جهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية والإسلامية، إلا أن الأصل هو التبليغ والتبيين؛ فللجهاد فلسفة أخرى، الجهاد لمواجهة الطغاة والظلمة وموانع التبليغ وانتشار نور الإسلام، ومتى ما

1 - نهج البلاغة. (1372 هـ)، الحكمة 249.

غاب المانع، أو وجد ولم يكن الجهاد، فإنَّ السبيلَ الأساسَ للإسلام هو التبليغ<sup>(1)</sup>. ولذا بنى الإسلامُ دعوته على السّلم ونبذ العنف، والدليلُ على ذلك من مصادر التشريع الإسلاميّ: القرآن والسنة. فمن القرآن: هناك عدّة طوائف من الآيات الكريمة، تدلُّ على دعوة الإسلام السلمية المبنية على البرهان والدليل.

#### الآيات القرآنية:

- الطائفة الأولى: آيات السّلم، منها: (الأنفال: 61)، (البقرة: 208)، (النساء: 90).
- الطائفة الثانية: آيات المعارضة السلمية (السلبية)، منها: (الكافرون: 1-6)، (المزمل: 10).
- الطائفة الثالثة: آيات الإصلاح والصفح، منها: (الأعراف: 198-199)، (هود: 88)، (الأعراف: 56).
- الطائفة الرابعة: آيات تمنع من التعديّ باللسان والتكبر، منها: (الإسراء، الآية: 37)، (الأنعام، 108).
- الطائفة الخامسة: آيات تمنع الإكراه على الدخول في الدين، منها: (البقرة: 256)، (الكهف: 29)، (يونس: 99).

#### الأحاديث النبوية:

قد حثّت السنة الشريفة على الدين، والعتو، والصفح كمنهج للمسلمين في عملهم، فعن رسول الله "صلى الله عليه وآله" أنه قال: "وَأَعْلَمُ" أَنَّ خَلَاصَكَ وَنَجَاتَكَ مِنْ حَقْنِ الدَّمَاءِ، وَكَفِّ الأَذَى مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالتَّانِي، وَحُسْنِ المُعَاشِرَةِ مَعَ لَيْنٍ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ وَمُدَارَاةٍ صَاحِبِكَ"<sup>(2)</sup>، وَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): "الرَّفْقُ يَمُنُّ وَالْخُرْقُ شُرْمٌ"<sup>(3)</sup>. بالرغم من أذى الرسول نتيجة عمل قريش، حتى قال (صلى الله عليه وآله): "مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيَ"<sup>(4)</sup>. إلا أنه رغم ذلك كان يدعو لقومه فيقول: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"<sup>(5)</sup>.

1 - الخامثي، عليّ، من خطاب له بتاريخ 6/2/1372 هـ. ش.  
 2 - المجلسي، م. ب. (1983)، ج75، باب 23، ح112، ص 271.  
 3 - الكليني، م. (1365 هـ.)، ج2، ح4، ص 119.  
 4 - ابن شهر آشوب، (1379 هـ.)، ج3، ص 275.  
 5 - المجلسي، م. ب. (1983)، ج95، ص 167.



نعم، عندما رأى النَّبِيُّ (ص) إصرار قريش على استعمالها الوسائل الإرهابية والوحشية، في مُحاربة الإسلام والمُسلمين، أمرهم بالهجرة إلى أرض "الحبشة"، على أن يبقى هو يواصل دعوته، ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

وحتَّى النَّبِيُّ (ص) عندما تأمر القوم على قتله، قرَّر الهجرة إلى المدينة تفادياً للمواجهة مع المُشركين. وفي المدينة أخذ يعقد المعاهدات والاتلاف، الذي يوطد الأمن والاستقرار وبيتعدُّ عن المواجهات والحروب. ولكن أعداء الإسلام تحرَّكوا من الخارج، حيث عمد اليهود إلى نقض العهود والمواثيق، وتآلب الجماعات ضدَّ الإسلام، فلم يبقَ أمام الرسول (ص) إلاَّ خيارَ المواجهة؛ لأجل صدِّهم عن غايتهم في القضاء على الدِّين الجديد، فحدثت الحروب والمعارك التي غالبها حول المدينة، ممَّا يدلُّ على أنَّ النَّبِيَّ (ص) لم يكن المبادرَ لها، بل كانت دفاعيةً.

### 3. أهداف الجهاد في الإسلام.

القتال بنفسه لا يعدُّ في الإسلام قيمةً من القيم، بل يعدُّ ضدَّ القيم من جهة كونه باعثاً على الخراب والتدمير، وإزهاق الأنفس، وإهدار القوى، فالإسلامُ يمتنعُ عن القتال والحرب ما استطاعَ إلى ذلك سبيلاً. أمَّا إذا تعرَّضَ وجودُ الأمة للخطر، أو أنَّ أهدافه المُقدَّسة السَّامية أصبحت مُهدَّدةً بالسُّقوط، فإنَّ القتالَ هنا يعدُّ قيمةً ساميةً، ويكتسبُ عنوان "الجهاد في سبيل الله".

ولذا فإنَّ الإسلامَ قد أكَّدَ على مسألة التَّعايش السَّلْمِي مع أتباع الأديان السَّماوية الأخرى، وقد وردت في الآيات والروايات والفقهِ الإسلاميِّ، بحوثٌ مُفصَّلةٌ في هذا الباب تحت عنوان "أحكام أهل الذِّمة"، فإذا كان الإسلامُ يُؤيِّدُ فرضَ العقيدة والإكراه عليها، ويتوسَّلُ بالقوَّة والسِّيف من أجل تحقيق أهدافه، فأَيُّ معنى إذا لقانون أهل الذِّمة والتَّعايش السَّلْمِي؟<sup>(6)</sup>

ولذا إذا نظرنا إلى أهداف الجهاد في الإسلام، فهو لم يخرج عن هدفين:

الأوَّل: الحرب الدفاعية عن النَّفس والعقيدة، أو الدِّفاع عن العهود والالتزامات.

الثَّاني: الحرب الوقائية الرَّامية إلى إضعاف العنف، الَّذِي يُشكِّلُ خطراً مباشراً على الإسلام<sup>(7)</sup>.

6 - الشَّيرازي، ن.م. (1379 هـ)، ج 16، ص.ص 331-332.

7 - الجواهري، ح. (1429 هـ)، ج 6، ص 231.

#### 4. الأهداف المشروعة للحرب.

في الإسلام، السّلام هو الحالة الأصليّة، والقاعدة العامّة في علاقة الأُمّة الإسلاميّة بغيرها من الأُمم، وإنّ الحرب هي الاستثناء أو هي الضّرورة التي لا يلجأ إليها إلاّ عند مُقتضياتها. ويجب اللّجوء إليها في حالات محدّدة ومشروعة، وهي لا تخرج عن واحدةٍ من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: الدّفاع عن النّفس (البقرة: 190).

الحالة الثّانية: الدّفاع عن المظلومين والمُستضعفين (النساء: 75).

الحالة الثّالثة: الدّفاع عن حرية نشر العقيدة. (البقرة: 193) فالحرب هنا للدّفاع عن نشر العقيدة؛ أي الإسلام، لا لنشر العقيدة والإسلام، لأنّ العقيدة في حدّ ذاتها لا تحتاج إلى القوّة لنشرها، إذا خلت الطّريق أمامها من العوائق.

فالإسلام لا يستهدف من تشريع الجهاد، ما تستهدفه الحروب في المجتمعات الجاهلية، من التّسلّط والاحتلال، وتحصيل الغنائم والأموال والغلبة العنصريّة أو الفئويّة<sup>(1)</sup>، بل يستهدف الإسلام من الجهاد إقامة الدّين، وحفظه، وبقائه واستمراره، وبقاء الأُمّة الإسلاميّة، وصيانة كيانها من السّقوط والانهيال<sup>(2)</sup>، ونشر العدل وبسط الحقّ وتطهير الأرض من الظلم والفساد<sup>(3)</sup>.

#### 5. معالم الرحمة في النزاعات المسلّحة.

إنّ النّظرة التّوحيدية تستلزم الرّحمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 143)، والرّحمة في أثناء النزاعات المسلّحة، تتخذ أهميّة خاصّة لما للحروب من آثار مُدمّرة، وويلات على البشر والحجر، لذلك اهتمّ الإسلام بوضع ضوابط، بعضها يسمو على مبدأ العدالة في الحروب، وهي ما تُسمّى في عصرنا الرّاهن بقواعد القانون الدّوليّ الإنسانيّ، التي تُراعي التّعامل الإنسانيّ في أثناء الحروب، فالدّفاع في مقابل المحاربين والمُعتمدين يتمّ بالأسلحة، إلاّ أنّه يحمل في طياته فلسفة الرّحمة، فالمدافع عن نفسه ووطنه من هجوم المُعتدي، إنّما يقوم بصدّ أذية شخص، أو جماعة للحفاظ على حياة أمة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذه الشّدّة ليست مُتفلتة من

1 - الطّباطبائيّ، م. ح. (1991)، ج 4، ص. ص 165-164.

2 - السّحانيّ، ج. (1421 هـ)، ج 7، ص 492.

3 - السّبزواري، ع.أ. (1409 هـ)، ج 9، ص 178.

الضوابط، بل قد تتعدى الضوابط القانونية العامة، من العدالة والمعاملة بالمثل، لتجاوزها إلى سلوكيات تُعبر عن الرحمة في عين الشدة. ولكن هل يمكن اعتبار النزاع المسلح من مظاهر الرحمة؟

لا بد من الإشارة إلى نقاط عدة، تُبين كيف يمكن اعتبار النزاع المسلح، مصداقاً من مصاديق الرحمة وهي الآتية:

1. إنَّ أحد أهم أسباب الحرب، هو الدفاع عن المستضعفين المظلومين في مقابل الظالمين؛ كما تقدّم الذين يعتدون على النفس والدين، أولئك الذين يمنعون أيّ محاولة للتحرُّر؛ وبالتالي يمنعون أي محاولة للإبداع ممّا يشكّل قتلاً للنفوس، فضلاً عن القتل الجسديّ، ويأتي دور هذا القتال في وجه الظالمين، للدفاع عن أهمّ الحقوق، وهو الحقّ في الحياة، ثمّ الحقّ في تقرير المصير، وبهما تتجلّى صفة الرحمة.

2. إنَّ أحد أهداف النزاع المسلح، هو إرغام العدوّ على العودة إلى الحالة الطبيعيّة وهي السلم، ولذلك فإنّ العدوّ إذا طلب السّلم وجنح إليه، فعلى الحكومة الإسلاميّة أن تقبل ذلك (الأنفال: 61)، وتعود إلى الأصل وهو السّلم، وعليه يكون القتال في هذه الحالة من حيث نتائجه، التي يصبو إليها مظهرًا للرحمة.

3. إنَّ مراعاة مبدأ الرحمة كما يشمل إنقاذ المظلومين، فإنّه يشمل أيضاً احترام حقوق جميع الأفراد، وعدم التعرّض لهم، إنفاذاً للكرامة الإنسانيّة الشاملة، لجميع أفراد البشر بمن فيهم الظالم؛ فيقع التّراحم بين الموضوعين، إذ لا يمكن للمكّلف أن يجمع في الوقت عينه، بين مراعاة مبدأ الرحمة بحقّ المظلومين من جهة، وعدم التعرّض للظالم من جهة أخرى وبالعكس. فلا مناص من إعمال قاعدة التّراحم القاضية بتقديم الأهمّ على المهمّ.

ومن قام ببدء الحرب، أو بظلم الأفراد العاجزين عن الدفاع، هم من أوجدوا التّراحم، وعليه فإنّه في مثل هذه الموارد، يكون قتالهم من مصاديق الرحمة، وطبقاً للقاعدة العقلية والعقلائية والنقلية، فإنّ الأهمّ يجب أن يُقدّم وهو رعاية جانب المظلومين، وتقديمه على جانب الظالمين.

#### 6. مظاهر الرحمة مع المقاتلين.

يمكن في ميدان المعركة، أن يتمّ العمل وفق القانون بأنّ يتمّ التعامل بالمثل، طبقاً لقوانين

العلاقات الدبلوماسية، وتطبيقاً لأحد مبادئ العدالة، أي مُقابلة الخير بالخير والشر بالشر. ولكن ممكن الترقّي من خلال العمل وفق الرّحمة والأخلاق السّامية الإنسانيّة، وهذا ما أوضحه الله تعالى في الآية 126 من سورة النحل، والتي يمكن تقسيم ضابطة الحرب فيها إلى قسمين: الأولى هي العمل وفق القانون والقواعد، والثانية هي العمل وفق مبدأ الرّحمة، والآية تشير إلى هذين المعنيين؛ ففي قسمها الأوّل يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل: 126)، مكرّسة مبدأ التّعامل بالمثل وإنفاذ القانون، فيما تشير في قسمها الثّاني إلى التّعامل وفق مبدأ الرّحمة والإنسانيّة مشيرةً إلى أنّه ﴿وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَهْوٌ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ﴾ (النحل: 126) فالرّحمة الإسلاميّة الواسعة تمتدّ لتشملّ حتّى المقاتلين قبل القتال، وفي أثناء القتال، وبعد القتال وهي تتخذ أشكالاً عدّة في حالات مُختلفة. وما يهمنا ما يرتبط ببحثنا وهو "أسرى الحرب".

### ثانياً: مُعاملة أسرى الحرب.

قد تقدّم أنّ مُعاملة الأسرى لها علاقة بفلسفة الجهاد، والنّظرة إلى الحرب وأهدافها، فإن كانت أهداف الحرب هي التسلط والاستعلاء، والاستعمار، أو التشفّي، والانتقام، فإنّ النتيجة ستكون القتل والدّمار والحرق والتّعذيب، وسيتمّ مُعاملة الأسرى بسوء ووحشية طبقاً لهذه الأهداف. أمّا لو كانت أهداف الحرب إحياء التّوحيد والعدل، والعمل بالوظيفة الإلهيّة، ودرء الفساد ورفع الفتنة، فسيكون لها آثارٌ مُختلفة وسيكون تجنّب القتل هو الأساس، إلّا على طبق ما يأمر العقل ويرخصه الشّرع، وكذا في الأسر سيكون الأساس هو المُعاملة الحسنة، والرّحمة، والحنان، والعطف، وأداء حقّ كلّ إنسان حتّى الذي يقتله لا يُمثّل به ولا يقتله صبراً وتعديباً، لأنّ القتل أيضاً رحمة لا يشوبه شفاء غيظ، وإطفاء غضب، واتباع هوى.

ومن أوائل المعارك الإسلاميّة التي حصل فيها أسر كانت معركة بدر، وقد انتهت معركة بدر باستشهاد 14 شخصاً من المُسلمين (6 شهداء من المهاجرين و8 من الأنصار)، ومصراع 70 شخصاً من المشركين إضافة إلى أسر 70 آخرين<sup>(1)</sup>.

وقد عاد المسلمون مع الأسرى والغنائم إلى المدينة<sup>(2)</sup>. وقد أوصى الرّسول بحسن مُعاملة

1 - الواقدي. (1405 هـ)، ج 1، ص 145 - 152.

2 - الطّبري. (1967)، ج 2، ص 460.

الأسرى إلا أسيرين منهم، حيث أمر الرسول بقتلهم.

### 1. الآداب والأخلاق الإسلامية في التعامل مع الأسرى.

حَثَّ نبيُّ الإسلام محمد (ص) أمته وأتباعه، أن يُوطنوا أنفسهم على فعل الخير، ولا يعملوا في إطار ردات الفعل والمعاملة بالمثل فقال: لَا تَكُونُوا إِمْعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلَا تَظْلِمُوا<sup>(1)</sup>.  
أما بالنسبة إلى الأسرى فالقاعدة العامة، التي حَثَّ عليها النبي في معركة بدر هي: "استوصوا بهم - أي بالأسرى - خيراً"<sup>(2)</sup>.

يمكن تقسيم البحث في التعامل مع الأسرى إلى قسمين:

أولاً: الآداب الأخلاقية في التعامل.

ثانياً: الحقوق الواجبة.

أما بالنسبة إلى العنوان الأول، نشير إشارة عابرة إلى بعض الآداب والأخلاق، التي حَثَّ وأمر بها الإسلام - ولو على نحو الاستحباب - في التعامل مع الأسرى، ممَّا يعكس الوجه المشرق والإنساني للإسلام في التعامل مع الأسرى، ومن العناصر الأخلاقية نذكر الآتي:

### 1. مراعاة مكانة وموقعية الأسير:

في القوانين الوضعية والاتفاقات الدولية، التفت المشرع إلى مكانة الأسير، فشرع موادَّ خاصة من قبيل احترام الرتب العسكرية، أو المكانة السياسية أو الاجتماعية للأسير، وقد سبق نبي الإسلام والتشريع الإلهي هؤلاء، وأظهر اهتماماً واضحاً لموقعية ومكانة الأسير. ومن النماذج على ذلك نذكر الموارد الآتية: قد أحسن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى (سهيل بن عمرو) صاحب المكانة والزعامة في قريش، ولم يشأ أن يهينه، أو يمثّل به وإن كان قادراً على ذلك.

وأيضاً موقف النبي من (سفانة بنت حاتم الطائي)، فقال لأصحابه: "بعد أن تكلمت سفانة معه - خلّوا عنها، فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق"<sup>(3)</sup>.

1 - الترمذي. (1975)، ج4، ح 2007، ص364.

2 - ابن كثير، إ. (1976)، ج2، ص475.

3 - نفس المصدر، ج1، ص109.

موقفه العظيم مع (ثمامة بن أثال)، فقد كان (ثمامة) زعيماً مشهوراً من زعماء "بني حنيفة"، وكان قد قرّر أن يأتي إلى المدينة المنورة ليقتل رسول الله، فأسره المسلمون، وجاءوا به إلى المسجد النبوي، فما كان من رد فعل رسول الله إلا أن قال: "أَحْسِنُوا إِسَارَهُ". وقال أيضاً: "اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ"<sup>(1)</sup>.

## 2. مُراعاة مشاعر النساء:

كان النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله)، رؤوفاً رحيماً في مُعاملته مع النساء فقال: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهِ وَاسْتَحَلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ"<sup>(2)</sup>.

قال ابن إسحاق، أنه لما افتتح القموص "حصن أبي الحقيق" أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بـ(صفية بنت حيي بن أخطب) وبأخرى معها، فمرَّ بها (بلال) -وهو الذي جاء بها- على قتلى من قتلى اليهود، فلما رأتهم التي معها (صفية)، صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال (صلى الله عليه وآله): "أَنْزَعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا بِلَالُ، جِئْتَ بِامْرَأَتَيْنِ عَلَى قَتْلَى رَجَالِهِمَا"<sup>(3)</sup>، فقال (بلال): "يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع قومها"<sup>(4)</sup>.

## 3. تعاهد الأسارى:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ: "مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ يَوْمَ النَّخْرِ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكٍ أَوْ مَشْيٍ فِي بَرٍّ أَوْ أَلْدَيْنٍ أَوْ ذِي رَحِمٍ قَاطِعٍ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ وَيَبْدُوهُ بِالسَّلَامِ أَوْ رَجُلٍ أَطْعَمَ مِنْ صَالِحِ نُسْكِهِ وَدَعَا إِلَى بَقِيَّتِهَا جِيرَانَهُ مِنَ الْيَتَامَى وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْمَمْلُوكِ وَتَعَاهَدَ الْأَسْرَاءَ"<sup>(5)</sup>.

1 - الديار بكرى، ح. (1986)، ج2، ص3.

2 - الطبرسي، ح. (1987)، ج14، ص255.

3 - الحميري، أ. (1963)، ج3، ص799.

4 - الواقدي، م. (1405 هـ)، ج2، ص67.

5 - الصدوق، م. (140 هـ)، ج1، ص298.

#### 4. عدم التفريق بين الأسرى الأقارب:

من مظاهر الرّحمة والتّسامح الإسلاميّ مع الأسرى، عدم التفريق بين المرأة وولدها. في مسألة 105 من تذكرة الفقهاء قال (العلامة الحلّيّ): "لو سبيت امرأة وولدها لم يفرّق بينهما"<sup>(1)</sup>.

#### 5. مظاهر من احترام الأسرى:

وقد تجلّى حرصُ رسول الله في تعاملاته مع الأسرى، في الاهتمام بمأكلهم؛ فقد قال ابن عبّاس (رضي الله عنهما): "أمر رسولُ الله أصحابه يوم بدر أن يُكرموا الأسارى، فكانوا يُقدّمونهم على أنفسهم عند الغداء"<sup>(2)</sup>.

لم يكن المسلمون يُقدّمون للأسرى ما بقي من طعامهم، بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويجعلونهم يأكلونه عملاً بوصيّة رسول الله بهم، وها هو (أبو عزيز)- شقيق (مصعب بن عمير)- يروي ما حدث بقوله: "كنتُ في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله إيّاهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلاّ نفتحني بها؛ فأستحي فأردّها فيردّها عليّ ما يمسّها!"<sup>(3)</sup>.

أنواع أسرى الحرب وأحكامهم:

ولا بدّ من الإشارة، إلى أنّ الذين يقعون أسارى في أيدي المسلمين على قسمين؛ لأنّهم:

1. إمّا أسارى من الكفّار الأصليين.

2. وإمّا أسارى من المسلمين البغاة.

ولكلّ من الطائفتين حكمه الخاصّ به.

والكلامُ في هذه المقالة عن حكم الأسارى من القسم الأول: أي الكفّار الأصليين، وهم الذين يقعون في الأسر، وهم كفّار أصليون غير مُعتصمين بدمّة، أو عهد، أو أمان؛ لأنّهم لو كانوا مُعاهدين، أو أعطى لهم الأمان، وهم على عهدهم وأمانهم، لم تقع حربٌ معهم ولم يجرّ أسره. وحكم هؤلاء يختلف باختلاف شخص الأسير من حيث الذكورة والأنوثة، وباختلاف حالات الأسر<sup>(4)</sup>.

1 - الحلّيّ، ح.ج. (1410 هـ)، ج9، ص177.

2 - ابن كثير. (1992)، ج4، ص485.

3 - نفس المصدر، ج2، ص475.

4 - الأنصاريّ، م.ع. (1390 هـ)، ج2، ص155.

## 1. حكم الأسارى الإناث وغير البالغين من الذكور:

إذا كان الأسارى من الإناث-مطلقاً-أو من الذكور غير البالغين، فحكمهم هو الاسترقاق لا غير، فيحرم قتلهم، وعلمه العلامة: بأنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله) نهى عن قتل النساء والولدان، وكان يسترقهم إذا سباهم<sup>(1)</sup>. ولا فرق في ذلك بين وقوعهم في الأسر بعد انتهاء الحرب أو قبل ذلك.

## 2. حكم الأسارى الذكور البالغين:

الحالة الأولى: أن يقعوا في الأسر قبل انقضاء الحرب.

وحكم هؤلاء هو القتل، وقال صاحب الجواهر: "حُكِيَ عن الإسكافي، أنه أطلق التَّخْيِيرَ بين الاسترقاق والفداء بهم، والمنَّ عليهم، ومقتضاه عدم القتل، لكنَّه معلوم البطلان نصًّا وفتوى، ففي خبر (طلحة بن زيد) المنجبر بما عرفت"<sup>(2)</sup>.

والرواية عن (طلحة بن زيد)، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال سمعته يقول كان أبي يقول: "إِنَّ لِلْحَرْبِ حُكْمَيْنِ إِذَا كَانَتْ قَائِمَةً لَمْ تَضَعْ أَوْ زَارَهَا وَلَمْ تَضَجِرْ أَهْلَهَا فَكُلُّ أَسِيرٍ أُخِذَ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَإِنَّ الْإِمَامَ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ ضَرْبَ عُنُقِهِ وَإِنْ شَاءَ قَطَعَ يَدَهُ وَرَجَلَهُ مِنْ خِلَافٍ بَعِيرٍ حَسَمَ وَتَرَكَهُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿نَمَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

الحالة الثانية: أن يقعوا في الأسر بعد انقضاء الحرب.

إذا وقع الأسر بعد انقضاء الحرب، فالحكم هو تخيير الإمام، أو نائبه بين أمور ثلاثة، المن عليهم بإطلاق سراحهم، أو قبول الفدية منهم في مقابل إطلاق سراحهم، أو استرقاقهم.

تكملة رواية (طلحة بن زيد): وَالْحَكْمُ الْأَخْرُ إِذَا وَضَعْتَ "الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا" وَأُخِنَ أَهْلَهَا فَكُلُّ أَسِيرٍ أُخِذَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَكَانَ فِي أَيْدِيهِمْ فَالْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ مِنْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ شَاءَ فَادَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ شَاءَ اسْتَعْبَدَهُمْ فَصَارُوا عِبِيدًا"<sup>(3)</sup>. ولتوضيح حقوق هذه الفئة نذكرها على الشكل الآتي:

1 - الجواهري، م. (1963)، ج 21، ص 120.

2 - نفس المصدر، ج 21، ص 122.

3 - الطوسي، م. (1963)، ج 6، ص 143.



## المطلب الثاني: الحقوق الواجبة

## 1. حقُّ الأسير في الحياة:

ما يكشف عن احترام الإسلام حقَّ الأسير في الحياة، تشريعه لفكرة الأسر بدل القتل، وتحريم الإسلام لقتل الأسير بعد أسره، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمْوَهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَاتَ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد:4).

الآية الكريمة تشير إلى طريقة التعامل مع الأسرى، وهي المنُّ أو الفداء، أي الإطلاق دون مقابل، أو الإطلاق مقابل فدية مالية، تدفعها الجهة التي كان يقاتل معها.

وعلى هذا لا يمكن قتل الأسير الحربي بعد انتهاء الحرب، بل إنَّ ولي أمر المسلمين طبقاً للمصلحة، التي يراها يُطلق سراحهم مقابل عوضٍ أو بلا عوض.

يقول (الفاضل المقداد السيوري): "إنَّ الأسير إن أخذ... بعد تقضي الحرب يتخير الإمام، بين المنِّ والفداء والاسترقاق ولا يجوز القتل"<sup>(1)</sup>. طبعاً حكم الاسترقاق ليس مأخوذاً من الآية، لأنَّها تحدثت عن حكيمين فقط وهما: المنُّ، أو الفداء.

وعن عليِّ بن الحسين (عليهما السلام) قال: "إِذَا أَخَذْتَ أُسِيرًا فَعَجَزَ عَنِ الْمَشْيِ وَلَمْ يَكْ مَعَكَ مَحْمِلٌ فَأَرْسِلْهُ وَلَا تَقْتُلْهُ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا حُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ"<sup>(2)</sup>.

وفي هذه الحالة صرَّح بعض الفقهاء، أنه لا يجوز قتل الأسير كما في مسالك الأفهام، وإن كانت عبارة (العلامة) و(المحقق الحلي)، أنه لا يجب قتله، ولعله لدفع شبهة وجوب قتله، من جهة احتمال قدرته بعد إطلاق سراحه، والتحاقه بالعدو<sup>(3)</sup>.

## 2. حقُّ الإطعام:

من الحقوق الأخرى للأسير هو تأمين مُتطلبات حياته من طعام وشراب ما دام في الأسر. حتَّى لو كانت عقوبته القتل، فلا يجوز أن يُمنع من الطَّعام والشراب قبل القتل بل يجب إطعامه. ومن كان في يده أسيرٌ، وجب عليه أن يُطعمه ويسقيه، وإن أرادوا قتله بعد لحظة<sup>(4)</sup>.

1 - السيوري، م. (1984)، ج1، ص365.

2 - الكليني، م. (1365 هـ) ج5، ح1، ص35.

3 - الأنصاري، م. ع. (1390 هـ)، ج2، ص162.

4 - النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص344.

وممّا يدلُّ على حسن الاهتمام بالأسير وضرورة رعايته قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا\* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (الإنسان: 9-8). وهذا إطعامٌ في دائرة واسعة، حيث يشملُ أصنافَ المُحتاجين من المسكين واليتيم والأسير، ولهذا كانت رحمتهم عامّة وخدمتهم واسعة. . . أمّا المرادُ بالأسير؟ قال كثيرون: "إنَّ المرادَ الأسرى من الكفّار والمشركين الذين يُؤتى بهم إلى منطقة الحكومة الإسلاميّة في المدينة"<sup>(1)</sup>.

### 3. حقُّ الكسوة واللبّاس:

من حقوق الأسير الكسوة الملائمة له، سواء في الشّتاء أو الصّيف، وهذا الحقُّ من مصاديق الإحسان الذي أمرت به روايات النّبيّ (ص) وأهل البيت (ع)، فهو في هذا السّياق من المُستحبات، ولكن إذا لزم الضّرر بالأسير، أي من عدم كسوته أو الكسوة الملائمة له، فهنا تجب الكسوة من باب دفع الضّرر.

ومن حديث جابر بن عبد الله قال: "لمّا كان يوم بدر أتى بأسارى، وأتى بالعبّاس، ولم يكن عليه ثوبٌ فنظر النّبيّ له قميصاً فوجدوا قميصَ عبد الله بن أبيّ يقدّر عليه، فكساه النّبيّ إيّاه"<sup>(2)</sup>. كما ورد أنه كسا بعضَ الأسرى من ملابسه. فلذلك نزع النّبيّ (صلى الله عليه وسلّم) قميصه الذي ألّبسه. قال ابنُ عيّنه: "كانت له عند النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدٌ، فأحبّ أن يكافئه"<sup>(3)</sup>.

### 4. الحرّيّة الدينيّة للأسير:

من حقوق الأسير حقّه في ممارسة شعائر دينه خلال مدّة أسره، فلا يُجبرُ الأسير على اعتناق الإسلام، ولم يُعرف عن النّبيّ (صلى الله عليه وآله)، أنه أجبر أسيراً على اعتناق الإسلام، ومن ثمّ لما رأى بعضَ الأسرى تلك المُعاملة من رسول الله، دفعهم ذلك إلى اعتناق الإسلام، وكان ذلك بعد إطلاق سراحهم. نعم يعرض الإسلام على الأسير، لا أنه يُجبر على اعتناقه، ولذا فصل الفقهاء في أحكام الأسير إذا لم يُسلم وإذا أسلم.

1 - الشيرازي، ن.م. (1379 هـ)، ج 19، ص 257.

2 - العيني، ب. د. (1980)، ج 14، ح 212، ص 257.

3 - نفس المصدر، ج 8، ص 165.

## 5. مُراعاة الاتفاقيات التي تعقد مع الأسرى:

من مظاهر احترام الشخصية المعنوية للأسير، تكليف الفقه الإسلامي المسلمين باحترام الاتفاقيات التي تُعقد مع الأسرى. يقول الفقيه الإمام القاضي (ابن البراج الطرابلسي): "وإذا كان المُشرك مُمتنعاً وهو أسير، فجعل له جعل على أن يدلّ على المشركين فدلاًّ عليهم، وجب الوفاء بما ضُمنَ له.

ولو جُعِلَ له جعل على أن يدلّ على مائة فدلاًّ على خمسين، أو عشرة فدلاًّ على خمسة، كان النَّصْفُ ممَّا جُعِلَ له، فإن كان أسيراً فجعل له أسيراً يقتل لم يقبل لأنَّ القتل لا يتبعَّض، فإن لم يؤخذ في الموضوع الذي دلّ عليه أحد، لم يكن له من الجعل شيء.

وإذا ضلَّ مسلمٌ عن الطريق ومعه أسير من المشركين، فجعل له الأمان إن دلَّه على الطريق، فلما دلَّه عليها ولاح له الجيش خاف المسلم، من ألا يُطلقه صاحبُ الجيش، كان عليه إطلاقه قبل وصوله إلى الجيش، فإن أدركه المسلمون قبل إطلاقه كان على صاحب الجيش إطلاقه له، فإن اتَّهمه في ذلك استحلفه عليه ثم أطلقه، وإن لم يفعل صاحب الجيش ذلك، على المسلم أن يأخذه في سهمه ثم يطلقه بعد ذلك... الخ<sup>(1)</sup>.

## 6. معالجة الجرحى:

إذا كان الأسير مجروحاً، فمقتضى كون الإحسان حقاً واجبا له أن يُداوى، كما فعل أمير المؤمنين (عليه السلام). كان في الخوارج أربعون جريحاً، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم ثم قال لهم: "أحقوا بأيّ البلاد شئتم"<sup>(2)</sup>.

## 7. ترك تعذيب الأسير:

من حقوق الأسير عدم تعذيبه والتَّنكيل به؛ فالأصلُ في التَّعذيب هو الحرمة، وهذا ما يتبنَّاهُ الفقه الإسلاميُّ قبل المعاهدات الدولية، وهناك أوجهٌ مُتعدِّدة لحرمة التَّعذيب لعلَّ أوضحها هي النَّصوص التي أوجبت الرِّفق والإحسان بالأسير، ولا شكَّ أنَّ التَّعذيب يُنافي الإحسان والرفق به،

1 - الطرابلسي، أ. (1406 هـ)، ج 1، ص 350.

2 - البلاذري، أ. (1964)، ج 1، ص 486.

كما تقدّم عن الإمام عليّ (ع)، بالإضافة إلى روايات مُتعدّدة في هذا المجال. لذلك أنكر رسول الله ضرب غلامي قريش في أحداث بدر، إذ قال لأصحابه: "إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ" (1).

وقد روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَام): "إِنَّ أَوَّلَ مَنْ [مَا] اسْتَحَلَّ الْأُمْرَاءُ الْعَذَابَ لِكَذِبَتِهَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [أَنَّهُ] سَمَرَ يَدَ رَجُلٍ إِلَى الْحَائِطِ وَمِنْ ثَمَّ اسْتَحَلَّ الْأُمْرَاءُ الْعَذَابَ" (2).

نعم قد استثنى الفقهاء من حرمة التعذيب، إذا كان هناك علمٌ أو قرائنٌ قريبة من العلم، تؤكد امتلاك الأسير بعض المعلومات الحساسة المهمة في هذا المجال، تُؤثّر في أمن المجتمع الإسلامي، فقد يُقال بجواز التعذيب في هذا المجال من باب قاعدة التّراحم.

ففي موسوعة الفقه الإسلامي ورد ما نصّه: "قد يقال: إنّ الموضوع إذا كان في غاية الأهمية - كحفظ النظام مثلاً - بحيث يتنجّز مع الاحتمال أيضاً وإن كان ضعيفاً، والفرض توفّقه على تعزير المتهم للكشف، أمكن القول بجوازه من باب التّراحم، حيث يتزاحم الواجب الأهم والحرام الذي ليس في حده". إلا أنّ هذا لو فرض تحقّقه، فلا يجوز إجراؤه إلا بإذن الحاكم وتشخيصه ذلك، ولا يجوز لأحدٍ غيره؛ لأنّه المسؤول عن مثل هذه المصالح وتشخيصها (3).

## 8. هداية وإرشاد الأسير:

من الواجب على المسلم الذي قبض على الأسير، أو على المجتمع الإسلامي والحكومة الإسلامية، بل من أهمّ الواجبات هداية الأسير وإرشاده إلى الله - تعالى -، وإلى دينه وكتابه وحلاله وحرامه. وبالجملة من الواجب هو العمل الثّقافي الإسلامي، فإنّ من الواضح أن الهدف من الحرب هو الهداية، وبثّ الدّعوة وإخراج عباد الله من الظّلمات إلى النّور، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وتنوير أفكار البشر (4).

1 - ابن هشام، ج. (1976)، ج2، ص449.

2 - الصدوق، م. (1966)، ج1، ص541.

3 - موسوعة الفقه الإسلامي (1423 هـ)، ج29، ص81.

4 - الأسير في الإسلام: 235.

### ثالثاً: حقوق الأسرى بين الاتفاقات الدوليّة والتشريعات الإسلاميّة

إنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) وسلّم جاء بمبادئه الإنسانيّة، ليشرّع للعالمين تصوّراً شاملاً لحقوق الأسرى في الإسلام، قبل المنظمات الحقوقيّة والإنسانيّة بمئات السنين وجعل للأسرى حقوقاً شاملة مبنية على مبدأ الكرامة الإنسانيّة والرحمة.

وإذا أردنا أن نجري مقارنة مُختصرة، بين اتّفاقية جنيف في حقّ الأسرى، وبالأخصّ اتّفاقية جنيف الثالثة، والتي تلت الحرب العالميّة الثّانية، وبين رحمة وسماحة وعدالة الإسلام، فقد نرى تشابهاً في بعض الجوانب بينهما، واختلافاً في موارد أخرى. ولكن من النّاحية العامّة يمكن القول، كلّ منهما يهدف إلى ضمان حماية، ومعاملة الأسرى بطريقة إنسانيّة، ولكن الأساليب والتفاصيل يمكن أن تكون مُختلفة. وفيما سيأتي بعض نقاط المقارنة بينهما:

1. الحقوق الأساسيّة للأسرى: الإسلام واتّفاقية جنيف، كلاهما يُشدّدان على حقوق الأسرى الأساسيّة مثل الحياة، والكرامة، والحرية الشخصيّة. ويجب على كلا الجانبين الامتثال لهذه الحقوق وعدم انتهاكها.

2. المعاملة الإنسانيّة: الإسلام واتّفاقية جنيف كلاهما يُشجّعان على مُعاملة الأسرى بإنسانيّة ورحمة. ويجب أن يتعامل الأسرى بلطفٍ وكرامةٍ، ويجب تجنّب أيّ أذى أو تعذيب أو مُعاملة غير إنسانيّة.

3. الرّعاية الصحيّة والغذاء: وفقاً لاتّفاقية جنيف، يجب أن يتمّ توفير الرّعاية الصحيّة اللاّزمة، والغذاء الملائم للأسرى. في الإسلام أيضاً، يجب أن يتمّ توفير رعاية صحيّة، ومأكولات مناسبة للأسرى، وكسوة، وغير ذلك ممّا تقدم.

4. العدالة والمُحاكمة: وفقاً لاتّفاقية جنيف، يجب أن يتمّ مُحاكمة الأسرى، وفقاً للإجراءات القانونيّة العادلة. وفي الإسلام، يجب توفير العدالة والمُحاكمة العادلة للأسرى، وفقاً للقوانين الشرعيّة.

### المطلب الأوّل: اتّفاقية جنيف الثّالثة

حلّت هذه الاتّفاقية محلّ اتّفاقية أسرى الحرب لعام 1929م. وتضمّ 143 مادّة، في حين اقتصرّت اتّفاقية 1929م على 97 مادّة فقط. وتمّ توسيع نطاق فئات الأشخاص، الذين لهم

الحق في التمتع بوضع أسرى الحرب طبقاً للاتفاقيتين الأولى والثانية. وتم صياغة تعريف أدق لظروف الاعتقال، ومكانه، وخاصة ما يتعلق بعمل أسرى الحرب، ومواردهم المالية، والإعانات التي يتسلمونها، والإجراءات القضائية المتخذة ضدهم. وقد أقرت الاتفاقية مبدأ إطلاق سراح الأسرى، وإعادتهم إلى وطنهم من دون تأخير بعد انتهاء الأعمال العدائية<sup>(1)</sup>، ومن الباب الثاني: الحماية العامة لأسرى الحرب المادة 12، تبدأ ببيان ما يتعلق بالأسرى، وكيفية التعامل معهم، والمبدأ الأساس الذي تركز عليه الاتفاقية، هو وجوب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية، كما هو مبين في المادة 13 والعديد من مواد الاتفاقية الأخرى. ونذكر بعض المواد القانونية الرئيسة في اتفاقية جنيف وهي:

**المادة 13:** يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات. ويحظر أن تقترب الدولة الحائزة لأي فعل أو إهمال غير مشروع، يُسبب موت أسير في عهدها، وبعد انتهاكاً جسيماً لهذه الاتفاقية. وعلى الأخص، لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني، أو التجارب الطبية، أو العلمية من أي نوع كان، مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني، أو لا يكون في مصلحته.

وبالمثل، يجب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات، وعلى الأخص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد الأسباب وفضول الجماهير. وتحظر تدابير الاقتصاص من أسرى الحرب.

**المادة 14:** لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال. ويجب أن تُعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن...

**المادة 15:** تتكفل الدولة التي تحتجز أسرى حرب، بإعاشتهم دون مقابل وتقديم الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية مجاناً. (اقتبسنا مواد الاتفاقية السابقة وما سيأتي من مضامين للمواد الأخرى)<sup>(2)</sup>.

وهناك مواد أخرى تُبين بعض أشكال التعامل الإنساني مع الأسرى، وسنذكر رقم المادة وبعضاً من مضمونها، من دون ذكر النصوص من أجل الاختصار:

1 - icrc.org اللجنة الدولية للصليب الأحمر

2 - اتفاقية جنيف في شأن معاملة الأسرى، الأمم المتحدة-حقوق الإنسان، عن الموقع الرسمي:

| رقم المادّة         | مضمونها   |
|---------------------|---|
| المادّة 17          | عدم مُمارسة أيّ تعذيب بدنيّ أو معنويّ أو أيّ إكراهٍ لاستخلاص معلومات  |
| المادّة 19          | عدم تعريض الأسرى للخطر دون مُبرر، في أثناء انتظار إجلائهم من منطقة قتالٍ  |
| المادّة 23          | عدم إرساله إلى منطقة تتعرّضُ للثيران، وتوفير ملاجئ للوقاية من الغارات الجويّة وأخطار الحرب الأخرى.  |
| المادّة 25-26-27-29 | توفير المأوى والغذاء والملبس المناسب والملاتم. ومرافق صحيّة تستوفى فيها الشّروط الصحيّة، وتُراعى فيها النظافة الدائمة.                          |
| المادّة 30-31       | توفير العناية الصحيّة وإجراء الفحوصات الطبيّة للأسرى.   |
| المادّة 34          | ترك لأسرى الحرب الحرّية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينيّة.   |
| المادّة 42          | يعدُّ استخدامُ الأسلحة ضدّ أسرى الحرب، وبخاصّة ضدّ الهاربين أو الذين يحاولون الهرب وسيلةً أخيرةً، يجب أن يسبقها دائماً إنذارات مُناسبة للظّروف. |
| المادّة 44-45       | يعامل أسرى الحرب من الضّباط ومن في حكمهم، بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنّهم.   |
| المادّة 52          | لا يُكلّفُ أيُّ أسير حرب بعمل، يمكن اعتباره مُهيئاً لأفراد قوآت الدّولة الحاجزة.  |

جدول - أرقام بعض القوانين في "اتفاقية جنيف" وبيان مضمونها.

### المطلب الثّاني: بين اتّفاقيّة جنيف والشريعة الإسلاميّة

وقبل إجراء أيّ مقارنة ولو بسيطة، بين اتّفاقيّة جنيف بموادها المختلفة، وبين التّشريعات الإسلاميّة المُلزّمة، أو الأخلاقيّة في شأن مُعاملة الأسرى، فمن المُلفت للنظر أنّ هذه الاتّفاقيّة حديثة عهد، وقد توصل إليها المُشرّع الوضعي بعد ما يقارب 1400 سنة على ظهور الإسلام، بينما تستندُ مُعظم القواعد والأسس التّشريعيّة الإسلاميّة ذات الصّلة، بمُعاملة أسرى الحرب إلى

معركة بدر أي عام 624 م، عندما أسر المسلمون سبعين رجلاً من مُقاتلي الأعداء في معركة بدر. وقد تقدّم معنا المعاملة الإنسانيّة والأخلاقيّة، التي لقيها أسرى الحرب على يد النّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، والمجتمع الإسلامي آنذاك امتثالاً لتوجيهاته المباركة كقوله: "استوصوا بالأسارى خيراً". من هذه الأمور على سبيل المثال، ما يتعلّق بالطعام، والمسكن، واللباس، وحقّ الحياة، والعلاج، وما شاكل ذلك. فجميعُ هذه التّعليمات هي أمورٌ من أسس الدّين، والأساس الجوهريّ فيها هو تكريمُ الإنسان، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70). فكلُّ ما ذُكِرَ في النّصوص الدّينيّة، من مبدأ التّكافؤ والمساواة بين البشر، ومُراعاة العدالة بينهم، على الصّعيد الاجتماعيّ والاقتصاديّ والقضائيّ، وحرّيّة التعبير، فى المجال الفكريّ والسّياسيّ، ورعاية حقوق النّاس، هي أبرز تجلّيات الكرامة الإنسانيّة. وقد حذّر الإسلامُ من بعض الأعمال، التي قد تؤدّي إلى سلب الفرد والمجتمع كرامته، وحثّ على مُواجهة هذه الأعمال، كما هو في موضوع معاملة الأسرى. هناك اختلافاتٌ ومُفارقاتٌ مُتعدّدة، بين الاتّفاقيّات والقوانين الوضعيّة وبين القانون الإسلاميّ، منها على مستوى منهج التّعريفات، ومنها على مستوى التّعامل مع الأسرى، ومنها على مستوى الرّؤية والأيديولوجيّة وغير ذلك، ولا تتسعُ المقال لكلّ هذه العناوين، ولكن نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

### 1. تعريف المدنيّ:

المدنيّون يعرفون في القانون الدّوليّ الإنسانيّ بطريقة سلبية، أي بتعريف المقاتلين، وما عداهم يُعدّ من المدنيّين الممنوع قتالهم. فقد ورد في المادّة 3 من الاتّفاقيّة: هم الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرةً في الأعمال العدائيّة، بمن فيهم أفراد القوّات المسلّحة، الذين ألّفوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض، أو الجرح، أو الاحتجاز، أو لأيّ سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال مُعاملةً إنسانيّةً. وأمّا في التّشريع الإسلاميّ فإنّ المدنيّين الذين يُمنعُ قتالهم محدّدون بأعيانهم، وبالتالي لا يجوزُ أسرهم فمنهم المسالمون، كالرهبان الملتزمين بأديرتهم، والطّواقم الإغاثيّة والطّبيّة، والرّسل، ومن يلحق بهم من الدّبلوماسيّين ونحوهم؛ ومنهم العاجزون عن القتال، كالشّيوخ والأطفال والنّساء الذين لا يقدرّون على القتال، ومنهم الذين ليسوا بعاجزين ولكن بينهم وبين القتال حاجزاً. وكلُّ ذلك مشمولٌ منصوصٌ في قوله تعالى الذي ذكرناه أنّاً: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، فالتعريف هنا إيجابيّ.



## 2. حقُّ الحياة ومُستلزماته:

كفلت المادة 1 والمادة 23 حياة الأسرى، ومُستلزمات الحياة من طعام ولباس؛ وفي مدرسة النَّبِيِّ (ص) وأهل البيت (ع) "الأسيرُ لا يُقتلُ بعد وضع الحرب أوزارها، وتوقف الاقتتال، ولو كان وثنيًا. فالدمُّ الإنساني ممنوعٌ عن السَّفك، إلّا مع عدوانه المسلَّح هذا نجده في سيرة عليٍّ عليه السَّلَام مع مُناوئيه"<sup>(1)</sup>، كما تقدّم. وقد حثَّ الإمامُ علي (عليه السَّلَام) الإمامَ المُجتبى (عليه السَّلَام)، على الرِّحمة في مُعاملة ابن ملجم بقوله: "بِحَقِّي عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ إِلَّا مَا طَيَّبْتُمْ مَطْعَمَهُ وَمَشْرَبَهُ وَأَرْفُقُوا بِهِ إِلَى حِينِ مَوْتِي وَنُطْعِمُهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَنَسْقِيهِ مِمَّا تَشْرَبُ حَتَّى تَكُونَ أَكْرَمَ مِنْهُ"<sup>(2)</sup>. أمّا اللباسُ فقد نصّت المادة 27، تُزوّدُ الدَّولةُ الحاجزةُ أسرى الحرب بكميَّات كافيةٍ من الملابس... وفي الإسلام اهتمَّ بموضوع كسوة الأسير حتى في كتب العامة، فقد أفرد البخاريُّ بابًا بعنوان "باب الكِسوةِ لِلأسارى"<sup>(3)</sup>.

## 3. حقُّ الحرّيةِ الدّينيّة:

قد كفلت المادة 34 من اتفاقية جنيف، الحرّيةِ الدّينيّةِ لِلأسرى؛ ومن حقوق الأسير في الإسلام، حقُّه في ممارسة شعائر دينه خلال مدّة أسره، فلا يُجبرُ الأسيرُ على اعتناق الإسلام، ولم يُعرَف عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، أنّه أجبر أسيرًا على اعتناق الإسلام. والذي كان يدفعهم إلى الإسلام هو حسنُ المُعاملة، التي تلقّوها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمجتمع الإسلاميّ آنذاك.

## 4. تركُ تعذيب الأسير:

نصّت المادة 17 على أنّه، لا يجوزُ ممارسةُ أيّ تعذيب بدنيٍّ، أو معنويٍّ، أو أيّ إكراه، على أسرى الحرب لاستخلاص معلوماتٍ منهم من أيّ نوعٍ. ولا يجوزُ تهديدُ أسرى الحرب، الذين يرفضون الإجابة، أو سبّهم، أو تعريضهم لأيّ إزعاج أو إححاف. وفي الإسلام لا يجوزُ تعذيب الأسير، إلّا في حالاتٍ خاصّةٍ كما تقدّم.

1 - السّند، م. (1429 هـ)، ص 75.

2 - الطّبرسيّ، ح. (1987)، ج 11، ص 79.

3 - البخاريّ، م. (1410 هـ)، ج 5، ص 236، ح 148.

### 5. احترام الشخصية المعنوية للأسير:

تنص المادة 1 كما تقدم، أنه لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم، وشرفهم في جميع الأحوال. ومن مميزات الطرح الإسلامي، أنه لا يريد أن يُحافظ على حياة الأسير فحسب، بل يريد أن يُحافظ على كرامته أيضاً؛ أي حياة مع حفظ الكرامة الإنسانية لهذا الأسير، يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال: 70).

يا أيها النبي قُلْ لمن في أيديكم من الأسرى، الذين تسلطتم عليهم وأخذت منهم الفداء، إن ثبت في قلوبكم الإيمان، وعلم الله منكم ذلك، ولا يعلم إلا ما ثبت وتحقق، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء، ويغفر لكم والله غفور رحيم<sup>(1)</sup>. فالأية تفيض بلغة الرحمة والاحترام لهؤلاء الأسارى، حيث طلبت من النبي التحدث إليهم، وطمأنتهم إلى مستقبل علاقتهم مع الإسلام، وأن الله -تعالى- في حال قبولهم الدعوة الإسلامية، فإن الله سيقبل منهم إسلامهم ويغفر لهم، وسيعوّض عليهم خيراً مما دفعوا لقاء إطلاق سراحهم.

### 6. احترام الموقعية الاجتماعية:

في المادة 44، يُعامل أسرى الحرب من الضباط ومن في حكمهم، بالاعتبار الواجب لرتبهم وسنّهم. وفي الإسلام احترام الأسير ذي المرتبة والمكانة في قومه، ومراعاة كرامته ومنزلته؛ وهذا ما ثبت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قد فعله مع (السفانة-ابنة حاتم طيء) كما تقدم، فهي من عليّة القوم، حيث أكرمها وأطلق سراحها. وما فعله أيضاً مع (ثمّامة بن أثال) سيد بني حنيفة" أحد ملوك اليمامة.

### 7. علاج الجرحى وتقديم الرعاية الطبية:

في اتفاقية جنيف الأولى في المادة (12)، من الفصل الثاني تنص على أنه، يجب في جميع الأحوال احترام وحماية الجرحى والمرضى من أفراد القوات المسلحة وغيرهم... ويجب على الأخص عدم قتلهم أو إبادتهم، أو تعريضهم للتعذيب، أو لتجارب خاصة بعلم الحياة، أو

1 - الطباطبائي، م.ح. (1991)، ج12، ص294.

تركهم عمداً دون علاج أو رعاية طبيّة، أو خَلَقَ ظروف تُعرّضهم لمخاطر العدوى بالأمراض، أو تلوّث الجروح. وتُقرّر الأولوية في نظام العلاج على أساس الدّواعي الطّبيّة العاجلة وحدها. . . وفي الإسلام يجب معالجة الجرحى، وتقديم الرعاية الطّبيّة اللاّزمة لهم، وذلك بمقتضى عموم الإحسان. وقد نُقل أنه (صلى الله عليه وآله)، أمر بالمنّ على جرحى الكفّار وإطلاق سراحهم. ودُكرَ عن عليٍّ أنه أمرَ بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسَلّمهم إلى قبائلهم ليُدّأَوْوهم<sup>(1)</sup>. ما تقدّم نبذة عن حقوق الأسير في الإسلام، مقارنة بالتشريعات الدّولية ويوم أقرتها الشريعة الإسلاميّة، وطبّقها المجتمع الإسلاميّ. لم تكن هناك اتّفاقيات دوليّة لا في جنيف ولا في غيرها، بل شرّعها الإسلام يوم كانت البشريّة غارقة في ظلام دامس، والنتيجة أنّ الإسلام قد سبق كلّ القوانين الوضعيّة في هذا المجال.

### النتائج:

من خلال هذه المقالة خلصت إلى التّائج الآتية:

- الدّين الإسلاميّ أعظم دين يرفع الدّم، ويُعلي من مكانة الإنسان، ويُحافظ على حقوقه ويرعى مصالحه، وبالأخصّ في التّعامل مع الأسرى.
- بُنيت نظريّة حقوق الأسرى في الإسلام على: الرّحمة، الكرامة، العدالة.
- الإسلام أقدم وأسبق من أيّ قوانين وتشريعات وضعيّة في مجال حقوق الأسرى.
- التّعامل مع الأسرى في الشريعة الإسلاميّة، تجاوز مستوى الحقوق والواجبات إلى الرّأفة والرّحمة والإنسانيّة المطلقة.
- تعدّ اتّفاقية جنيف، أهمّ وثيقة صدرت في مجال مراعاة حقوق الأسير في عصرنا الحاليّ.
- هناك نقاط اشتراك بين اتّفاقية جنيف والشريعة الإسلاميّة، وهناك نقاط امتياز وفوارق متعدّدة؛ منها مصدر الحقوق، وهو المصدر الوحياني في الإسلام، بينما مصدر الاتّفاقية هو الإنسان نفسه، ومنها المراكز، ومنها بعض البنود التي أشرنا إليها.

1 - ابن كثير، ع. (1977) ج 7، ص 320.

## المصادر والمراجع:

1. ابن جرير الطبري؛ محمد (1967) تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك"، دار المعارف، ط2، القاهرة.
2. ابن كثير، إ. (1976)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، ط1، بيروت.
3. ابن كثير، إ. (1992)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، ط1، بيروت.
4. الأنصاري، م.ع. (1390 هـ)، الموسوعة الفقهية الميسرة، مجمع الفكر الإسلامي، ط4، قم.
5. البخاري، م. (1410 هـ)، صحيح البخاري، جمهورية مصر العربية، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء كتب السنة، ط2، القاهرة.
6. البلاذري، أ. (1964)، أنساب الأشراف، ج1، دار المثنى، ط1، بغداد.
7. الترمذي، م. (1975)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر.
8. الجواهري، ح. (1429 هـ) بحوث في الفقه المعاصر، مجمع الذخائر الإسلامية، ط1، قم.
9. الحلبي، الحسن بن مطهر. (1410 هـ)، تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط1، قم.
10. ابن هشام، ع. (1963) السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ط1، مصر.
11. الرضي، م. (1372 هـ) نهج البلاغة، بنیاد مؤسسه نهج البلاغه، ط1، قم.
12. الدياربكري، ح. (1986) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار الصادر، ط1، بيروت.
13. السبحاني، ج. (1421 هـ)، مفاهيم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، ط4، قم.
14. السبزواري، ع. أ. (1409 هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مكتب آية الله العظمى السبزواري، ط2، قم.

15. السُّنَد، م. (1429هـ)، الرَّأْي الأخر في الوحدة والتَّقريب، باقيات، ط1، قُمّ
16. السِّيوريّ، م. (1384هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: محمّد باقر شريف زاده، المكتبة الرضويّة، ط1، طهران.
17. الشيرازيّ، ن.م. (1379هـ)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، النَّاشِر: مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، ط1، قم.
18. الصّدوق، م. (1403هـ)، الخصال، تحقيق: عليّ أكبر غفاريّ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفّة، ط1، قم..
19. الصّدوق، م. (1966)، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، ط1، النّجف.
20. الطّباطبائيّ، م.ح. (1991)، تفسير الميزان، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفّة، ط1، قم.
21. الطّبرسيّ، ح. (1987)، مستدرک الوسائل، مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، ط1، بيروت.
22. الطّرابلسي، ع. (1406هـ)، المهذب، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفّة، ط1، قم.
23. الطّوسي، م. (1363)، المبسوط، تحقيق: المكتبة المرتضويّة لإحياء آثار الجعفريّة، ط1، قُمّ.
24. الطّوسيّ، م. (1365هـ)، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسويّ، دار الكتب الإسلاميّة، ط4، طهران.
25. العينيّ، ب.د. (1980)، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث، بيروت.
26. الكلينيّ، م. (1365هـ)، الكافيّ، دار الكتب الإسلاميّة، ط4، قُمّ.
27. المازندرانيّ، م. (1379هـ) مناقب آل أبي طالب، مؤسّسة انتشارات علامه، ط1، قُمّ.
28. المجلسيّ، م.ب. (1983)، بحار الأنوار، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط1، قُمّ.
29. مؤسّسة دائرة المعارف فقه الإسلاميّ (1423هـ)، موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقاً

- لمذهب أهل البيت (ع)، مؤسسه دائرة المعارف فقه إسلامي بر مذهب أهل بيت (عليهم السلام)، ط1، قم.
30. الميانجي، ع. أ. (1422هـ)، الأسير في الإسلام، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط2، قم.
31. النجفي، م. ح. (1362 هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، ط3، طهران.
32. الواقدي، م. (1405 هـ)، المغازي، نشر دانش اسلامي، ط1، قم.

#### مواقع الإنترنت:

- [www.icrc.org](http://www.icrc.org)
- [www.ohchr.org](http://www.ohchr.org)

## استعمال الأسلحة المحرّمة دولياً دراسة في الشريعة من منظور إسلامي

د. علي عبد الله فضل الله<sup>(1)</sup>

### ملخص

يجبُ هذا البحث عن أحكام فقه الجهاد، بخصوص الأسلحة المُستخدمة في الحروب، ولاسيما الأسلحة المحرّمة دولياً. فرغم حداثة تطوير هذه الأسلحة، ورغم العقبات التي تُعرقلُ تقنينَ استخدامها في القانون الدولي، وقانون النزاعات المسلّحة، فإنّ قواعد فقه الجهاد تضبطُ إمكانية اللجوءِ إلى هذه الأدوات الحربيّة، ولاسيما أسلحة الدمار الشامل، وبالتحديد الأسلحة النوويّة. لكن ينبغي التذكير، بأنّ المقارنة بين قانون الحرب وفقه الجهاد ليست مسألة سهلة، ولا يمكن قصرها على مُقابلة قواعد القانون الدوليّ الإنسانيّ، أو ما يعرف اصطلاحاً بـ (jus in bello) بضوابط السلوك الحربيّ في الإسلام. فالإسلام يهتمُّ بقوة بأصل شرعيّة الحرب، أو ما يعرف اصطلاحاً بـ (jus ad bellum)، ومواصفات الحاكم القائم بها، وهو ما يتجاوزهُ المُشرّعون في القانون الدوليّ إلى حدٍّ ما، لكون أغلب حروب اليوم عدوانيّة. تتطوّر الأسلحةُ بشكلٍ كبيرٍ في هذا العصر، بل يتّضحُ أن الحروب هي قاطرة التّقدّم التكنولوجي الحديث. وهذا يفرض توسيع البحث إلى أنواع جديدة من الأسلحة، في زمن الذكاء الاصطناعيّ، والمُسيّرات، والتّشغيل الآليّ وغيرها. إنّ خطورة هذه الاستخدامات المُعاصرة للتكنولوجيا الحربيّة، تفرّضُ التّشدّد في ضبطها، وهو ما ينبغي أن يدفع نحو تطوير فقه الجهاد إلى المصاديق المُستحدثة.

**الكلمات المفتاحية:** أسلحة محرّمة دولياً - فقه الجهاد - القانون الدوليّ الإنسانيّ - أسلحة الدمار الشامل.

1 - أستاذ حوزويّ وجامعيّ. وأستاذ العلوم السياسيّة والقانون الدوليّ. مدير مركز القانون الدوليّ في بيروت.

## المقدمة:

لا زالت الحرب تُشكّل هماً إنسانياً داهماً، فهي لم تتوقف عن الإندلاع منذ بدء الخلق إلا نادراً. وهذا يطرح سؤالاً تأسيسياً، حول صلاحية البشر للتعاون من أجل تحقيق السلام؟ وهو على كُُلِّ حال، طرح تساؤلات عدّة، قديماً وحديثاً، حول مفاهيم الشرّ والواقعية والفترة والعدل والأخلاق وغيرها. وخرجت نظريات كثيرة، وُصفت نفسها بأنّها تُعبّر عن واقع، وليست مثالية، تستسلم لما تراه وجهاً مُظلماً للإنسان، الذي لم ينجح، بعد مرور آلاف السنين، من تأسيس مُجتمع واحد مُسالِم لفترة طويلة.

في الإسلام، يوجد بابٌ واسعٌ في فقه الجهاد، حيث لوقائع النزاعات المُسلّحة أحكامٌ تكليفيةٌ تنظمها بعناية. يجهل كثيرون مدى اتساع هذا الباب الفقهي، والتطور الذي يرافقه تطبيقاته. ولدينا معينٌ جيّدٌ في السيرة، كما أنّ هناك قاعدة آيات وروايات حول الجهاد ولوازمه، لكن في هذا البحث، لن يتمّ التعرّضُ إلا إلى ما يندرج تحت عنوانه، حول الأسلحة المحرّمة قانونياً والموقف الشرعيّ منها.

تمّ مناقشة قضية الحرب، في النصوص التاريخية -منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة- في كُُلِّ الثقافات التي خاضت في النزاعات الأساسية الحالية، المسيحية، اليهودية، الإسلام، الهندية. لذلك ينبغي علينا ألاّ نعتقد، أنّنا نواجه هذا الموضوع للمرة الأولى دون مُوجّه<sup>(1)</sup>. لذلك، الحرب ليست أمراً جديداً طُرح للتفكير والتنظيم، بل لطالما كان إشكاليةً تستدعي الحلّ، أو التنظيم، أو التوجيه. كثيرون ناقشوا الحرب والسلام، وطرحوا أفكاراً لمنع النزاعات المُسلّحة أو للبناء عليها.

1 - Sorabji, R. & David, R. (2007), p.13.



هنا لا بد -ابتداءً- من لفت النظر إلى تقسيم مُهمّ في هذا المجال. فقوانينُ الحرب هي على نوعين:

1. قانون الحرب: وله تسمياتٌ عدّة، منها: الأصل اللاتينيّ (jus ad bellum)، أو (Right of War)، وهي تعني شرعية أصل الحرب ومبرراتها، فالسؤالُ حول تسويغ الحرب ومقبوليتها، يجيب عنه هذا الفرع من قانون الحرب. عند هذه النقطة يجب القول: إنّ البحث في هذا المجال أكثر محدودية من المجال الثاني. السببُ هو أنّ القوى العدوانية والمتسلّطة، لا يُفيدها النقاش في شرعية حروبها لأنّ أغلب -إذا لم يكن كل- حروبها ظالمة. من المُهمّ توسيع البحث في هذا الجانب وعدم إهماله.

2. القانون في الحرب: أو قانون السلوك الحربيّ، وله تسمياتٌ مُماثلة: أيّ (jus in bello) أو (Right in War)، وهو مجموعة القواعد القانونية والهادفة إلى تخفيف ويلاتها، وليس إلى مناقشة شرعيتها. وهو الفرعُ الذي باتت تسميته متداولة اليوم بـ "القانون الدوليّ الإنسانيّ"، وهو ميدانٌ مطروحُ النقاش فيه على الدوام. وهذا البحث يقع ضمنَ هذه الخانة.

ويتمحورُ هذا البحثُ حولَ قضية استعمال الأسلحة المحرّمة دولياً، والنقاش الذي تثيره وإشكالياته، وبالتحديد حول شرعيتها من منظور إسلاميّ. وهو موضوعٌ معاصرٌ ومُهمّ، ومن المفيد بحثه، وتوضيح رأي الإسلام فيه، ولو باختصار.

على أنّ السؤالَ المركزيّ، والذي يحاولُ هذا البحثُ الإجابة عنه، هو ما الأسلحةُ المحرّمة دولياً؟ وما موقفُ الإسلام منها؟ وتكون الفرضية المتوقعة من هذه الإشكالية، هي أنّ القانونَ الدوليّ الإنسانيّ، جرّم استخدامَ عدّة فئات من الأسلحة، وفشل في تجريم غيرها، أمّا فقهُ الجهاد، فالقواعد التي تحكمه انتجت تقنياً مُهماً لهذه الأسلحة.

وقد اعتمدنا على منهجٍ إستقرايٍّ مكثّف، إذ يتطلّب الأمرُ عرضاً لمقولات وأفكار، ثمّ يعود ليستند إلى المنهج الوصفيّ التحليليّ المعاصر، والذي يقوم على فكرة المتغيّرات، وإجراء المقارنات بين مجموعتين من العيّات، أي مجموعة المراقبة ومجموعة الاختبار. ويُعنى هذا البحث بعرض قضية الأسلحة المحرّمة في القانون الدوليّ العام، وفي الشريعة الإسلامية.

## أولاً: شرعية الأسلحة المحرمة دولياً

وبحسب دراسة لـ "معهد كارنيجي" عام 1940م، شهدت البشرية مُعدّل عام واحد من السّلام، مقابل 13 عاماً من الحروب. وهذا يطرح أسئلةً مهمّةً، انشغلت في الإجابة عنها مجالات معرفيّة عدّة، ما المشكلة؟ لماذا البشر يتقاتلون طوال الوقت؟ لماذا يسود العلاقات بين النّاس الشرّ والعدائيّة؟ وهل الإنسان أصله خير أم شرير؟

تفاوتت التّفسيّرات لذلك، ففلاسفة العقد الاجتماعيّ، انقسموا بين رأيين في مرحلة الطّور الطّبيعيّ للإنسان، وعلماء الفلسفة والكلام قدّموا نظريات عدّة حول الشرّ، ومفكّرو السياسة بثّوا مقاربات ليبراليّة وواقعيّة متنوّعة. في التّتيجه، الحرب مُستمرّة، بل هي تزداد فداحة، خصوصاً على غير المقاتلين. فقد قُتل 40 مليون إنسان، بنسبة التّعادل بين العسكريّين والمدنيّين. وبين عامي 1945م و 1984م أصبحت نسبة الضّحايا تُقدّر بـ 10 مدنيّين مُقابل عسكريٍّ واحد. وفي العقدين الأخيرين من العام 2000، قدّرت المؤسّسات الإنسانيّة النسبة بـ 95 مدنيٍّ مقابل 5 عسكريّين. وتقدّر النسبة في حال اندلاع حرب نوويّة، بـ 100 مدنيٍّ مُقابل عسكريٍّ واحد<sup>(1)</sup>.

تنبغي الإشارة إلى أنّ مُصطلح الحرب، يتمّ تناوله في أكثر من مجال، وهو يختلف عن النزاع المسلّح أو العنف. في العلوم العسكريّة، وبحسب الماريشال (برنارد مونتغمري)، قال: "الحرب هي صدام طويل ينشب نتيجة لنزاع كتل سياسيّة بقوة السّلاح"<sup>(2)</sup>. أمّا في القانون الدوليّ العامّ، فالحرب تقع حصراً بين الدّول كأشخاص لهذا القانون، وليس بين منطّمات غير دوليّة، أو بينها وبين الجيوش النّظاميّة. لذلك، نشأ تعبير "نزاع مسلّح"، وهو يشمل الحرب بمعناها القانوني، وأيضاً كل اشتباك عام آخر. استخدم مصطلح "النزاع المسلّح" للمرّة الأولى في اتّفاقيّات جنيف 1949م، وشاع منذ ذلك الوقت.

أمّا العنف بمعناه الصّلب، فهو أيّ استخدام للقوّة، شرعيّاً كان أو غير شرعيّ. فهو يشمل الحرب والنزاع المسلّح كعموم وخصوص مطلق. في العالم اليوم، يُشكّل العنف أزمةً كبرى. فالقرن العشرون، وهو قرن الصّعود إلى القمر، وقرن القفزات التّقنيّة المهمّة، هو أسوأ قرن في تاريخ البشريّة على مُستوى الدّم. وبحسب تقديرات (روبرت مكنمارا)، وزير الدّفاع الأمريكيّ

1 - عواد، ع. (2004)، ص 9.

2 - أمين، م. ف. (2006)، ص 16.

الأسبق، فإنّ 160 مليون شخص قد قُتلوا في أعمال عنفٍ جرت خلال القرن العشرين<sup>(1)</sup>!

### أ- مخاطر تطوّر الأسلحة في التاريخ الحديث والمعاصر.

في الساعة 8:09 من صباح مدينة "هيروشيما" اليابانية في 6 آب 1945، أسقط الأمريكيّ Paul Tibbets حمولته النووية، للمرة الأولى في التاريخ العسكري، فوق المدينة الآهلة بالمدينيين وبعض الجنود. وبعد 44.4 ثانية من سقوط القنبلة في الهواء، انفجرت وقتلت ما بين 70 و 80 ألف شخص، ربعهم من الجنود. وقبل وفاته عام 2007م، أعاد الطيار الأمريكيّ التأكيد على استعداده لتكرار 'الجريمة'، إذا أمره رؤساؤه. لم تجر أيُّ محاكمة لمركبي هذا العمل، وغيره، بل إنّ اليابان تحذر فتح هذا الموضوع حتّى تاريخه. ورفعت، في متحف Hiroshima Peace Memorial Museum لوحة، تشرح ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم وفق الروايتين: الأمريكية (التبريرية) واليابانية (السردية)!

كان حدث استخدام السلاح النوويّ مدوياً، وأدّى إلى تغييرات على مستوى توازن القوى في العالم، الأمر الذي عجّل بمساعي الآخرين لامتلاك هذا السلاح الفتاك. اليوم، توجد تسع دول في العالم تحوز ترسانة نووية، تكفي لتدمير الأرض عدّة مرّات. وقد أثبتت تجارب المحاكاة، التي جرت حول نتائج اندلاع حرب عالمية ثالثة، الخطر المحدق بالبشرية بسبب تطويرها التكنولوجي العسكري هذا. للمرة الأولى، في التاريخ البشريّ المعروف، يُصبح لدى البشر القدرة على إفناء أنفسهم، وهذا ما دفع أكثر نحو محاولة وضع قوانين، تحول بين البشر وبين الانتحار.

هنا لا بدّ من التنبيه إلى متغيّر أساسي في الحروب، في السابق، لم يكن هناك داعٍ لتوظيف جيش ضخم لحماية الدولة، أو ما يُعرف بـ Still Army. كان يكفي أن تمتلك الإمبراطورية، نواة جيش احترافيّ على شاكلة حرس ملكي، أو فرق عسكرية تحمي القصور والثغور، وعندما تحدث حرب، يتمّ استدعاء الجيش للقتال، حيث إنّ أسلحة المعركة الأساسية، متوافرة في المنازل كالسيوف والدروع والأحصنة. لكن، بعد اكتشاف الأسلحة النارية والمدافع والآلة البخارية، بدأت الأمور تتغيّر. كبرت الجيوش، وأصبح ضبط الأمن وحماية البلاد أمراً مكلفاً ومُجهداً، حيث إنّ قدرة المقاتل على التّفاذ والتسبّب بالضرر ارتفعت، والمدة التي يتطلّبها وصوله إلى أهدافه قصّرت. وأحدث تقدّم

1 - ليو، ر. ن. (2013)، ص 13.

العلم والتكنولوجيا، تزايداً تدريجياً في التكاليف السياسية والاجتماعية، لاستخدام القوة العسكرية من أجل الغزو<sup>(1)</sup>. وبالخصوص، باتت تكاليف الأسلحة الحديثة تتصاعد بشكل كبير. لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فالنظام الاحتكاري للأسلحة المتطور لا يسمح لأي كان بالحصول عليه، وإذا حصلت دولة مستهلكة ما على سلاح متقدم من دول صناعية ما، فهي ستملكه بشروط مقيّدة، قد تضر بسيادتها، وربما بنوعية أقل من تلك الموجودة لدى الدول الموردة، حيث يتم بناء نماذج خاصة لجيوشها وجيوش حلفائها الموثوقين، ونماذج أخرى للتصدير. بعد كل ذلك، هناك ملف الصيانة الدورية، باعتبار أن هذه الأسلحة تُصمم على أساس قاعدة "تقادم مُخطّط له"<sup>(2)</sup>. ويتم احتكار المعرفة بخصوص الصيانة بشكل مُتشدّد، كما هو الحال مع برامج التحديث. وينسحب الحال نفسه إلى استيراد قطع الغيار، وكذلك إلى التدريب والتعاون العسكري والاستشارات وتبادل المعلومات. في الخلاصة، كما قال رئيس أركان الجيش المصري الأسبق، (سعد الدين الشاذلي) يوماً فإن: "صانعي القرار في دول العالم الثالث، ليست لديهم الكلمة الأخيرة في تحديد واختيار السلاح الذي يريدونه"<sup>(3)</sup>.

بالنسبة إلى الأسلحة المحرّمة دولياً، ما الداعي، أصلاً، لإنتاج هذا النوع من الأسلحة في المقام الأول؟

نتحدّث هنا، مثلاً، عن أسلحة الدمار الشامل، وهي أسلحة تطوّرت حديثاً. وتشمل لائحة أسلحة الدمار الشامل (WMD) ثلاثة أنواع أساسية هي: الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية (CBRN) وغيرها، وهي أسلحة تتميز بقدرتها على القتل، أو التسبب بأضرار جسيمة لعدد كبير من الناس، أو تؤدي إلى دمار كبير وهائل للبنى الصناعية والبيئة، إمّا على نطاق جغرافي واسع، أو إلحاق أذى شديد على صعيدي البشر وبيئتهم. وأوّل من أطلق هذا المصطلح كان أسقف كانتريري (كوزمو لانغ)، في 1937م، عندما انتقد الحرب في إسبانيا والصين. هذه الأسلحة هي:

1. الأسلحة النووية: تقوم على إطلاق سلسلة تفاعلات داخل النواة الذرية، إمّا انشطارية أو اندماجية أو غيرها، وتطلق كميات هائلة من الطاقة المدمرة والإشعاعات، ويُؤدّي استخدامها

1 - ناي، ج. (2007)، ص 43.

2 - Planned Obsolescence

3 - الشاذلي، س.ش. (2013)، ص 106.

على نطاق عالمي، إلى تغيير كامل في النظام البيئي على الأرض.

2. الأسلحة الكيميائية: وهي "سلاحُ الفقراء"، حيث يمكن إنتاج مواد كيميائية ضارة، بكلفة مقبولة، ونشرها في ميدان المعركة أو في مناطق مأهولة، لتتسبب بأذى كبير لدى من يتعرض لها.

3. الأسلحة البيولوجية: وهي أخطر أنواع الأسلحة، بحيث يُقال إن إلقاء 15 طنًا من المواد الجرثومية على سطح الأرض، يكفي لإفناء الحياة فيها، وهي الأسلحة التي تؤدي إلى انتشار أمراض بيولوجية بين الناس.

إنَّ تطويرَ هذه الأسلحة جعل الحربَ التقليديَّة من الماضي، فأصبحَ هناك حدُّ رادعٍ، يمنع أيًّا كان من التَّعرُّض إلى دولة تملك أسلحة دمار شامل، وهذا ما دفع كثيرين باتجاه تصنيعها أو استيرادها. في الواقع، فإنَّ مروحةً مُوسَّعةً من الأسلحة، أو الاستخدامات العسكرية لقدرات مُعينة تُغيِّر شكل الحروب، ومنها الذكاء الاصطناعي، والتشغيل الآلي، والتكنولوجيا السيبرانية، والمسيرات على أنواعها، والبحث عن مصادر طاقة جديدة للوقود، والأسلحة غير القاتلة أو غير الانفجارية، والألغام البرية والبحرية، والتطوُّر الحاصل على صعيد الغوّاصات وحرب الفضاء وغيرها.

### ب- دور القانون الدولي الإنساني في ضبط استخدام الأسلحة

القانون الدولي الإنساني، هو "ذلك القطاع الكبير من القانون الدولي العام، الذي يستوحي الشُّعور الإنساني، ويركِّز على حماية الفرد"<sup>(1)</sup>، وهو "مجموعة من القواعد الرامية إلى الحد من آثار النزاعات المسلَّحة لدواع إنسانية"<sup>(2)</sup>. ويرمي القانون الإنساني إلى "تخفيف المعاناة الإنسانية الناجمة عن الحرب، أو إلى "أنسنة" الحرب كما يُقال أحياناً"<sup>(3)</sup>.

ويلعب القانون الدولي الإنساني دوراً حاسماً في ضبط الحروب وحماية الأفراد، الذين لا يشاركون في القتال في أثناء النزاعات المسلحة. ويعني هذا القانون (Law in War) بحماية المدنيين والممتلكات المدنية بدون تمييز، ومنع التعذيب والمعاملة اللاإنسانية، أو المهينة

1 - بكتيه، ج.س. (2000)، ص 33.

2 - دليل التنفيذ الوطني للقانون الدولي الإنساني، ص 13.

3 - كالسوفن، ف. وتسغفلد، إ. (2008)، ص 14.

للمحتجزين والسجناء، وتحديد الأهداف العسكرية وحظر الهجمات، التي لا تفصل بين الأهداف العسكرية والمدنية، وحماية المصدرين الإنسانيين، الذين يقومون بتقديم المساعدة الإنسانية للمدنيين في مناطق النزاع، وتحديد مُعاملة سجناء الحرب؛ ومنع الأسلحة المحظورة دولياً مثل، الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وتحديد القواعد للاستخدام الشرعي للأسلحة، وتحديد المسؤولية الفردية لأفراد القوات المسلحة عن انتهاكات القوانين الدولية.

بشكل عام، يهدف قانون الحرب، بحسب ديباجة إعلان "سان بيترسبيرغ" عام 1868م، إلى "الحد من ويلات الحرب والتخفيف منها قدر الإمكان. ولذلك، يُوفَّق قانون الحرب بين الضرورات العسكرية والمقتضيات الإنسانية. ويميّز، على هذا النحو بين ما هو مُباح -مشروع- وما هو غير مُباح"<sup>(1)</sup>. لذلك، تهدف هذه القوانين إلى تقديم إطار قانوني، يُقلل من آثار الحروب على المدنيين والأفراد غير المشاركين في القتال.

بالنسبة إلى أسلحة الدمار الشامل، وبحسب قرارات مجلس الأمن، فإن "انتشار أسلحة الدمار الشامل كافة، يُشكل تهديداً للسلام والأمن الدوليين"<sup>(2)</sup>. وقد بذلت الأمم المتحدة، جهوداً عدة للحد من مخاطر هذه الأسلحة، وخصوصاً السلاح النووي الأكثر فتكاً وضرراً. أمّا الأسلحة الكيميائية، فقد بذلت مجهودات لتقييد استعمالها، خصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، التي استخدمت فيها الأسلحة الكيميائية. وقد قرّر مجلس الأمن، "أن استخدام الأسلحة الكيميائية أينما كان، يُشكل تهديداً للسلام والأمن الدوليين"<sup>(3)</sup>.

بالنسبة إلى الأسلحة النووية، تتمثل هذه الجهود في ثلاثة مجالات، منع انتشار الأسلحة النووية، وقف التجارب النووية، وتخفيض الترسّانات النووية. في 1 يوليو / تموز 1968م، تم توقيع معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وفي هذه الاتفاقية، تتعهد كل دولة من الدول الحائزة للأسلحة النووية -تكون طرفاً في هذه المعاهدة- بعدم نقلها إلى أيّ مكان، لا مباشرة ولا بصورة غير مباشرة، أية أسلحة نووية أو أجهزة مُتفجرة نووية أخرى، أو أية سيطرة على مثل تلك الأسلحة أو الأجهزة، وبعدم القيام إطلاقاً بمساعدة، أو تشجيع، أو تحفيز أية دولة من الدول غير الحائزة

1 - دي مولينين، ف. (2000)، ص2.

2 - قرار مجلس الأمن رقم 1172 الصادر في 7 حزيران 1998.

3 - قرار مجلس الأمن رقم 2118 الصادر في 27 أيلول 2013.

للأسلحة النووية، على صنع أية أسلحة نووية، أو أجهزة مُتفجّرة نووية أخرى، أو اقتنائها أو اكتساب السيطرة عليها بأيّة طريقة أخرى<sup>(1)</sup>.

هنا لا بُدّ، من ذكر مسألة قانونية خطيرة في قانون الحرب، لا يعرفها غير المتخصّص، وهي الفتوى الصادرة في 8 يوليو/تموز 1996م عن محكمة العدل الدولية، والمتعلّقة بمشروعية التهديد بالأسلحة النووية، أو استخدامها. في هذا الرأى الاستشاري، ورغم كلّ ما يُقال ويكتب عن خطر الأسلحة النووية وضررها، أبدت المحكمة استخدام هذه الأسلحة، رغم أنّها أوجبت "أن يكون التهديد بالأسلحة النووية أو استخدامها، متماشياً مع مقتضيات القانون الدولي الواجب التطبيق، في أوقات النزاع المسلح، ولا سيما مقتضيات مبادئ القانون الإنساني الدولي وقواعده، وكذلك مع الالتزامات المحدّدة بموجب معاهدات، أو غيرها من التعهّدات التي تتعلّق صراحةً بالأسلحة النووية"<sup>(2)</sup>. هذه الفتوى، رغم التبريرات المتداولة حول صدورها بهذا الشكل، تكشف عن خلل هيكليّ، في منظومة التقنين الدوليّ، والنظام السياسيّ الذي تستند إليه.

أمّا الأسلحة الأخرى المحرّمة دولياً، فالقانون الدوليّ الإنسانيّ يُنظّمها بطريقتين: فهو إمّا يُحرّمها -استخداماً وإنتاجاً وتخزيناً-، وإمّا يُرخصها، لكنّه يمنع استخدامها في بعض الحالات. وينبغي لفت النظر، إلى وجود نقاشات أعمق حول استخدام بعض الأسلحة، قد يكون محلّها بحث آخر. أمّا أنواع هذه الأسلحة، فيمكن عرضها، وباختصار، على النحو الآتي:

1. الأسلحة الكيميائية والغازات السامة: وهي محظورة بموجب عدّة نصوص قانونية أقواها، "اتفاقية حظر استحداث، وإنتاج، وتكديس، واستخدام الأسلحة الكيميائية، وتدمير تلك الأسلحة"، والتي أبرمت في جنيف في 3 سبتمبر/أيلول 1992م، ودخلت حيّز التنفيذ في 29 أبريل/نيسان عام 1997م. وقد أنشأت هذه الاتفاقية "منظمة حظر الأسلحة الكيميائية"، ومقرّها "لاهاي"، وانضمت إليها أغلب دول العالم.

2. الأسلحة البيولوجية: وهي محظورة، بالنسبة إلى الدول الموقعة والمصدّقة على "اتفاقية حظر استحداث، وإنتاج، وتكديس الأسلحة البكتريولوجية أي البيولوجية، والتكسينية، وتدمير تلك الأسلحة"، التي دخلت حيّز التنفيذ في عام 1975م. وافترقت هذه الاتفاقية إلى تعريف

1 - م 1 من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، 1968م.

2 - الفتوى الصادرة في 8 يوليو/تموز 1996م عن محكمة العدل الدولية.

واضح للأسلحة البيولوجية، كما كان ينقصها آلية للمراقبة. وقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية، في عام 2001م، مسودة بروتوكول ملحق بالاتفاقية، كان سيلزم الدول الأطراف، بالكشف عن المنشآت ذات الصلة وإخضاعها للتفتيش.

3. الذخائر العنقودية: تم توقيع هذه الاتفاقية في 3 سبتمبر/كانون أول 2008م في "أوسلو"، وأصبحت نافذة في 1 أغسطس/ آب 2010م، ووقع عليها 108 دولة. وتقيّد هذه الاتفاقية حرية استخدام الجيوش لهذه القنابل، التي لا يتوقّف سقوط ضحاياها، قبل مرور سنوات طويلة على استخدامها. لكن، ورغم هذه اللوائح القانونية الناطمة لاستخدام هذه الأسلحة، فلا زالت تُستخدم على نطاق غير ضيق. وقد تبين، في تحقيق خاص، أن "تجارة القنابل العنقودية مُمولة من بعض أكبر مصارف العالم"<sup>(1)</sup>.

4. الألغام والشراك الخداعية والشظايا غير القابلة للكشف: وهي التي تستهدف المدنيين، أو لا يمكن كشفها، أو خارج المناطق المحدد فيها وجود هذا النوع من السلاح. ويمكن أن يلحق بهذه الفئة "الرصاص المتوسّع"، أي المقذوفات التي تتمدد أو تتسطح في جسم الإنسان، لكن الولايات المتحدة تُصرّ أن استخدام هذا السلاح مقبول في حال الضرورة.

5. الفوسفور الأبيض والأسلحة الحارقة: بموجب بروتوكول 3 من معاهدة الأسلحة التقليدية للعام 1980م (بروتوكول الأسلحة الحارقة)، يُحظر استخدام هذه الأسلحة ضدّ الأفراد، أو ضدّ أهداف مَحمية بموجب القانون الإنساني. لكن ثمة جدال قانوني تفصيلي في هذا الجانب، ليس محلّه هنا.

## ثانياً: شرعية السلاح في فقه الجهاد.

لا بُدّ هنا، من ضبط المصطلحات، قبل الخوض في تقنين الشريعة الإسلامية لوسائل القتال. فهناك خلط كبير في بعضها حتى عند بعض المتخصصين. إذ ينبغي الالتفات إلى، أن كثيراً من الأمور تم مناقشتها في السابق، وأنه قد لا يوجد ميدان معرفي ما، إلا وفيه إسهامات بحدود معينة، وربما توافقات على تحديد تعريفات لمصطلحات مفتاحية، بغض النظر عن القبول بها أو ردها. ربطاً بعنوان هذه الفقرة، فالكلام يدور حول مصطلحي المشروعية والشرعية. وباختصار، المشروعية (Legitimacy) هي "حالة اجتماعية تلتصق بفاعل أو عمل، وتقتضي النظر إليها

1 - Mathieson, N. (2009).



باعتبارها جيّدة، مناسبة، أو جديرة بالثناء من قبل مجموعة من الآخرين<sup>(1)</sup>. أمّا الشرعيّة (Legality)، فهي ما يوافق القانون. وفي القانون الدوليّ، يمكن تعريف المشروعيّة "بأنّها الاستجابة لما يتصوّره النّاس، ويريدونه من النّظام والحكم والقانون، فإذا كان مُنسجماً مع ما يتطلّعون إليه، ويرضونه ويعدّونه عادلاً ولازماً، كان مشروعاً، وإذا لم يكن كذلك يكون غير مشروع، حتّى ولو أقرّه الحاكمون"<sup>(2)</sup>. هذا في الاستخدام الأكاديميّ، أمّا في المنظور الإسلاميّ، فالشرعيّ هو نسبةً إلى الشّرع، وهو القانون الإلهيّ المرسل من خلال النّبىّ محمّد (ص). أمّا المشروع، بحسب اللّغة، فهو اسم مفعول من شرع، وشرع في العمل يعني أخذ فيه وبدأ به، وشرع المشروع أيّ جعله مباحاً، والمشروع يعني الموسّغ.

يرى (هيغل) أنّه لكي نُحدّد المراد بالمشروعيّة -وهو لا يستخدم هذا المصطلح-، "يلزم بادئ ذي بدء سلطة تحدّد الكليّ عالمياً، سلطة تشريعيّة، ومن ثمّ سلطة تعمّم الحالة الخاصّة وفقاً للقاعدة الكليّة، أيّ سلطة تُطبّق القوانين والمبادئ، وتقرّر على ضوء واقع كلّ الأزمان أنّها السّلمة الإداريّة، وأخيراً السّلمة التي تصوغ الإرادة التجريبيّة، أيّ السّلمة التي تصدر قراراتها بعد التّداول والتّشاور والحوار، وبعد انتهاء صراع المصالح والمذاهب، إنّها السّلمة المقرّرة أيّ الملك أو الأمير"<sup>(3)</sup>. وقد انتقد (السيد محمّد باقر الصّدر)، اعتقاد (هيغل) وسواه، بأنّ المجتمع كائنٌ عملاقٌ له وجودٌ مُستقلٌّ عن الأفراد، وقال: "هذا التّصوّر ليس صحيحاً، ولسنا بحاجة إلى الإغراق في الخيال إلى هذه الدّرجة، لكي ننحت هذا العملاق الأسطوريّ من هؤلاء الأفراد، ليس عندنا إلّا الأفراد"<sup>(4)</sup>.

فيما يتعلّق بالحرب، وهو محلّ البحث، فإنّ الحرب المشروعّة (Bellum Justum)، تكون عندما "تريد بعض الدّول، مدعومة بأغليبيّة من المجتمع الدوليّ، التّدخّل عسكرياً لمعالجة وضع يُهدد السّلم والأمن الدوليّين، ولكنها غير قادرة على الحصول على مُوافقة مجلس الأمن بسبب مُعارضة عضوٍ دائمٍ أو أكثر من عضوٍ دائمٍ. بحسب الظروف، فإنّ التّدخّل يبقى غير شرعيّ، لكن

1 - Coleman, K. (2007), p.20.

2 - طي، م. (2009)، ص 43.

3 - وايل، إ. (1986)، ص 68.

4 - الصّدر، م. ب. (2013)، ص 83.

يمكن اعتباره مشروعاً<sup>(1)</sup>. أمّا الحربُ الشرعيّة (bellum legale)، فهي التي تقع تحت سقف ميثاق الأمم المتحدة.

في الدراسات الإسلامية، أطلق الفقهاء على مباحث القانون الدوليّ، مصطلح "السّير والمغازي"<sup>(2)</sup>. السّير جمع سيرة، وتبين سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين؛ والمغازي نسبةً إلى غزوات الرّسول (ص). وقد كتب الفقهاء عدداً من الرّسائل في الجهاد، ومن أول ما وصلنا في ذلك "كتاب السير" لـ (الأوزاعي)، وهو «من أكثر مؤلّفات الأوزاعي شهرةً، وقد أثار جدالاً كبيراً بين مختلف المدارس الفقهيّة»<sup>(3)</sup>، وكذلك كتاب "السير الكبير" لـ (محمد بن الحسن الشيباني)، الذي يعدّه بعضُ مفكّريّ العرب، مؤسساً للقانون الدوليّ قبل «غروتوس» (Hugo Grotius).

### أ- الموقف من الحرب في الإسلام.

في المائتي عام الأخيرة، حُمِل على الإسلام ثلاث قضايا، وهي الإسلام والعلم، والإسلام والمرأة، والإسلام والعنف. وسال جبر كثير حول علاقة الإسلام بالحرب، ومفهوم الجهاد، ومسألة الإرهاب. لذلك، من الضّروري في بحث كهذا، وتحت سقف ضوابطه المنهجية، التّأسيس لتوضيح وردّ بعض الشُّبهات، وتعريف بعض المصطلحات، بما يخدم الهدف النهائيّ منه، ضمن الحجم المختصر المطلوب.

الجهاد في المفهوم الإسلاميّ، وكما يصفه (ابن رشد)، "مأخوذ من الجهد وهو التّعب، فمعنى الجهاد في سبيل الله، المبالغة في إتيان النفس في ذات الله وإعلاء كلمته.. والجهاد ينقسم إلى أربعة أقسام: جهاد بالقلب، وجهاد باللسان، وجهاد باليد، وجهاد بالسيف"<sup>(4)</sup>. المراد في هذا البحث هو الجهاد بالسيف. وأصل كلمة "الجهاد" المشقّة وبذل الطّاقة، أمّا في الاصطلاح، فهو بذل النفس والمال والوسع في محاربة المشركين أو الباغين، وإعلاء كلمة الحقّ، بإخلاص لله

1 - Gazzini, T. (2005), p.98.

2 - الزّيد، ز. (2004)، ص 8.

3 - الزّمالي، ع. (2010)، ص 59.

4 - ابن رشد، مقدّمات ابن رشد، ص.ص 258-259.

وحده. وهو على نوعين: ابتدائيّ (تحريريّ)، وله شروطه، ودفاعيّ عن بيضة الإسلام. هنا لا بُدَّ من توضيح بعض النقاط. أولاً: الإسلام، على خلاف الأديان الأخرى، تشمل قواعده كلّ الوقائع، ومنها الجهاد. فالنظرة السوسولوجية إلى الدين، أو ما يُسمّى بالتعددية الدينية، تخاطر في مساواة سعة الشريعة بضيق أفق غيرها من مُسمّيات الدين. في علم الكلام (الجديد) تفصيل مفيد، حول تعريفات كلمة "دين"، لكن ما يعنينا هنا هو أنّ الإسلام يُقونن المجال العامّ، وهو على خلاف ما سعى إلى تأكيده البعض، قانون الحياة والدنيا، والعلاقة بين الإنسان والمجتمع مع الله. أمّا الإسلام الفرديّ، فيُشكّل جزءاً بسيطاً من قواعد الإسلام.

ثانياً: إنّ الممارسات التي جرت باسم الإسلام من قبل بعض المنظّمات، والتي سلّط عليها الكثير من الأضواء والتحليلات، لا تمتُّ إلى الإسلام الحقيقيّ بصلّة. نعم، موضوعياً، هناك مدارس ذات تراث مُعيّن بالغت في تطرّفها قديماً وحديثاً، لكن، أيضاً منهجياً، على الباحث أن يطلّع على آراء علماء المسلمين الباقين، من أجل الفهم الصّحيح. تقعُ قضية الجهاد في قلب هذا النقاش، لأنّ الكثيرين يفهمونه بطريقة خاطئة.

ثالثاً: الهدف الأساسيّ من عمران الدنيا هو العدل والسّلام. هنا لا بُدَّ من تعريف السّلام والأمان. من الغريب أن تجد، في الدّراسات العسكريّة، والأمنيّة، والقانونيّة، الكثير من تعريفات الحرب، والصّدّام، والنزاع، والأزمات، والعنف، والجريمة؛ والقليل من تعريفات السّلام، الذي يدّعي الكثيرون الرّغبة في تحقيقه. أمّا السّلام، فهو "حالة المجتمع عندما لا يتمُّ حلُّ الخلافات، من خلال التهديد بالقوّة المسلّحة أو استخدامها، وعندما يحترم النّظام العامّ"<sup>(1)</sup>. والأمان، في فقه الجهاد، هو "القرار الصّادر عن المسلمين، بشأن رفع الخوف والخطر الناشئ من الحرب الفعلية، أو من حالة الحرب، في حقِّ واحد من الكفّار أو أكثر"<sup>(2)</sup>. للتذكير، من أسماء الله، في الإسلام، السّلام، وتحيّة المسلمين هي «السّلام عليكم»، بل إنّ المُسلم يُسلم على نفسه في نهاية صلاته.

رابعاً: تتنوّع فتاوى الجهاد بين مذاهب المسلمين، ولكن يمكن القول بشكل عامّ، إنّ الجهاد المطروح هو الجهاد الدّفاعيّ. في فقه الجهاد في الإسلام، يشمل الدّفاع عن النّفس "الدّفاع عن الحياة في مقابل القتل، والدّفاع عن السّلامة في مقابل القطع والجرح والإيلام..". يمكن القول

1 - سولنييه، ف.ب. (2006)، ص 326.

2 - خامنئي، ع. (1397 هـ.ش)، ص 7.

بتعميم النفس، إلى كل ما يقوم الوجود المعنوي، والاعتباري، والاجتماعي، وفي كل ما جعله الله - تعالى - حقاً للإنسان، وامتعه به، وأباحه له، وأوجه عليه. فيدخل في ذلك حرية الإنسان واستقلال إرادته، ومن جملة ذلك، ممارسة عقيدته، والتعبير عنها، والدعوة إليها، كما يمكن أن يدخل في ذلك، كل ما يتصل بالكرامة، والاعتبار المعنوي في المجتمع<sup>(1)</sup>. وهو ما تُسميه الروايات بالمظلّمة.

**خامساً:** في الإسلام، "لم يرد تشريعٌ يُستفاد منه، وجوب إعداد ما يُسمى الآن الجيش المُحترف، وهو تفرُّغ عدد من المُقاتلين لحياة الجندية، مدّة من الزّمن، في حال السّلم"<sup>(2)</sup>. لكن يبدو أنّ هذا أمرٌ إجماعيٌّ بحسب العصر، متروكٌ لمساحة فراغ تشريعيّ، يُقدّرها الفقيه الحاكم، وهو نتيجةٌ لطبيعة التّهديدات التي يتعرّض لها المسلمون اليوم. وقد ذُكرت سيرة الإمام عليّ (ع) بأنّه في زمانه، تمّ تأسيس "شرطة الخميس"، وهم قوّةٌ مُهيأةٌ للدّفاع ضدّ العدو، وللحراسة ومُساعدة الحكومة في تنفيذ الأحكام، ولهم علامات يُعرفون بها، وقد بلغ عددهم خمسة أو ستّة آلاف. في الخلاصة، يُشكّل قانونُ الحرب وفقه الجهاد لائحتين قانونيتين، يُنظمان السّلوک الحربيّ، ومنها الأسلحة المُستخدمة فيها. لكنّهما يتغيّران في أكثر من مجال، منها المصدر، وفقه الجهاد يستند إلى الشريعة الإسلامية، بينما قانون الحرب يستند إلى المعاهدات الدولية -الغربيّة التقنين إلى حدّ بعيد-. وبينما يُولي فقه الجهاد أهميّةً كبيرةً لمُسوّغات الحرب والقائمين عليها، يضعف هذا التّركيز كثيراً في قانون الحرب (Law of War)، لصالح البحث في تقليل الأذى النّاشيء عن القتال الفعليّ، وهو ما يُنظّمه فقه الجهاد، والذي بدوره يهدف إلى تحقيق العدل بمعناه المتعاليّ، وليس مجرد تخفيف الظّلم، على طريقة (أمارتيا سين). بشكل عامّ، يتمثّل الاختلافُ الرّئيس في المصدر، والأساس، والشّرعية، بين قانون الحرب وفقه الجهاد، حيث ينحدرُ كلٌّ منهما من خلفيّة قانونيّة وأخلاقيّة مُختلفة.

## ب- حكم الأسلحة في فقه الجهاد

وهنا نصلُ إلى صلب موضوع البحث، بعد التمهيد له. ففي فقه الجهاد، "لم يكن الإسلام

1 - شمس الدّين، م.م. (2011)، ص 168.

2 - نفس المصدر. (2000)، ص 583.

ليترك الحربَ دون ضوابط، تحدُّ من إمكانية شتّها، ومن شهوة القتل عند المتقاتلين والقادة، وتحمي الضّعفاء والعجزة وغير المشاركين، بل هو وضع المبادئ الأساسية لما يُسمّى اليوم (القانون الإنساني)<sup>(1)</sup>. ومن هذه الضوابط استخدام الأسلحة التي هي وسيلة لتحقيق الأهداف. فقد استخدم النبيّ السيِّف والدِّرع، وقاد الغزوات، وأرسل السرايا، واستخدم المنجنيق في ثقيف، وربما في خيبر. الأهمُّ هي القواعد الحاكمة على استخدام الوسائل، وعلى جواز استخدامها في المقام الأوّل. ونعرض، فيما سيأتي، لبعض هذه القواعد:

1. لزوم إعداد القوة: فالمجاهد لن يتمكن من إرهاب عدوّه الحربيّ إلا بالقوّة، وتشمل القوّة تجهيز العتاد المناسب لتحقيق النّصر في المعركة. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى الجانب الإيمانيّ الطّاعني في الجهاد، ما يلزم عنه ضرورة قيام المسلم بما عليه وبمقدار استطاعته، وتبقى وسائل النّصر الغيبية حاضرة في توفيقه بهذه النتيجة<sup>(2)</sup>.

2. قاعدة جواز استخدام كلّ ما يُرجى منه الفتح: فلا يختصُّ الجهادُ مع الكفّار بأسلحة مُحدّدة، بل بالأدوات الحربية في كلّ عصر. ويخرج عن هذا الإطلاق ما استثناء العلماء بقيد آخر.

3. عقد السّبِق والرّماية: وهي المسابقة بالوسائل العسكرية للتّدرب على الحرب، وهي مُعاملة لها شروط العقد من إيجاب وقبول، وما يُهمّنا هنا منها، هو رأي الفقهاء المعاصرين بصحّتها في جميع الآلات المُستعملة في الحرب في زمننا<sup>(3)</sup>.

4. حرمة إلقاء السّموم في الحرب: نهى الرّسول (ص) أن يلقى السّم في بلاد المشركين، كما في الروايات، وأفتى العلماء في ذلك، لكن قد تصحّ حيازته مع وجوده في يد الكفّار، مثلاً، أو لو هدّدوا به<sup>(4)</sup>. وقد بحث العلماء المسلمون، في مسألة إلقاء السّم في الماء، أو مسألة قطع الماء، أو التّغريق، أو التّحريق، وهي أدوات قتال تُسبّب إنهاء الحياة في منطقة القتال.

5. حرمة الإضرار بالإنسان<sup>(5)</sup>: إن كان مسلماً أو ذميّاً، إذ يتمُّ احترامه في دمه، وماله، وعرضه؛ وإن كان غير حربيّ، فله حقوق مُحدّدة في الكتب الفقهية. هنا، تتسعُ مصاديق الإضرار في زمننا

1 - طي، م. (2009)، ص 85.

2 - راجع: حسين الحسني، النّصر في القرآن، ص 125.

3 - الخوئيّ، أ.ق. (1992)، ج 2، ص 119.

4 - زمنيّ، أ. (1991)، ص 184.

5 - راجع: حبّ الله، ح. (2023)، ج 2، ص. ص 531 وما يليها.

المُعاصر، وقد ذكرنا التطور الذي حصل على صعيد السلاح، وقدراتها الفائقة على الإضرار بالإنسان والطبيعة. فالأسلحة النووية، مثلاً، باتت قادرة على إنهاء الحياة البشرية، وكذلك الأسلحة البيولوجية.

6. حُرمة إهلاك الحرث والنسل: وهو ما يصدق عليه عرفاً، إتلاف الحياة الحيوانية والنباتية. فما لم يعرض عنوان ثانوي يُستثنى هذا التحريم، فهو على إطلاقه. ولعلّ من أقوى مصاديقه الأسلحة المحرّمة بعرف اليوم، وهو عتادٌ حربيٌّ يُسبّب هلاكاً غير عاديٍّ، لا يمكن مُقارنته بما كان قائماً في الماضي.

7. قاعدةُ استعمار الأرض: المُسلم مسؤولٌ عن عمارة البلاد، وحتّى عن البقاع والبهايم. لذلك، فإنّ من يُخالف موجب عمران الدنيا فهو أمر غير مقبول، فكيف إذا كانت أسلحة فتّاحة، كما هي الحال في هذا الزّمن. لو تخيلنا اندلاع حرب نووية، فهي بالتأكيد ستقتل المليارات، وتقضي على أممٍ بأكملها، وتؤكد التّهمة الأولى، التي استظهرها الملائكة عند خلق الإنسان، بأنّه سيُفسد في الأرض ويسفك الدّماء. نعم، في هذا الكلام نقاشٌ حول شموله الحرب، باعتبارها عنواناً خاصّاً له أحكامه؛ وبصفتها حدثاً يُعيدُ ترتيب الأولويات.

8. قاعدة الالتزام بالمعهد والعقود: فإذا وافقت دولة إسلامية على معاهدة، وألّمت نفسها بها، فعليها التّقيّد بهذا الالتزام. ومن الأمثلة المناسبة في هذا المقام، الاتفاقيات التي مرّ ذكرها سابقاً حول تجريم استخدام بعض الأسلحة.

9. استثناء فئات من النَّاس من الاستهداف: هناك توصيات في الإسلام، بعدم استهداف النّساء، والأطفال، والمجانين، والوفود، والرّسل، والشّيوخ الذي لا يقاتل ولا رأي له، وبعض المرضى، على تفصيل فقهي ليس هنا مورده. التّتيحة المتوخّاة من ذلك، هي الموقف من الأسلحة التي بها يتمُّ استهداف هؤلاء، ومنها أسلحة عشوائية لا تميّز بين البشر.

10. قاعدة التّعامل بالمثل والتّزام: فلو قام العدو باستخدام أسلحة محرّمة دولياً، فكيف يكون الردُّ؟ هنا يُرجع إلى الفقيه الذي يوازن بين العناوين، ويغلب العنوان المناسب والمبرّر للذّمة والمراعي للمصلحة.

من المهمّ الإشارة إلى وجود نقاش علميٍّ تخصّصيٍّ عميق في هذه الأبواب، والتي تمّ اختصارها للغاية تبعاً إلى طبيعة البحث، ومن يرد الاستفاضة، فهناك الكتب الفقهية. فقد تمّ

تلخيصها ومراعاة الآراء العديدة فيها، وجمع ما أمكن من نقاط الالتقاء عليها. في النتيجة، يوجد في الإسلام قواعد حاكمة على استخدام الأسلحة، وقد صدرت الفتوى المعاصرة عن السيد (عليّ الخامنيّ) دام ظلّه بتحريم الأسلحة النوويّة، وكُتّب الكثير في ذلك. إنّ موقف الفقهاء مُستندٌ إلى هذه القواعد، وهي قواعد مهمّة لها مصاديق مُستجدة. وهذا يشير إلى حيويّة فقه الجهاد، وقدرته على الإجابة عن المسائل المُستحدثة، لأنّ التقنين، أولاً وآخراً، يقوم على قواعد كليّة ويتطوّر تبعاً لما يُطرح عليه. إنّ تجربة الحكومات المُراعِيّة للشريعة الإسلاميّة نادرة ومُعاصرة، وهي معنيّة بمواكبة ما يستجدّ في أدوات الحرب. لكن ينبغي إعادة تأصيل فكرة الجهاد، مقارنة بدراسات الحرب المعاصرة، حيث لا يمكن إتمام هذا البحث بالسّعي إلى تبرير قواعد الجهاد، أمام نظريات القتال وقواعده المُتداولة حالياً. فقبل الحديث عن أدوات ووسائل، لا بدّ أن تكون الحرب مُبرّرة شرعاً، وتحت لواء حاكم ذي صلاحية، وهذا ليس بتفصيل، عدا عن حرب الدفاع. ومن أهمّ الأسباب دفع الظلم؛ فالظلم "يدفع النَّاسَ حقّاً إلى حمل السِّلَاح"<sup>(1)</sup>، كما اعترفت يوماً الأمم المتّحدة نفسها.

## الخاتمة:

كثُر استخدامُ الأسلحة الفتّاكَة في القرنين الأخيرين، وفي الموازاة، برزت جهود تحاول الحدّ من استخدامها، من خلال القانون ووضع آليات مراقبة. هل نجحت هذه الجهود؟ كلا. فلا زال وجهُ الحرب وحشيّاً، ولا زالت تلك الاتّفاقيات يشوبها الخلل والنقص في بعض أوجهها، وهذا بحث آخر، رغم التّعرُّض لبعض مواطن الخلل. هذا لا يعني أنّ هذه الجهود بلا قيمة، فهي صعبت تبرير العنف المسلّح، على مُستوى الحرب بالنّسبة إلى الجيوش، لكن في لحظات اليأس أو الاستكبار، ما المانع من خرق كلّ القواعد؟

في المقابل، ومنذ 14 قرناً ونيّف، وضع الإسلامُ قواعد أكثر عمليّة وشموليّة لضبط الحروب، وأهمّها عدالة الحاكم وعدالة القضية. إنّ منظور الإسلام يختلف عن بعض رومنسيّات الجمعيات

1 - مفوضيّة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان، أدوات سيادة القانون لدول ما بعد الصّراع: رسم خريطة قطاع

العدالة، ص 1.

المُعاصرة، التي تطالب بالمزيد من تقييد وسائل الحرب دون أصل إطلاقها. تضمن العدالة، باعتبارها ملكة نفسية راسخة مانعة من ارتكاب الحرام، حصر استخدام القوة إلا حيث يجب، وحينها لا بأس من استخدامها بفعالية عالية، من أجل تحقيق الهدف العادل. المنظور مختلف، وتتطلب المقارنة الابتعاد عن قطع السياق، فأولويات الإسلام مُغايرة. نعم، لا بدّ من التذكير، مُجدداً، إنّ في الإسلام مدارس مُتنوّعة، من ناحية التّحقّق، لكن هناك مُشتركات بين فقهاء المسلمين.

كان لا بدّ، في هذا البحث، التمهيد حول الحرب، وتطوّر وسائلها، والإسهامات المُعاصرة لتقنيها، وتحديد موقف الإسلام منها، ثم الانتقال إلى وضع القواعد النَّاطمة لوسائل الحرب. لا يمكن في الإسلام، إطلاق استخدام كلّ الأسلحة المُتاحة، إلا بعد النّظر في القيود التي تحكمها، وهي قيود فعّالة.

في 24 أكتوبر/تشرين الأول 2006م، كتب أمين عام الأمم المتّحدة (كوفي أنان) رسالةً، يشرح فيها إنجازاته على مدى 10 سنوات على رأس المنظّمة الدّولية. من أهمّ هذه الإنجازات برأيه: "قلّت الحروب بين الدّول عن ذي قبل، ووضعت الكثير من الحروب الأهلية أوزارها"<sup>(1)</sup>. لم يكن تقييم (أنان) صحيحاً، ولا زالت النزاعات المسلّحة مُشتعلة، ويعيش البشر تحت خوف اندلاع حرب نووية في وقت ما. لم تُجرّم محكمة العدل الدّولية الأسلحة النووية، مثلاً، لكن فقهاء المسلمين حرّموها.

1 - رسالة الأمين العام للأمم المتّحدة بمناسبة يوم الأمم المتّحدة، الثلاثاء 24 أكتوبر/تشرين أول 2006.



## المراجع والمصادر

### باللغة العربيّة

1. القرآن الكريم.
2. ابن رشد، ع. (لات.)، مقدّمات ابن رشد، دار صادر، بيروت.
3. أمين، م. ف. (2006)، موسوعة أنواع الحروب، الأوائل، ط1، دمشق.
4. بكتيه، ج.س. (2000)، دراسات في القانون الدوليّ الإنسانيّ، إعداد نخبة من المتخصّصين والخبراء، اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر، بعثة القاهرة.
5. حب الله، ح. (2023)، فقه الحرب والسّلم في الشريعة الإسلاميّة، ج2، دار روافد، ط1، بيروت.
6. الحسنيّ، ح. (لات.)، التّصر في القرآن، دار المجتبي، ط1، بيروت.
7. خامنئي، ع. (1397 هـ.ش)، ثلاث رسائل في الجهاد: الأمان والصّابئة والمهادنة، فقه روز، ط1، طهران.
8. الخوئيّ، أ.ق. (1992)، منهاج الصّالحين، دار البلاغة، ط1، بيروت.
9. دي مولينين، ف. (2000)، دليل قانون الحرب للقوّات المسلّحة، اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر، ط1، جنيف.
10. راميل، ف. (2012)، اللاعبون المعاندون في النّظام الدوليّ، في: برتراند بادوي ودومينيك فيدال، أوضاع العالم 2012: لاعبون جدد وواقع جديد، مؤسّسة الفكر العربيّ، ط1، بيروت.
11. الزّمالي، ع. (2010)، الإمام الأوزاعيّ وبعض آرائه الإنسانيّة، في: عامر الزّمالي، مقالات في القانون الدوليّ الإنسانيّ والإسلام، ط4، اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر، ل. م.
12. زماني، أ. (1991)، بحوث حول النّظام العسكريّ في الإسلام، الدّار الإسلاميّة، ط1، بيروت.
13. الزّيد، ز. (2004)، مقدّمة في القانون الدوليّ الإنسانيّ في الإسلام، اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر، ط1، القاهرة.
14. سميث، ر. (2008)، جدوى القوّة: فنّ الحرب في العالم المعاصر، ت: مازن جندلي،

- الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1، بيروت.
15. سولنييه، ف.ب. (2006)، القاموس العمليّ للقانون الإنسانيّ، ت.: محمّد مسعود، دار العلم للملايين، ط1، بيروت.
16. الشاذلي، س. (2011)، حرب أكتوبر: مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.
17. شمس الدين، م.م. (2000)، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، ط7، بيروت.
18. شمس الدين، م.م. (2011)، فقه العنف المسلح في الإسلام، مركز دراسات فلسفة الآين، ط1، بغداد.
19. الصّدر، م.ب. (2013)، السّنن التّاريخيّة في القرآن، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، ط1، بيروت.
20. طي، م. (2009)، الإمام عليّ وقوانين الحرب الحديثة، الغدير للدراسات والنشر، ط1، بيروت.
21. طي، م. (2014)، الثّورة بين التّحريم والوجوب، مخطوطة لدى المؤلّف، لا د.، ط1، بيروت.
22. عوّد، ع. (2004)، قانون النزاعات المسلحة (القانون الدوليّ الإنسانيّ): دليل الرّئيس والقائد، دار المؤلّف، ط1، بيروت.
23. كالهوفن، ف. و تسغفلد، إ. (2008)، ضوابط تحكّم خوض الحروب: مدخل للقانون الدوليّ الإنسانيّ، ت: أحمد عبد العليم، اللّجنة الدوليّة للصّليب الأحمر، ط1، جنيف.
24. ليو، ر.ن. (2013)، لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والحاضر، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت، أغسطس 2013.
25. ناي، ج. (2007) القوّة النّاعمة: وسيلة النّجاح في السّياسة الدوليّة، ت: محمّد البجيرمي، العبيكان، ط1، الرّيّاض.
26. نورث، أ. (1992)، تحت النّار، ت: إلياس فرحات، دار الحرف العربيّ ودار المناهل، ط1، بيروت.

27. وايل، إ. (1986)، هيغل والدولة، ت: نخلة فريفر، دار التنوير، ط1، بيروت.  
28. موقع الأمم المتحدة: un.org.

### صحف ودراسات

1. Mathieson, N. (2009) Cluster Bomb Trade Funded by World's Biggest Banks, United Kingdom, Guardian, 29 October 2009.
2. دراسة اللجنة الدوليّة تكشف عن آثار مثيرة للقلق على المدنيّين من جراء الأعمال العدائيّة، بيان صحفيّ للجنة الدوليّة للصليب الأحمر الدوليّ، 23-06-2009، البيان الصحفيّ 09/123، www.icrc.org.
3. دليل التنفيذ الوطنيّ للقانون الدوليّ الإنسانيّ، اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر، جنيف، 2010.
4. رسالة الأمين العامّ للأمم المتّحدة بمناسبة يوم الأمم المتّحدة، الثلاثاء 24 تشرين الأول/أكتوبر 2006، موقع الأمم المتّحدة.
5. السّفير، بيروت، العدد: 12518، 2 تموز 2013.
6. الشّرق الأوسط، لندن، العدد: 12994، 26 حزيران 2014.
7. مفوضيّة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان، أدوات سيادة القانون لدول ما بعد الصّراع: رسم خريطة قطاع العدالة، الأمم المتّحدة، نيويورك وجنيف، 2006.

### باللغة الإنكليزيّة

1. Coleman, K. (2007) International Organisations and Peace Enforcement: The Politics of International Legitimacy, Cambridge University Press, New York.
2. Creveld, M.V. (1999) The Rise and Decline of the State, Cambridge University Press, New York.
3. Gazzini, T. (2005) The Changing Rules on the Use of Force in International

Law, Juris Publishing, Manchester.

4. Robert McNamara, *The Essence of Security: Reflections in Office*, Harper & Row, New York, 1968.

5. Sorabji, R. (2007) in: Richard Sorabji & Robin David, *The Ethics of War: Shared Problems in Different Traditions*, Ashgate, England.

## عن الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطائرات بدون طيار<sup>(1)</sup> ”نعوم تشومسكي“ و”أندريه فلتشيك“

لينا السقر<sup>(2)</sup>

### ملخص

تناولت هذه القراءة العامّة لكتاب "عن الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطائرات بدون طيار"، أهمّ النقاط الواردة عن التّاريخ الأمريكيّ، منذ بداياته وحتى إجراء الحوار الأساس، الذي دار الكتاب حوله. هذا الحوار يدور بين شخصيتين فاعلتين ومؤثرتين، المفكّر والنّاقد الأمريكيّ اليهوديّ (نعومي تشومسكي)، والمحلّل السّياسيّ والمحقّق الصّحفيّ (أندريه فلتشيك). حوار ناقد بامتياز، يحاولان فيه كشف بعض الأسرار والمعلومات، عن إمبراطوريّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة وأوروبا. أهمّ ما توصل إليه نقاشهما، هو أنّ القوّة الأمريكيّة لم تعدّ كما كانت، ربما تستمرّ بسياساتها الإجراميّة، لكن بطرق جديدة ومختلفة، أكثر تطوراً وتقنيّة بكافّة النّواحي.

**الكلمات المفتاحية:** نعومي تشومسكي - أندريه فلتشيك - الإمبراطوريّة - الاستعمار - جنوب شرق آسيا - أمريكا اللاتينيّة - الرّبيع العربيّ - الشّيوعيّة.

1 - On Western Terrorism - From Hiroshima to Drone Warfare.

2 - باحثة ومترجمة-سورية.

## المقدمة

منذ قيام الولايات المتحدة الأمريكية ونشأتها، تسعى لتحقيق حلمها - بكافة الوسائل -، في السيطرة وتحقيق الثروة اللامحدودتين. لكنّ حلمها هو كابوس تعيشه الدول والكيانات الأخرى. فهي لا توفر وسيلة شرعية أو غير شرعية لتصل إلى مآربها، وربما يعجز العالم عن مواجهة هذا الجبروت الظالم. تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمات والهيئات الدولية، وتوجه سنّ التشريعات والقوانين لصالحها. رغم ذلك تتجاوز بجرائمها، وأفعالها، واغتصابها الأرواح، وسرقتها الأموال من العزّل كلّ القوانين والأعراف الدولية، حتّى تلك التي أصدرتها هي بنفسها. هذا الكتاب يظهر لنا، لأيّ مدى يصل التّدخل والعدوان الأمريكيّ حول العالم؛ حيث تحدّث المؤلفان عن تفاصيل وأحداث، لا يمكن لأحد تخيلها أو كشفها، عن السياسة والجرائم التي يرتكبها الغرب عمومًا، والولايات المتحدة خصوصًا. تحدّثنا عن حالة عالم بأسره، فمن الضروريّ العمل على كشف هذا الكيان على حقيقته وتفسير أفعاله. من ناحية ثانية، سنجد أنه بعد تحليل العديد من الصّراعات والغزوات والحروب الفظيعة في جميع القارات، تتولّد القناعة بأنّ كلّ هذه الصّراعات تقريبًا، كانت مدبرة أو مستفزة من قبل المصالح الجيوسياسية والاقتصادية الغربية. وكانت المعلومات حول تلك الأحداث القاتلة، وعن مصير البشر الذين قامت الإمبراطوريات الاستعمارية بإبادتهم، والتّضحية بهم دون تفكير يُذكر، محدودة ومشوّهة بشكل غريب.

### بطاقة الكتاب:

عنوان الكتاب: الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطائرات بدون طيار.

(Western Terrorism from Hiroshima to Drone Warfare)

مؤلّفو الكتاب: نعوم تشومسكي وأندريه فلتشيك.

دار النّشر: بلوتو برس.

سنة النّشر: عام 2013م.

عدد الصّفحات: 209.

اللّغة الأصليّة للكتاب: اللّغة الانكليزيّة.

للكتاب نسخة مترجمة للغة العربيّة.

## أولاً: حول الكاتب والكتاب

(نعومي تشومسكي) مفكر أمريكي يهودي، وأستاذ جامعي في معهد "ماساتشوتس" للتكنولوجيا، مؤلف كتاب الإرهاب الغربيّ من "هيروشيما" إلى حرب الطائرات بدون طيار<sup>(1)</sup>، مع زميله (أندريه فلتشيك)، المحلل السياسيّ والمحقّق الصحفيّ وصاحب الأفلام الوثائقية العديدة. (شومسكي) معروف كناشط سياسيّ، ينتقد السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، والحكومات الغربية الأخرى. حاول رصد تلك السياسات ومتابعتها، وتبيان أثرها على الأوضاع الداخلية والعالم. سيظهر في قراءتنا لهذا الكتاب أنه عبارة عن حوار ودراسة مشوّقة بين (شومسكي) وزميله (فلتشيك). هذا الحوار استمرّ ليومين في مدينة "بوسطن" ولاحقاً أصبح مادة دسمة ليكون فيلماً وثائقياً. كان محور الحوار بينهما، هو قضية قوة الغرب الاستعماريّ، وماكينته الإعلامية بشكل خاصّ، منذ فترة الأربعينات حتّى يومنا هذا. تحاورا بطريقة فكرية ممتعة، شملت الحركة الاستعمارية منذ نشأتها، ثمّ انطلاقها شرقاً وغرباً وجنوباً؛ من أفريقيا إلى شمال شرق آسيا، ثمّ قارتي أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. تطرّقاً للحديث عمّا آل إليه الحال بعد سقوط الاتحاد السوفياتيّ، والمغامرات العسكرية في الشرق الأوسط، التي جلبت الدمار والخراب والموت، منذ بداية احتلالهم تلك المناطق، لغاية سماع أزيز طائراتهم المسيّرة في سماوات العالم الثائية والقرية.

عن هذا الكتاب يقول (نعوم تشومسكي): "لقد تغيّر الشرق الأوسط كثيراً، منذ ظهور الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 2013م. لم تظهر بعد منظمة داعش الإرهابية، التي تُعتبر تحصيل حاصل لغزو العراق. لم يتحوّل الربيع العربيّ بعد، إلى كابوس للدكتاتورية العسكرية في مصر، واتّسع رقعة الكارثة السورية. وبشكل أكثر دقة، لم تصل "أزمة الهجرة"، التي تُعتبر أزمة أخلاقية للغرب، إلى درجة صادمة كما وصلت إليها الآن. كما ظهرت معالم تطوّرات أخرى جارية في أماكن مختلفة من العالم، لا مجال لمراجعتها كاملة، لكنّها جميعاً هي مغزى الطّروحات، التي يأتي عليها هذا الكتاب".

## ثانياً: في الكتاب

يضمّ الكتاب تسعة فصول متنوّعة، وملحق بالجدول الزمني لتاريخ حروب الولايات المتحدة الأمريكية، والاتفاقات العالمية، بالإضافة إلى فهرس نهائيّ.

1 - Western Terrorism from Hiroshima to Drone Warfare.

## ■ الفصل الأول: الإرث القاتل للاستعمار

تحدّث (أندرية فلتشيك) عن نتيجة الاستعمار الغربيّ، والاستعمار الجديد منذ نهاية الحرب العالميّة الثّانية، مبيّناً أنّه مات ما يقارب 55 مليون شخص حول العالم. وهذه الفترة القصيرة نسبياً شهدت أكبر عدد من المجازر في تاريخ البشريّة، وأغلبها حدثت باسم الشّعارات السّامية مثل الحرّيّة والديمقراطيّة. اعتُبرت هذه المجازر وعمليات القتل والذّبح بحقّ الملايين، أمرٌ لا مفرّ منه، وحتىّ مبرّر. قال (فلتشيكيك) أيضاً إنّ شهداء اختفاء عدّة دول في أوقيانوسيا، كان مقيماً في "ساموا" لسنوات. بعض البلدان فكّرت بإجلاء سكّانها لأنّها غير صالحة للسّكن ومعرّضة للغرق، لكن في الواقع البلدان غير معرّضة للغرق، إنّما تعرّض فقط لموجات مدّ. المثير للدهشة في "توفالو" أنّه لم يكن هناك أيّ صحافة أجنبيّة. كانت هذه واحدة من أكثر البلدان تضرراً، يمكن أن تختفي قريباً عن وجه الأرض، مع ارتفاع منسوب سطح البحر، ولم تكن هناك أيّة تغطية صحفّيّة على الإطلاق!. هذا هو الحال عبر التاريخ، في جميع أنحاء العالم، في الأماكن التي تسيطر عليها الإمبراطوريّات الاستعماريّة الأوروبيّة. وأضاف (فلتشيكيك) إنّ أوّل معسكرات الاعتقال، ليست على يد ألمانيا النّازية، بل على يد بريطانيا، في كينيا وجنوب أفريقيا، وبالطّبع المحرقة التي قام بها الألمان ضدّ اليهود والغجر الأوروبيّين لم تكن الأولى، لقد شاركوا في مذابح رهيبّة في جميع أنحاء العالم. ربّما بعد الحرب العالميّة الثّانية، وبسبب الخوف الذي زرعه الاستعمار الأوروبيّ في نفوس السكّان المحليّين، لم يتجرّؤوا على توجيه أصابع الاتّهام للعدوّ الحقيقيّ. صرّح (فلتشيكيك) إنّ أعداد الضّحايا في "رواندا" أعلى ممّا ذكره (تشومسكي)، فقد تراوحت من ستّة إلى عشرة ملايين شخص قتلوا في الكونغو، وهو ما يعادل تقريباً عدد الذين قتلوا، في بداية القرن العشرين على يد ملك بلجيكا (ليوبولد الثّاني). على الرّغم من أنّ "رواندا" و"أوغندا" ووكلاءهما، هم الذين يقتلون الملايين من الأبرياء، إنّما وراء ذلك دائماً المصالح الجيوسياسيّة والاقتصاديّة الغربيّة. أمّا القصة الحقيقيّة، حسب (فيتشك)، والإبادة الجماعيّة التي ارتكبتها الغرب، ضدّ شعوب جنوب شرق آسيا، فيتنام ولاوس وكمبوديا، تمّ كتمّها أو حذفها بالكامل، حيث قُتل الملايين بلا رحمة. وحتىّ اليوم، تنفجر رؤوس الأبقار، لأنّها تمضغ الحجارة، وتعصّ القنابل التي لا تزال منتشرة في كلّ مكان. لا يزال هذا يحدث للنّاس والنّساء والأطفال. حدث أيضاً ما يشبه ما حدث في حكم (ليوبولد الثّاني)، عندما مات أيضاً حوالي عشرة ملايين شخص. كان القانون،



إذا لم يكن الأداء جيداً في مزارع المطاط، فستقطع يديك، وستحرق الناس أحياء في أكوأخهم. لقد كان ذلك تحذيراً عظيماً للعالم، يُنذر بما يمكن أن تفعله الأنظمة الملكية الدستورية الغربية، والديمقراطيات المتعددة الأحزاب.

وبالطبع حدث ذلك بعيداً عن الإعلام، حدث في الظلام. لذا فقد قتل البلجيكيون من الناس في أفريقيا، عدداً أكبر من عدد سكان بلدهم آنذاك. من ناحية ثانية، ذكر (فلتشيك) اصطدامه مع أصدقائه الفرنسيين، عند الحديث عن الاستعمار الفرنسي. فهم معجبون جداً بالجنرال (ديغول)، حتى من قبل يسار الوسط، ويعتقدون أن فرنسا لم تكن أبداً مستعمراً سيئاً مثل الآخرين. وكان أفريقيا، أو الهند الصينية، أو منطقة البحر الكاريبي، لم تكن موجودة على الإطلاق. قام الفرنسيون في بعض الأماكن بذبح جميع السكان الأصليين، كما هو الحال في جزيرة "غرينادا".

من الناحية الإعلامية، اعتقد (فيتشك) أن قلة المعرفة، وقلة الاهتمام بكل ما ذكر، أمرٌ مخزٍ وفاضحٌ للغاية. رغم تطور وسائل الإعلام الغربي، لكن ضلّل الجمهور بمعلومات غير صحيحة. ورغم تقدم بلدان الغرب وعلمهم المتطور؛ لكن هناك جهل ساذج بتاريخهم، لأن حكوماتهم تريد ذلك.

في حين ذكر (نعومي تشومسكي) أنه ولسوء الحظ، هناك منافسة شرسة حول ما هي أعظم جريمة ارتكبتها الغرب. بعد وصول «كولومبوس» لنصف الكرة الغربي، كان هناك حضارات متقدمة تضم ما يقارب 100 مليون نسمة. لكن لم يمض وقت طويل حتى اختفى حوالي 95% من هؤلاء السكان. فضلاً عن ملايين الأطفال الذين ماتوا، بسبب أمراض قابلة للعلاج في مناطق من العالم، مثل جنوب إفريقيا ورواندا. والأمر تتجه نحو إبادة جماعية بسبب تدمير البيئة، ونتيجة للتقنيات الأمريكية المتطورة، بمجال استخراج الوقود الأحفوري ربما تهيمن أمريكا على العالم لقرن آخر. وقال (تشومسكي): "إن الدول الناطقة بالغة الانكليزية، مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، مجتمعات إمبراطورية غير عادية، فهي لم تحكم السكان الأصليين فحسب، بل قضت عليهم، واستولت على أراضيهم ومستوطناتهم، وأبادتهم فعلياً في معظم الحالات. حتى في حالة المخرقة، عومل العجر بنفس الطريقة التي عومل بها اليهود، لكن هذا لم يذكر حقاً. كما أن اضطهاد العجر ليس معترفاً به عموماً اليوم".

أضاف (تشومسكي) أنه ارتكبت أسوأ الفظائع في العالم شرق الكونغو. ربما قُتل ثلاثة إلى

خمسة ملايين شخص. إلى من يوجه الاتهام؟! بالطبع للميليشيات، ميليشيات شركات وحكومات متعددة الجنسيات، وهم غير مرئيين. هذا يحدث بصورة غير مباشرة، لا نرى الشركات المتعددة الجنسيات، التي تستخدم الميليشيات لذبح الناس، لكن هناك الكثير من الفظائع والجرائم وبعضها مباشر تمامًا، كما حصل في فيتنام على سبيل المثال، أسوأ جريمة منذ الحرب العالمية الثانية، والتي لا تزال آثارها الكيميائية محسوسة حتى الآن. من ناحية ثانية، تحدّث (تشومسكي) عن الطبعة الأكثر شهرة من الموسوعة البريطانية، بحث فيها عن الملك (ليوبولد الثاني). كان هناك مدخلاً بالطبع، حيث تحدّث عن الأشياء الرائعة التي قام بها، وكيف بنى البلاد وما إلى ذلك. وفي النهاية قال إنه: "كان يعامل شعبه بقسوة أحياناً". نعم، مثل قتل عشرة ملايين شخص، ولا يزال البلجيكيون يعتبرونه بطلاً.

أما عن فرنسا والاحتلال والفرنسي للجزائر، أعدّ مجموعة من الفيزيائيين الجزائريين المغتربين، دراسة مفصلة للغاية عن الفظائع التي ارتكبت في الجزائر، في التسعينيات على يد الفرنسيين. وجهة نظرهم هي أن العديد من الفظائع التي نسبت إلى الإسلاميين، قد نُفذت بالفعل بأذى إسلامية مزيفة. درسوا تفاصيل الأحداث، واحدة تلو الأخرى. المذبحة الرئيسية كانت مذبحة كبيرة في حي فقير، على بعد بضعة كيلومترات من قاعدة عسكرية كبيرة، استمرت ثلاثة أيام دون أن يتدخل أحد. كل هذه الأحداث والمذابح لم تعرفها شعوبهم، بل وحتى يحاولون إعادة تثقيف من تبقى ممن شهد ما حدث، بأن كل ذلك كان إيجابياً ولمصلحة الجميع. لا يسمحون بنشر دلائل أو كتب توثق جرائمهم، ويمنعون الصحفيين من حضور مؤتمرات، تناقش آثار وتبعيات جرائمهم وإباداتهم.

## ■ الفصل الثاني: إخفاء جرائم الغرب.

يقول (أندرية فلتيشك)، إنه وفقاً للإحصائيات التي حصل عليها مع فريقه، فإن عدد الأشخاص الذين اختفوا بعد الحرب العالمية الثانية، نتيجة للاستعمار والاستعمار الجديد يتراوح بين 50 و55 مليون. العدد الدقيق ربما لا يهم لأن الحجم عموماً هائل للغاية، كيف استطاع الغرب الإفلات من هذه الجرائم؟! وكيف لا زال يقنع العالم أنه مفضّض أخلاقياً؟! وله الحق في أن يملي على العالم، من خلال منظماته ووسائل إعلامه قيمه الخاصة؟! وكيف حقّق ذلك؟ ذكر (فلتيشك) أيضاً أن أيّ دولة في العالم تتسبّب بالأذى، أو مقتل الكثير من الأشخاص، تصبح

عرضةً للدعاية الغربية السلبية والتجيش الإعلامي الهائل. لكن عندما يتعلّق الأمر بموت مئات الملايين، الذين ذبحتهم القوى الاستعمارية الغربية والاستعمارية الجديدة، يكون مبرراً وتحت ذرائع إنسانية، ثمّ يصبح الأمر قيد النسيان.

تحدث (نعومي تشومسكي) في هذا الفصل، عن كتب وتقارير تتحدّث عن جرائم الشيوعية، أو المجاعة في الصين، ومقتل الأشخاص في الهند، لكن لن تجد من يتشجّع للحديث عن الأشخاص، الذين كانوا متواجدين في نصف الكرة الغربيّ، واختفوا عندما اكتشفت أمريكا ذاك المكان. حتّى الجرائم التي حدثت في الحرب العالمية الثانية، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية محوها ومحو ذاكرتها. بالنظر للمحاكم الدولية، نجد أنّ الأشخاص الوحيديين الذين وُجّهت إليهم الاتهامات، هم في الغالب الأفارقة وأعداء الغرب، مثل (ميلوسيفيتش)<sup>(1)</sup>. لكن ألم ترتكب الولايات المتحدة أيّة جرائم أخرى في السنوات القليلة الماضية؟! على سبيل المثال غزو العراق. الولايات المتحدة تتمتع بحصانة ذاتية من أيّة ملاحقة قضائية. عندما انضمت الولايات المتحدة إلى المحكمة العالمية في عام 1946م، أنشأت بشكل أساسي محكمة العدل الدولية الحديثة، والتي انضمت إليها، ولكن مع التحفظ الذي ينصّ، على أنّه لا يمكن محاكمة الولايات المتحدة، بموجب أيّة معاهدة دولية، أي ميثاق الأمم المتحدة، وميثاق منظمة الدول الأمريكية، واتفاقيات جنيف.

تتمتع الولايات المتحدة بحصانة ذاتية، ضدّ أيّة محاكمة بشأن هذه القضايا. وقد قبلت المحكمة ذلك. لذلك -على سبيل المثال- عندما رفعت "نيكاراغوا" قضية ضدّ الولايات المتحدة في المحكمة العالمية، بسبب الهجمات الإرهابية ضدها، رُفضت القضية لأنّها استندت إلى ميثاق منظمة الدول الأمريكية، الذي يمنع التدخّلات بقوة، والولايات المتحدة لا تخضع لذلك وقبلته المحكمة. رفعت يوغسلافيا إلى محكمة العدل الدولية قضية ضدّ الناتو بتهمته القصف، استبعدت الولايات المتحدة نفسها من القضية، ووافقت المحكمة على ذلك، لأنّ إحدى التّهم المذكورة هي أنّها إبادة جماعية. عندما وقّعت الولايات المتحدة على اتفاقية الإبادة الجماعية، كان لديها تحفّظ قائلة إنّها: "غير قابلة للتطبيق على الولايات المتحدة"، وبالتالي فإنّ المحكمة أعفت الولايات المتحدة بالفعل من الملاحقة القضائية. هناك حواجز قانونية يتمّ وضعها فعلياً، في حالة تجرؤ أيّ شخص على محاولة توجيه بعض التّهم ضدّ الأقوياء.

1 - سلوبودان ميلوسيفيتش: سياسيّ يوغوسلافيّ وصربيّ راحل وكان رئيس صربيا.

## ■ الفصل الثالث: الدعاية والإعلام.

يقول (أندريه فلتشيك) هنا إنّه عندما يكون في الصّين، يتحدّث دون خوف ودون رقابة، ويتمّ نشر كلّ ما يقوله دون حذف. كان يقول للصّينيين ينبغي عليهم أن يحذوا حذو أمريكا اللاتينية، ويعودوا إلى الشّيوعية دون أمتعة الثّورة الثّقافية. وكذلك الأمر في إيران الإسلاميّة تحدّث دون أيّ إزعاج، هذا الوضع وهذه الحرّية لم يشعر بها في بريطانيا. وأكّد (فلتشيكي) مجدّداً، أنّ الأمر الصّادم هو الحديث بحريّة في الصّين وإيران وتركيا، بينما لا يمكن ذلك في بلاد الغرب. الصّحف ووسائل الإعلام الصّينيّة، تتقدّم حكومتها بوضوح دون خوف، أمّا في الغرب فلا يمكن لوكالات الأنباء والمحطّات التّلفزيونيّة، أن تقوم بذلك. وذكر أنّه حين تتمّ دعوته لمشاركة الحوار عبر الأقمار الصّناعيّة، في ندوة عن الصّين مثلاً، يُطلب منه أن يصرّح بما يقوله قبل الحديث على الهواء مباشرةً، وإلاّ لن يُسمح له بالحديث، في حين تكون النّدوة الحواريّة باتجاه واحد دون قبول الطّرف الآخر. محطة BBC لم تسمح لـ(فلتشيكي) بالحديث عن الاستعمار البريطانيّ وقتل السّكّان المحليّين، وقال لهم حينها كأنّهم يطلبون احترام المملكة المتّحدة، بعد قتل الكثيرين في العراق وأفغانستان. وأضاف إنّ الدّعاية الإعلاميّة الغربيّة، ناجحة بإخفاء تاريخها ودعم حاضرها وأهدافها، أمّا الدّعاية الصّينيّة والرّوسيّة لم تتمكّن من دعم ماضيها، والدّفاع عنه رغم كلّ التّطور، والتّقدّم، والإنجازات الهائلة في العقود السّابقة. برأي (فلتشيكي) إنّ الدّعاية الغربيّة قادرة على تعبئة الجماهير، لأية غاية أو هدف في أيّ مكان بالعالم. ومهما كانت الأسباب، يمكن أن تؤدّي إلى انقلابات وصراعات، وأعمال عنف فظيعة، والسّعي من أجل التّغيير. يمكنها أن تصف البلد الكبير الأكثر سلاماً على وجه الأرض، بأنّه الأكثر عنفاً، ويمكن أن تصفها بالمهدّد الحقيقيّ للسلام العالميّ، ويمكنها أن تُظهر مجموعة من الدّول الغربيّة، التي ظلّت لقرون عديدة ترهب العالم، بأنّها المدافع الحقيقيّ عن السّلام والديمقراطيّة، كلّ النّاس في الغرب تقريباً يصدّقون ذلك، ومعظم النّاس في العالم يصدّقون ذلك، لأنّ الدّعاية الغربيّة مثاليّة ومتقدّمة للغاية. بطبيعة الحال، ليست الصّين، وفنزويلا، وروسيا، وإيران، وبوليفيا، وكوبا، وزيمبابوي، وإريتريا الضّحايا الوحيدين لهذا الوضع. وأيّة دولة تقف في طريق المصالح الغربيّة، تصبح هدفاً مشروعاً لدعاياتهم المتقدّمة. أمّا بالنّسبة لما حدث في العراق، فقد أكّد (فلتشيكي)، أنّ الإشعاع القاتل انتشر في جميع أنحاء العراق. لقد وصل الأمر إلى مستويات لا تصدق.

من جهته أكد (نعومي تشومسكي) على موضوع حرية الكلام في الصين، وترجمة ما يقال بحرفية دون أي اقتطاع. ذكر أيضاً أنه حتى في إيران تحدث بحرية دون اجتراء لكلامه. اللأفت للنظر ما قاله (تشومسكي) عن سياسة القنوات الإعلامية الإنكليزية، وهي الإيجاز. أيّ يمكن للضيف أن يتحدث عن أيّ موضوع بجملتين أو ثلاث ليس أكثر، لأنّ الإعلانات مُهمّة. لذلك عند الحديث عن الصين مثلاً، لا يمكن القول إلا أنّ الصين دولة شمولية، لا يُمنح الضيف الوقت الكافي، ليتحدث أكثر عن هذا الموضوع. وإذا أراد أن يتحدث عن موضوع إرهاب الولايات المتحدة، لن يُمنع من الكلام، لكن تتمّ مقاطعته لبثّ الإعلانات، فيبدو حديثه ركيكاً وغير مترابط، لأنّه ليس بالإمكان مناقشة موضوع هامّ كهذا، لمدة نصف ساعة متواصلة. حركة مقصودة مغطّاة بالديمقراطية.

عندما ذهب (نعومي تشومسكي) إلى "لاوس" 1970م، حظي بقاء عدد من الصحفيين المتواجدين هناك لتغطية خطاب (نيكسون) حول كيفية تقارب الدبابات الفيتنامية الشمالية في "فيتيان". التقى أيضاً بالكثير من النازحين في مخيمات اللاجئين لسمع القصص الفظيعة عن مهولات الحرب الأمريكية. هذه هي المرة الأولى التي تمكّن فيها من الحصول على قصص مباشرة عمّا حدث هناك. هؤلاء الناس عاشوا في الكهوف لمدة طويلة. كانت هناك قصص فظيعة. كانت أمريكا تقصف الأنفاق والكهوف التي لجأ إليها المدنيون للاختباء. هذه القصص وغيرها لم تكن لتعرف وتُنشر لأنّ الصحافة ممنوعة من الوصول إلاّ بتنسيق أمريكيّ شديد. قال (تشومسكي) أنه ليحصل على التقارير الصحيحة ذهب للسفارة الأمريكية وطلب مقابلة مسؤول أمريكيّ لرؤيتها، كلّ ما استطاع معرفته، هو تقرير عن كتيبة تضمّ جنوداً فيتناميين شماليين فيها رادار أمريكيّ، كانت تستخدم لعمليات القصف على فيتنام.

أمّا عندما غزت الولايات المتحدة الأمريكية أفغانستان، ذكر (تشومسكي) أنّ أمريكا لم تكن تسمح لصحفيي الميدان بالاقتراب من مناطق الاقتتال، فقط الوصول لإسلام أباد، وأيّ تفجير يحدث بالقرب منهم، كان التبرير الأمريكيّ بأنّه بالخطأ، والحال نفسه يحدث في الضفة الغربية وأمريكا الوسطى. وكسياسة أمريكية معروفة، أوّل ما كانت تغزو أيّ بلد، تقوم بقصف برج التلفزيون، أو السيطرة على أيّ مكان يقدّم معلومات وأرقام عن ضحاياهم، مثلاً عندما غزت الولايات المتحدة العراق، أوّل ما فعلته قوات المارينز عندما اقتحمت الفلوجة، هو الاستيلاء على المستشفى العامّ، وأفاد الجيش الأمريكيّ أنّ المستشفى كان مثل وكالة إعلام، لأنّه كان يوزّع

أرقام الضحايا، وبالتالي يعتبر من حقّه تحطيمه. وتفيد التقارير الآن أنّ مستويات الإشعاع في الفلوجة، هي مستويات الإشعاع نفسها في هيروشيما تقريباً؛ أيّاً كانت الأسلحة التي استخدموها، فقد خلّفت أضراراً جسيمة للغاية.

## ■ الفصل الرابع: الكتلة السوفيتية.

بدأ (أندريه فلتشيك) الحديث عن زيارة له، إلى متحف "الذاكرة وحقوق الإنسان" الضخم في "سانتياغو دي تشيلي" في الأرجنتين، والذي يعرض كلّ الفظائع التي ارتكبت في تشيلي، وكذلك في بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى. فضلاً عن ذلك، تحدّث عن أعمال تصوّر تعذيب المسلمين، في سجن أبو غريب في بغداد على يد الجنود الأمريكيين، إذ عبّر عنها قائلاً: "لقد كانت قوّة جدّاً! وأمر جيّد أن يُظهر متحف في الغرب التضامن مع شعب عربيّ، لا يمكن حتّى أن تتخيّل شيئاً كهذا في أوروبا الشرقيّة". ثمّ أتجه للمقارنة بشكل غير مباشر، بين ما ترتكبه الولايات المتّحدة الأمريكيّة ودول الغرب المواليّة لها، وبين ما حدث عندما غزت روسيا "براغ". ذكر (فلتشيكي) أنّ عدد الضحايا قليل جدّاً، ولم تحدث مجازر، أو أيّة عمليّات اغتصاب، أو تعذيب، وبقيت الحدود مفتوحة لعدّة أشهر. الأوروبيون الشرقيون يدعمون كافّة حركات النضال، من أجل التحرير في جميع أنحاء العالم؛ كانوا يدعمون فيتنام خلال الحرب الأمريكيّة. كانوا يساعدون عشرات الملايين في أفريقيا والشرق الأوسط وفي كلّ مكان. كان لدى الروس دور نشر ضخمة تطبع الكتب بلغاتهم الخاصّة، لأفقر الأمم على وجه الأرض. لا يمكن ذكر كلّ ما فعلته تلك البلدان للعالم، رغم ذلك استطاعت الدعاية الغربيّة أن تجعل العالم يصدق أنّها «إمبراطوريّة الشرّ». لقد كافح السوفيتيّين ضدّ الإمبرياليّة والعنصريّة والتمييز، وكانت أهداف الاتحاد السوفيتيّ سامية وبعضها مثير للإعجاب للغاية، كإعطاء الحرّيّة لجميع الأجزاء الفقيرة في العالم، ومكافحة الاستعمار، ومعاداة الإمبرياليّة، والعدالة الاجتماعيّة.

من جهته قال (نعومي تشومسكي)، إنّّه في تلك الحرب كان العلماء محميين وغير مستهدفين، وتقدّم لهم عروض لحمايتهم، على عكس الولايات المتّحدة التي تستهدفهم مع عائلاتهم. ذكر أنّ القمع كان معتدلاً مقارنةً بأمريكا اللاتينية. الأمر اللافت للنظر أنّ الاتحاد السوفيتيّ، قام بالفعل بدعم أوروبا الشرقيّة، بحيث انتهى بها الأمر إلى أن تكون أكثر ثراءً من روسيا. الإمبراطوريّة

السوفيتية هي الإمبراطورية الوحيدة في التاريخ، التي كان مركزها أفقر من المستعمرات. تحدثت (تشومسكي) أيضاً عن السياسة السوفيتية في البلدان التي غزتها. حيث ذكر ناشطة نسوية دولية معروفة، كانت واحدة من النساء اللاتي نظمن يوم المرأة العالمي، كتبت مقاليتين عن وضع المرأة في "كابول" تحت حكم الروس، كانت الصورة إيجابية للغاية. وقالت: "إن المشكلة الحقيقية الوحيدة التي واجهوها هي حكم تيار، وبقية المتطرفين الإسلاميين المدعومين من الولايات المتحدة، الذين كانوا يلقون الحمض على وجوههن. لكن بخلاف ذلك، كن أحراراً. لقد ارتدين ما يحلو لهن، وذهبن إلى الكلية وأتيحت لهن الفرص، كما الرجال". لقد أرسلت المقال إلى صحيفة "واشنطن بوست"، لكن الصحيفة رفضت طباعته. ومن ثم، الأمر الأكثر إثارة للعجب، أنها أرسلته إلى المجلة النسوية الكبرى في الولايات المتحدة وهم كذلك رفضوا طباعته. وأخيراً تمت طباعته في صحيفة "آسيا تايمز".

## ■ الفصل الخامس: الهند والصين

في بداية هذا الفصل، وجه (فلتشيك) سؤالاً (تشومسكي): عن بث الكم الهائل من الدعاية المستمرة والمناهض للصين، في كافة وسائل الإعلام الغربية الرئيسية تقريباً، وتمجيد ما يسمى "الديمقراطية الهندية"؟!.

ردّ (تشومسكي) أنه في الهند الرأسمالية الديمقراطية وحدها، مات 100 مليون شخص مقارنة بالصين في ظل الشيوعية. ورغم وجود مجاعات مروعة في الهند تحت الحكم البريطاني -حتى أوائل الأربعينيات من القرن الماضي-، إلا أنه بعد الاستقلال لم تعد هناك مجاعات، لأنه كان نظاماً أكثر ديمقراطية. الهند دولة فظيعة في العديد من النواحي.

وبالعودة للحوار، ذكر (فلتشيك) أن الهند توصف بأنها دولة ذات إمكانات هائلة، لكنها لا تزال تعيش في العصور الوسطى بطرق عديدة. لن ينتقد الإعلام في الغرب النظام الهندي، لأنه مزيج فظيع من الإقطاع والرأسمالية، مع مشاعر تاريخية مناهضة للصين. وفي ظل النظام الطبقي المروع، وفي ظل النظام الإقطاعي الذي يفصل مئات الملايين من البشر، تعيش الهند نفسها في ظل نظام فصل عنصري رهيب. فمن ناحية، لديهم علماء وكتاب وفلاسفة عظماء، ومن ناحية أخرى، هذه ليست سوى نسبة صغيرة جداً من الناس، والباقي يعيشون

في بيئة إقطاعية تمامًا. الهند واحدة من أفضل الأماكن التي يمكنك العيش فيها، إذا كنت غنيًا أو من الطبقة العليا - والأفضل من ذلك كلاهما -، لكن إذا كنت فقيرًا، أو حتى تنتمي إلى ما يسمونه الطبقة المتوسطة الناشئة، فالحياة جحيم. الهند والصين أكبر دولتين من حيث عدد السكان على وجه الأرض، بثقافتين ونظامين مختلفين. تعمل الدعاية الغربية باستمرار، على تمجيد الهند وتشويه سمعة الصين. مثلاً، صفحات الصحف لا تنسى ما يسمّى بقضية «التيب»، في حين لا يتم ذكر قضية «كشمير» إلا نادراً. لا توجد مقارنة بين مستوى الوحشية في «التيب وكشمير».

مستوى العنف والكرهية والقسوة الذي وقع في بعض الأماكن لا يمكن تصوّره، قتل، ونهب، واغتصاب، ومهاجمة الرعاع منازل المسلمين، وتقطيع بطون النساء الحوامل، الهند بلد عنيف للغاية. لكن الغرب يصفها بأنها مسالمة ومتسامحة، طالما أنها تعمل كحاجز ضدّ الصين، وطالما أنها تنهب الموارد الطبيعية نيابة عن الشركات الخاصة الغربية، وطالما أنها على استعداد لدعم الرأسمالية الوحشية. أما الصين فهي مكان رائع، ونموذج مثير للاهتمام، ويسير على نحو جيد. نجحت الصين في انتشار مئات الملايين من البشر من براثن الفقر، لكن الدعاية في الغرب تقدّم الصين على أنها دولة رأسمالية جداً. وهذا تصوّر غير صحيح، إذ خصّصت الصين أموالاً ضخمة وخططاً كبيرة لتنميتها الاجتماعية؛ فالوضع في الصين متفوّق جداً، هناك مشاريع هائلة لوسائل النقل العام، والكثير منها صديقة للبيئة للغاية، كمترو الأنفاق، القطارات السريعة، الحدائق العامة، الأرصفة، الطّب الوقائي، كل هذا مذهل.

أما (نعومي تشومسكي)، ومن خلال زيارته لبعض الأماكن في الهند، قال: "إنّ الهند بلد ضخم ومعقد، والشيء الوحيد الذي يلفت الانتباه، أثناء السفر في جميع أنحاء البلاد، هو الاختلاف في الحالة المزاجية. الهند بلد مثير للغاية، حقّق العديد من الإنجازات الرائعة، لكنّه أحد أكثر البلدان إحباطاً على الإطلاق. إن الفقر والبؤس واضحان للغاية". أما بالنسبة لزيارته للصين، لم ير ذلك النوع من الفقر البائس، الذي نشعر به فوراً كلّما ذهبنا إلى إحدى دول العالم الثالث. في الغالب حتى الطلاب الجامعيين، متحمسون جداً للمستقبل والفرص، فهم لا يحبون القيود، يشعرون بالتفاؤل والحماس. هذه هي الطريقة، التي يتمّ بها الحكم على الصين في أوروبا والولايات المتحدة، وهي طريقة متعجرفة ومتعالية تماماً.



## ■ الفصل السادس: أمريكا اللاتينية

دار الحديث في هذا الفصل عن دول أمريكا اللاتينية. ذكر (فلتشييك) أن الانتصارات الأخيرة، التي حققتها الحكومات التقدمية هناك مذهلة، حيث سقطت الحكومات الفاشية الموالية للغرب الواحدة تلو الأخرى. كلّها تسير على خطى فنزويلا. القارة تنهض إلى حد ما، تهتم تلك الدول بشعوبها أكثر من اهتمامها بالبنوك والشركات الدولية، وهذا مناقض تماماً للقاعدة التي كانت سائدة قبل عقدين من الزمن فقط، وهناك أيضاً شعور متزايد بالتضامن. لكن في بعض الدول كالسلفادور، لا زالت الحكومة مقيّدة لأن الولايات المتحدة، غير راغبة في تحمل أية مسؤولية عن الماضي، فهي لا تدفع أية تعويضات، ولا تزال هناك أعمال عنف مروّعة، نتيجة الدعم الأمريكي لفرق الموت، التي كانت تقاتل المتمردين اليساريين خلال الحرب. إن أعمال العنف في السلفادور اليوم مروّعة. ورغم وجود بعض القوى التقدمية، وحتى الحكومات التقدمية في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية، إلا أنه يتوجب الانتباه، لإرث عقود من أعمال العنف الأكثر دناءة. ومن الدول الفقيرة جداً بسبب الغزو الأمريكي لـ "بنما"، لاسيما مدينة "كولون"، فهي واحدة من أكثر المدن دماراً على وجه الأرض لعدة أسباب، العصابات، والفقر، وسوء الإدارة. لكن ما حدث، هو إزالة جميع الأدلة المتعلقة بالتفجيرات والغزو الأمريكي. ومن الواضح جداً الفصل والعنصرية اللذان جلبتهما أمريكا لتلك البلاد. وفي الوقت الراهن، تجد الكثير من الأوروبيين، لا يعرفون شيئاً عن السلوك الأمريكي الفظ في دول أمريكا اللاتينية. هناك تعاون متزايد بين الدول اليسارية في أمريكا اللاتينية.

تحدثت (تشومسكي) عن الغزو الأمريكي لبنما، وقال: "إنه أسوأ من الغزو العراقي للكويت". ووفقاً لمنظمة "هيومن رايتس ووتش"، قتل العراقيون في الكويت بضع مئات من الأشخاص، لكن في بنما ربما قتلوا بضعة آلاف. وأكد تشومسكي على التمييز والعنصرية اللذين تخلفهما الولايات المتحدة الأمريكية حيث تدخل. السكّان المحليون في "هايتي" و"تيمور الشرقية"، على سبيل المثال، لا يعيشون كما يعيش الوافدون إليها، إنهم يتضورون جوعاً، في حين يعيش الوافدون حياة مترفة، والأهم من ذلك هو تصفية من كان يقف بجانبها، ويعمل لصالحها لمجرد الحياد عن طريقها. كما حدث مع (مانويل نورييغا)<sup>(1)</sup>، (جورج شولتز)<sup>(2)</sup> وليس آخرهم (صدام حسين)<sup>(3)</sup>.

1 - مانويل نورييغا: الحاكم الفعلي لبنما من عام 1983م - 1989م.

2 - جورج شولتز: وزير خارجية أمريكي سابق.

3 - صدام حسين: رئيس عراقي سابق.

فقد كانت محاولة (نوريغا) بالاستقلال عن المخابرات المركزية، سبباً للغزو الأمريكي لـ "بنما". وتابع (تشومسكي) حديثه قائلاً: "إن أسوأ دولة في نصف الكرة الغربي الآن هي "هندوراس"، حيث أصبح العنف فيها خارج نطاق السيطرة تماماً. وهناك دولتان شاركت فيهما الولايات المتحدة بانقلابات عسكرية، إذ جرى انقلاباً في فنزويلا، لكنه فشل؛ أما الثاني فكان في "هايتي"، حيث قامت الولايات المتحدة وفرنسا، الجلادان التقليديان لـ "هايتي"، بغزو واختطاف رئيس لم يعجبهم، وأرسلوه إلى أفريقيا الوسطى، وما زالوا يرفضون السماح لحزبه بخوض الانتخابات. والثالث كان في "هندوراس"، -في ظل إدارة (أوباما)- دعمت الانتخابات المزورة، التي أجرتها الدكتاتورية العسكرية الجديدة والفظائع المرتكبة، مثل قتل نشطاء حقوق الإنسان، والنشطاء العماليين، وعمليات القتل على نطاق واسع، مزقت البلاد إلى أشلاء، وبما أنها تحتوي على آخر قاعدة جوية أمريكية رئيسية تدعم الاستثمار الأمريكي، فإن الفظائع مقبولة. من ناحية ثانية، هناك حرب المخدرات والأسلحة، التي تنتشر بشكل ملحوظ في أمريكا اللاتينية. حرب المخدرات تخدم المصالح الأمريكية فقط، ومعظم توريد الأسلحة التي تستخدم لذبح الناس، يأتي من "أريزونا" و"تكساس". تريد دول أمريكا اللاتينية الخروج من هذه الحرب الأمريكية التي تدمر مجتمعاتها.

## ■ الفصل السابع: الشرق الأوسط والربيع العربي

يقول (أندرية فلتشيك): "إن الشيء الوحيد الذي يجب التحدث عنه هو الشرق الأوسط". والبداية برئيس الوزراء البريطاني (ونستون تشرشل) وتصريحاته حول الشرق الأوسط، وتدخله في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. من أهم سياسات أمريكا في الشرق الأوسط، هي دعم الإسلاميين المتطرفين، حيث دعمتهم في أفغانستان. كل الإسلام المتطرف في جنوب شرق آسيا، مرتبط بطريقة أو بأخرى بالحرب في أفغانستان، لأنها في الواقع هي المكان، الذي أصبحت فيه الكوادر الإسلامية متطرفة، وتلقنت عقائدها في ساحات القتال. وكانوا يقاتلون نيابة عن الغرب فدفع لهم أموال غريبة، وسلحتهم واشنطن ولندن. قال (فلتشيك): "إن هناك شيئاً مفقوداً في ما يسمى بـ "الربيع العربي"، وهو التضامن بين الدول العربية. وعند محاولة التدخل في سورية، ظهرت الدول المعادية لما يحدث في الوطن العربي، روسيا والصين اللتان استخدمتا حق الفيتو ضد تمرير أي قرار من شأنه دعم الاحتجاجات، وأعمال العنف الحاصلة في ذلك الحين. لزعزعة استقرار سورية من قبل الغرب.

حين سافر (فلتشيك) لمنطقة الشمال السوري، عرف أنّ المنطقة الحدودية بين تركيا وسورية، تضمّ لاجئين وقواعد عسكريّة، لتدريب المعارضة السورية من قبل قوات الناتو، وكانت حركة هؤلاء المسلّحين سلسلة وموفّرة لهم فقط بين الدولتين. كان مع (فلتشيك) فريق عمل من تركيا، كشف الوجه الحقيقيّ للمعارضة السوريّة التي تلقت التّدريبات العسكريّة على الأراضي التركيّة. تركيا الحليف الثّاني للولايات المتّحدة الأمريكيّة، في الشّرق الأوسط بعد "اسرائيل". والكثير من الأتراك يصرّحون بشجاعة، أنّ حكومتهم غير مستعدّة لمواجهة "اسرائيل"، ولا تزال حليفاً وثيقاً جدّاً للولايات المتّحدة، التي تمتلك قواعد عسكريّة استراتيجية على الأراضي التركيّة.

يصف (نعوم تشومسكي) (تشرشل) بأنّه بشع وعنصريّ، فقد كان يفضّل استخدام الغاز السّام ضدّ القرويين. يضيف (تشومسكي) أيضاً، أنّه خلال الحرب العالميّة الثّانية، كان هناك نوع من الحرب الصّغيرة الدّائرة بين الولايات المتّحدة وبريطانيا، بشأن السّيّطرة على المملكة العربيّة السعوديّة. وكانت شركات النّفط الأمريكيّة، قد اكتشفت النّفط في المملكة العربيّة السعوديّة في أواخر الثلاثينيّات. تخوّفت حينها الولايات المتّحدة الأمريكيّة من خديعة البريطانيّين لها؛ لأنّ لديهم أصولاً وأشخاصاً في السعوديّة. انتهى هذا الصّراع بسيطرة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، من خلال إصدار الرّئيس الأمريكيّ (روزفلت)، مرسوماً رئاسياً يعلن المملكة العربيّة السعوديّة، حليفاً ديمقراطياً ضدّ النّازيّة. بذلك تمكّنوا من شراء العائلة الحاكمة، بفضل شكرهم لكونهم ديمقراطية رائدة، تخوض الحرب ضدّ النّازيين؛ لأنّها الدّولة الأكثر تطرّفاً في العالم. السّعوديون يضحّون الأموال في كلّ مكان، لرعاية الأشكال الأكثر تطرّفاً من الإسلام السياسيّ - الوهابية -، مثلاً في المدارس الديّنية في باكستان، وفي مصر لدعم السّلفيين، وجميع العناصر الإسلاميّة المتطرّفة، الولايات المتّحدة سعيدة بذلك، ولا تحاول منعها. أمّا بالنّسبة للانقلاب في إيران، حاول البريطانيّون تنفيذه، لكن لم ينجحوا لأنّهم كانوا بحاجة الدّعم الأمريكي. عرفت أمريكا أنّها إذا حولت أنشطتها النّفطيّة إلى إيران، ستثير غضب السعوديّة، لذلك اكتفت بدعم بريطانيا مقابل 40% من الامتيازات التي تحقّقها هناك. يتحدّث (تشومسكي) بلهجة ساخرة قائلاً: «عندما تغزو الولايات المتّحدة الأمريكيّة بلدان المنطقة وتدمرها، فهذا يسمّى "الاستقرار"، أمّا عندما يحاول أعداؤها - إيران - تعزيز العلاقات التجاريّة والسياسيّة مع دول المنطقة نفسها، فهذا ما يسمّى "زعزعة الاستقرار"، هذا هو التّهديد الذي تمثّله إيران.» وفي العراق عام 1958م، كانت الحكومة تحت إدارة بريطانيا، حيث

تمكّنت الولايات المتّحدة، من تدبير انقلاب أطاح بالحكومة، وعيّنت (صدّام حسين) رئيساً للبلاد. تحدّث (تشومسكي) كثيراً عن "الرّبيع العربي"، لكن خلاصة ما ذكره، هو أنّ الإسلام السّياسي، المدعوم أميركياً وبريطانياً وفرنسياً، والمموّل بشدّة من السّعودية، كان المسؤول الأوّل والأخير عن ما يسمّى "الرّبيع العربي" الذي كانت بداياته في مصر وتونس. تلك الدّول هي صناعة المتطرّفين المتأسلمين. استطلاعات الرّأي التي أجرتها وكالات استطلاع غربيّة، في تلك البلاد خلال بدايات "الرّبيع العربي"، بيّنت أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة و"إسرائيل" تشلّان الخطر والتّهديد الكبر بالنّسبة للسّكان، ويفضّلون امتلاك إيران أسلحة نوويّة لموازنة القوّة الأميركيّة والقوّة الإسرائيليّة كعميل للولايات المتّحدة. وكانت التّناجج متشابهة جزئياً في جميع أنحاء العالم العربيّ. وكما كان واضحاً، دول النّفط لم يحدث فيها أيّ احتجاجات أو مظاهرات. حتّى بالنّسبة لسورية، حاولت الولايات المتّحدة وحلفاءها تمرير قرارات تهيج الوضع أكثر، لكن وقوف الصّين وروسيا ضدّ أيّ قرار، أظهر موقفهما ممّا حدث. لقد دعمت قطر والسّعودية ما يسمّى بالجيش الحرّ، الذي كان من الإسلاميين المتطرّفين، لزعة أمن البلاد، وكان ذلك بموافقة أميركيّة واضحة.

في نهاية الحوار وجّه (فلتشيك) سؤالاً (لنعومي تشومسكي)، هل ستعود "إسرائيل" إلى رشدها، وتعطي الأراضي للفلسطينيين في نهاية المطاف؟ أجاب (تشومسكي): "لا، إسرائيل لن تفعل أيّ شيء، طالما أنّ الولايات المتّحدة تدعمها وتساندها". فهي تستولي على أجزاء قيّمة من الصّفّة الغربيّة، وتترك الباقي على شكل كانتونات، أمّا غزّة تحت حصار مشدّد؛ كلّ يوم هناك جريمة جديدة، فالجيش الإسرائيليّ يحمي المستوطنين لضرب الفلسطينيين، وتشويه بيوتهم وقلب أكشاك الفاكهة، واقتلاع أشجار الزيتون". قال (فلتشيك): "المستوطنون الإسرائيليّون يعيشون حياة فاخرة، تفصلهم الجدران الهائلة والأسياج الشائكة، عن المدن الفلسطينيّة ولا يرون أيّ شيء من الظلم الذي يعيشه الفلسطينيون".

## ■ الفصل الثامن: الأمل في أكثر الأماكن دماراً على وجه الأرض

بدأ (أندريه فلتشيك) الحديث حول الأمل في أن تتغيّر الأمور في أفريقيا، كما تغيّرت في أماكن أخرى من أميركا اللاتينيّة. لكن ربما تكون أفريقيا حالياً هي المكان الأكثر دماراً على

وجه الأرض. يبدو أن هناك توطيداً للقوة الاستعمارية هناك، وغالباً ما ينفذ الوكلاء -جيوش المرتزقة- الفظائع والجرائم. من ناحية ثانية، تحدّث (فلتشيك) عن الدور الفرنسي. أكّد أنّ الفرنسيين يحتفظون بجنودهم في كلّ مكان: مثل الفيلق الفرنسي في جيبوتي. كانوا عبر التاريخ وحشيين للغاية. كان هناك مرتزقة فرنسيون في جيبوتي يتدربون على العمليات في جميع أنحاء القارة. وفي ليبيا، يجب إدراك الدور القويّ الذي يمكن لفرنسا أن تلعبه مرة أخرى، قويّة ومدمرة للغاية للشعب الأفريقيّ. أمّا الصومال، كلّ ما يحدث فيها وما حولها أمر فظيع. الغرب لديه دولة خاصّة به، جيبوتي، التي تحوّلت إلى نوع من القواعد العسكرية الأمريكية والفرنسيّة، حوّلت صحراءها إلى مناطق تدريب للجيش الفرنسيّة. إنّها مكان مروّع ومفرط في العسكرة! إنّها ملوثة وعدوانية وخاضعة.

يقول (تشوسومسكي) أفريقيا هي المكان الأكثر تدميراً لأنّها غنيّة بالموارد. مباشرة بعد الحرب العالميّة الثانية، كانت أمريكا بموقع القوة السّاحقة، لذلك خطّطت لتنظيم النّظام العالميّ. خصّصت لكلّ منطقة من العالم ما أسمته "وظيفتها". لذلك، على سبيل المثال، كانت وظيفة جنوب شرق آسيا هي توفير المواد الخامّ والموارد لإعادة إعمار الدّول التي كانت مستعمرة. أمّا بالنسبة لأفريقيا، سلمتها للأوروبيين لاستغلالها، وحتىّ يعيدوا بناءها. بعدها أعادت الولايات المتّحدة التّفكير في هذا الأمر، وقالت إنّها يجب أن تستغلّ أفريقيا أيضاً. لذا، بدأت الولايات المتّحدة في التحرك نحو أفريقيا، لتحصل على الكثير من النّفط من هناك، واليورانيوم والمعادن الأخرى. لذا، لم يعد الأمر متروكاً للأوروبيين فقط لاستغلاله. والقضية المثيرة للاهتمام هي قضية الصّحراء الغربيّة، آخر مستعمرة رسميّة في أفريقيا. غزاها المغرب 1975م، كوكيل فرنسيّ. وهناك بدأ "الرّبيع العربيّ"، قبل تونس. لكن القوّات المغربيّة أوقفت الاحتجاجات وقضت عليها بدعم من الولايات المتّحدة.

## ■ الفصل التّاسع: تراجع قوّة الولايات المتّحدة.

بدأ (فلتشيك) الحديث بأنّ الولايات المتّحدة وأوروبا هما، الإمبراطوريّة التي تعزز قوتها في جميع أنحاء العالم. ولا تزال بعض جيوب المقاومة موجودة مثل أمريكا اللاتينية، والصّين، وحتىّ إيران. وفيما يتعلّق بالوضع في جنوب شرق آسيا بعد الحرب العالميّة الثانية، حاولت

الولايات المتحدة السَّيطرة على أندونيسيا بسبب قلقها من الشيوعية، ونتيجة هذا القلق، حدثت مجزرة ومذبحة بحق الشيوعيين والاندونيسيين من أصل صينيّ - الذين كانوا أقلية -، ليصل عدد القتلى لـ 3 ملايين شخص. لقد تراجعت قوّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لكنّها لا زالت قادرة على الإطاحة بحكومات، مثلما فعلت حينما أطاحت بالحكومات اليساريّة في أميركا اللاتينيّة، في هندوراس وباراغواي. وفي نهاية الحديث، أراد (فلتشيك) التذكير بالرأي الغربيّ الدّاخليّ، إنّهم محبّطون تماماً من نظامهم السّياسي والاجتماعي. إنّهم لا يحبون أيّاً من الأحزاب السّياسيّة. والديمقراطيّة هناك هي فقط التي تخدم مصالح الحكّام، حتّى في الانتخابات.

قال (تشومسكي): "إنّ ذروة قوّة الولايات المتّحدة كانت في الأربعينيّات. كانت تمتلك نصف ثروة العالم، وموقعاً أمنياً قوياً، وكانت تسيطر على نصف الكرة الأرضيّة. ثمّ بدأت بالتراجع كان استقلال الصّين في عام 1949م بمثابة ضربة كبيرة، حيث كانت الصّين تعتبر جزءاً مهماً من النّظام العالميّ، الّذي كانت الولايات المتّحدة تحاول إعادة تشكيله. وبعدها دار الحديث كثيراً عن سبب خسارة الصّين، وأثار ذلك على الفور مخاوف جدّيّة، بشأن الخسارة المحتملة لجنوب شرق آسيا، وذلك عندما تحوّلت سياسة الولايات المتّحدة نحو جنوب شرق آسيا. بحلول أواخر الأربعينيّات، دعمت أميركا الغزو الفرنسيّ. وفي فترة ما بعد الحرب العالميّة الثّانية، نفّذ الرّئيس الأمريكيّة حينها، (آيزنهاور)، أكبر تدخّل من خلال محاولة فصل الجزر الخارجيّة لأندونيسيا، حيث توجد معظم الموارد الطّبيعيّة، لوضعها تحت السّيطرة الأمريكيّة.

لكنّ التدخّل الأمريكيّ فشل، وكان هناك قلق أمريكيّ من الحكم الأندونيسيّ آنذاك، لأنّه سمح للشيوعيين بالمشاركة السّياسيّة. الّلافت للنظر هو ردّ الفعل الغربيّ الدّاخليّ على حمّام الدّم، الّذي راح ضحيّته 3 ملايين شخص في اندونيسيا، حيث وصفه أحد اللّبراليين البارزين «ببصيص الضّوء القادم من آسيا». مع ذلك، كانت قوّة الولايات المتّحدة تتراجع، وبحلول عام 1970م، انخفضت حصّة الولايات المتّحدة من الثّروة العالميّة إلى حوالي 25%، وهي نسبة هائلة لكنّها ليست 50%، كما كانت في عام 1945م. كان العالم يعتبر ثلاثي الأقطاب اقتصادياً، في أوروبا (متمركّز في ألمانيا الغربيّة)، وفي أميركا الشّماليّة (الولايات المتّحدة بشكل رئيسيّ)، وشرق آسيا (متمركّز حول اليابان) - وكانت آخر المراكز الثلاثة بالفعل هي المنطقة الاقتصاديّة الأكثر ديناميكيّة في العالم. ومنذ ذلك الحين تراجعت الولايات المتّحدة أكثر. أمّا بالنسبة لـ "الرّبيع

العربيّ " فقد شكّل مصدر قلق آخر، لو أنّه تحرّك فعليّاً نحو تطوير نوعاً ما، من الديمقراطيّات العاملة في المنطقة، فإنّ الولايات المتّحدة وحلفاءها سوف يواجهون مشكلة حقيقية. من الواضح أنّ الرأى العامّ في العالم العربيّ يعارض بشدّة الولايات المتّحدة وحلفاءها، لذلك كانت هناك جهود كبيرة للغاية لإبقاء الديمقراطيّة في المنطقة تحت السيطرة. ولا تزال قوّة الولايات المتّحدة ساحقة ولا تواجه أيّ تحديّات تذكر، لكنّها آخذة في التراجع. لا يمكن الآن القيام بأشياء اعتادوا القيام بها سابقاً. لا يمكنهم الإطاحة بالحكومات في أمريكا اللاتينيّة فحسب، إنهم لا يملكون القوّة العسكريّة اللازمّة للتدخل في أماكن أخرى، في الشرق الأوسط وما إلى ذلك. وبالنسبة للانتخابات والديمقراطيّة الداخليّة، هناك مقولة شهيرة: "إذا غيرّ التصويت أيّ شيء، فسيجعلونه غير قانوني". في ختام الحديث، ذكر (فلتشيك) باختصار: "تمّ تناول الجرائم ضدّ الإنسانيّة، التي ارتكبتها الولايات المتّحدة، وأوروبا، وحلفاؤها بعد الحرب العالميّة الثّانية. الوضع مقلق للغاية. هناك حملات إبادة جماعيّة تجري في الكونغو وباروا. يتمّ غزو دول بأكملها، كالصّومال والسّودان وأوغندا وليبيا وأفغانستان. وهناك خطر جدّيّ من أن تكون بعض الدّول مثل سوريا وإيران، هي الدّولة التّالية على قائمة المستهدفين. وكثيراً ما يقوم الغرب باختلاق الصّراعات، فيدفع البلدان إلى المواجهة كما شهدت مؤخّراً في الفلبين. لقد ابتعدت الحرب عن نموذج القتال بين رجل لرجل، بل تهيمن الصّواريخ الفتّاقة، وحملات القصف، وأحدث الأسلحة الرّهيبية، الطائرات بدون طيار، التي تعتبر مرادفة للإرهاب والإفلات المطلق من العقاب - فهي تقتل دون أن تضطرّ الدّولة الغازية إلى المخاطرة بجنودها." كان ردّ (نعوم تشومسكي) بأنّ "العالم أمام خيارين: إمّا نحو الانتحار، وإمّا نحو المعارضة المتزايدة. إمّا الاستسلام أو المحاولة التي ربّما تنجح".

عندما يكون الحديث عن تاريخ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، جرائمها، وتدخلها، وسيطرتها، وقصفها، وبلطجتها، لن يكون له نهاية. يجب السّعي دائماً لتسليط الضّوء على الآراء، والمواقف، والأعمال المناهضة لتلك القوّة المتعجرفة، حتّى تتمكّن فئة واسعة من المجتمع العربيّ، الإطّلاع على تاريخ أسود من الإجرام. وكما يُقال، ما خفيّ كان أعظم.

Reading in a book

# On Western Terrorism From Hiroshima to the Drone War by «Noam Chomsky» and «Andre Vltchek»

■ Lina Al-Saqr<sup>(1)</sup>

## Abstract

This general reading of the book, "On Western Terrorism from Hiroshima to the Drone War," covered the most important points about American history, from its beginnings until the basic dialogue that the book revolved around. This dialogue takes place between two influential and active figures, the American Jewish thinker and critic, "Naomi Chomsky", and the political analyst and investigative journalist, "Andre Vltchek". This dialogue is critical par excellence, in which they try to reveal some secrets and information about the empire of the United States of America and Europe. The most important thing that their discussion reached is that American power is no longer what it was. It may continue its criminal policies, but in new and different ways, more advanced and technical in all respects.

## Keywords:

Naomi Chomsky - Andre Vltchek - Empire - Colonialism - Southeast Asia - Latin America - Arab Spring - Communism

---

1 - Researcher and Translator - Syria



# Treatment of Prisoners Comparative Study between International Laws, Islamic Law

■ Al-Sheikh Mahmoud Ali Saraib<sup>(1)</sup>

## Abstract

Protecting prisoners' rights is one of the priorities that Islam has been keen on in both the legislative and practical dimensions. The image that Islam has presented in its treatment of prisoners is the purest and brightest throughout history. The basis that govern the treatment of prisoners - which are three: mercy, dignity, and justice - reflect the extent of Islam's commitment to human rights, within an integrated methodological vision, and a global approach that transcends the boundaries of time and place. Identifying some of these rights, which Islam has implemented, is necessary and important to know the humanity of Islamic legislation, and to benefit from this approach to apply it on the ground. The purpose of this research is to identify the rights of prisoners in Islam, compare them with international laws, especially the Geneva Convention, and demonstrate the precedence, comprehensiveness, and divine nature of the Islamic approach in this field. We believe that Islam has provided a model to be emulated in the field of dealing with prisoners, which can be a source of inspiration for modern societies, and positive laws in the field of human rights care, including the rights of prisoners. We have adopted the descriptive-analytical approach, in addition to the comparative approach

## Keywords:

Prisoners of War - Rights - Islam - Geneva Convention.

---

1 - Professor of Interpretation and Doctrine at the Seminary - Holy Qom.

## Rooting

# Use of Internationally Prohibited Weapons Study of Legitimacy from Islamic perspective

■ Dr. Ali Abdullah Fadlallah<sup>(1)</sup>

## Abstract

This research answers the rulings of the jurisprudence of jihad, regarding weapons used in wars, especially internationally prohibited weapons. Despite the recent development of these weapons, and despite the obstacles that hinder the regulation of their use in international law and the law of armed conflict, the rules of jihad jurisprudence control the use of these war tools, especially weapons of mass destruction, and specifically nuclear weapons. However, it should be noted that comparing the law of war and the jurisprudence of jihad is not an easy matter, and cannot be limited to comparing the rules of international humanitarian law (*jus in bello*) with the controls of warfare in Islam. Islam is strongly concerned with the origin of the legitimacy of war (*jus ad bellum*) and the specifications of the ruler who carries it out, which is somewhat exceeded by legislators in international law, since most of today's wars are aggressive. Weapons are developing significantly in this era, and it is clear that they are the locomotive of modern technological progress. This requires expanding research into new types of weapons, in the age of artificial intelligence, drones, automation, and others. The seriousness of these contemporary uses of military technology requires strict control over them, which should lead to the development of the jurisprudence of jihad to the new substantiations.

## Keywords:

Internationally Prohibited Weapons - Jurisprudence of Jihad - International Humanitarian Law - Weapons of Mass Destruction.

---

1 - Seminary and university professor. Professor of political science and international law. Director of the Center for International Law in Beirut.

# History of US Crimes in the World A Statistical Study

■ Zainab Ali Farhat<sup>(1)</sup>

## Abstract

Under the title of "spreading democracy" and "human rights", the United States committed the worst crimes against humanity, to redraw the world map in line with the global order, through which it has achieved hegemony. American hegemony over the peoples of the world has taken many forms, including military, economic, and cultural. Therefore, in this research, we will discuss the wars that the United States has fought, since declaring its independence, with the aim of occupying more lands, and expanding its influence, whether directly or by proxy, in various parts of the world, including the West Asia region, to discuss the most prominent human losses left by those wars.

## Keywords:

American Wars - World War I - World War II - Gulf War - Victims - Dead - Genocide of Indigenous Peoples.

---

1 - Master of Media at the Lebanese University, Researcher at Ufeed Center for Research and Development.

# American Media, Misinformation, Justification for War

..... ■ Dr. Ghenwa Nasser<sup>(1)</sup>

## Abstract

This research sheds light on the media and propaganda war that the United States used to mislead local and international public opinion, justify its blatant aggression, and its use of weapons of mass destruction and internationally prohibited weapons, under the pretext of spreading peace and democracy, and preserving human rights. But in reality, it does not go beyond controlling peoples' capabilities, plundering their wealth, and controlling resources. All the titles it presented, regarding international peace, are nothing but flashy titles for purely economic and material goals. The research also presented an overview of the role of the resistance media in exposing American deception and lies, and the pressures it was subjected to, especially in our Arab region.

## Keywords:

American Media - Media Deception - Islamic Resistance - Public Opinion - Terrorism.

---

1 - Professor of History, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University.

# Living Witnesses from Dark Sites American Detention and Torture Camps

..... ■ Karim El Gammal<sup>(1)</sup>

## Abstract

This article deals with the subject of torture and human rights violations in American prisons and detention centers, which were established by the American government after the events of September 11. These detention centers were called black sites. The article focuses on the torture methods used in the American black sites, especially in the prisons of "Guantanamo" and "Abu Ghraib", and presents evidence and examples of these violations and atrocities, as witnesses of convicted American soldiers. It also presents some witnesses of former detainees in these black sites. In general, the article compares between the American falsehoods and lies claims, and the shocking facts

## Keywords:

Torture - Dark Sites - Guantanamo - Abu Ghraib - Prisons - Detention

---

1 - Researcher, Writer and Journalist - Egypt.

# The United States and Internationally Prohibited Weapons The Greatest History

■ Dr. Duaa Hasan<sup>(1)</sup>

## Abstract

This research deals with the war crimes of the United States of America, which seriously violated all international laws, and are crimes against humanity, which used extremely brutal methods in its war on the indigenous population (the Red Indians), Japan, Vietnam, and Iraq using internationally prohibited weapons. America is the only country in human history that used nuclear weapons in its conflict with Japan. It occupied Vietnam and used chemical and biological weapons on its people. They occupied Iraq and used weapons, cluster bombs, and other depleted uranium weapons. This research also addresses the various effects of the use of internationally prohibited weapons of all kinds, nuclear, chemical, and biological, on humans, the environment, and the economy of the occupying state during destructive wars.

## Keywords:

Internationally Prohibited Weapons - Nuclear War - American Crimes - Chemical weapons - Cluster bombs - Biological Weapons.

---

1 - Tutor of Political Philosophy, Faculty of Arts, Ain Shams University.

# US Invasion of Afghanistan and Crimes against Humanity

■ Dr. Hussein Ali Hasan Ahmed<sup>(1)</sup>

## Abstract

Afghanistan has witnessed many invasions in its modern history, due to its terrain, and strategic location at the crossroads of Central Asia, the Indian subcontinent and the Middle East, where it had borders adjacent to the British expansion areas in the south, and also to the Russian expansion areas in the north. This privileged location made it vulnerable to British and Russian invasion. The ordinary Afghans bore all the negative effects of the repeated foreign invasion of their country. After the attack on the United States of America on September 11, 2001, America launched a fierce war against Afghanistan - under false pretenses and misleading claims - calling its war against Afghanistan the "War on Terror". America has developed its brutal wars to a frightening extent, turning from wars on terror into "terrorist wars" waged against all countries hostile to it and opposed to its aggressive policies. America has committed brutal crimes against Afghan civilians, and used internationally banned weapons to kill people and destroy the environment. The American invasion of Afghanistan has led to the collapse of the Afghan economy.

## Keywords:

British Occupation - Soviet Occupation - Internationally Prohibited Weapons - Uranium - American Crimes - Chemical Weapons - Cluster Bombs.

---

1 - Professor of Philosophy at Ain Shams University - Egypt.

# American War Crimes in Iraq

■ Dr. Safwan Nassif Al-Naddaf<sup>(1)</sup>

## Abstract

The American intervention in the affairs of Iraq, since the first and second Gulf Wars, up to the stage of direct military occupation, represents a call to think about the tragic and long-term consequences of the war in this country, and especially the crimes and atrocities committed by the American army against the Iraqis. Although the American intervention came under some slogans, such as establishing democracy, human rights, and ridding Iraq of weapons of mass destruction, rather, the US-led invasion actually brought nothing to Iraq but chaos, violence, death, and all forms of destruction. The war has depleted Iraq's resources, and plunged it into several stifling crises that paved the way for its destruction. Iraq is the country that posed a strategic threat to the interests of the United States and its ally Israel, and the war made sectarian tensions, between Sunni and Shiite Muslims, as fuel for political division, violence and extremism. This systematic destruction led to serious divisions in Iraqi society, and terrorist attacks became a daily routine, paralyzing life in Iraq and destroying all forms of growth and development, and Iraq is still suffering from the consequences of American intervention to this day.

## Keywords:

The Second Gulf War - The Third Gulf War - Desert Storm - The Highway of Death Massacre - The Invasion of Kuwait - American brutality

---

1 - Faculty Member, Faculty of Arts, Department of History, University of Damascus.



# America's Inhuman Crimes in Vietnam A Black History in the Color of Blood

..... ■ Mr. Samer Salim Ibrahim<sup>(1)</sup>

## Abstract

In this research, we reveal the secrets of the war that the United States of America entered in a cold manner, and shed light on some of the details of this war and its results. This war was in Vietnam, waged by America as a superpower, still celebrating its magnificent and decisive victory over the Axis powers in World War II. But, fate willed that the conflict would come out with a humiliating defeat, and great material and human losses that shocked the entire world - especially the American interior - which became more skeptical than ever about the competence of its leadership, and the truth of its claims. The Vietnam War was the longest and most debilitating war in American history, and the only war the United States ever lost. The war had far-reaching and profound consequences for most aspects of American life, from the economy, to culture, to domestic and foreign policy.

## Keywords:

Cold War - American Crimes - Communist Expansion - Napalm - Operation Rolling Thunder - Agent Orange.

---

1 - Syrian Researcher - Faculty of Law.

# The United States of America, Crimes of Two World Wars, Atomic Bomb

..... ■ Dr. Alaa Mahmoud Masoud<sup>(1)</sup>

## Abstract

This research aims to provide an objective explanation of the United States' entry into the two world wars, the gradual process that led it to drop the atomic bomb on the cities of Hiroshima and Nagasaki, and the terrifying negative role of this catastrophe. The research also followed the historical analytical approach, as it shows that the bombs were the first use of nuclear weapons in war, with the profound impact they caused on the world, and negatively affected all of humanity. We can learn important lessons from the dropping of the two atomic bombs. On the other hand, the research stressed the need to enhance international cooperation to prevent the outbreak of wars and conflicts, spread peace and tolerance, develop means of peace, promoting education and human rights, and the importance of protecting the environment.

## Keywords:

World War I - World War II - United States of America - Atomic Bomb.

---

1 - Department of History, Faculty of Arts - Damascus University.

# American Civil War (1861-1865) Bloody Conflict between the North, the South

■ Ali Mahdi Raad<sup>(1)</sup>

## Abstract

The American Civil War (1861-1865) between the North and the South is a pivotal event in shaping the historical consciousness of the United States. The war lasted four years, and ultimately resulted in the victory of the Federal Union in the North, and the loss of the Confederate states in the South. However, the human losses, suffered by both sides, were so severe that they exceeded the losses of the United States' wars together. The number of dead, on both sides, was estimated at 750 thousand, not to mention the economic losses incurred by the two warring parties, especially in the southern states. The issue of the American Civil War is still very present in the American mind. What is striking is that current American society has become more accepting and expectant of war than ever before. Polls show that most Americans believe that deep divisions have worsened, since the beginning of 2021. Two in five Americans believe that a civil war is likely in the next decade.

Keywords: United States of America - American Civil War - Abraham Lincoln - Slavery in the Southern States - Confederacy in the South - Federalism in the North - Union Army - Confederate Army.

## Keywords:

European Expansion - Indigenous People - Genocide - Demographic Collapse - Cultural Erasure.

---

1 - PhD candidate in International Relations, Lebanon.

# Religious Basing of Killing in America Christian Zionism as a Model

■ Dr. Mohammad Mortada<sup>(1)</sup>

## Abstract

This research aims to shed light on the religious theorizing, which some religious movements have presented, as a theoretical justification for killing. The research has particularly approached what is called Christian Zionism. This research has strongly highlighted the wars launched by the American administration during the era of George W. Bush, under a religious cover, under the pretext of spreading chaos and wars, which should be ignited in order to accelerate the second coming of Christ. Under the name of Christian Zionism, this movement began in Europe, but later spread strongly in the United States of America. This idea was previously employed to promote the return of the Jews to their alleged land. In any case, Christian Zionism represented a trend that was not far from violent terrorist trends, even if they were in the form of governments, and formed a terrorist ideology with a religious cover.

## Keywords:

Christian Zionism - America - Return of Christ - Israel - Religious Reform - Herzl - Biblical Prophecies - Neo-Conservatives.

---

1 - Director of Baratha Center for Studies and Research in Beirut - Editor-in-Chief of Oumam Magazine.

# American Philosophical Theorization of War (Washington Hawks)

■ Dr. Nariman Amer <sup>(1)</sup>

## Abstract

The research is directed towards examining the American political philosophical scene, to reveal the theoretical roots of the foreign policy of the United States of America, which took the form of wars in its contemporary history. It dealt with the most important political thinkers and philosophers, namely "Leo Strauss" and his political theory, which is based on the necessity of preserving the glory of the rising nation, America, through a philosophical system, which was founded on the rule of the elite, and the necessity of returning the political to the field of values. But this call for values was not for a moral reason, but for a pragmatic reason, which is: Values and religion are what most influence the public. Thus, values become the new tool of domination, carried by what he called noble lies, which took on an embodied form in the theories of both Samuel Huntington and his thesis "The Clash of Civilizations", and "Francis Fukuyama" with his thesis "The End of History", and the controversy that each of these theories has been subject to has established their presence in the applied political scene, where they have been picked up by political groups that have changed and emerged in American policy-making spaces, promoting the concept of war as the most effective tool for the continuation of America's glory, without taking into account the number of victims and the amount of destruction outside America's borders.

## Keywords:

American Political Philosophy - Leo Strauss - Samuel Huntington - Francis Fukuyama - Washington Hawks.

---

1 - Professor of Contemporary American Philosophy at Damascus University.

resolving disputes with others, and how to build a “more humane” social life. Also, the discussion is regarding the rights of prisoners from an Islamic perspective, which shows the humanitarian and legal framework that this religion provides for prisoners, in a scene that is contrary to what is prevalent under the eyes, actions and support of the American administration in this past century, which is full of corpses, killings, injuries and those affected by the excessive use of violence and war without limits.

**Editor-in-Chief**

**June 8, 2024 AD / Dhu al-Hijjah 1, 1445 AH.**



Although the necessity of successive American governments to use excessive, illegal force that causes mass destruction, as it did in Hiroshima, Nagasaki, Vietnam, the brutal destruction of Iraq, its infrastructure and human resources, the imposition of an unjust siege on it, and on other peoples such as Yemen, Palestine, Lebanon, Syria, Iran, and others, indicates the gradual, inherent weakness of American power, such that it resorts to crime and brutality in order to resolve conflicts and achieve its interests, which is something that has nothing to do with political action. On the other hand, this criminal behavior, which is using internationally prohibited weapons, has created a kind of justification and legitimacy for their use, among its allies, especially the European countries that America uses in its wars, as well as the unparalleled support that the late Saddam Hussein received in his war against his people, and neighboring peoples, and his use of internationally prohibited weapons, such as chemical weapons and prohibited methods of killing and others. Likewise, the brutal and condemned crimes committed by Israel, seventy years ago, are similar to America's historical criminal path in eradicating indigenous peoples and using all types of killing, crimes and prohibited weapons, in the context of the alleged existential war against the usurping Israeli entity. All of this is under the sponsorship, support, funding and provision of legal, international and media cover by the United States. This is what we are currently witnessing in Gaza and the West Bank, before the eyes of the world. In addition to that, there are the violations of prisoners' and detainees' rights, which constituted a major scandal for the claims of America and the Western world, in the detention centers and prisons of Abu Ghraib, Guantanamo and the rest of the secret detention centers in the world.

This path of brutality, killing, and the exorbitant human cost incurred by the general human community, is under the pressure of the brutal American military, colonial power, the malicious control over the economy, media, and knowledge industry globally, and its reliance is on cognitive structural contexts linked to biblical-Christian origins, according to special Puritan readings, and as a result of the philosophies of power, absurdity and neoliberalism, which allow the powerful to exercise the ability, to achieve his interests as a supreme civilizational value. This matter is subject to a civilized and value-based discussion at its core. Therefore, it was necessary to open initial horizons for researchers, to present what concerns the Islamic view of the use of weapons of mass destruction, and the legitimacy of that, and to show the correct and sound principles of the limits of the use of violence in conflicts, and



extensively researched in the previous issue of Oumam Magazine. In this issue, we addressed the philosophical theorization of war and killing in the American political and cultural mind, especially with regard to the theoretical intellectual references to violence, among the hawks of the American administration, who are influential at the level of decision-making, leadership, and strategy.

The second topic, which this issue highlights in its research on violence and the history of American wars, is to highlight the uncivilized nature of American superiority, and the construction of the modern American state, by showing a general feature that accompanied this construction, which is the very high human cost - the blood of the peoples - in order to build and survive the American state. Therefore, this issue of the magazine highlighted, within accurate statistics, the terrifying numbers of the dead and victims of America's wars at this stage only, so that these statistics show the reality of the alleged advanced civilizational power, and path promoted by American politics and administration.

The truth of the path that caused so much killing has clearly exposed the American political propaganda, hidden behind the slogans of human rights, democracy and humanity, and this is evident in the criminal path that could not be hidden from the peoples of the world. The research that has been conducted has shown the extent of the huge funding, and planning that America is doing - in terms of media deception, playing with minds, distorting facts, and exploiting facts, slogans, and peoples' wills - in a pragmatic manner in relation to its own interests only. The history of media deception, lies, forgery and distortion of facts, practiced by America in particular with regard to the Vietnam War, the first and second Gulf War, the Iraq War, Syria, and of course with regard to all the resistance movements in our countries, and the invention of the names of "terrorism and extremism", and removing them from the category of human beings, in advance justification for killing and annihilation, are evidence of the extent of the forgery, and the will to commit criminal acts and killing, intentionally and definitively, as an authentic American method of political and "humanitarian" work.

The research in this issue also shows the widespread destructive effects of American wars in the two world wars, the Vietnam War, and the invasion of Afghanistan, especially the widespread use of internationally prohibited weapons, with accurate statistical evidence and information, which show the lack of this civilization' concern of the most basic human rights, and international humanitarian laws agreed upon in international charters and covenants.



or that unjust economic measures are imposed on entire peoples, while the media machine markets them as if they were imposed on the regime only. The great irony is that the country, which threatens other countries with war, under the pretext of possessing internationally prohibited weapons, is the one that has used those weapons the most throughout history, and is the first and last (so far) to have used nuclear weapons.

\*The third axis: is the axis of implementing plans practically through military, economic, political and social wars.

These are wars of extermination in every sense of the word, which accompanied the United States of America before its beginning, meaning from the moment the continent was discovered and invaded by the whites coming from Europe, to begin immediately after that the wars of genocide against the indigenous population. No sooner had these wars ended than the occupiers fought a war they called the War of Independence against the British, and we do not know who is independent from whom, as they are all invaders?! Then the civil war between the North and the South came, followed by a series of wars.

Perhaps, we are not exaggerating if we say that the USA is the country that has waged the most wars compared to its age, and it is the most deadly country in terms of the number of victims, which its wars have left behind compared to its age as well. If Machiavelli was the first to say: "Aims justify means", then the USA is the most committed to it and loyal to it.

In any case, serious research on the history of American killing and crime has revealed structural features of the American mind, and civilizational personality, based on violence, annihilation, killing, and criminalizing the other because he is the other. These features are based on intellectual and civilizational foundations connected to the European roots of violence. This violence, in its European form, centered on the Eurocentric civilization, that is superior and steeped in puritanism and superiority over others, with the same tendency to justify the act of domination and killing.

The American violence scene is based, in its depth, on the spirit of genocide of indigenous peoples, seizing their land and resources, and persisting in killing the civilizational and cultural spirit of these indigenous peoples, in a way that guarantees the eternity of direct and indirect colonialism, and ensures that the Europeans and Americans always remain in the forefront. This spirit is a European creation, during the eras of European colonialism that prevailed throughout the world for centuries, until the middle of the twentieth century. This topic was thoroughly and

The twenty-first century is an appropriate station to reconsider the past historical stage, over a period of more than a century, where the element of technological, technical and scientific progress and development and the massive spread in the age of information, computing, heavy and smart industries and precise inventions, coincided with the emergence of American "civilization" as a major global power with huge capabilities on many levels. This synchronicity revealed only a bloody, conflictual face of American civilization, which humanity has witnessed since the occupation of the American continent, through the First and Second World Wars, and the subsequent inter-regional and international wars until this moment, leaving behind millions of dead and victims and widespread destruction, with a great diversity in the tools and methods of killing and the annihilation of groups, peoples, and nature.

Looking at American "civilization", there are three axes that have distinguished American history:

\*The first axis: The philosophical theorization of killing; where American theorists, following European theorists, have been keen on the "philosophy" of killings and aggression, sometimes with arrogant justifications, sometimes with civilized justifications, under the slogans of human rights and democracy, raising awareness, qualifying countries to govern themselves, defending minorities, national security, and other deceptive slogans, using various methods of suppression and military, political and economic aggression, etc.

\*The second axis: Achieving the desired results in the first axis will not happen unless it is accompanied by a large propaganda and media deception campaign that spends billions of dollars. History has never witnessed this level of fake media hype, planned deception, and agreement on different media outlets. This media that claims objectivity, only to later show that it is not objective at all, and for the war on Gaza, what came before Gaza and what will come after it, reveal that this Western media in general, and the American media in particular, is nothing but an empire of lies, falsification of facts, manipulation of images, and concealment of facts. This is the image that the American administration and pressure lobbies want to present to public opinion, especially inside America, so that freedom for the American becomes nothing but the ability to choose between a truth cloaked in falsehood to be repelled by it, and a falsehood portrayed as truth to be accepted. It is not surprising, given this situation, regimes are overthrown under the pretext of possessing, or seeking to possess internationally prohibited weapons, which will never be proven to be possessed or sought to possess,

## First talk

# USA: Empire of Lies and Aggression

..... ■ **Dr. Mohammad Mahmoud Mortada<sup>(1)</sup>**

The act of "existence" in mankind contains an ancient historical and philosophical paradox, which is the paradox of the necessity and importance of human society as a vital need for its survival and the continuity of its existence. On the other hand, this paradox contains an element of competition and conflict resulting from the presence of the other in the same temporal and spatial space. This double paradox has led to multiple philosophical visions to resolve this complex conflict, and to find a system can provide a path, in which mankind can coexist with all cultural, ethnic and civilizational differences.

The theoretical conflictual schools, and doctrines of power, agree on that certain cultural, ethnic or civilizational characteristics give the right to force a group, to obtain a better and greater share than others in existence. This conflict and the system of power constitute the "natural" solution that "nature" and the constitution offer to man, with prior acquiescence to the fall of victims and losses appropriate for such a struggle for survival.

Human history bears witness to this deep, delicate, and at the same time dangerous intellectual conflict, which has caused much bloodshed, and has not yet led to a secure future for humanity. Although the divine and heavenly revealed religions, especially the Islamic religion with its Mahdist salvation proposal, presents its own proposal for the salvation of man from the fate of killing and the bloody path to survival, however, the objective circumstances of this proposal have not been fully integrated to date

---

1 - Director of Baratha Center for Studies and Research in Beirut - Editor-in-Chief of Oumam Magazine.

19

**The United States and Internationally Prohibited Weapons The Greatest History**

■ Dr. Duaa Hasan

20

**Living Witnesses from Dark Sites American Detention and Torture Camps**

■ Karim El Gammal

21

**American Media, Misinformation, Justification for War**

■ Dr. Ghenwa Nasser

22

**History of US Crimes in the World A Statistical Study**

■ Zainab Ali Farhat

**Rooting**

23

**Use of Internationally Prohibited Weapons Study of Legitimacy from Islamic perspective**

■ Dr. Ali Abdullah Fadlallah

24

**Treatment of Prisoners Comparative Study between International Laws, Islamic Law**

■ Al-Sheikh Mahmoud Ali Saraib

**Reading in Book**

23

**On Western Terrorism From Hiroshima to the Drone War by «Noam Chomsky» and «Andre Vltchek»**

■ Lina Al-Saqr

# index

6

**First talk: USA: Empire of Lies and Aggression**

■ Dr. Mohammad Mahmoud Mortada

## Focus

12

**American Philosophical Theorization of War (Washington Hawks)**

■ Dr. Nariman Amer

13

**Religious Basing of Killing in America  
Christian Zionism as a Model**

■ Dr. Mohammad Mortada

14

**American Civil War (1861- 1865)  
Bloody Conflict between the  
North, the South**

■ Ali Mahdi Raad

15

**The United States of  
America, Crimes of Two  
World Wars, Atomic Bomb**

■ Dr. Alaa Mahmoud Masoud

16

**America's Inhuman Crimes in Vietnam  
A Black History in the Color of Blood**

■ Mr. Samer Salim Ibrahim

17

**American War Crimes in Iraq**

■ Dr. Safwan Nassif Al-Naddaf

18

**US Invasion of Afghanistan  
and Crimes against Humanity**

■ Dr. Hussein Ali Hasan Ahmed

## ■ **Magazine Message:**

**Confronting the intellectual challenges imposed by the West and others on our Arab and Islamic societies, through:**

- ▶ **Refuting these issues in a scientific and systematic academic manner, highlighting their consequences and shortcomings, and criticizing their origins and contexts.**
- ▶ **Revealing the political, economic and colonial backgrounds behind the attempt to dominate culturally on our societies.**
- ▶ **Providing scientific statistics from the inside of Western societies, which monitor the destructive consequences of these cultures on societies.**
- ▶ **Providing authentic and alternative visions on these issues from a universal humanitarian perspective, that is consistent with the requirements of human nature and the universal, metaphysical vision of humanity.**

General Supervisor:  
**Al-sheikh Jalal al-Din  
Ali Al-Sagheer**

Editor in chief:  
**Dr. Mohammad Mortada**

Managing Editor:  
**Al-sheikh Dr.  
Mohammad BG Kojok**

Managing Director:  
**Ms. Aya Baydoun**

Technical Director:  
**Mr. Khaled Mimari**

Proofreading:  
**Ms. Badya al-Jammal**

Translator:  
**Mrs. Lina al-Saqer**



Oumam magazine, for Human and Social studies, is a quarterly scientific periodical, issued every three months by «Baratha Center for Studies and Research» in Beirut, Lebanon. It is concerned with criticizing Western visions of humanity and society in various fields and contemporary challenges in philosophy, history, sociology, anthropology, and other fields. This is on one hand, and on the other hand, rooting them from a rational standpoint, that is consistent with the requirements of human nature, and with the genuine metaphysical cosmic vision of humanity.

# The West in its Barbarism:(2) USA, its Wars

Issue (3): spring 2024 AD - 1445 AH

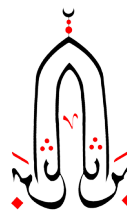
ISSN:

 : 3005-6713

 : 3005-6721



issued by:



Baratha Center for  
Studies and Research  
Beirut- Baghdad

**A quarterly journal concerned  
with criticizing Western visions  
of humanity and society**

[www.barathacenter.com](http://www.barathacenter.com)

[www.oumam.barathacenter.com](http://www.oumam.barathacenter.com)

[Oumam.magazine@gmail.com](mailto:Oumam.magazine@gmail.com)



# المشارك الكتابون

|                                   |                               |                                |
|-----------------------------------|-------------------------------|--------------------------------|
| عليه مهدي رعد<br>لبنان            | د. محمد مرتضى<br>لبنان        | د. ناريمان عامر<br>سورية       |
| د. صفوان ناصيف النداف<br>سورية    | أ. ليلى السفر<br>سورية        | د. علاء محمود مسعود<br>سورية   |
| كريم الجمال<br>مصر                | د. دعاء حسن<br>مصر            | الشيخ محمود علي سراثب<br>إيران |
| زينب علي فرحات<br>لبنان           | د. غنوة ناصر<br>سورية         | سامر سليم ابراهيم<br>سورية     |
| د. علي عبد الله فضل الله<br>لبنان | أ.د. حسين علي حسن أحمد<br>مصر |                                |

ISSN:

 : 3005-6713

 : 3005-6721



*umam*  
For human and social studies



issued by Baratha Center for Studies and Research